نَفَحَاتُ الأبرَار

في شَرْحِ زيارةِ عَاشُورَاء

تصنيف

سماحة المرجع الديني آية الله الحجَّة المحقق الفقيه

الشيخ محمد جميل حمُّود العاملي دام ظله

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث

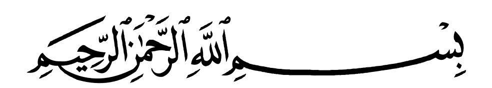
لبنان - بيروت

بالتعاون مع

مؤسسة قمر بني هاشم عليه السلام

للتسجيلات الإسلامية والطباعة والنشر

ماليزيا - كوالالمبور



الحمد لله رب العالمين

اللهم صلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ وعجِّلْ فرَجَهم والعَنْ أعداءهم

ثواب زيارة سيِّد الشهداء عليه السلام في يوم عاشوراء:

روى الشيخ الطوسي رحمه الله في كتابه (مصباح المتهجد) عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: « **من زار الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء من المحرم حتى يظل عنده باكياً، لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفي حجة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كل غزوة وحجة وعمرة كثواب من حج واعتمر وغزي مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين** ».

قال: قلت: جعلت فداك فما لمن كان في بعيد البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟ قال عليه السلام: « **إذا كان كذلك برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسلام واجتهد في الدعاء على قاتله وصلى من بعد ركعتين، وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس، ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره ممن لا يتقيه بالبكاء عليه ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه وليعز بعضهم بعضاً بمصابهم بالحسين عليه السلام وأنا الضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك** »، قلت: جعلت فداك أنت الضامن ذلك لهم والزعيم؟ قال عليه السلام: « **أنا الضامن وأنا الزعيم لمن فعل ذلك** ». قلت: فكيف يعزي بعضنا بعضاً؟ قال عليه السلام: « **تقولون: أعظم الله أجورنا بمصابنا بالحسين وجعلنا وإياكم من الطالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمد عليهم السلام. وإن أستطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فأفعل**

فإنه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن، فإن قضيت لم يبارك ولم يرَ فيها رشداً، ولا يدخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً، فمن ادخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادخره ولم يبارك له في أهله. فإذا فعلوا ذلك كتب الله تعالى لهم ثواب ألف حجة وألف عمرة وألف غزوة كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان له أجر وثواب مصيبة كل نبي ورسول ووصي وصديق وشهيد مات أو قتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة ».

قال صالح بن عقبة وسيف بن عميرة: قال علقمة بن محمد الحضرمي قلت لأبي جعفر عليه السلام: علمني دعاء أدعو به ذلك اليوم إذا أنا زرته من قرب ودعاء أدعو به إذا لم أزره من قرب وأومأت من بعد البلاد ومن داري بالسلام إليه. قال: فقال لي عليه السلام:

« يا علقمة! إذا أنت صليت الركعتين بعد أن تومي إليه بالسلام فقل بعد الايماء إليه من بعد التكبير هذا القول فإنك إذا قلت ذلك فقد دعوت بما يدعو به زواره من الملائكة، وكتب الله لك مائة ألف ألف درجة، وكنت كمن استشهد مع الحسين عليه السلام حتى تشاركهم في درجاتهم ولا تُعرف إلا في الشهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب زيارة كل نبي وكل رسول وزيارة كل من زار الحسين عليه السلام منذ يوم قتل عليه السلام وعلى أهل بيته ».

۞ زيارة عاشوراء

السّلام عَلَيْكَ يَا أبَا عَبْدِ اللّهِ، السّلام عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللّهِ، السّلام عَلَيْكَ يَا ابْنَ أمِيرِ المُؤْمِنينَ وَابْنَ سَيّدِ الوَصِيّينَ، السّلام عَلَيْكَ يَا ابْنَ فاطِمَةَ الزّهراءِ سَيّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ، السّلام عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللّهِ وابْنَ ثارِهِ وَالْوِتْرَ المَوْتُورَ، السّلام عَلَيْكَ وَعَلَى الأرواحِ الّتي حَلّتْ بِفِنائِكَ، وَأنَاخَتْ بِرحْلِك عَلَيْكُمْ مِنّي جَميعاً سَلامُ اللّهِ أبَداً ما بَقِيتُ وَبَقِيَ الليْلُ وَالنّهارُ. يَا أبَا عَبْدِ اللّهِ، لَقَدْ عَظُمَتِ الرّزِيّةُ، وجَلّتْ وعَظُمَتْ المُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنا وَعَلَى جَمِيعِ أهْلِ الإسلام، وَجَلّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السّمَوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أهْلِ

السّمَوَاتِ، فَلَعَنَ اللّهُ أُمّةً أَسّسَتْ أساسَ الظُّلمِ وَالجوْرِ علَيْكُمْ أهْلَ البَيْتِ، وَلَعَنَ اللّهُ أُمّةً دَفَعَتْكُمْ عَنْ مَقامِكُمْ وَأزالَتْكُمْ عَنْ مَراتِبِكُمُ الّتِي رَتّبَكُمُ اللّهُ فِيها، وَلَعَنَ اللّهُ أُمّةً قَتَلَتْكُمْ، وَلَعَنَ اللّهُ الْمُمَهّدِينَ لَهُمْ بِالتّمْكِينِ مِنْ قِتالِكُمْ، بَرِئْتُ إلى اللّهِ وَإلَيْكُمْ مِنْهُمْ وَمِنْ أشْياعِهِمْ وَأتْباعِهِمْ وَأوْلِيائِهِمْ. يَا أبَا عَبْدِ اللّهِ، إنّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ، وَلَعَنَ اللّهُ آل زِيَاد وَآلَ مَرْوانَ، وَلَعَنَ اللّهُ بَنِي أُمَيّةَ قاطِبَةً، وَلَعَنَ اللّهُ ابْنَ مَرْجانَةَ، وَلَعَنَ اللّهُ عُمَرَ بْنَ سَعْد، وَلَعَنَ اللّهُ شِمْراً، وَلَعَنَ اللّهُ أُمّةً أسْرَجَتْ وَألْجَمَتْ وَتَهيّأتْ وَتَنَقّبَتْ لِقِتالِكَ، بِأبِي أنْتَ وَأُمّي لَقَدْ عَظُمَ مُصابِي بِكَ، فَأسْألُ اللّهَ الّذِي أكْرَمَ مَقامَكَ، وَأكْرَمَنِي بِكَ، أنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أهْلِ بَيْتِ مُحَمّد صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ. اللهمّ اجْعَلْني عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالحُسَيْنِ عَلَيهِ السّلام فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ. يَا أبَا عَبْدِ اللّهِ، إنّي أتَقَرّبُ إلى اللّهِ، وَإلَى رَسُولِهِ، وَإلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ، وَإلَى فاطِمَةَ، وإلى الحَسَنِ وَإلَيْكَ بِمُوالاتِكَ، وَبِالْبَراءَةِ مِمّنْ قَاتَلَكَ وَنَصبَ لَكَ الحَربَ، وبالْبَراءةِ مِمّنْ أسّسَ أساسَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ عَلَيْكُمْ، وَعلى أشياعِكُم وَأبْرَأُ إلى اللّهِ وَإلى رَسُولِهِ بِالبراءةِ مِمّنْ أسّسَ أساسَ ذلِكَ، وَبَنى عَلَيْهِ بُنْيانَهُ، وَجَرَى في ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أشْياعِكُمْ، بَرِئْتُ إلى اللّهِ وَإلَيْكُمْ مِنْهُمْ، وَأتَقَرّبُ إلى اللّهِ ثُمّ إلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُم وَمُوالاةِ وَلِيّكُمْ، وَبِالْبَرَاءَةِ مِنْ أعْدائِكُمْ، وَالنّاصِبِينَ لَكُم الحَرْبَ، وَبِالبَرَاءَةِ مِنْ أشْياعِهِمْ وَأتْباعِهِمْ، إنّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ، فَأسْألُ اللّهَ الّذِي أكْرَمَني بِمَعْرِفَتِكُمْ، وَمَعْرِفَةِ أوْلِيائِكُمْ، وَرَزَقَني البَراءَةَ مِنْ أعْدائِكُمْ، أنْ يَجْعَلَني مَعَكُمْ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَأنْ يُثَبّتَ لي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْق في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَأسْألُهُ أنْ يُبَلّغَنِي المَقامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ، وَأنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكم مَعَ إمَامٍ هدىً ظَاهِرٍ نَاطِقٍ بالحقّ

مِنْكُمْ، وَأسْأَلُ اللّهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشّأنِ الّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أنْ يُعْطِيَنِي بِمُصابِي بِكُمْ أفْضَلَ ما يُعْطِي مصاباً بِمُصِيبَتِهِ، مُصِيبَة مَا أعْظَمَها وَأعْظَمَ رَزِيّتَهَا فِي الإسلام وَفِي جَمِيعِ أهلِ السّموَاتِ وَالأرْضِ. اللهُمّ اجْعَلْني فِي مَقامِي هذا مِمّن تَنالُهُ مِنْكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ. اللهُمّ أجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمّد وَآلِ مُحَمّد، وَمَماتي مَماتَ مُحَمّد وَآل مُحَمّد. اللهُمّ إنّ هَذا يَوْمٌ تَبَرّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيّةَ وَابْنُ آكِلَةِ الأكْبادِ، اللعِينُ بْنُ اللعِينِ عَلَى لِسانِكَ وَلِسانِ نَبِيّكَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ.

اللهُمّ الْعَنْ أبَا سُفْيانَ وَمُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللعْنَةُ أبَدَ الآبِدِينَ، وَهذا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيَاد وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الحُسَيْنَ عَلَيْهِ السّلام، اللهُمّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمُ اللعْنَ وَالعَذابَ الأليم. اللهُمّ إنِّي أتَقَرّبُ إلَيْكَ فِي هذَا اليَوْمِ، وَفِي مَوْقِفِي هَذا، وَأيّامِ حَيَاتِي بِالبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَاللعْنَةِ عَلَيْهِمْ، وَبِالْمُوالاةِ لِنَبِيّكَ وَآلِ نَبِيّكَ عَلَيه وعَلَيْهِمُ السّلام.

ثمّ تقول: اللهُمّ الْعَنْ أوّلَ ظالِم ظَلَمَ حَقّ مُحَمّد وَآلِ مُحَمّد، وَآخِرَ تَابِع لَهُ عَلَى ذلِكَ، اللهُمّ الْعَنِ العِصابَةَ الّتِي جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السّلام وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ وَتابَعَتْ عَلَى قَتْلِهِ. اللهُمّ الْعَنْهم جَميعاً (**تقول ذلك مائة مرّة**).

ثمّ تقول: السّلام عَلَيْكَ يَا أبا عَبْدِ اللّهِ وَعلَى الأرواحِ الّتي حَلّتْ بِفِنائِكَ، عَلَيْكَ مِنِّي سَلامُ اللّهِ أبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ الليْلُ وَالنّهارُ، وَلا جَعَلَهُ اللّهُ آخِرَ العَهْدِ مِنِّي لِزِيَارَتِكُمْ، السّلام عَلَى الحُسَيْن، وَعَلَى عَليّ بْنِ الحُسَيْنِ، وَعَلَى أصْحابِ الحُسَينِ، (وفي نسخة أُخرى: وَعَلَى أوْلادِ الحُسَيْنِ، وَعَلَى أصْحابِ الحُسَينِ) (**تقول ذلك مائة مرّة**).

ثمّ تقول: اللهمّ خُصّ أنْتَ أوّلَ ظالم بِاللّعْنِ مِنّي، وَابْدَأْ بِهِ أوّلاً، ثُمّ الثانِي، وَالثالِثَ وَالرّابِع، اللهُمّ الْعَنْ يزِيدَ خامِساً، وَالْعَنْ عُبَيْدَ اللّهِ بْنَ زِيَاد وَابْنَ مَرْجانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْد وَشِمْراً وَآلَ أبي سُفْيانَ وَآلَ زِيَاد وآلَ مَرْوانَ

إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ.

ثم تسجد وتقول: اللهمّ لَكَ الحَمْدُ حَمْدَ الشّاكِرِينَ لَكَ عَلَى مُصابِهِمْ، الحَمْدُ للّهِ عَلَى عَظِيمِ رَزِيّتي. اللهُمّ ارْزُقْني شَفاعَةَ الحُسَيْن عَلَيهِ السّلام يَوْمَ الوُرُودِ، وَثَبّتْ لي قَدَمَ صِدْق عِنْدَكَ مَعَ الحُسَيْنِ وَأَصْحابِ الحُسَيْن الّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْن عَلَيْهِ السّلام.

قال علقمة: قال أبو جعفر عليه السلام: « **إن استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة من دارك فافعل، ولك ثواب جميع ذلك** ».

وروى محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمال وعندنا جماعة من أصحابنا إلى الغري بعد ما خرج أبو عبد الله عليه السلام فسرنا من الحيرة إلى المدينة فلما فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال لنا: تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام من هاهنا أومأ إليه أبو عبد الله الصادق عليه السلام وأنا معه قال: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء، ثم صلى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وودع في دبرها أمير المؤمنين وأومأ إلى الحسين بالسلام منصرفاً وجهه نحوه وودع.

۞ دعاء علقمة

يا اَللّهُ يا اَللّهُ يا اَللّهُ، يا مُجيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يا كاشِفَ كُرَبِ الْمَكْرُوبينَ، يا غِياثَ الْمُسْتَغيثينَ، يا صَريخَ الْمُسْتَصْرِخينَ، وَيا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَريدِ، وَيا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَيا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الأَعْلى وَالأُفُقِ الْمُبينِ، وَيا مَنْ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى، وَيا مَنْ يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيا مَنْ لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ، يا مَنْ لا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الأَصْواتُ، وَيا مَنْ لا تُغَلِّطُهُ الْحاجاتُ، وَيا مَنْ لا يُبْرِمُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ عليه، يا مُدْرِكَ كُلِّ فَوْت، وَيا جامِعَ كُلِّ

شَمْل، وَيا بارِئَ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، يا مَنْ هُوَ كُلَّ يَوْم فِي شَأن، يا قاضِيَ الْحاجاتِ، يا مُنَفِّسَ الْكُرُباتِ، يا مُعْطِيَ السُّؤُلاتِ، يا وَلِيَّ الرَّغَباتِ، يا كافِيَ الْمُهِمّاتِ، يا مَنْ يَكْفي مِنْ كُلِّ شَيْء وَلا يَكْفي مِنْهُ شَيءٌ فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّد نبيك وَعَلِيٍّ أَميرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِحَقِّ فاطِمَةَ الزهراء بِنْتِ نَبِيِّكَ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَإِنّي بِهِمْ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِي مَقامي هذا وَبِهِمْ أَتَوَسَّلُ وَبِهِمْ أَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ، وَبِحَقِّهِمْ أَسْأَلُكَ وَأُقْسِمُ وَأَعْزِمُ عَلَيْكَ، وَبِالشَّأْنِ الَّذي لَهُمْ عِنْدَكَ وَبِالْقَدْرِ الَّذي لَهُمْ عِنْدَكَ، وَبِالَّذي فَضَّلْتَهُمْ عَلَى الْعالَمينَ، وَبِاسْمِكَ الَّذي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ وَبِهِ خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعالَمينَ، وَبِهِ اَبَنْتَهُمْ وَاَبَنْتَ فَضْلَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْعالَمينَ، حَتّى فاقَ فَضْلُهُمْ فَضْلَ الْعالَمينَ جَميعاً، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَأَنْ تَكْشِفَ عَنّي غَمّي وَهَمّي وَكَرْبي، وَتَكْفِيَنِي الْمُهِمَّ مِنْ أُمُوري، وَتَقْضِيَ عَنّي دَيْني وَتُجيرَني مِنَ الْفَقْرِ وَتُجيرَني مِنَ الْفاقَةِ وَتُغْنِيَني عَنِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى الْمَخْلُوقينَ، وَتَكْفِيَني هَمَّ مَنْ أَخافُ هَمَّهُ، وَجَوْرَ مَنْ أَخافُ جَوْرَهُ، وَعُسْرَ مَنْ أَخافُ عُسْرَهُ، وَحُزُونَةَ مَنْ أَخافُ حُزُونَتَهُ، وَشَرَّ مَنْ أَخافُ شَرَّهُ، وَمَكْرَ مَنْ أَخافُ مَكْرَهُ، وَبَغْيَ مَنْ أَخافُ بَغْيَهُ، وَسُلْطانَ مَنْ أَخافُ سُلْطانَهُ، وَكَيْدَ مَنْ أَخافُ كَيْدَهُ، وَمَقْدُرَةَ مَنْ أَخافُ مَقْدُرَتَهُ عَلَيَّ، وَتَرُدَّ عَنّي كَيْدَ الْكَيَدَةِ وَمَكْرَ الْمَكَرَةِ، اَللّهُمَّ مَنْ أَرادَني فَأَرِدْهُ، وَمَنْ كادَني فَكِدْهُ، وَأَصْرِفْ عَنّي كَيْدَهُ وَمَكْرَهُ وَبَأْسَهُ وَأَمانِيَّهُ، وَأَمْنَعْهُ عَنّي كَيْفَ شِئْتَ وَأَنّى شِئْتَ، اَللّهُمَّ أَشْغَلْهُ عَنّي بِفَقْر لا تَجْبُرُهُ، وَبِبَلاء لا تَسْتُرُهُ، وَبِفاقَة لا تَسُدّها، وَبِسُقْم لا تُعافيهِ، وَذُلٍّ لا تُعِزُّهُ، وَبِمَسْكَنَة لا تَجْبُرُها، اَللّهُمَّ أضْرِبْ بِالذُّلِّ نَصْبَ عَيْنَيْهِ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الْفَقْرَ فِي مَنْزِلِهِ، وَالْعِلَّةَ وَالسُّقْمَ فِي بَدَنِهِ، حَتّى تَشْغَلَهُ عَنّي بِشُغْل شاغِل لا فَراغَ لَهُ، وَأَنْسِهِ ذِكْري كَما أَنْسَيْتَهُ ذِكْرَكَ، وَخُذْ عَنّي بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسانِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ وَقَلْبِهِ وَجَميعِ جَوارِحِهِ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ فِي جَميعِ

ذلِكَ الْسُّقْمَ وَلا تَشْفِهِ حَتّى تَجْعَلَ ذلِكَ لَهُ شُغْلاً شاغِلاً بِهِ عَنّي وَعَنْ ذِكْري، وَأكْفِني يا كافِيَ مالا يَكْفي سِواكَ، فَإِنَّكَ الْكافِي لا كافِيَ سِواكَ، وَمُفَرِّجٌ لا مُفَرِّجَ سِواكَ، وَمُغيثٌ لا مُغيثَ سِواكَ، وَجارٌ لا جارَ سِواكَ، خابَ مَنْ كانَ جارُهُ سِواكَ، وَمُغيثُهُ سِواكَ، وَمَفْزَعُهُ إلى سِواكَ، وَمَهْرَبُهُ إلى سِواكَ، وَمَلْجَأُهُ إلى غَيْرِكَ، وَمَنْجاهُ مِنْ مَخْلُوق غَيْرِكَ، فَأَنْتَ ثِقَتي وَرَجائي وَمَفْزَعي وَمَهْرَبي وَمَلْجَئي وَمَنْجايَ فَبكَ اَسْتَفْتِحُ وَبِكَ اَسْتَنْجِحُ، وَبِمُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ وَأَتَوَسَّلُ وَأَتَشَفَّعُ، فَأَسْأَلُكَ يا اَللّهُ يا اَللّهُ يا اَللّهُ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكى وَأَنْتَ الْمُسْتَعانُ فَاَسْأَلُكَ يا اَللّهُ يا اَللّهُ يا اَللّهُ بِحَقِّ مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْ تَكْشِفَ عَنّي غَمّي وَهَمّي وَكَرْبي فِي مَقامي هذا كَما كَشَفْتَ عَنْ نَبِيِّكَ هَمَّهُ وَغَمَّهُ وَكَرْبَهُ وَكَفَيْتَهُ هَوْلَ عَدُوِّهِ، فَأَكْشِفْ عَنّي كَما كَشَفْتَ عَنْهُ وَفَرِّجْ عَنّي كَما فَرَّجْتَ عَنْهُ وَأَكْفِني كَما كَفَيْتَهُ، وَأصْرِفْ عَنّي هَوْلَ ما أَخافُ هَوْلَهُ، وَمَؤُنَةَ ما أَخافُ مَؤُنَتَهُ، وَهَمَّ ما أَخافُ هَمَّهُ بِلا مَؤُنَة عَلى نَفْسي مِنْ ذلِكَ، وَأصْرِفْني بِقَضاءِ حَوائِجي، وَكِفايَةِ ما أَهَمَّني هَمُّهُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتي وَدُنْيايَ، يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَيا أَبا عَبْدِاللّهِ، عَلَيْكُما مِنّي سَلامُ اللّهِ أَبَداً ما بَقيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَلا جَعَلَهُ اللّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيارَتِكُما، وَلا فَرَّقَ اللّهُ بَيْني وَبَيْنَكُما، اَللّهُمَّ أَحْيِني حَياةَ مُحَمَّد وَذُرِّيَّتِهِ وَأَمِتْني مَماتَهُمْ وَتَوَفَّني عَلى مِلَّتِهِمْ، وَأحْشُرْني فِي زُمْرَتِهِمْ وَلا تُفَرِّقْ بَيْني وَبَيْنَهُمْ طَرْفَةَ عَيْن أَبَداً فِي الدُّنْيا وَالآْخِرَةِ، يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَيا أَبا عَبْدِاللّهِ أَتَيْتُكُما زائِراً وَمُتَوَسِّلاً إِلَى اللّهِ رَبّي وَرَبِّكُما، وَمُتَوَجِّهاً إِلَيْهِ بِكُما وَمُسْتَشْفِعاً بِكُما إِلَى اللّهِ تَعالى فِي حاجَتي هذِهِ فَاشْفَعا لي فَإِنَّ لَكُما عِنْدَ اللّهِ الْمَقامَ الْمَحْمُودَ، وَالْجاهَ الْوَجيهَ، وَالْمَنْزِلَ الرَّفيعَ وَالْوَسيلَةَ، إِنّي أَنْقَلِبُ عَنْكُما مُنْتَظِراً لِتَنَجُّزِ الْحاجَةِ وَقَضائِها وَنَجاحِها مِنَ اللّهِ بِشَفاعَتِكُما لي إِلَى اللّهِ فِي

ذلِكَ، فَلا أَخيبُ وَلا يَكُونُ مُنْقلَبي مُنْقَلَباً مُنْقلَباً خاسِراً، بَلْ يَكُونُ مُنْقَلَبي مُنْقَلَباً راجِحاً مُفْلِحاً مُنْجِحاً مُسْتَجاباً بِقَضاءِ جَميعِ الحَوائِجِ وَتَشَفَّعا لي إِلَى اللّهِ، أَنْقَلَبْتُ عَلى ما شاءَ اللّهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِاللّهِ، مُفَوِّضاً أَمْري إِلَى اللّهِ مُلْجِأً ظَهْري إِلَى اللّهِ، ومُتَوَكِّلاً عَلَى اللّهِ وَأَقُولُ حَسْبِيَ اللّهُ وَكَفى سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ دَعا لَيْسَ لي وَراءَ اللّهِ وَوَراءَكُمْ يا سادَتي مُنْتَهى، ما شاءَ رَبّي كانَ وَمالَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ اِلاّ بِاللّهِ، أَسْتَوْدِعُكُمَا اللّهَ وَلا جَعَلَهُ اللّهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنّي إِلَيْكُما، إِنْصَرَفْتُ يا سَيِّدي يا أَميرَ الْمُؤْمِنينَ وَمَوْلايَ وَأَنْتَ يا أَبا عَبْدِاللّهِ يا سَيِّدي وَسَلامي عَلَيْكُما مُتَّصِلٌ مَا أتَّصَلَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ واصِلٌ ذلِكَ إِلَيْكُما غَيْرُ مَحْجُوب عَنْكُما سَلامي إِنْ شاءَ اللّهُ، وَأَسْأَلُهُ بِحَقِّكُما أَنْ يَشاءَ ذلِكَ وَيَفْعَلَ فَإِنَّهُ حَميدٌ مَجيدٌ، إِنْقَلَبْتُ يا سَيِّدَيَّ عَنْكُما تائِباً حامِداً للّهِ شاكِراً راجِياً لِلإجابَةِ غَيْرَ آيس وَلا قانِط تائِباً عائِداً راجِعاً إِلى زِيارَتِكُما غَيْرَ راغِب عَنْكُما وَلا عنْ زِيارَتِكُما بَلْ راجِعٌ عائِدٌ إِنْ شاءَ اللّهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِاللّهِ، يا سادَتي رَغِبْتُ إِلَيْكُما وَإِلى زِيارَتِكُما بَعْدَ أَنْ زَهِدَ فيكُما وَفِي زِيارَتِكُما أَهْلُ الدُّنْيا فَلا خَيَّبَنِيَ اللّهُ ما رَجَوْتُ وَما أَمَّلْتُ فِي زِيارَتِكُما إِنَّهُ قَريبٌ مُجيبٌ.

والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الأطهار الميامين

التمهيد

بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيدنا ونبينا محمّد وآله الطيبين الطاهرين الأنوار المقدَّسين، واللعنة الدائمة السرمدية الأبدية على أعدائهم ومنكري فضائلهم وظلاماتهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

لا يخفى على الموالي لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام أنه قد ورد في كتب الأخبار لا سيّما أنفَسها وأعظمها (بحار الأنوار)[1] خمسُ زياراتٍ في يوم عاشوراء، لكنّ الزيارة التي هي الورد الشافي والأكسير الأتم الوافي التي واظب عليها علماؤنا الأبرار والعباد الصالحون إنما هي المعروفة بـ(**زيارة عاشوراء المشهورة**)؛ تمييزاً لها عن بقية الزيارات التي لا تضاهيها لا من الناحية السندية ولا من الناحية الدلاليَّة، وصدق المحدِّث النوري صاحب المستدرك إذ يقول في كتابه (النجم الثاقب): « **وأما زيارة عاشوراء فيكفي في فضلها ومقامها أنها لا تسانخها سائر الزيارات التي هي بحسب الظاهر من إنشاء المعصوم وإملائه، ومع أنه لا يظهر من قلوبهم المطهّرة شيء إلاّ ما وصل إلى ذلك العالم الأرفع، فإنها تُعَدُّ أيضاً من سنخ الأحاديث القدسية وقد أُنزلت بهذا الترتيب من الزيارة واللعن والسّلام والدّعاء من الحضرة الأحديّة جلّت عظمتُه إلى جبرائيل الأمين**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج١٠١ ص٢٩٠ – ٣٢٨.

ومنه إلى خاتم النبيين ﷺ، وبحسب التجربة فإنّ المداومة عليها أربعين يوماً أو أقلّ لا نظير لها في قضاء الحاجات ونيل المقاصد ودفع الأعداء »(١).

نعم، إنّ زيارة عاشوراء هي من سنخ الأحاديث القدسيّة وهو ما أشار إليه حديث صفوان عن الإمام المعظّم الصّادق جعفر عليه السلام حيث قال: « **تعاهَدْ هذه الزيارة وأدعُ بهذا الدّعاء وزُر به، فإني ضامن على الله تعالى لكلّ مَن زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قُرْبٍ أو بُعْدٍ أنّ زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصلٌ غير محجوب وحاجته مقضية من الله بالغاً ما بلغت ولا يُخَيِّبُه.**

يا صفوان! وجدتُ هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام، مضموناً بهذا الضمان، والحسين عن أخيه الحسن مضموناً بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين مضموناً بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ مضموناً بهذا الضمان، ورسول الله ﷺ عن جبرائيل عليه السلام مضموناً بهذا الضمان، وجبرائيل عن الله عزّ وجلّ مضموناً بهذا الضمان، قد آلى الله على نفسه عزّ وجلّ أنّ مَنْ زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قُرْبٍ أو بُعْدٍ ودعا بهذا الدّعاء، قُبِلَتْ منه زيارته وشفعته في مسألته بالغاً ما بلغ، وأعطيتُهُ سؤلَه، ثم لا ينقلب عني خائباً وأقلبه مسروراً قريراً عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعتق من النار، وشفعته في كل مَن شفع، خلا ناصب لنا أهل البيت، آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شَهِدَتْ به ملائكةُ مَلَكُوته على ذلك، ثم قال جبرائيل: يا رسول الله! أرسلني إليك سروراً وبشرى لك وسروراً وبشرى لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وإلى الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة، فدام يا محمد سرورُكَ وسرورُ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة وشيعتكم إلى يوم البعث ».

---

(١) راجع (النجم الثاقب) ج٢ ص٢٧٩.

ثم قال صفوان: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: « **يا صفوان! إذا حدث لكَ إلى الله حاجة فَزُرْ بهذه الزيارة من حيث كُنْتَ، وادعُ بهذا الدُّعاء وسَلْ ربَّكَ حاجَتَكَ تَأتِكَ من الله، واللهُ غير مخلفٍ وَعْدَهُ ورسوله صلى الله عليه وآله بمنّه والحمد لله** »[1].

وثمّة سببان دعياني لشرح هذه الزيارة المقدَّسة:

الأوّل: تشكيك بعض المحسوبين على التشيُّع، حيث كَثُرَ في الآونة الأخيرة وتيرة التشكيك في مضامين وأسانيد أغلب الزيارات الدّالّة على ظلاماتِ أهل البيت عليهم السلام، حتى أدّى ذلك إلى أنْ يتجرّأ الرويبضة ومَن لا يحسن وضوءه على مناقشة الأسانيد وطرح الأخبار والزيارات بحجّة أنّ هذا ضعيف سَنَداً، وآخر دلالةً.

الثاني: ندرة الشروح باللغة العربيَّة[2] لهذه الزيارة الشريفة بالرغم من أهميتها، إذ من المفيد أنْ نحقق في فقراتها ومفرداتها، وإنْ كانت في أغلبها واضحة الدّلالة، وسهلة الفهم، لكنّ توثيق ذلك بالبرهان والدّليل يزيدها نوراً على نورها، وقوّةً إلى متانتها وجودتها، بل نكاد نجزم بأنَّ شرحنا لها وتحقيقنا لمطالبها مما لم يسبقنا إليه أحدٌ من محققي الإماميَّة ومتكلميها على الإطلاق، ولله تعالى الشكرُ والفضل ولآله المنَّةُ ومنهم السداد والتوفيق.

---

(١) راجع (مصباح المتهجِّد) ص٥٤٣.

(٢) وهذه أسماء شروح زيارة عاشوراء باللغة العربية والمترجمة إلى العربية:

١- (شرح زيارة عاشوراء) للفاضل المازندراني المولى عبد الرسول النوري الفيروزكوهي (المتوفى عام ١٣٢٥هـ).

٢- (شرح زيارة عاشوراء) للعلامة الشيخ أبي المعالي الكلباسي (المتوفى عام ١٣١٥هـ).

٣- (شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور) للعلامة الشيخ أبو الفضل الطهراني الكلانتري.

٤- (الكنز المخفي) للعلامة الشيخ عبد النبي العراقي (المتوفى عام ١٣٨٥هـ).

٥- (شرح زيارة عاشوراء) لأسد الله بن السيد محمد باقر الشفتي (المتوفى عام ١٢٩٠هـ).

٦- (شرح زيارة عاشوراء) لجعفر الموسوي (المتوفى عام ١١٩١هـ).

٧- (شرح زيارة عاشوراء) للشيخ مفيد البحراني الشيرازي (المتوفى عام ١٣٢٠هـ).

من هنا كان البحث ضمن خمسة فصول بعدد أصحاب الكساء عليهم السلام:

الفصل الأول: ذكر بعض الحكايات والقضايا التي تبيِّنُ فضلَها.

الفصل الثاني: ذكر زيارة عاشوراء المقدَّسة كما في المصادر الحديثية.

الفصل الثالث: سند الزيارة المقدَّسة.

الفصل الرابع: فقه الزيارة المقدَّسة.

الفصل الخامس: شرح فقراتها الشريفة.

الفصل الأول

بيان فضل زيارة عاشوراء المقدَّسة



من النِّعَمِ الإلهية والألطاف الربانية على شيعة أهل البيتعليهم السلام أنْ جعل زيارة الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسينعليه السلام وسيلةً إلى الرّضوان والمغفرة، وسبباً للشفاعة وعلوّ الدّرجة وقضاء الحاجات، وتفريج الهموم والغموم، ودفع الأعداء، ونيل المطالب الدنيوية والأخروية، وزيادة الفهم، وتحصيل العِلْم، والشِّفاء من الأمراض والوساوس، ودحر الشياطين والعفاريت، بل واللهِ لو قُرِأت على مصروعٍ لأفاق، أو على مسحورٍ لتعافى...

إنها الإكسير الأعظم لدفْع البلايا والمحن في الدنيا والبرزخ والآخرة، كيف لا؟! وزائرها يزور أعظم إنسانٍ عَرَفَتْهُ الخليقة، لم ولن يُنْجِبَ الزَّمَنُ مثلَه، وأُعقِمَت الأرحامُ عن نظيرِله، وأُعدِمَتِ البشريّةُ عن شخصٍ يباريه ويجاريه إلاّ آباؤه وأبناؤه صلوات ربي عليهم أجمعين.

ومَن زار هكذا عظيماً فلا ريب أنّ فيوضاتٍ سابغاتٍ سوف تدلف عليه من ربّ العزة، وسيُحاط بهالةٍ من القداسة والرّحمة الإلهية حيث لا يمكن وصفُها ونحن متجلببون بثوب المادّة لم نتجرّد عن علائقها وغبارها، بل لا ينكشف الغطاء عن الحجاب إلاّ بأنْ يموت الإنسانُ مرّتين: مرّةً باختياره عندما ينسلخ عن المادّة والقشريات، وأخرى عند الموت الذي يُنغّص على المتفكّر به الحياةَ.

وعاشوراء مضافةً إلى زيارة الإمام الحسينعليه السلام لكونها في اليوم العاشر من محرَّم الحرام الذي سُفِكَ فيه دمُهُ الطّاهر، من هنا سُمِّيَت: بـ(زيارة عاشوراء). فكلّ مَن زاره في هذا اليوم بل وفي كلّ يوم بهذه الزيارة يحصل على مراتب من القُرْب الإلهي والوصل الحُسيني بما لا يمكن وصفُهُ وحصرُهُ، **من هنا سنثبت آثار بركاتِ هذه الزيارة من خلال ناحيتين:**

الناحية الأولى: من خلال ما ورد من النصوص الشريفة الدالة على عِظَمِ ثواب الزائر للإمام الحسينعليه السلام بهذه الزيارة وبغيرها من الزيارات وإنْ كانت عاشوراء أهمّ الزيارات على الإطلاق.

الناحية الثانية: من خلال ما ورد عبر الثقات من العلماء الصالحين والمؤمنين الأتقياء ممن لا يُشَكُّ بصلاحهم وورعهم.

- أما الناحية الأولى:

① ما ورد عن مالك الجهني وعلقمة في نفس زيارة عاشوراء الشريفة وهو قول الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **من زار الحسينعليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقي الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة وألفي ألف عمرة وألفي ألف غزوة وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين** ».

قال: قلتُ: جعلت فداك فما لمن كان في بُعد البلاد وأقاصيها ولم يمكنه المصير [المسير] إليه في ذلك اليوم؟ قالعليه السلام: « **إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره وأومأ إليه بالسَّلام واجتهد على قاتله بالدّعاء، وصلّى بعده ركعتين، يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال، ثم ليندب الحسين ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً بمصاب الحسينعليه السلام فأنا ضامنٌ لهم إذا فعلوا ذلك على اللهعزّ وجلّ جميع هذا الثواب** ».

ثمّ قال الإمام الباقر عليه السلام لعلقمة الذي سأله أنْ يعلِّمَهُ دعاء في ذلك اليوم – أي يوم العاشر من محرَّم – إذا زاره من قريبٍ أو بعيدٍ فقال عليه السلام له :

« **يا علقمة إذا أنتَ صلَّيْتَ ركعتين بعد أنْ تومئ إليه بالسَّلام وقلت عند الإيماء إليه ومن بعد الركعتين هذا القول فإنك إذا قلتَ ذلك فقد دعوتَ بما يدعو به من زاره من الملائكة وكتب الله لك بها ألف ألف حسنة ومحا عنك ألف ألف سيئة، ورفع لك مائة ألف ألف درجة، وكنتَ كمن استشهد مع الحسين بن علي حتى تشاركهم في درجاتهم، ولا تُعْرَف إلاّ في الشّهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب كلّ نبيٍّ ورسولٍ، وزيارة مَن زار الحسين بن علي عليهما السلام منذ يوم قتل، تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا ابن رسول الله..** ثمّ قال الإمام عليه السلام لعلقمة : **إنْ استطعتَ أنْ تزوره في كلّ يومٍ بهذه الزيارة من دهرك فافعلْ فلك ثواب جميع ذلك إنْ شاء الله تعالى** »[1] .

فقد بيّن ووضّح النص الشريف الأمور التالية:

أوّلاً: إنّ ما جاء في هذه الزيارة الشريفة هو عين ما تفعله الملائكة من السَّلام واللعن والدّعاء وهو قوله عليه السلام لعلقمة : « **فإنكَ إذا قلتَ ذلك فقد دعوتَ بما يدعو به مَن زاره من الملائكة** ».

ويظهر أيضاً أنّ الملائكة كُلَّهم ليسوا على درجة واحدة بالقرب من الإمام الحسين عليه السلام بل يتفاضلون بالزيارة ، فمن زاره منهم كان من الخصيصين عند الله تعالى لذا عبّر عمّن زاره منهم بأداة التبعيض (مِنْ) بقوله عليه السلام : « **مَن زاره مِنَ الملائكة** » ويشهد لما ذكرنا ما ورد من أنّ جبرائيل أشرف الملائكة الكروبيين كان أقربهم إلى الله تعالى[2] لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، وكذا روح القدس لقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٢٢٧ – ٣٣٢.

(٢) ورد في الأخبار أنّ جبرائيل مطاعٌ في السماء حيث تطيعه ملائكة السّماء، راجع (البحار) ج٥٦ ص٢٤٧.

سُورَةُ النَّبَإِ، بناءً على أنّ روح القدس هو مَلَك أعظم من جبرائيل وميكائيل[1]، بل يوجد في بعض الأخبار أنّ جبرائيل وإسرافيل أقرب الخلق إلى الله تعالى[2].

ومما يدل على أنّ جبرائيل أقرب إلى رسول الله والأئمةعليهم السلام هو ما ورد في المتظافر من أنّ جبرائيل قال في يوم أُحُد لمّا تعجّبت الملائكة من شجاعة أمير المؤمنين عليّعليه السلام نزل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ثمّ جاء جبرائيل فوقف إلى جنب رسول الله فقال: « **يا محمّد إنّ هذه هي المواساة، فقال**صلى الله عليه وآله وسلم**: إنّ علياً مني وأنا منه، فقال جبرائيل: وأنا منكما..** »[3].

ولمّا كان أهل البيتعليهم السلام أقرب الخلق إلى الله تعالى وأفضلهم عنده لزم أنْ يكون جبرائيلُ القريب منهم أقرب الخلق إلى الله تعالى من بقيّة الملائكة لكونه انتسب إلى أهل البيتعليهم السلام.

ثانياً: المواظبة على الزيارة الشريفة توجب رفع عقاب مليون سيئة، وتستوجب ثواب مليون حسنة، وترفع لقاريها مليون درجة في الجنة، وكان كمن استشهد مع المولى المعظّم أبي عبد اللهعليه السلام ويشاركهم بدرجاتهم في الجنّة.

ثالثاً: المواظب عليها لا يُعرف مكانه في الجنة إلاّ مع الشهداء الذين استشهدوا مع الإمام المظلوم سيد الأحراء أبي عبد الله الحسين لعن الله ظالميه.

رابعاً: المواظب عليها، له ثوابُ كلّ نبيٍّ ورسول، بل وثواب كل مؤمن زار الإمام الحسين بعد مقتله، ومعلوم أنّ ثواب كلِّ نبيّ ورسول لا يُقَدَّر بعددٍ معَيَّن مما يعني أنّ ثواب زيارتهعليه السلام لا يُحصى عددُه ولا يُبلَغ منتهاه.

(٢)[4]: الإطلاقات والعمومات الدالة على استحباب زيارة الإمام الحسين في العاشر من المحرَّم، فمن الإطلاقات الدالة على استحباب زيارتهعليه السلام ما أورده ابن

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٥٦ ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٦ ص٢٤٩ ح٢.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٥٦ ص٢٥٥-٢٥٦.

(٤) أي الأمر الثاني من الأمور الدالة على استحباب زيارة الإمامعليه السلام بهذه الزيارة وغيرها.

قولويه القمّي في (كامل الزيارات) قال:

١- حدَّثني أبي وأخي وجماعة مشايخي، عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن علي المدائني، قال: أخبرني محمّد بن سعيد البلخي [البجلي خ ل] عن قبيصة، عن جابر الجعفي قال: دخلتُ على الإمام جعفر بن محمَّد عليهما السلام في يوم عاشوراء فقال لي: « **هؤلاء زوّار الله وحقٌّ على المزور أنْ يكرم الزائر، مَن بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله يوم القيامة ملطَّخاً بدمه كأنما قُتِلَ معه في عرصته** »[1].

٢- وقال عليه السلام: « **مَن زار قبر الحسين عليه السلام ليوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه** »[2].

٣- وعن أبي علي محمّد بن همام قال: حدثني جعفر بن محمّد بن مالك الفزاري قال: حدثني أحمد بن علي بن عبيد الجعفي، قال: حدّثني الحسين بن سليمان عن الحسن بن راشد عن حماد بن عيسى عن حريز عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **مَن زار الحسين يوم عاشوراء وَجَبَت له الجنة** »[3].

٤- وعن محمَد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن محمّد بن أبي عمير، عن زيد الشحّام، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **مَن زار قبر الحسين بن عليّ عليهما السلام عارفاً بحقه كان كمن زار الله في عرشه** »[4].

٥- وعن الحسين بن محمّد بن عامر، عن المعلى بن محمّد، عن محمّد بن جمهور العمي عمّن ذكره، عنهم عليهم السلام قال: « **مَن زار قبر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان**

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٢٣ باب ٧١ ح٥٤٨.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ح٥٤٩.

(٣) راجع (كامل الزيارات) ح٥٥٠.

(٤) ذكر العرش إنما هو للرفعة لا للسرير، راجع (كامل الزيارات) ح٥٥١.

كمن تشحّط بدمه بين يديه »[1].

٦- وعن جعفر بن محمّد بن إبراهيم الموسوي، عن عبيد الله بن نهيك، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحّام، عن الإمام جعفر بن محمّد الصّادقعليهما السلام أنه قال: « **مَن زار الحسينعليه السلام ليلة النصف من شعبان غفر الله له ما تَقَدَّمَ من ذنوبه وما تأخَّرَ، ومَن زاره يوم عَرَفَة كتب الله له ثواب ألف حجة مُتَقَبَّلَة، وألف عمرة مبرورة، ومَن زاره يوم عاشوراء، فكأنما زار الله فوق عرشه »**[2].

٧- وعن مالك الجهني، عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **مَن زار الحسينعليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً، لقي اللهعزّ وجلّ يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجّة وألفي ألف عمرة وألفي ألف غزوة، وثواب كلّ حجّة وعمرة وغزوة كثواب مَن حجّ واعتمر وغزا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومع الأئمّة الرّاشدين صلوات الله عليهم أجمعين »**[3].

إذن فإنّ لزيارتهعليه السلام يوم عاشوراء ثواباً عظيماً، ودرجةً عاليةً، ولم تحدِّد هذه النصوص كيفيّة وماهيّة الزيارة، بل كلّ ما جاء فيها هو " **مَن زاره... له ثواب كذا وكذا** "؛ فلو زاره بالسَّلام عليه منفرداً دون المنصوص عليه في الأخبار يكون حينئذٍ الزّائر مؤدِّياً لحقّه وحاصلاً على الثواب الموجود بشرط الإخلاص في التوجُّه والسَّلام، لكنّ صحيحة مالك الجهني الدالة على زيارة عاشوراء المشهورة حددت نوع الزيارة وكيف ينبغي أنْ يكون عليه الزائر من الأوصاف والشّروط، ثمّ جاءت رواية علقمة الواردة في ذيل خبر مالك الجهني ووضَّحَت ماهيّة الزيارة التي ينبغي أنْ يزور بها المؤمن إمامه الحسينعليه السلام فقالت: « **تقول: السّلام عليكَ يا أبا عبدالله..** »، وقالت: « **إن استطعتَ أنْ تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من دارِكَ... أو يا علقمة إذا أنتَ صَلَّيْتَ ركعتين بعد أنْ تومئ إليه بالسَّلام وقلتَ عند الإيماء**

(١) راجع (كامل الزيارات) ح٥٥٢.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ح٥٥٤.

(٣) راجع (مستدرك وسائل الشيعة) ج١٠ ص٢٩٣ ح١٢٠٤٢.

إليه وبعد الرِّكعتَيْن هذا القول، فإنّكَ إذا قلتَ ذلك فقد دعوتَ بما يدعو به مَن زاره من الملائكة ».

فزيارة عاشوراء قد حَدَّدَت وبَيَّنَت التفاصيل والمقدِّمات والنتائج، إذن هي مبيِّنَة وموضِّحة ومفصِّلَة للمجمَلات المذكورة.

③ ما ذكره العلاّمة النوري صاحب المستدرك بسند صحيح عن الثقة التقي الصالح الشيخ علي الرّشتي عن التقي الثقة السيد أحمد بن السيد هاشم السيد حسن الرشتي عن مولى الأنام الإمام صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن عليه وعلى آبائه أفضل التحية والسَّلام حيث نوَّهَ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بزيارة عاشوراء وزيارة الجامعة الكبيرة، وتأكيده على عاشوراء يلازم أفضليتها على غيرها... وإليكَ ما ذكره الشيخ النوري قال: « **قد تشرّف بزيارة النجف الأشرف جنابُ المستطاب التقي الصالح السيد أحمد بن السيد هاشم بن السيد حسن الرشتي ساكن رشت أيّده الله تعالى، قبل سبعة عشر سنة تقريباً. وقد جاءني إلى المنزل مع العالِم الربّاني والفاضل الصمداني الشيخ علي الرشتي طاب ثراه.**

فلمّا نهضنا للخروج نبّهني الشيخ إلى أنّ السيد أحمد من الصّلحاء المسدَّدين ولّمح إليّ أنّ له قصّة عجيبة ولم يسمح المجال حينها في بيانها.

وبعد عدّة أيام من اللقاء قال لي الشيخ: إنّ السيد قد ذهب، ثم نقل لي جملة من حالات وأحوال السيد مع قصّته، فتأسَّفْتُ لذلك كثيراً لعدم سماعي القصّة منه شخصياً، ولو أنّ مقام الشيخ رحمه الله أجلّ من أنْ ينقل شيئاً خلاف ما نقل له، وبقي هذا الموضوع في ذهني من تلك السنة وحتى جمادى الآخرة من هذه السنة حيث كنتُ راجعاً من النجف الأشرف إلى الكاظمين فالتقيتُ بالسيد الصّالح المذكور وهو راجعٌ من سامراء وكان عازماً على السّفر إلى بلاد العجم، فسألتُه عن ما سمعتُه من أحواله ومن جملتها القصّة المعهودة، فنقل كلّ ذلك ما طابق النقل الأول، والقضية بما يلي: قال:

عزمتُ على الحجّ سنة ألف ومائتين وثمانين فجئتُ من حدود رشت إلى تبريز ونزلتُ في بيت الحاج صفر علي التاجر التبريزي المعروف ولعدم وجود قافلة فقد بقيتُ متحيِّراً إلى أنْ جهّز الحاج جبّار جلودار السدهي الأصفهاني قافلة إلى (طربوزن) فاكتريتُ منه

مركباً لوحدي وسافرتُ، وعندما وصلتُ إلى أوّل مترل التحق بي - وبترغيب الحاج صفر علي - ثلاثة أشخاص آخرين، أحدهم الحاج الملاّ باقر التبريزي الذي كان يحجّ بالنيابة وكان معروفاً لدى العلماء، والحاج السيد حسين التاجر التبريزي، ورجل يسمى الحاج علي وكان يشتغل بالخدمة.

ثمّ ترافقنا بالسفر إلى أنْ وصلنا إلى (أرضروم)، وكنّا عازمين على الذهاب من هناك إلى (طربزون) وفي أحد تلك المنازل التي تقع بين هاتين المدينتين جائني الحاج جبّار جلودار وقال: بأنّ هذا المترل الذي قدّامنا مخيف فعجّلوا حتى تكونوا مع القافلة دائماً، وذلك لأننا كنا غالباً ما نتخلّف عن القافلة بفاصلة في سائر المنازل، فتحرّكْنا سويّةً بساعتين ونصف، أو ثلاث ساعات بقيت إلى الصبح - على التخمين - وابتعدنا عن المترل الذي كنّا فيه مقدار نصف أو ثلاثة أرباع الفرسخ فإذا بالهواء قد تغيّر واظلمت الدنيا وابتدأ الوفر بالتساقط، فحينئذٍ غطّى كلّ واحد منا من الرّفقاء رأسه واسرع بالسير، وقد فعلتُ أنا كذلك لألتحق بهم ولكنّي لم أتمكّن على ذلك فذهبوا وبقيتُ وحدي، ثم نزلتُ بعد ذلك من فرسي وجلستُ على جانب الطريق، وقد اضطربتُ اضطراباً شديداً لأنه كان معي قرابة ستمائة تومان لنفقة الطريق.

وبعد أنْ فكَّرْتُ وتأمَّلْتُ بأمري قرَّرْتُ أن أبقى في هذا الموضع إلى أنْ يطلع الفجر، ثم أرجع إلى الموضع الذي جئتُ منه، وآخذ معي من ذلك الموضع عدّة أشخاص من الحرس فألتحق بالقافلة مرّةً ثانيةً.

وبهذه الأثناء رأيتُ بستاناً أمامي، وفي ذلك البستان فلاّح بيده مسحاة يضرب بها الأشجار فيتساقط الوفر منها، فتقدَّمَ إليَّ بحيث بقيت فاصلة قليلة بينه وبيني، ثمّ قال: مَن أنتَ؟ قلتُ: ذهب أصدقائي وبقيتُ وحدي ولا أعرف الطريق فتهتُ.

فقال باللغة الفارسية: نافلة بخوان تا راه بيدا كنى. (أي صلِّ النافلة - والمقصود منها صلاة الليل - لتعرف الطريق). فاشتغلتُ بصلاة النافلة وبعدما فرغتُ من التهجُّد، عاد مرّة أخرى وقال: ألم تذهب بعد؟!

قلتُ: والله لا أعرف الطريق.

قال: جامعة بخوان (إقرأ الجامعة).

ولم أكن أحفظ الجامعة وما زلتُ غير حافظٍ لها مع إني قد تشرَّفتُ بزيارة العتبات المقدَّسة مراراً.. ولكنّي وقفتُ وقرأتُ الجامعة كاملةً عن ظهر الغيب، ثمّ جاء وقال: ألم تذهب بعد؟!

فأخذتني العبرة بلا إرادة وبكيتُ وقلتُ: ما زلتُ موجوداً ولا أعرف الطّريق.

قال: عاشورا بخوان (إقرأ عاشوراء).

وكذلك إني لم أكن أحفظ زيارة عاشوراء وما زلتُ غير حافظٍ لها، فقمتُ من مكاني واشتغلتُ بزيارة عاشوراء من الحافظة عن ظهر غيب إلى أنْ قرأتُها جميعاً وحتى اللعن والسَّلام ودعاء علقمة، فرأيتُه عاد إليَّ مرّةً أخرى وقال: نرفتى هستى (ألم تذهب؟ بعدك؟!).

فقلتُ: لا، فإني موجود وحتى الصّباح.

قال: أنا أوصلكَ إلى القافلة الآن (من حالا ترا بقافله مى رسانم).

ثم ذهب وركب على حمار ووضع مسحاته على عاتقه وجاء فقال: إصعَدْ خلفي على حماري (برديف مَن بر الاغ مَن سوار شو).

فركبتُ وأخذتُ بعنان فرسي فلم يطاوعني ولم يتحرَّك، فقال: (جلو اسب را بمن ده) ناولني لجام الفرس، فناولتُه، فوضع المسحاة على عاتقه الأيسر وأخذ الفرس بيده اليمنى وأخذ بالسَّيْر، فطاوعه الفرس بشكلٍ عجيب وتبعه.

ثمّ وضع يده على ركبتيَّ وقال: (شما جرا نافله نميخوانيد؛ نافله، نافله، نافله..) لماذا لا تصلّوا النافلة: النافلة.. النافلة.. النافلة؟ قالها ثلاث مرّاتٍ.

ثمّ قال: (شما جرا عاشورا نميخوانيد.. عاشورا.. عاشورا.. عاشورا) لماذا لا تقرأون عاشوراء: عاشوراء.. عاشوراء.. عاشوراء..؟ ثلاث مرّاتٍ.

ثمّ قال: (شما جرا جامعه نميخوانيد: جامعه.. جامعه.. جامعه) لماذا لا تقرأون الجامعة: الجامعة.. الجامعة.. الجامعة..؟

وعندما كان يطوي المسافة كان يمشي بشكلٍ مستدير، وفجأةً رجع وقال: (آنست رفقاى شما) هؤلاء أصحابكَ.

وكانوا قد نزلوا على حافّة نهر فيه ماء يتوضؤون لصلاة الصبح. فترلتُ من الحمار

لأركب فرس فلم أتمكّن فترل هو وضرب المسحاة في الوفر وأركبني وحوّل رأس فرسي إلى جهة أصحابي وبهذه الأثناء وقع في نفسي: مَن يكون هذا الإنسان الذي يتكلّم باللغة الفارسية علماً أنّ أهل هذه المنطقة لا يتكلّمون إلاّ باللغة التركية، ولا يوجد بينهم غالباً إلاّ أصحاب المذهب العيسوي (المسيحيون) وكيف أوصلني إلى أصحابي بهذه السّرعة؟! فنظرتُ فلم أرَ أحداً ولم يظهر لي أثرٌ منه، فالتحقتُ برفقائي »[1]. (إنتهى).

ويكفي في شرف هذه الزيارة أنّ الإمام صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أمر بها ونوّه بفضلها ولو كان ثمّة زيارة أحسن منها ومن زيارة الجامعة لأمرنا بها وحثّنا على المواظبة عليها، ولمّا لم يذكر غيرهما اقتضى ذلك أنها وزيارة الجامعة من أهمّ الزيارات على الإطلاق.

قال العلاّمة النوري: « **فيكفي في فضلها ومقامها أنها لا تسانخها سائر الزيارات التي هي بحسب الظاهر من إنشاء المعصوم وإملائه، ولو أنه لا يظهر في قلوبهم المطهَّرة شيء إلاّ ما وصل إلى ذلك العالم الأرفع، بل هي من سنخ الأحاديث القدسيّة، نزلت بهذا الترتيب من الزيارة واللعن والسَّلام والدّعاء من الحضرة الأحدية جلّت عظمته إلى جبرائيل الأمين ومنه إلى خاتم النبيين صلّى الله عليه وآله** »[2].

- وأمّا الناحية الثانية[3]**:**

نروي في هذا المجال عدّة قضايا ذكرها أجلاّء، منها:

① ما رواه خاتمة المحدِّثين الشيخ النوري في (النجم الثاقب ودار السَّلام) قال: « **وبحسب التجربة فإنّ المداومة عليها أربعين يوماً أو أقلّ لا نظير لها في قضاء الحاجات ونيل المقاصد ودفع الأعداء ولكن أحسن فائدة استفيد منها بالمواظبة عليها ما ذكرته في كتاب دار السّلام ومجمله: أنه نقل الثقة الصالح المتقي الحاج الملاّ حسن اليزدي وهو من أحسن مجاوري النجف الأشرف وكان مشغولاً دائماً بالعبادة والزيارة، عن الثقة الأمين الحاج محمّد علي اليزدي قال: كان رجلٌ صالحٌ فاضلٌ في يزد مشتغلاً في نفسه، ومواظباً**

(١) راجع (النجم الثاقب) ج٢ ص٢٧٣-٢٧٧.

(٢) راجع (النجم الثاقب) ج٢ ص٢٧٨.

(٣) آثارها وبركاتها من خلال ما ورد من ثقات العلماء والصّلحاء.

لعمارة رمسه، يبيت في الليالي في مقبرة خارج بلدة يزد تعرف بالمزار، وفيها جملة من الصّلحاء، وكان له جارٌ نشأ معه منذ صغر سنّه عند المعلّم وغيره إلى أنْ صار عشاراً في أوّل عمله، وبقي كذلك إلى أنْ مات ودُفِنَ في تلك المقبرة قريباً من المحلّ الذي كان يبيت فيه المولى المذكور، فرآه بعد موته بأقلّ من شهر في زيٍّ حَسَنٍ وعليه نظرة النعيم، فتقدَّمَ إليه وقال له: إني أعلم بمبدئك ومنتهاك، وباطنك وظاهرك، ولم تكن ممن يحتمل في حقّه حسن في الباطن ليُحمَل فعله القبيح على بعض الوجوه الحسنة كالتقية أو الضرورة أو إعانة المظلوم وغيرها، ولم يكن عملكَ مقتضياً إلاّ للعذاب والنكال، فبمَ نلتَ هذا المقام؟!

قال: نعم! الأمر كما قلتَ، كنتُ مقيماً في أشدّ العذاب من يوم وفاتي إلى أمس، وقد توفيت فيه زوجة الأستاذ أشرف الحداد، ودُفنت في هذا المكان، وأشار إلى طرف بينه وبينه، قريب من مائة ذراع، وفي ليلة دفنها زارها الإمام أبو عبد الله عليه السلام ثلاث مرّات، وفي المرّة الثالثة أمر برفع العذاب من هذه المقبرة، فصرتُ في نعمةٍ وسعةٍ، وخفض عيشٍ ودعةٍ.

فانتبه متحيراً، ولم تكن له معرفة بإسم الحداد ومحلّه، فطلبه في سوق الحدّادين ووجده، فقال له: ألكَ زوجة؟ قال: نعم، توفِيَتْ بالأمس ودفنتُها في المكان الفلاني وذكر الموضع الذي أشار إليه.

قال: فهل زارتْ أبا عبد الله؟ قال: لا، قال: فهل كانت تذكر مصائبه؟ قال: لا، قال: فهل كان لها مجلس تذكر فيه مصائبه؟ قال: لا، فقال الرّجل: وما تريد من السّؤال؟ فقصّ عليه رؤياه، وقال: أريد أنْ أستكشف العلاقة بينها وبين الإمام الحسين عليه السلام.

قال : كانتْ مواظبة على زيارة عاشوراء »[1]. (إنتهت القصّة).

قال المحدِّث النوري معلِّقاً في ذيل القصة : « لا يخفى أنّ السيد أحمد صاحب القضيّة من الصلحاء والأتقياء مواظباً على الطاعات والعبادات والزيارات وأداء الحقوق وطهارة اللباس والبدن من النجاسات المشبوهة، ومعروفاً بالورع والسّداد عند أهل البلد وغيره، ويأتيه نوادر الألطاف في كلّ زيارة ليس هنا مقام ذكرها »[2].

---

(١) راجع (النجم الثاقب) ج٢ ص٢٧٩-٢٨٠.

(٢) راجع (النجم الثاقب) ج٢ ص٢٨٠.

② نقل أحد العلماء[1] عن السيد حسين نظام الدين الأصفهاني وكان من أجلّة العلماء حسبما يصف الناقل، فقال: « **كنتُ في أحد الأيام في منزل الحاج عبد الغفور وكان من الملازمين والمحبين للعلاّمة الحجّة محمّد تقي الفقيه الأحمد آبادي مؤلِّف كتاب (مكيال المكارم في فوائد الدّعاء للقائم عجّل الله فرجه) فقال أحد أصدقائه المعروف بالحاج السيد يحيى الملقَّب بـــ(بنبه كار) توفي أخي منذ فترة ورأيتُه في المنام بهيئة حَسَنَة وعليه لباس جيّد وفاخر ممّا أثار تعجُّبي، فقلتُ له: يا أخي مَن هو الذي خدعته في تلك الدّنيا؟ قال: ما خدعتُ أحداً، وما كنتُ أهلاً لهذه الحال التي أنا فيها، قلتُ: أنا أعرفكَ جيّداً، وهذا اللباس والمكان ليس من شأنكَ؟ قال: نعم، ولكنْ في الأمس كانت ليلةَ دفن والدةِ حفّار القبور وقد حضر سيّد الشهداء عليه السلام لزيارتها، فأمر الإمام عليه السلام فأعطوا كلّ مَن كان مجاوراً لقبر هذه المرأة الصّالحة لباساً فاخراً، وكنتُ أنا ممّن تنعّم ببركتها، ولهذا تراني تغَيَّرَتْ حالي، وانقلبتُ إلى أحسن حال، فنهضتُ من منامي، وكان الوقت قريباً من وقت آذان الصّبح، فذهبتُ إلى قبر أخي في مقبرة تخت فولاد المعروفة في مدينة أصفهان، وقرأتُ عليه الفاتحة وبعض سور القرآن، وسألتُ عن القبر الجديد الذي كان بجوار أخي؟ فقالوا: هذا قبر والدة حفّار القبور، فقلتُ: متى دُفِنَتْ؟ قالوا: البارحة كانت أوّل ليلة لها، ففهمتُ بأنّ التاريخ مطابقٌ لِمَا قاله أخي، وذهبتُ بعد ذلك إلى مكان الحفّار قريب من حسينيّة المرحوم آقا ميرزا أبو المعالي، فسلَّمْتُ عليه، وسألتُ عن أحواله وعن وفاة والدته، فقال: دُفِنَتْ ليلة أمس، قلتُ: هل كانت تقيم مجالس تعزية للإمام الحسين عليه السلام وهل كانت قارئة لمراثي شهيد كربلاء؟ وهل كانت تشَرَّفَتْ بزيارة مرقد أبي الأحرار الحسين بن عليّ عليهما السلام؟ قال: لا، ثمّ قال: لماذا تسأل مثلَ هذه الأسئلة؟**

فشرحتُ له رؤياي، فقال: كانت قارئة لزيارة عاشوراء في كلّ يوم ».

إذن ببركة زيارة عاشوراء رُفِعَ العذاب عن مجاوري قبر أمِّ حفّار القبور، فكانت الزيارة سبباً وشفاعةً لرفع العذاب والدخول في النعيم الأُخروي.

③ ما نقله بعض المؤمنين الإيرانيين عن الشيخ حسن فريد الكلبيكاني عن أستاذه المرحوم الشيخ عبد الكريم اليزدي الحائري قال: « **عندما كنتُ في سامراء مشتغلاً**

(١) هو السيِّد العلامة ياسين الموسوي.

بدراسة العلوم الدينية ابتُلي أهل سامراء بالوباء - مرض الكوليرا - والطّاعون بحيث كان يموت كلَّ يوم جماعةٌ، وفي يوم كنّا مع جماعة من أهل العِلْم في بيت أستاذي المرحوم محمّد الفشاركي أعلى الله مقامه وعلى حين غرّة جاء المرحوم الميرزا محمّد تقي الشيرازي قدس سره وجرى حديث الطّاعون والوباء وأنّ الجميع متعرِّضون لخطر الموت، وحينها قال المرحوم الميرزا: إذا حكمتُ بأمرٍ فهل يلزمكم العمل به أم لا؟

فسلّم جميعُ الحاضرين وأجابوا بالقبول والموافَقة.

ثمّ قال بعد ذلك: حكمتُ على جميع الشيعة القاطنين مدينة سامراء أنْ يقرؤوا زيارة عاشوراء من هذا اليوم وإلى عشرة أيام، ويهدوا ثوابها إلى روح السيدة نرجس سلام الله عليها أمّ الإمام الحجّة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف لأجل أنْ يرفع البلاء عنهم، فأوصل حضّار المجلس هذا الحكم إلى جميع الشيعة، والتزم الجميع بقراءة زيارة عاشوراء في تلك المدّة، ومن اليوم الثاني توقفَت الخسائر في الشيعة بينما يموت يومياً عدّة من أهل الخلاف بشكلٍ واضحٍ مما جعل بعضهم يسأل مَن يعرفونهم من الشيعة عن سبب توقف التلف فيهم، فقالوا لهم بأنّ السبب في ذلك هو زيارة عاشوراء، فالتزم أولئك بقراءتها فرفع عنهم البلاء أيضاً.

وقال الشيخ حسن فريد الكلبايكاني: وكلّما أصابتني شدَّة تذكّرتُ أمر المرحوم الشيخ عبد الكريم الحائري فأهتمّ بزيارة عاشوراء من بداية شهر محرَّم، فتنفرج عنّي الشدّة بيوم الثامن بشكلٍ إعجازيٍّ خارقٍ للعادة ».

(٤) نقل أحد العلماء عن العالِم الزاهد المرحوم الشيخ جواد بن الشيخ مشكور من أجلّة العلماء وفقهاء النجف الأشرف وكان مرجع تقليد لجماعة من شيعة العراق ومن أئمّة الجماعة في الصحن المطَهَّر وقد توفي في سنة ١٣٣٧هـ عن عُمْرٍ ناهز التسعين سنة ودُفِنَ في جوار أبيه في إحدى حجرات الصحن المطَهَّر.

رأى هذا المرحوم في ليلة ٢٦ صفر ١٣٣٦هـ بالنجف الأشرف في عالَم الرؤيا عزرائيل مَلَكَ الموت، وقد سأله بعد السَّلام عليه: « **من أين مجيئك؟ فقال: من شيراز وقد قبضتُ روحَ الميرزا إبراهيم المحلاتي، فسأله الشيخ: في أيّة درجة روحه في البرزخ؟ فقال: في أحسن الحالات وفي أفضل بساتين عالَم البرزخ، وقد أوكل الله تعالى به ألف**

مَلَك يلبُّون أمره، قلتُ: بأيّ عملٍ من الأعمال وصل إلى هذا المقام؟ ألأجلِ مقامه العلمي وتدريسه وتربيته الطلاّب؟ قال: لا.

فقلتُ: فلأجل صلاته الجماعة وإيصاله الأحكام إلى الناس؟ فقال: لا. فقلتُ: فلأجل أيّ شيء؟ قال: لقراءته زيارة عاشوراء (وقد كان المرحوم الميرزا المحلاتيّ من المواظبين على زيارة عاشوراء بحيث لم يتركها مدّة ثلاثين سنة الأخيرة من عمره، وكان يُنيب عنه من يقرأها في أيام مرضه وفي كلّ أمرٍ يعوقه عن قراءتها)، وعندما استيقظ الشيخ جواد بن مشكور من النوم، وذهب في اليوم الثاني إلى منزل الميرزا محمّد تقي الشيرازي وحكى له رؤياه، فبكى الميرزا الشيرازي، فلمّا سأله الشيخ مشكور عن سبب بكائه؟ قال: لقد ارتحل الميرزا المحلاتيّ، فقال له بعضُهم: إنّ ما رآه الشيخ مشكور كان حلماً فكيف تبني على وفاة الميرزا محلاتيّ من خلال حلم؟ فأجاب: إنّ هذا حُلم، لكنه حُلم الشيخ مشكور وليس حُلُمَ شخصٍ عاديٍّ، وفي اليوم التالي وصلت برقيّة من شيراز إلى النجف الأشرف تخبر بوفاة الميرزا المحلاتيّ، واتضح حينها صدق رؤيا الشيخ مشكور رحمه الله.

وقد سمع هذه الحكاية جماعة من فضلاء النجف الأشرف مباشرةً من المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي حينما جاء الشيخ المرحوم ونقل منامه، وقد سمع هذه الحكاية العلاّمة صدر الدين المحلاتيّ حفيد ذلك المرحوم عن الشيخ مشكور ».

⑤ ذكر العلاّمة محمّد هادي الأميني الابن الأكبر للراحل العلاّمة الكبير الأميني صاحب كتاب (الغدير) أنه رأى والده في الرؤيا بعد وفاته بأربع سنين في إحدى الليالي وقبل آذان الفجر عام ١٣٩٤هـ أنّ والده كان فرحاً وعلى هيئةٍ حَسَنَةٍ، فتقدَّمْتُ نحوه وسلَّمْتُ عليه، وسألتُهُ: « **أيُّ الأعمال أوصلتكَ إلى هذه السعادة؟**

قال: ماذا تقول؟ وعرضتُ عليه السؤال مرّة أخرى هكذا: سيدي في هذا المكان الذي تقيم فيه الآن، أيّ الأعمال أوصلتكَ إليه، هل هو كتاب الغدير أو بقية التأليفات أو تأسيس مكتبة أمير المؤمنين؟ قال: فقط عن طريق زيارة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ثمّ سألتُه: أنتَ تعرف في الوقت الحاضر أنّ الروابط السياسية بين إيران والعراق غير عاديّة والذهاب إلى كربلاء غير ممكن.

قال: أقيموا واشتركوا في مجالس عزاء الإمام الحسين، فلها ثواب زيارة مرقد أبي

الأحرار الحسين عليه السلام، ثمّ قال لي: يا ولدي أوصيتُكَ في السابق كثيراً بقراءة زيارة عاشوراء، والآن أكرِّر عليكَ وأقول: إستمرْ بقراءتها ولا تتركها لأيِّ سببٍ كان، إقرأْها دائماً وكأنّها جزء من واجباتكَ اليوميّة، فإنّ لهذه الزيارة فوائدَ وبركاتٍ كثيرة، وهي طريق نجاتكَ في الدّنيا والآخرة، أسألكم الدّعاء »[1].

⑥ ذكر العلاّمة القوجاني النجفي رحمه الله في مذكَّراته ضمن خاطراته في المدّة التي قضاها في أصفهان « **أنّ أباه اقترض مبلغاً مقداره اثنا عشر تومان لتسديد نفقات سفره لزيارة العتبات المقدَّسة، ولكنْ بسبب الرِّبا وصل القرض إلى ثمانين تومان، وكلّ ما كان يملك أبي لم يصل إلى هذا المقدار، فصمَّمْتُ أنْ أقرأ زيارة عاشوراء ولمدّة أربعين يوماً، على سطح مسجد السّلطان الصفوي في أصفهان، وطلبتُ ثلاثَ حاجاتٍ:**

الأولى: أداء قرض والدي.

الثانية: طلب المغفرة.

الثالثة: الزيادة في العِلْم والإجتهاد.

كنتُ أبدأ بالقراءة قبل الظهر وأتمُّها قبل أنْ يزول الظهر وتستغرق قراءتها مدّة ساعتين، فلمّا تمّت الأربعين يوماً، وبعد شهر تقريباً كَتَبَ لي الوالدُ: بأنّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام أدّى قرضي، فكتَبْتُ إليه: لا، الإمام الحسين عليه السلام أدّاه، وكلُّهم نورٌ واحدٌ »[2].

⑦ قال الشيخ عبد الجواد الحائري المازندراني: « **جاء شخص إلى الشيخ زين العابدين المازندراني يشكو إليه ضيق المعاش، فقال له الشيخ: إذهبْ إلى ضريح الإمام الحسين عليه السلام، واقرأْ زيارة عاشوراء، فسيأتيكَ رزقُكَ، وإذا لم يأتِكَ إرجَعْ إليَّ فسأعطيكَ ما تحتاج إليه، وبعد فترة من الزّمن التقَيْتُ به فسألتُهُ عن حاله، فقال: عندما كنتُ مشغولاً بقراءة الزيارة في حرم الإمام أبي الأحرار عليه السلام جاءني رجلٌ وأعطاني مبلغاً من المال، ففُتِحَت أمامي أبواب الرِّزق »**.

⑧ قال أحدُ الخطباء والوعّاظ: « **جاءني قبل عدّة سنين صديق شاب مؤمن، وطرح لي حاجة مستعصية، وقال: نويتُ الزواج منذ فترة، ولكني في كلّ مرّة أتقدّم فيها أُواجه**

(١) راجع (زيارة عاشوراء وآثارها العجيبة) ص٤٥.

(٢) راجع (السياحة الشرقية) ص٢٠٤.

بعضَ المشاكل والمصاعب، فقلتُ له: لعلّكَ تَقَدَّمْتَ إلى أفرادٍ ليسوا من مقامك وشأنكَ؟ قال: ليس كذلك، وإذا لم تصدِّقْني، تقدَّمْ لي أنتَ إلى عائلة من طبقتي وشأني واخطبْ لي.

فذهبتُ إلى أحد أصدقائي الذي كنتُ مطمئناً منه بأنه يجيبني، وطلبتُ منه ابنَتَهُ لهذا الشاب المؤمن، في البداية وافق، وبعد فترة قال: استخير الله، ومع الأسف أجاب بالرّدّ.

هذه القصّة آلَمْتني كثيراً، وقال لي صديقي الذي يريد الزواج: رأيت الحقّ معي.

قلتُ له: لا تؤذِ نفسَكَ، ولقضاء مشكلتكَ إقرَأْ – بعد أداء فريضة الصّبح وتعقيباتها – زيارة عاشوراء مع اللعن مائة مرّة والسَّلام كذلك.

فبدأ بقراءة الزيارة، وفي يوم السابع والعشرين جاءني فرحاً، وقال: تقدَّمتُ إلى إحدى العوائل، فوافقوا ونحن في غاية الرِّضا، واليوم بعد العصر تُقام مراسيم الخطبة، وأرجو أنْ تكون من الشّاهدين لها، فقلتُ له حينئذٍ: لا تنسى الثلاثة عشر يوماً الباقية، وأنتَ بدأتَ حياتكَ الزوجية ببركة زيارة عاشوراء وفي أيّ وقتٍ واجهتَ مشكلةً في حياتكَ توسّل بها لقضائها، فإنها تُقضى إنْ شاء الله تعالى ».

⑨ ما حصل لي شخصياً في الثمانينات حيث أصابني وسواس كاد أنْ يطيح بنفسي وروحي، وكنتُ في بعض الأحيان أطلب من الله تعالى الموت في الحالة التي أدعوه بها.

وقد راجعتُ مراجع كبار يومذاك عساهم يرشدوني إلى حلٍّ يرضيني وينقذني ممّا أنا فيه، فوصفوا لي الوصفات والنصائح والعوذ والرّقى ولكنّ كلّ ذلك لم يُجْدِ نفعاً، ولمّا ضاق ذرعي ويئستُ ممّا أصابني برق في ذهني بارقٌ قائلاً: توسَّلْ بالإمام الحسين عليه السلام بزيارة عاشوراء، فشرعتُ بها بعد صلاة ركعتين، وتوجَّهْتُ بشراشر نفسي إلى جناب الإمام الحسين عليه السلام متضرِّعاً حزيناً باكياً، وطلبْتُ منه أنْ ينقذني ممّا أنا فيه أو أنْ يأخذني إليه في السّاعة التي أناجيه فيها – وكانت على ما أظّن بعد منتصف الليل – فنمتُ راثياً لحالي متمنياً من جنابه عليه السلام سماع مقالي واستجابة دعائي، وإذ بي أرى في المنام أنّي دخلتُ مقام مولاتنا فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم وأخت الإمام الرِّضا عليهما السلام وإذ بي أرى مولاي الإمام الحسين عليه السلام داخلاً إلى

المقام، فلحقه جماعة من الحرس الثوري فابتعد عنهم ودخل حجرةً صغيرةً في المقام فلحقتُهُ وقَّبلْتُ رجليه ويديه، ثمّ جلستُ متأدِّباً كجلسة العبد على ركبتيه مقابلاً له تفصل بيني وبينه مسافة مترين، وأنا أنظر إليه باكياً ومتعجِّباً من نور طلعته وبهاء غرّته مخاطباً له: قتلوكَ كيف قتلوك؟ وأنتَ حجّة الرّبّ المعبود!!

فتبسَّمَ من قولي، ينظر إليَّ نظرة العطف والحنان، فاستيقظتُ من نومي وأنا إنسانٌ جديدٌ غير الإنسان الأوّل، وقد أُزيل عنّي الوسواس منذ تلك اللحظة، بل إنني لا أفكّر فيه أصلاً وكأنه ارتفع من أساسه ولله الحمد وللإمام الحسين روحي فداه الشّكر، إذ ببركة زيارته المقدَّسة تفضَّل عَلَيَّ واستجاب دعوتي وأزال غمّي وهمّي.

الفصل الثاني

الزيارة الشريفة
كما في المصادر الحديثية

روى هذه الزيارة الشريفة شيخنا الأقدم الثقة العين أبو جعفر محمّد بن قولويه رحمه الله في كتابه الشريف (كامل الزيارات) بإسناده عن علقمة بن محمَّد الحضرمي قال: قلتُ للإمام أبي جعفر عليه السلام: علِّمني دعاءً أدعو به في ذلك اليوم إذا أنا زرتُه من قريبٍ، ودعاءً أدعو به إذا لم أزره من قريبٍ، وأومأتُ إليه من بُعْدِ البلاد ومن سطح داري بالسَّلام؟ قال: فقال عليه السلام: « **يا علقمة إذا أنت صلَّيْتَ ركعتين بعد أنْ تومئ إليه بالسَّلام وقلتَ عند الإيماء إليه وبعد الركعتين هذا القول، فإنك إذا قُلتَ ذلك فقد دعوتَ بما يدعو به مَن زاره من الملائكة وكتب الله لكَ بها ألف ألف حسنة، ومحا عنك ألف ألف سيئة، ورفع لك مائة ألف ألف درجة، وكنتَ كمن استشهد مع الإمام الحسين بن عليّ حتى تشاركهم في درجاتهم، ولا تُعْرَف إلاّ في الشّهداء الذين استشهدوا معه، وكُتِبَ لكَ ثواب كلّ نبيٍّ ورسولٍ، وزيارة مَن زار الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام منذ يوم قُتِلَ، تقول:**

السَّلام عليك يا أبا عبد الله، السَّلام عليك يا ابن رسول الله، السَّلام عليك يا خيرة الله وابن خيرته، السَّلام عليك يا ابن أمير المؤمنين وابن سيد الوصيين، السَّلام عليك يا ابن فاطمة سيدة نساء العالمين، السَّلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور.

السَّلام عليك وعلى الأرواح التي حَلَّت بفنائك وأناخت برحلك، عليكم منّي جميعاً سلام الله أبداً ما بقيتُ وبقي الليلُ والنهار.

يا أبا عبد الله لقد عَظُمَت الرزيةُ وجَلَّت وعظُمت[1] المصيبةُ بكَ علينا وعلى جميع أهل السماوات والأرض، فلعن الله أمّة أسَّسَت أساسَ الظلمِ والجَوْرِ عليكم أهلَ البيت، وَلَعَن الله أمّة دفعتكم عن مقامكم، وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها، وَلَعَن الله أمّة قتلتْكُم، وَلَعَن اللهُ الممهِّدين لهم بالتمكين من [قتالك] قتالكم.

بَرِئْتُ إلى الله وإليكم منهم ومن أشياعهم وأتباعهم وأوليائهم، يا أبا عبد الله إنّي سِلْمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم إلى يوم القيامة، فَلَعَنَ اللهُ آلَ زيادٍ وآلَ مروان، وَلَعَن اللهُ بني أميةَ قاطبةً، وَلَعَن اللهُ ابنَ مرجانةَ وَلَعَن اللهُ عمرَ بن سعد، وَلَعَن الله شمراً، وَلَعَن الله أمّة أسرجَتْ وألجَمَتْ وتَهَيَّأَتْ لقتالِكَ.

يا أبا عبد الله بأبي أنتَ وأمي لقد عَظُمَ مصابي بكَ، فأسألُ اللهَ الذي أكرَمَ مَقَامَكَ، أنْ يُكْرِمَنِي بكَ وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمَامٍ مَنْصُورٍ مِن آلِ محمَّدٍ ﷺ، اللّهمَّ اجعَلْنِي وَجِيْهَاً عندكَ بالحسين [بالحسين عندكَ] في الدّنيا والآخرة.

يا سيدي يا أبا عبد الله إني أتقرَّبُ إلى الله تعالى وإلى رسولهِ ﷺ وإلى أمير المؤمنين عليه السلام وإلى فاطمة عليها السلام وإلى الحسن عليه السلام وإليكَ صلى الله عليكَ وعليهم؛ بموالاتكَ يا أبا عبد الله، والبراءةِ من أعدائكَ، وممّن قاتَلَكَ ونَصَبَ لكَ الحربَ، ومن جميعِ أعدائِكُم، وبالبراءة ممّن أسَّسَ الجورَ وبنى عليه بنيانَهُ وأجرى ظُلْمَهُ وَجَوْرَهُ عليكم وعلى أشياعكم.

برئتُ إلى الله وإليكم منهم، وَأَتَقَرَّبُ إلى الله ثمّ إليكم بموالاتكم وموالاة وليِّكُم، والبراءةِ من أعدائكم ومن الناصبين لكم الحربَ، والبراءة من أشياعهم وأتباعهم، إنّي سِلْمٌ لِمَن سالَمَكُم، وَحَرْبٌ لِمَن حاربَكُم، وَوَلِيٌّ [موال] لِمَن

(١) جاء في نسخة (كامل الزيارات): « **لقد عظُمت المصيبة بك علينا** ».

وَالاكُم، وعدوٌ لمَن عاداكم.

فأسألُ اللهَ الذي أكرَمَني بمعرفتِكُم ومعرِفَةِ أوليائكم، ورزقني البراءة من أعدائكم؛ أنْ يَجْعَلَني معكم في الدّنيا والآخرة، وأنْ يُثَبِّتَ لي عندكم قَدَمَ صدْقٍ في الدّنيا والآخرة، وأسألُهُ أنْ يُبَلِّغَني المقامَ المحمود لكم عند الله، وأنْ يَرزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُم مَعَ إمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لكم.

وأسألُ اللهَ بِحَقِّكُم وبالشَّأنِ الذي لكم عندَهُ أنْ يُعْطِيَنِي بمصابي بكم أفضلَ ما أعطي مصاباً بمصيبة [بمصيبته] أقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون، يا لها من مصيبةٍ ما أعظمَهَا وأعظَمَ رزيَّتَهَا في الإسلام وفي جميع السّماوات والأرضين.

اللّهمَّ اجعلني في مقامي هذا ممّن تناله منكَ صلواتٌ ورحمةٌ ومغفرةٌ، اللّهمَّ اجعلْ محياي محيا محمَّد وآل محمَّد، ومماتي ممات محمَّد وآل محمَّد صلى الله عليه وآله.

اللّهمَّ إنّ هذا يومٌ تنَزَّلَتْ [تنزل] فيه اللعنةُ على آلِ زيادٍ وآلِ أميّةَ وابن آكلة الأكباد اللعين بن اللعين على لسان نبيّك في كلّ مَوْطِنٍ ومَوْقِفٍ وَقَفَ فيه نبيُّك صلى الله عليه وآله.

اللّهمَّ العن أبا سفيان ومعاويةَ وعلى يزيد بن معاوية اللعنة أبد الآبدين، اللّهمَّ فضاعِفْ عليهم اللعنةَ أبداً لقتلهم الحسين عليه السلام.

اللّهمَّ إني أتقرب إليك في هذا اليوم وفي موقفي هذا وأيام حياتي بالبراءة منهم، واللعنة [باللعن] عليهم، وبالموالاة لنبيّك محمَّد وأهل بيت نبيّك صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ثم تقول مائة مرة: اللّهمَّ العن أول ظالمٍ ظَلَمَ حَقَّ محمَّدٍ وآلِ محمَّد وآخرَ تابعٍ له على ذلك، اللّهمَّ العن العصابةَ التي حارَبَتْ [جاهدت] الحسين وشَايَعَتْ وَبَايَعَتْ [تابعت] أعداءَهُ على قَتْلِهِ وَقَتْلِ أنصارِه. اللّهمَّ العنهم جميعاً.

ثم قل مائة مرة: السَّلام عليك يا أبا عبد الله، وعلى الأرواح التي حَلَّت بفنائك وأناخت برَحْلِكَ، عليكم منّي سلام الله أبداً ما بَقِيْتُ وبَقِيَ الليلُ والنّهارُ، ولا جَعَلَهُ اللهُ آخرَ العَهْدِ من زيارتِكُم، السَّلام على الحسين، وعلى عليّ بن الحسين، وعلى أصحاب الحسين صلوات الله عليهم أجمعين.

ثم تقول مرة واحدة: اللّهمَّ خُصَّ أنتَ أوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ آلَ نبيّك باللعن، ثم العَنْ أعداءَ آلِ محمَّدٍ مِن الأوّلين والآخرين، اللّهمَّ العن يزيدَ وأباه، والعن عبيد الله بن زياد وآل مروان وبني أميّة قاطبةً إلى يوم القيامة ».

❖ **ملاحظة**: يوجد في نسخة (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي رحمه الله التالي :

« **اللهم خُصّ أنت أول ظالمٍ باللعن مني وأبدأ به أولاً ثمّ الثاني ثمّ الثالث والرابع اللهمّ العن يزيد خامساً والعن عبيد الله بن زياد وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمراً وآل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان إلى يوم القيامة.**

ثم تسجد سجدة تقول فيها: اللّهمَّ لك الحمدُ حَمْدَ الشّاكِرِيْنَ لك على مصابهم، الحمد لله على عظيم رزيَّتي فيهم، اللّهمَّ ارزُقْنِي شفاعةَ الحسين عليه السلام يومَ الورود، وثَبِّتْ لي قَدَمَ صِدْقٍ عندكَ مع الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام صلوات الله عليهم أجمعين ».

قال علقمة: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: « **يا علقمة إن استطعتَ أنْ تزورَهُ في كلِّ يومٍ بهذه الزيارة من دَهْرِكَ فَافْعَلْ فَلَكَ ثَوَابُ جميعِ ذلك إنْ شاء الله تعالى** »[1].

وروى أيضاً شيخ الطائفة الثقة العين أبو جعفر الطوسي رحمه الله الزيارة الشريفة في كتابه الشريف (مصباح المتهجّد)[2] بأسانيده الثلاثة إلى الإمام الباقر عليه السلام :

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٢٧-٣٣٣ باب ٧١ ح٥٥٦.

(٢) راجع (مصباح المتهجد) ص٥٣٦-٥٣٩.

السَّنَد الأول:

روى محمَّد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه، عن الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **مَن زار الإمام الحسين بن عليّعليهما السلام في يوم عاشوراء من المحرَّم حتى يظل عنده باكياً، لقي اللهعزّ وجلّ يوم يلقاه بثواب ألفي حجّة وألفي عمرة وألفي غزوة، ثواب كلّ غزوة وحجّة وعمرة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله ومع الأئمّة الرّاشدين** ». قال: قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فما لمن كان في بعيدِ البلاد وأقاصيه ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم؟

قالعليه السلام: « **إذا كان كذلك برز إلى الصّحراء، أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره، وأومِئْ إليه بالسَّلام، واجتَهِدْ في الدّعاء على قاتِلِهِ، وصلى من بعد ركعتين، وَلْيكُنْ ذلك في صدر النّهار قبل أن تزولَ الشمس، ثم لِيَنْدُبْ الإمامَ الحسينعليه السلام ويبكيه، ويأمر مَن في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبةَ؛ بإظهار الجزع عليه، وَلْيُعَزِّ بَعْضُهُم بَعْضَاً بمصابهم بالإمام الحسينعليه السلام، وأنا الضّامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله تعالى جميع ذلك** ».

قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أنتَ الضّامن ذلك لهم والزعيم؟

قالعليه السلام: « **أنا الضّامن وأنا الزعيم لَمَن فعل ذلك** ».

قلتُ: فكيف يعزّي بعضُنا بَعْضاً؟

قالعليه السلام: « **تقولون أعظمَ اللهُ أجورَنا بمصابنا بالحسينعليه السلام، وَجَعَلَنَا وإيّاكم من الطّالبين بثأره مع وليه الإمام المهدي من آل محمَّدعليهم السلام، وإن استطعتَ أنْ لا تنتشر يومَكَ في حاجةٍ فَافْعَلْ؛ فإنّه يوم نَحْسٍ لا تُقْضَى فيه حاجةُ مُؤْمِنٍ، فإنْ قُضِيَتْ لم يبارك له فيها ولم يرَ فيها رشداً، ولا يَدَّخِرَنَّ أحدُكُم لِمَنْزِلِهِ فيه شيئاً، فمَن ادَّخَرَ في ذلك اليوم شيئاً لم يُبَارَك له فيما ادَّخَرَهُ، ولم يُبَارَك له في أهلِهِ، فإذا فعلوا ذلك كتبَ اللهُ تعالى لهم ثوابَ ألف حجّة وألف عمرة وألف غزوة كلها مع رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكان له أجر وثواب مصيبة كلّ**

نبيّ ورسول ووصيّ وصدِّيق وشهيد مات أو قُتِلَ منذ خلق اللهُ الدنيا إلى أنْ تقوم الساعة ».

السَّنَد الثاني:

قال صالح بن عقبة وسيف بن عميرة: قال علقمة بن محمَّد الحضرمي: قلتُ للإمام أبي جعفر عليه السلام عَلِّمْنِي دعاءً أدعو به ذلك اليوم إذا أنا زرتُه من قُرْبٍ، ودعاءً أدعو به إذا لم أزره من قُرْبٍ وأومأتُ من بُعْدِ البلاد ومن داري بالسَّلام إليه؟

قال: فقال عليه السلام لي: « **يا علقمة إذا أنتَ صَلَّيْتَ الرّكعتَيْن بعد أنْ تومئ إليه بالسَّلام فقل بعد الإيماء إليه من بعد التكبير هذا القول، فإنك إذا قلتَ ذلك فقد دَعَوْتَ بما يدعو به زواره من الملائكة وكتب الله لك مائة ألف ألف درجة وكنتَ كمَن استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام حتى تشاركهم في درجاتهم ولا تُعْرَف إلاّ في الشّهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب زيارة كلّ نبيّ وكلّ رسول وزيارة كلّ مَن زار الإمام الحسين عليه السلام منذ يوم قُتِلَ عليه السلام وعلى أهل بيته** [ثم أورد المصنِّف زيارة عاشوراء المبارَكة] ».

السَّنَد الثالث:

وروى محمَّد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة قال: خرجتُ مع صفوان بن مهران الجمّال وعندنا جماعة من أصحابنا إلى الغريّ بعدما خرج الإمام أبو عبد الله عليه السلام، فسرنا من الحيرة إلى المدينة، فلما فَرَغْنَا من الزّيارة صَرَفَ صفوان وجهَهُ إلى ناحية الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال لنا: تزورون الإمام الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام، من هاهنا أومأ إليه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام وأنا معه، قال: فدعا صفوان بالزّيارة التي رواها علقمة بن محمَّد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء، ثم صلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وَوَدَّعَ في دبرها أميرَ المؤمنين عليه السلام، وأومأ إلى الإمام الحسين عليه السلام بالسَّلام منصرفاً وجهه نحوه وَوَدَّع.

والملاحَظ في باب زيارة مولانا الإمام الحسين عليه السلام أنّ زيارة عاشوراء هي أطول الزيارات الخاصة به عليه السلام، بل وأجمعها لفضائلهم وظلاماتهم، مع ما تحويه من كثرة اللعن والبراءة من أعدائهم، وهو أمر في غاية الأهمية على صعيد الآيات والرّوايات الدالة على وجوب لعن الظالمين والبراءة منهم ومن أفعالهم، فما ينفثه بعضُ المشكِّكين بأنّ الأئمّة عليهم السلام لم يكن ديدنهم وأخلاقهم لعن الأعداء ما هو إلاّ هراء وهرطقة[1] وهواء في شبك، بل هو جهلٌ محض بصريح أخبارهم عليهم السلام، والآيات تدلّ على ما قلنا، وسوف نشير إلى قسمٍ من هذه الآيات والأخبار في الفصل الخامس إنْ شاء الله تعالى.

(١) الهرطقة: البدعة في الدين، والبدعة هي إدخال شيءٍ في الدين هو ليس من الدين، و إخراج شيءٍ من الدين وهو من الدِّين.

الفصل الثالث

فقه زيارة عاشوراء الشريفة

لقد وقع البحث عند فقهاء الإمامية في أشياء وردت في الزيارة الشريفة، لا بأس بذكرها والإجابة عليها من وجهة نظرنا الفقهية، وهي ضمن مسائل متعدِّدة:

المسألة الأولى:

ورد في الزيارة بعض الأجزاء كالصّلاة ودعاء علقمة، فهل هذه الأجزاء من أركان الزّيارة أم هي من شروط كمال العمل؟

وتظهر الفائدة في هذا التفصيل فيما لو صارت الزيارةُ واجبةً بنذرٍ أو عَهْدٍ أو يمين، فهل على الناذر أنْ يكتفي بأصل الزيارة، أم لا بدّ من الإتيان بباقي الأجزاء؟

والجواب: الظاهر من رواية علقمة أنّ نفس الزيارة ومقدماتها من الصّلاة ركعتين والإيماء إليه بالسَّلام مقصودة بنفسها، بمعنى أنّ هذه المقدِّمات أجزاء للزيارة وليست من شروط كمال العمل بها، بل في حال لم يأتِ بها على القول بجزئيتها - حسبما أسلفنا - لا بدّ له من إعادة العمل؛ لأنّ نذره لا ينعقد في هذه الحال.

هذا كلّه فيما يتعلّق بالصّلاة والإيماء إليه بالسَّلام، أمّا دعاء علقمة فهو وإنْ لم يُذكر في رواية علقمة إلاّ أنّ صفوان دعا بدعاء الزيارة تقليداً لمولانا الإمام الصّادق عليه السلام حيث أشار صفوان بعدما اعترض عليه سيف بن عميرة بأنّ علقمة لم يأتنا بهذا الدّعاء، فأجاب صفوان: وردتُ مع سيدي الإمام أبي عبد الله عليه السلام إلى هذا المكان - وهو موضع رأس أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف - فَفَعَلَ مِثْلَ الذي فعلناه في زيارتنا، ودعا بهذا الدّعاء عند الوداع بعد أنْ صلّى كما صلّينا، وودَّعَ كما ودَّعْنَا، ثم قال لي صفوان: قال لي الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **تعاهَدْ هذه الزيارة وأدعُ**

بهذا الدّعاء وزُر به، فإني ضامن على الله تعالى لكلّ مَن زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قُرْبٍ أو بُعْدٍ أنّ زيارته مقبولة وسعيه مشكور وسلامه واصلٌ غير محجوب وحاجته مقضية من الله بالغاً ما بلغت ولا يُخَيِّبُه.

يا صفوان! وجدتُ هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه علي بن الحسين‌عليهما‌السلام، مضموناً بهذا الضمان، والحسين عن أخيه الحسن مضموناً بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين مضموناً بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عن رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مضموناً بهذا الضمان، ورسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن جبرائيل‌عليه‌السلام مضموناً بهذا الضمان، وجبرائيل عن الله‌عزوجل مضموناً بهذا الضمان، قد آلى الله على نفسه‌عزوجل أنّ مَنْ زار الحسين‌عليه‌السلام بهذه الزيارة من قُرْبٍ أو بُعْدٍ ودعا بهذا الدّعاء، قُبِلَتْ منه زيارته وشفعته في مسألته بالغاً ما بلغ، وأعطيتُهُ سؤلَه، ثم لا ينقلب عني خائباً وأقلبه مسروراً قريراً عينه بقضاء حاجته والفوز بالجنة والعتق من النار، وشفعته في كل مَن شفع، خلا ناصب لنا أهل البيت، آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شَهِدَتْ به ملائكةُ مَلَكُوته على ذلك، ثم قال جبرائيل: يا رسول الله! أرسلني إليك سروراً وبشرى لك وسروراً وبشرى لعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وإلى الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة، فدام يا محمد سرورُكَ وسرورُ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة وشيعتكم إلى يوم البعث ».

ثم قال صفوان: قال لي أبو عبد الله‌عليه‌السلام: « **يا صفوان! إذا حدث لكَ إلى الله حاجة فَزُرْ بهذه الزيارة من حيث كُنْتَ، وادعُ بهذا الدُّعاء وسَلْ ربَّكَ حاجَتَكَ تَأْتِكَ من الله، واللهُ غير مخلفٍ وَعْدَهُ ورسوله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بمنّه والحمد لله** »[1].

ومن الغريب اشتهار الدّعاء باسم علقمة مع أنه لم يروه وإنما رواه صفوان الجمّال عن الإمام الصّادق‌عليه‌السلام.

(١) راجع (مصباح المتهجّد) ص٥٤٢.

فقد قرر صفوانُ عملَ الإمام الصّادق عليه السلام الذي هو في الواقع عمل الإمام الباقر عليه السلام إذ كلُّهُم من نورٍ واحدٍ، واللاحق يفسِّر ويوضِّح مقاصدَ السّابق.

وادّعى بعضٌ بأنَّ دعاء علقمة زائدٌ على الزيارة وليس جزءاً منها، بل الدعاء مع الزيارة طريقة مخصوصة بمَن زار الإمام الحسين عليه السلام بزيارة عاشوراء عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

ولكنّها مردودة بما ورد في ذيل الرواية النافي للتخصيص المذكور حيث نقل صفوان عن الإمام الصّادق عليه السلام أنه قال: « **تعاهَدْ هذه الزّيارة وادْعُ بهذا الدّعاء من قُرْبٍ أو بُعْدٍ..** ».

المسألة الثانية:

هل الصّلاة قبل الزّيارة أم بعدها؟

والجواب: الظاهر أنها قبل زيارة عاشوراء، ويشهد لهذا ما ورد في رواية علقمة: قال الإمام محمَّد الباقر عليه السلام: « **يا علقمة إذا أنتَ صلَّيْتَ ركعتين بعد أنْ تومئ إليه بالسَّلام، وقلتَ عند الإيماء إليه وبعد الرّكعتين هذا القول..** ».

ويظهر أيضاً أنّ ثمّة سلامين في الزيارة، أحدهما مختصر والآخر طويل، المختصر هو أنْ يبتدئ بالسَّلام مومِياً إلى الإمام عليه السلام بوجهه وكفِّه، والطويل هو نفس الزيارة الشريفة التي أوّلها: « **السَّلام عليكَ يا أبا عبد الله..** ».

وبالجملة؛ لا بدّ أنْ يسلِّمَ على الإمام عليه السلام سلاماً مختَصَراً ثمّ يصلّي ركعتين ثمّ يشرع بالسَّلام المطوَّل، ثمّ يدعو بدعاء علقمة. ولا يفرق في الزّيارة بين أنْ تكون من قُرْبٍ أو بُعْد.

المسألة الثالثة:

هل زيارة عاشوراء خاصّة بيوم عاشوراء أم أنها تتعدّى غيره من أيّام السّنة؟

والجواب: الصّحيح أنّ الزيارة عامّة في كلّ أيّام السّنة، وإنْ سُمِّيَت باسم العاشر من المحرَّم تأكيداً لاستحباب زيارته فيه، إلاّ أنّ ما ورد في آخر رواية علقمة حيث قال له الإمام الباقر عليه السلام: « **إنْ استطعتَ أنْ تزوره كلّ يوم بهذه الزيارة من دهركَ**

[دارك ن خ] فافْعَلْ، فلك ثواب جميع ذلك إنْ شاء الله تعالى ».

المسألة الرابعة:

هل أنّ زيارة أمير المؤمنينعليه السلام جزءٌ من زيارة عاشوراء عملاً برواية صفوان الجمّال حيث ذكر زيارة أميرة المؤمنينعليه السلام فيها؟

والجواب: ليس في رواية علقمة ما يشير إليه السّؤال المتقدِّم، وطبقاً لما ورد فيها تكون زيارة أمير المؤمنينعليه السلام خارجة عن زيارة عاشوراء تخصصاً وموضوعاً، لكنّ رواية صفوان جعلَتْها جزءاً من زيارة عاشوراء.

ويمكن الجمع بينهما بحمل رواية صفوان على مَن زار الإمام الحسينعليه السلام عند رأس أمير المؤمنين عليّعليه السلام، أي زيارته من قُرْب، فحينئذٍ يزور أمير المؤمنينعليه السلام أوّلاً، ومن ثمّ يزور زيارة عاشوراء، وبعد ذلك يأتي بدعاء صفوان.

وقد ادّعى أحد السادة العلماء أنّه ليس في رواية علقمة ولا في رواية صفوان ما يشير إلى جزئية زيارة أمير المؤمنينعليه السلام وانضمامها إلى زيارة الإمام الحسينعليه السلام من بُعْد، فليس في رواية صفوان ذكر لزيارة أمير المؤمنينعليه السلام من بُعْد وإنما فيها قولهعليه السلام: « **تعاهَدْ هذه الزيارة وادْعُ بهذا الدّعاء..** » وهو نصٌّ واضحٌ على خصوص زيارة عاشوراء ودعاء صفوان المعروف بـ(دعاء علقمة). وقوله مردود إذ إنّ قول الإمام عليه السلام: « **إنّ مَن زار الإمام الحسين بهذه الزيارة من قُرْب أو بُعْد ودعا بهذا الدّعاء..** ». نصٌّ صريحٌ في ذكر أمير المؤمنينعليه السلام لأنّ صفوان زار الإمام أمير المؤمنين من قُرْب منضمّاً إلى زيارة الإمام الحسين، ولكنّ تصريح الإمام الصّادقعليه السلام: « **إنّ مَن زار الإمام الحسين بهذه الزيارة من قُرْب أو بُعْد ودعا بهذا الدّعاء** » لا يمكن تقييده بحالة الحضور أو الزيارة من قُرْب، بل قولهعليه السلام مطلَقٌ يشمل الزيارة من بُعْد أيضاً، بل هو قرينة واضحة على ضمّ زيارته إلى زيارة ابنه فيما لو كانت الزيارة من بعد... بل لو أنّ الزائر كان في حضرة المولى أبي عبد اللهعليه السلام لا بدّ له من إضافة السلام على مولى الثقلين أمير المؤمنين عليّعليه السلام وروحي فداه... ولو لم نقل بانضمام زيارة الأميرعليه السلام إلى زيارة المولى أبي عبد اللهعليه السلام فلا يمنع حينئذٍ من زيارة

أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أوّلاً وعلى سبيل الإحتياط، ثمّ الشّروع بزيارة الإمام الحسين عليه السلام، ولكنّ الظاهر من قول الإمام الصادق عليه السلام لصفوان: « **تعاهَدْ هذه الزيارة وادْعُ بهذا الدّعاء وزر به فإنّي ضامن على الله تعالى لكلّ من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بعد..** » هو تعيُّن ضمّ زيارة الأمير عليه السلام إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في حال أراد الزائر من بعد زيارة سيد الشهداء عليه السلام، فدعاء علقمة لا يمكن تبعيضه بحيث يزار الإمام الحسين من بُعد أو قرب بزيارة عاشوراء ولا يزار والده معه صلوات الله عليهما ...

وبالجملة: فحيث إنّ دعاء علقمة ورد فيه السلام على مولى الثقلين عليه السلام وحيث إنّ الإمام الصادق عليه السلام ضامن لمن زار الإمام الحسين عليه السلام من قرب أو بعد له ثواب كذا... فيقتضي الإحتياط على أقل تقدير ضمّ زيارة أمير المؤمنين إلى زيارة ابنه سيد الشهداء عليهما السلام...

وتظهر الثمرة لهذه المسألة فيما لو نذر نذراً فهل يجب زيارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام مع زيارة الإمام الحسين عليه السلام والدّعاء لهما بعد الزيارة أم لا؟

الظاهر وجوب زيارة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام منضمَّةً إلى زيارة ابنه الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.

المسألة الخامسة:

هل يمكن الإكتفاء باللعن مرّة واحدة بدلاً من مئة مرّة، وكذا هل يمكن الإكتفاء بالسَّلام مرّة بدلاً من مئة مرّة؟

والجواب: الظاهر عدم الإكتفاء بمرّة واحدة بل المطلوب ذكر المائة بعد مائة.

أمّا الإكتفاء بالمرّة الواحدة فهو خارج عن نطاق النص، فمَن نقّص عن المائة نُقِّصَ له من الثواب، فكمال الزيارة بكمال اللعن والسَّلام.

وإذا وجبَت بالنذر أو العهد أو اليمين فلا بدّ حينئذٍ من تمام اللعن والسَّلام بالكيفيّة التي جاءت في الرواية دون اختصار عملاً بأصالة الظهور الدالة على المئة

دون غيرها، فهي القدر المتيقن والأقل منها مشكوك فلا تبرأ الذمة إلاّ بالمئة، والله تعالى العالم.

الفصل الرابع

سند زيارة عاشوراء الشريفة

الحقَّ أقولُ: أنني لم أجد زيارةً صحيحةً سَنَداً وقويّة دلالةً كزيارة عاشوراء الشريفة وزيارة الجامعة، فقد رواها الثقاتُ الأجلاّء من علمائنا الأبرار بأسانيد عالية ومعتَبَرة وصحيحة لا يمكن الخدش فيها والغمز برجالها، مضافاً إلى قوّة دلالتها الموافِقَة للآيات والأخبار الصحيحة، واعتضادها بالشهرة بل والإجماع.

وبالرّغم من كلّ هذه القرائن التي توجب صحّتها، نرى مَن لا يعجبه ذلك فيغمز بسندها ودلالتها معاً، فتارةً يشكّك بالسَّنَد وأخرى بالدّلالة ليصرف عنها وجوهَ وقلوبَ المؤمنين المتلهّفين لزيارة الإمام الحسين المظلوم عليه السلام.

ونحن قبل الشُّروع في إثبات صحّة سندها، نحبُّ أنْ نوجِّه أولئك المشكّكين إلى طريق الصّواب بأنّ القضايا غير الفقهيَّة والعقائدية كالتاريخية والأخلاقية والحوادث المستقبليّة والزيارات والتوسُّلات والدّعوات والمناجاة... إلخ لا يُشتَرَط فيها صحّة الأسانيد ولا قوّة اعتبارها ما دامت لا تخالف آيةً من كتاب الله تعالى أو أصلاً من أصول اعتقاداتنا وأخبارنا المعتَبَرة.

وقد رُوِيَت الزّيارة الشريفة بأربعة أسانيد معتَبَرَة وطرق صحيحة، رواها الشيخ الجليل أبو جعفر محمّد بن قولويه بسندَين معتَبَرَيْن، ورواها الشيخ الجليل الطوسي بثلاثة أسانيد معتَبَرَة وصحيحة، فيكون المجموعُ خمسةَ طرقٍ وأسانيد معتَبَرَة:

السَّنَد الأوّل:

عن حكيم بن داود بن حكيم وغيره، عن محمّد بن موسى الهمداني، عن محمّد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبة جميعاً، عن علقمة بن

محمّد الحضرمي[1].

السَّنَد الثاني:

عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن مالك الجهني[2]، عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام).

السَّنَد الثالث:

عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن أبيه[3]، عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام).

السَّنَد الرّابع:

عن صالح بن عقبة وسيف بن عميرة، عن علقمة بن محمّد الحضرمي[4]، عن الإمام أبي جعفر الباقر(عليه السلام).

السَّنَد الخامس:

عن محمّد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة، عن صفوان بن مهران الجمّال[5]، عن الإمام الصّادق(عليه السلام).

السَّندان الأوّلان واقعان في أسانيد (كامل الزيارات)، والأسانيد الثلاثة الأخيرة وقعت في أسانيد (مصباح المتهجد).

والحاصل: أنّ ثمّة أسماءً مكَرَّرَة في الأسانيد الخمسة هي الآتية:

١- صالح بن عقبة.

٢- محمّد بن إسماعيل بن بزيع.

٣- سيف بن عميرة.

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٢٥.

(٢) راجع (كامل الزيارات) ص٣٢٥.

(٣) راجع (مصباح المتهجد) ص٥٣٦.

(٤) راجع (مصباح المتهجد) ص٥٣٦.

(٥) راجع (مصباح المتهجد) ص٥٣٦.

٤- علقمة بن محمّد الحضرمي.

٥- محمّد بن خالد الطيالسي.

البحث في رجال الأسانيد:

١- حكيم بن داود.

٢- محمّد بن موسى الهمداني.

٣- محمّد بن خالد الطيالسي.

٤- سيف بن عميرة.

٥- صالح بن عقبة.

٦- علقمة بن محمّد.

٧- محمّد بن إسماعيل.

٨- مالك الجهني.

٩- عقبة بن قيس بن سمعان.

١٠- صفوان بن مهران الجمّال.

وحسبما تقتضيه القواعد الرّجالية والأصولية يمكننا تصحيح زيارة عاشوراء والعمل بها من خلال أربعة طرق:

الطريق الأوّل: البحث التفصيلي في رجال سندها.

الطريق الثاني: أنّ إسنادها واقعٌ في كتاب (كامل الزيارات).

الطريق الثالث: التسامح في أدلّة السُّنَن.

الطريق الرّابع: عمل المشهور جابرٌ لضعف السَّنَد على فَرْضِ تحقُّقِهِ في الزيارة الشريفة.

الطريق الأول: البحث في رجال سَنَدها

يتمّ البحث في هذا الطريق من جهة البحث في تفاصيل رجال السَّنَد وملاحقة القرائن التي توجب الإعتماد عليهم في نقل الرّواية وقبولها أو رفضها، وهذا الطريق

من أهمّ الطرق في عِلْم الرّجال لمعرفة رجال الأسانيد، وإليكها بحسب الترتيب التسلسلي المتقدِّم:

① حكيم بن داود

ليس للرَّجُل ذِكْرٌ مستقِلٌّ في كُتُب الرّجال لكنّه من رجال كامل الزيارات، حيث اعتمد عليه ابن قولويه وروى عنه بدون واسطة، وبما أنّ أبا القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي لا يروي إلاّ عن ثقة – حسبما أفاد في مقدِّمة كتابه – فإنّ حكيم بن داود من ثقات ابن قولويه ومشايخه، قال رحمه الله: « **ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته، ولا أخرجت فيه حديثاً روي عن الشذّاذ من الرّجال، يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين غير المعروفين بالرّواية المشهورين بالحديث والعِلْم** »[1].

ولا خلاف عند الرّجاليين في توثيق جميع مَن روى عنهم ابن قولويه بلا واسطة، ومنهم حكيم بن داود، وإنما الخلاف فيمن وقع في الإسناد من غير مشايخه حسبما ادّعى ذلك النوري في كتابه (المستدرك) في الفائدة الثالثة من الخاتمة، لكنّ الصحيح – كما عليه المشهور – هو توثيق كلّ مَن ورد في إسناد الكتاب المذكور، فحكيم بن داود قد أكثر الشيخ بالرواية عنه في كامله، كما أنَّ له رواية في التهذيب في باب زيارة الإمام أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام ح٨٥، وفي باب فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام ح٩٢.

وبالجملة؛ فحيث إنّ حكيم من مشايخ ابن قولويه وممّن وقع في أسانيد كامل الزيارات، لذا يُعتَبَر ثقةً بلا منازعٍ، وعدم وجود ذكرٍ له في تراجم الرجال ليس شرطاً موضوعياً حتى يُدَّعى انحصار التوثيق به، فيسقط التوثيق بسقوط الشرط الموضوعي وهو عدم وجود ذكرٍ للمترجم له في كتب التراجم.. بل ثمّة طرقٌ أُخرى يثبت بها التوثيق أكثر اعتباراً من توثيقات كتب التراجم المبنية على الظن والتخمين وهما من أقسام الحدس، ومن تلك الطرق المعتبرة توثيق الناقلين عن الراوي المفروض أن نستكشف حاله من خلال الثقات الذين نقلوا عنه مباشرة أو بالواسطة..

---

(١) راجع (كامل الزيارات) ص٣٧.

والمقطوع به أنّ توثيق الناقل مباشرة يعتبر توثيقه للراوي توثيقاً مبنياً على الحس لا الحدس كما هو الحال في أغلب توثيقات الرجاليين البعيدين عن عصر الراوي.. فلو دار الأمر بين الناقل مباشرة أو الناقل بالواسطة مع قربه من عصر الراوي يكون مقدَّماً على توثيق الرجالي البعيد عن عصر الراوي، فضلاً عن أن تكون شهادة توثيق الناقل المباشر مقدمة على غيره باعتبارها شهادة حسيَّة، والشهادة الحسية مقدمة على الشهادة الحدسية بالإتفاق.. وحيث إنَّ أبا القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي - صاحب كامل الزيارات - ثقة جليل القدر قد روى مباشرةً عن حكيم بن داود مباشرة حيث قال في كتابه المذكور في مقدمة أسناده لرجال زيارة عاشوراء: «**حدثني حكيم بن داود بن حكيم وغيره..**» فيثبت بذلك وثاقة حكيم لأن الثقة روى عن ثقة مثله، وروايته عنه حسية وليست حدسية بالواسطة عن غيره.

(٢) محمّد بن موسى الهمداني

أبو جعفر السمّان الهمداني محمّد بن موسى بن عيسى، والظاهر وثاقته لوقوعه في أسناد (كامل الزيارات) ولرواية الثقة عنه، وفي المقابل ثمة مَنْ ضعَّفه، ولم يظهر لنا صحة دعواهم بتضعيفه سوى ما ينقلونه عن ابن الوليد المعروف بتضعيفاته لأجلاء الرواة الموالين لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فتضعيفاته نعتبرها توثيقات لعدم وثوقنا بعقيدته المتعلقة بعصمة أهل البيت عليهم السلام كما سوف ترون، وبالتالي فلا اعتبار بما يدّعيه هذا الرجل ومن يسير على خطاه، فها هو النجاشي يردد ما قاله ابن الوليد مع كونه غير مقتنعٍ بما ادَّعاه ابن الوليد حيث عقّب عليه بقوله «**والله أعلم**»، فقال النجاشي: «**ضعَّفَهُ القُميُّون بالغلوّ وكان ابن الوليد يقول: إنه كان يضع الحديث، والله أعلم، له كتاب ما روي في أيام الأسبوع وكتاب الردّ على الغلاة**»[1].

وأكَّدَ الشيخ الصّدوق مقالة أستاذه ابن الوليد في تضعيفه للرجل المذكور فقال: «**وأما خبر صلاة يوم غدير خم والثواب المذكور فيه لَمن صامه، فإنّ شيخنا محمد بن الحسن كان لا يصححه ويقول إنّه من طريق محمّد بن موسى الهمداني وكان غير ثقةٍ،**

(١) راجع (رجال النجاشي) ج٢ ص٢٢٧ رقم٩٠٥.

وكلّ ما لم يصححه ذلك الشيخ ولم يحكم بصحّته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح »[1].

وقال ابن الغضائري: « **إنّه ضعيف.. تكلّم القميون فيه فأكثروا، واستثنوا من نوادر الحكمة ما رواه... »**[2].

يتضح مما سلف أنّ منشأ التضعيف هو ابن الوليد، فقلّده تلميذه الصّدوق وجماعة آخرون من دون دراية وتحقيق، ولا اعتبار بتضعيف القميين لما اشتُهر عنهم من تسرُّعهم في رمي الموالين لأهل البيتعليهم السلام بالغلوّ لمجرَّد أنهم يعتقدون بعصمتهمعليهم السلام المطلقة أو بعدم سهو النبيصلى الله عليه وآله، فرأيهم في الغلوّ معروفٌ، وليس محمّد بن موسى أوّل مَن نعتوه بالغلوّ، فثمّة رواة كثيرون رموهم بالغلوّ لمجرَّد روايتهم بعض الفضائل المتعلِّقة بالنبي والعترة كسهل بن زياد وشهادة أحمد بن عيسى عليه بالغلوّ والكذب لمجرَّد روايته بعض الأخبار التي لم يتحمّلها أحمد بن عيسى، وكذا محمّد بن أورمة الذي صنّف كتاباً في الرّدِّ على الغلاة (تماماً كمحمّد بن موسى الذي أيضاً صنَّفَ كتاباً في الرّدِّ على الغلاة) ومع ذلك فقد كانوا يرمونه بالغلوّ.

فالصحيح - حسب قول ثلة من المحقِّقين - أنّ تضعيف القميين لراوٍ ما يقوّي التوثيق، وذلك للنكتة العلمية الآنفة الذكر، ولضعفهم في مقامات أهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام..

وتضعيف ابن الوليد لمحمّد بن موسى ناشئٌ من كونه غالياً بتصوّره، وعليه تحمل الرّوايات التي يشمُّ منها رائحة الغلو من وضعه؟ وحينئذٍ لا يمكن الإعتماد على قول ابن الوليد ولا الصّدوق في هذه المسألة لأنّ رأيهم في الغلوّ معروفٌ وقد أطلقوه حتى على مَن يقول بعدم سهو النبي الذي هو من أصول الدين عندنا نحن الشيعة الإمامية، لذا استدعى الأمرُ عند الشيخ المفيد ليصنِّفَ كتاباً في الرّدِّ على الشيخ الصَّدُوق وأسماه بـ(تصحيح الإعتقاد).

(١) راجع (الفقيه) ج٢ ص٥٥ باب صوم التطوّع وثوابه من الأيام المتفرِّقة ح١٨.

(٢) راجع (منتهى المقال) ج٦ ص٢١١ ترجمة رقم٢٨٩٧.

وأمّا موقف النجاشي فأقلّ ما يظهر منه التوقُّف، فإنّه وقف الحكم على عِلْم الله تعالى عندما قال: « **والله أعلم** »، وحينئذٍ يأتي القول بوثاقة كلّ مَن ورد في أسانيد (كامل الزيارات) فيشمله التوثيق بلا معارضٍ قويٍّ.. مضافاً إلى ذلك، كيف يكون مغالياً وله كتاب في الرّدّ على الغلاة؟!

والخلاصة: لم يثبت بحسب القواعد الرجالية تضعيف محمد بن عيسى بل الظاهر وثاقته طبقاً لما قدَّمناه آنفاً، لا سيَّما وأنَّه وقع في أسناد كامل الزيارات الذي لا يروي إلا عن الثقات، كما أنَّ محمد بن أحمد بن يحيى - وهو شيخ مشايخ الكليني رضي الله عنه - قد روى عنه كتبه حسبما نقل ذلك النجاشي، ورواية الثقة محمد بن يحيى لكتب الهمداني قرينة أخرى على وثاقته وصحة روايته فيخرج بذلك من الجهالة إلى معلوم الحال من حيث الوثوق والإعتماد على ما يرويه وإلا فمن البعيد جداً أن يروي الثقات الأجلاء - كابن قولويه القمي وابن يحيى - عن رجلٍ مجهول الحال أو فاسقٍ كذاب فإن ذلك خلاف أدلة حجية خبر الثقة الذي دلت على ثبوته الأدلة القطعية من الكتاب والأخبار.

③ محمّد بن خالد الطيالسي

ذكر النجاشي أنّ له كتاباً، وعدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وللشيخ الطوسي طريق إليه وهو كما ذكره في (الفهرست): « **محمّد بن خالد الطيالسي له كتاب رويناه عن الحسين بن عبيد الله عن أحمد بن محمّد بن يحيى عن أبيه عن محمّد بن عليّ بن محبوب عنه** »[1].

أمّا الحسين بن عبيد الله فهو ابن الغضائري وهو من شيوخ الإجازة ومن شيوخ النجاشي وقد وثقه، كما أنّه كان كثير الرّواية، وكثرة تضعيفاته لا تخرجه عن الوثاقة بل لعلّها لشدّة تحفُّظه واحتياطه بحسب تصوّره.

وأمّا أحمد بن محمّد بن يحيى، قمّي، من مشايخ الصَّدوق، وقد ذكره مترضّياً عليه، وذكره الشيخ والنجاشي على أنه من مشايخ الإجازة، وقد صحّحه العلاّمة

---

(١) راجع (الفهرست) ص١٤٩ تحت رقم٦٣٤.

ووثّقه الشهيد الثاني والشيخ البهائي[1]، والأشهر وثاقته لكونه من شيوخ الإجازة واعتماد القدماء على روايته.

وأمّا محمّد بن يحيى والد أحمد فهو العطّار القمّي الأشعري شيخ أصحابنا في زمانه، ثقة عين، له كتب حسبما ذكر النجاشي.

وأمّا محمّد بن علي بن محبوب فهو الأشعري القمي أبو جعفر شيخ القميين في زمانه، ثقة، عين، فقيه، صحيح المذهب وله كتب أيضاً حسبما ذكر النجاشي.

وبالجملة؛ فإنّ محمّد بن خالد الطيالسي، من الفقهاء الممدوحين، ومن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، مضافاً إلى أنّ النجاشي لم يقدح فيه وهذا بدوره علامة على المدح والإطراء، له كتاب نوادر، روى عنه حميد أصولاً كثيرةً، وقد روى عنه أجِلّة الشيوخ كعليّ بن الحسن بن فضّال ومحمّد بن عليّ بن محبوب، وهو دليل اعتمادهم عليه.

٤ سيف بن عميرة

قال النجاشي: سيف بن عميرة النخعي، عربي، كوفي، ثقة، روى عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام والإمام أبي الحسن عليه السلام، له كتاب يرويه جماعات من أصحابنا.

أخبرني الحسين بن عبد الله - وهو الغضائري شيخه في الإجازة - عن أبي غالب الرازي عن جدّه، وخال أبيه محمّد بن جعفر، عن محمّد بن خالد الطيالسي عن سيف بكتابه[2].

وقال الشيخ الطّوسي في (الفهرست): «**سيف بن عميرة كوفي نخعي عربي..**»[3].

وقال ابن شهر آشوب: «**سيف بن عميرة ثقة من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام**»[4].

٥ صالح بن عقبة

قال النجاشي: «**صالح بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله،**

---

(١) راجع (المعين على معجم رجال الحديث) ص٤١.

(٢) راجع (رجال النجاشي) ج١ ص٤٢٥ رقم٥٠٢.

(٣) راجع (الفهرست) للطوسي ص ٧٨ رقم الترجمة ٣٢٣.

(٤) راجع (معالم العلماء) لابن شهر آشوب ص ٥٦ رقم ٣٧٧، طبعة النجف.

قيل إنه: روى عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، والله أعلم.. »[1].

ثمّ قال: روى صالح عن أبيه...

قال سعد: هو مولى، له كتاب يرويه جماعة منهم محمّد بن إسماعيل بن بزيع[2].

أخبرنا الحسين بن عبيد الله (وهو الغضائري) عن أبي حمزة قال: حَدَّثَنا عليّ بن إبراهيم عن ابن أبي الخطّاب قال: حَدَّثَنا محمّد بن إسماعيل عن صالح: بكتابه.

ذكره الشيخ في أصحاب الأئمة عليهم السلام: الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام، بأرقام ٤ و٤٧ و٣[3].

فذكره ضمن أصحاب الأئمة الثلاثة عليهم السلام قرينة توجب الإطمئنان بوثاقته، مضافاً إلى أنّ ذكر النجاشي له دليلٌ على إماميته وتشيُّعه؛ لأنّ مبنى النجاشي هو ذكر مصنِّفي الشيعة، كما أنّ النجاشي ملتزمٌ بذكره القدح بمَن قدح فيهم، إمّا في نفس ترجمة المقدوح أو حينما يذكره في نفس ترجمته، وبما أنه لم يتعرّض له، فيُعلَم سلامتُه من القدح وهذا نوعُ مدحٍ.

وبالإجمال فإنّ عدم ذكر قدحٍ في ترجمة رجلٍ في السَّنَد دليلٌ على حسنه أو على الأقل يشير ذلك إلى عدم جهالته.

مضافاً إلى رواية المشايخ عنه كمحمّد بن إسماعيل بن بزيع الذي عُدَّ من أصحاب الإمام الرِّضا عليه السلام، وكان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم، وله كُتُبٌ رواها النجاشي والشيخ عنه.

فيتضح ممّا ذكرنا أنّ عدم القدح يستلزم سلامته من القدح وهو معنى ظاهر العدالة، فضلاً عن أصالة العدالة[4].

مع التأكيد على أنّ صالح بن عقبة ورد في إسناد (كامل الزيارات)، فقد روى

(١) راجع (رجال النجاشي) ج١ ص٤٤٤ رقم الترجمة ٥٣٠.

(٢) راجع (رجال النجاشي) ج١ ص٤٤٤ رقم الترجمة ٥٣٠.

(٣) راجع (رجال الطوسي) ص٢٢١ و١٢٦ و٣٥٢.

(٤) راجع (سند زيارة عاشوراء) للعلامة ياسين الموسوي ص٣٣.

عن زيد الشحّام وروى عنه محمّد بن إسماعيل، وأيضاً روى عنه القمي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ، وكلّ مَن جاء في إسناد هذين الكتابين يُعْتَبَرُ ثقةً.

وعليه؛ فنحكم على صالح بن عقبة بالتوثيق، ولا اعتبار بكلام العلاّمة الحلّي الذي عَدَّ الرَّجُلَ كذباً مغالياً لأنّ أصل هذا الكلام هو من ابن الغضائري المعروف بتضعيفاته، وقد قدح فيه العلاّمة الوحيد البهبهائي[1] فقال: « **الظاهر أنّ الغلو الذي نسبه إليه الغضائري للأخبار التي تدل على جلالة قدر الائمة عليهم السلام كما رأيناها وليس فيها غلو، ويظهر من الصدوق أنّ كتابه معتمد الأصحاب، ولهذا ذكر أخباره المشايخ وعملوا عليها** »... مضافاً إلى أنّ روايته في كتب الأخبار صريحة في خلاف الغلو...

⑥ علقمة بن محمّد الحضرمي

عَدَّهُ الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام محمَّد الباقر عليه السلام، وعَدَّه أيضاً في أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام وقال عنه: « **علقمة بن محمّد الحضرمي الكوفي أسند عنه** »[2].

وروى ابن قولويه في (كامل الزيارات) عن سيف بن عميرة وصالح بن عقبة عنه.

وعبارة الشيخ: « **أسند إليه** » تفيد المدح، مضافاً إلى وجود طرق أخرى تفيد التوثيق منها:

أ: كونه من أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام وبشهادة الشيخ المفيد وابن شهر آشوب بتوثيقهما العام لجميع أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام.

ب: المناظرة التي جرت بين أبي بكر الحضرمي وعلقمة مع زيد، وقد رواها الكشّي في رجاله[3] ممّا يفيد تشيّعه وإماميته وحسن اعتقاده.

ت: كلُّ إماميٍّ كان من أصحاب الأئمّة وذكره النجاشي والطّوسي يحكم بصحّته وتوثيقه حتى يرد العكس، طبقاً لحمل المؤمن على الصحّة في حال الشك في

---

(١) راجع (منتهى المقال) ج٤ ص١٦.

(٢) راجع (رجال الطوسي) ص٢٦٢ رقم ٦٤٣.

(٣) راجع (إختيار معرفة الرّجال) ص٤١٦ رقم ٧٨٨.

معتقداته وأقواله وافعاله.

كلّ هذه قرائن تفيد بمجموعها حسن حال الرّجل وصحّة الإعتماد عليه.

⑦ محمّد بن إسماعيل بن بزيع

قال النجاشي: « **محمّد بن إسماعيل بن بزيع " أبو جعفر " مولى المنصور أبي جعفر، كان من صالحي هذه الطائفة وثقاتهم، كثير العمل، له كُتُب منها كتاب ثواب الحج وكتاب الحج.. »**.

وقد عدّه الشيخ في أصحاب الأئمّة: الكاظم والرِّضا والجوادعليهم السلام وطريقه إليه صحيح كطريق الصَّدوق إليه[1]. وقد أطرى عليه النجاشي كثيراً فقال: « **محمد بن اسماعيل بن بزيغ.. كان من صالحي هذه الطائفة، وثقاهم، كثير العمل، له كتب، منها: كتاب ثواب الحج وكتاب الحج.**

وقد وردت في شأنه روايات مادحة وموثقة له، منها قول الإمام الرِّضاعليه السلام لأصحابه مادحاً محمّد بن إسماعيل بن بزيع حيث قالعليه السلام عنه: وَدَدْتُ أنّ فيكم مثله »[2].

⑧ مالك الجهني

عَدَّه الشيخ في أصحاب الإمامين الباقر والصادقعليهما السلام؛ واستدلّ على وثاقته بكونه من أصحاب الإمامين الباقر والصّادقعليهما السلام، بالإضافة إلى رواية أصحاب الإجماع والشيوخ عنه كابن مسكان وابن أبي عمير ويونس بن عبد الرحمن، وعليه فإنّ الرّجل ثقةٌ عادلٌ.

وقد روى الإربلي في (كشف الغمّة) ج٢ ص٣٥٢: « **في معاجز الإمام أبي جعفر الباقرعليه السلام عن مالك الجهني قال: كنتُ قاعداً عند الإمام أبي جعفرعليه السلام فنظرتُ إليه وجعلتُ أفكّر في نفسي وأقول: لقد عَظَّمَكَ الله وكَرَّمَكَ وجَعَلَكَ حجَّةً على خلقه، فالتَفَتَ إليَّ وقالعليه السلام: « يا مالك الأمرُ أعظم ممّا تذهب إليه » »**.

وروى أيضاً عن مالك الجهني قال: « **إني يوماً عند الإمام أبي عبد اللهعليه السلام جالسٌ**

---

(١) راجع (المعين) ص٤١٠ رقم ١٠٢٤٦، و(رجال النجاشي) ج٢ ص٢١٤ رقم ٨٩٤.

(٢) راجع (رجال النجاشي) ج٢ ص٢١٥ – ٢١٦.

وأنا أُحَدِّثُ نفسي بفضل الأئمّة من أهل البيت، **إذ أقبل عَلَيَّ الإمام أبو عبد الله** فقال: « **يا مالك، أنتم والله شيعتنا حقّاً، لا نرى إنّكَ أفرَطْتَ في القول في فضلنا، يا مالك إنه ليس يقدر على صفة الله وكنه قدرته وعَظَمَتِهِ ولله المثل الأعلى، وكذلك لا يقدر أحدٌ أنْ يصف حقَّ المؤمن ويقوم به كما أوجب الله له على أخيه المؤمن، يا مالك: إنّ المؤمنَيْن ليلتقيان فيصافح كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه فلا يزال الله ينظر إليهما بالمحبّة والمغفرة، وإنّ الذنوب لتتحاتّ عن وجوههما حتى يفترقا، فمَن يقدر على صفة هو هكذا عند الله تعالى** » »[1].

فهذه الرّوايات المرويّة بسنده تدلّ على وثاقته، إلاّ أنّ بعضهم أشكل على ذلك: بأنّ الإستدلال على وثاقته بروايات هو رواها بنفسه، يستلزم الدور.

لكنْ ثمّة حلّ للدور، بأنّ الرواية التي رواها في كشف الغمّة تدلّ بلا أدنى إشكال على عقيدة صحيحة للرّجل لا تكون إلاّ عند خُلَّص شيعتهم الذين هم فوق صفة الوثاقة الموصوف بها ممّن وقع بأسانيدها من غيرنا ممّن لا يستحقّ عنوان العدالة[2].

وثمة حلٌّ آخر للدور: بأنّ الرجل من الممدوحين والموثقين عند فطاحل علماء الرجال أمثال ابن قولويه والنجاشي والطوسي وأضرابهم، وهي في ذاتها قرينة على أصل عدالته، ولم يثبت عنه عكس ذلك، فنقله ما يدل على عدالته أو حُسن حاله، تتقوى ثبوت عدالته وحسن حاله، ويحصل الظن بثبوت ما ينقله... مضافاً إلى أنّه لو كان ما ينقله من باب الإخبار عن المعصوم، وكان متن الخبر المروي عن المعصوم مقروناً بما يشتمل على الإعجاز من المحاسن البديعية أو الإفادات العالية، يحصل الظن بالصدق وصدور الخبر عن المعصوم، فتثبت العدالة أو حسن الحال.

أيضاً لو أكثر في نقل ما يفيد العدالة أو حسن الحال، وبلغ النقل حدّ إفادة العلم، فعليه التعويل، وكذا الحال لو تجاوز النقل عن الإستفاضة ولم يبلغ حدّه إفادة

(١) راجع (كشف الغمّة) ج٢ ص٤٠٤، معاجز الإمام الصّادق.

(٢) راجع (سند زيارة عاشوراء) للعلامة ياسين الموسوي ص٤٥.

العلم، بناءً على حصول الظن بالصدق وإن كان الأمر من باب الشهادة على نفسه، واحتمال كونه كاذباً، ساقط ومردود لفرض انجبار الإنكسار بمزيد العدد.. ولأنّ الكذب منفي بُحق من ثبت توثيقه على لسان أعمدة الطائفة المحقة نظير ابن قولوية القمي الذي لا يروي إلاّ عن ثقة وحيث إنَّه وثق مالك الجهني، ويبعد في حق العميد الثقة الإشتباه لكونه منفياً بالأصل وإلاّ لانتفت الأدلة الدالة على قبول خبر الثقة من أساسها، فتنتفي فائدة وجوب تصديقه فيما يقول.. فكون ابن قولويه فوق الوثاقة، وقد وثق مالك الجهني، فيكون توثيقه له شهادةً على صحة ما ينقله مالك من أخبار... مضافاً لذلك فإنّ أجلاء الرواة في الطائفة رووا عنه أمثال: ابن أذينة وابن مسكان ويحيى الحلبي ويونس بن عبد الرحمن وثعلبة بن ميمون... أليس هذا كافياً في توثيق ما يرويه عن نفسه؟؟ وقد شاطره في ذلك ثلة من الرواة الموثقين نقلوا على أنفسهم مديحاً من المعصوم عليه السلام لهم نظير:

ألف: ما ورد عن ابن عقدة عن عليّ بن الحسن عن عباس بن عامر عن جابر المكفوف عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال جابر: دخلت على الإمام عليه السلام فقال: « **أما يصلونك؟** » فقلت: ربّما فعلوا فوصلني بثلاثين ديناراً ثمّ قال: « **يا جابر كم من عبدٍ إن غاب لم يفقدوه، وإن شهد لم يعرفوه في أطمار لو أقسم على الله لأبرّ قسمه** ».

باء: وحكى في الخلاصة في ترجمة صالح بن ميثم أنّه قال له الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **إنّي أحبك حبّاً شديداً** ».

جيم: وفي ترجمة عليّ بن سويد عن الكشي أنّه روى بسنده عن عليّ بن سويد قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام فذكر حديثاً عن أبي الحسن موسى عليه السلام يشهد بأنّه نزل من آل محمد عليهم السلام منزلةً خاصةً، وغير ذلك من إلهام الرشد والبصيرة في أمر دينه.

دال: وحكى في الخلاصة في ترجمة حمران بن أعين عن الكشي أنّه روى بسنده عن حمران عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال له: « **أنت من شيعتنا في الدنيا والآخرة** ».

هاء: وحكي أيضاً في ترجمة عبد الملك بن عمرو أنّه قال له الإمام أبو عبد الله عليه السلام:

« **إنّي لأدعو لك حتى أسمّي دابتك**، أو قال: **أدعو لدابتك** ».

واو: وجاء في ترجمة عليّ بن ميمون أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أسأله، فقلت له: إنّي أُدين الله بولايتك وولاية آبائك وأجدادك عليهم السلام فدع لي أن يثبتني، فقال: « **رحمك الله رحمك الله** ».

زين: وورد مثله في مكاتبة إسحاق بن يعقوب للإمام بقية الله الأعظم روحي فداه قال له: « **أرشدك الله وثبتك** »، مع أنّ إسحاق هو الراوي للنص الشريف، وقد قبله الأصحاب ولم يغمزوا فيه..

حاء: وفي ترجمة عبد الله بن ميمون عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **يا بن ميمون كم أنتم بمكة؟** » قلت: نحن أربعة قال عليه السلام: « **إنّكم نور الله في ظلمات الأرض** ».

ونظائر هذه الروايات تفوق التواتر، وقد استقرب قبولها عامة فقهاء الإمامية مع أنّ راويها هم أنفسهم الذين ورد المديح من المعصوم لهم، فلِمَ لا تقبل شهادة مالك الجهني على نفسه قياساً على غيره؟!

كما أنّ الشاهد لنفسه بالمديح من المعصوم له أُسوةٌ بالمعصوم نفسه الذي مدح نفسه بذكر المناقب والكرامات والمعاجز في كثيرٍ من الأخبار الشريفة، على قاعدة قول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾ سُورَةُ الضُّحَىٰ، وبما ورد عنهم عليهم السلام (إقرار العقلاء على أنفسهم جائز)...

وبالجملة: أقول مؤكداً لما قاله المحقق الخوئي رحمه الله: « **أنّ مالك الجهني لا ينبغي الشك في كونه شيعياً حسن العقيدة، وهو ثقةٌ بشهادة ابن قولويه، فرواياته معتبرة** »[1].

⑨ عقبة بن قيس بن سمعان

عَدَّه الشيخ في أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام فقال: « **عقبة بن قيس والد صالح بن عقبة، كوفي..** »[2].

---

(١) راجع (معجم رجال الحديث) ج١٤ ص١٥٨.

(٢) راجع (رجال الطّوسي) ص٢٦١ رقم ٦٢٦.

وقد صحَّحَهُ بعض المحقِّقين[1] لأنّه من أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام، بناءاً على المسلك الرجالي القائل بوثاقة جميع أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وقد أخذ به الشيخ المفيد في الإرشاد، باب أحوال الإمام الصادق عليه السلام وابن شهر آشوب، فوثّقا جميع أصحاب الإمام الصّادق عليه السلام فعقبة ثقة.. وهو مسلك رجالي مال إليه ثلة من الأعلام كابن عقدة والمحدّث الحر العاملي.. وهو شبيه بمسلك المتقدمين القائلين بـ" **أصالة العدالة في كلِّ إمامي لم يثبت فسقه** " وهو مسلك القدماء من الأصحاب واختاره جمعٌ من المتأخرين منهم العلامة حسب نقل المحقق الخوئي رحمه الله في الجزء الأول من (المعجم).. فبناءاً على هذا المسلك يكون عقبة بن قيس من الثقات باعتباره من أصحاب مولانا الإمام الصادق عليه السلام لا سيَّما وأن الطوسي رحمه الله جمع عامةَ أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقد ذكر رحمه الله في مقدمة كتابه في الرجال بأنه ذكر فيه جميع من ذكره ابن عقدة الذي اعتقد بأن عدد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام بلغ أربعة آلاف رجل.

والحاصل: إن عقبة بن قيس ثقةٌ باعتباره غير مقدوح به، وهو كافٍ في حسنه.. مضافاً إلى أنّ ابنه صالح ثقة بالإتفاق، وقد نقل عن أبيه عن الإمام أبي جعفر عليه السلام في باب المتعة[2] وباب دهن البنفسج، وحيث إنّ الثقة لا يروي إلاّ عن ثقة، فوالده ثقةٌ.. ومن البعيد رواية الثقة عن الفاسق، فلو كان عقبة فاسقاً لما جاز لابنه صالح أن يروي عنه، ودعوى أن الثقة يشتبه عليه الحال فينقل عن غير الثقة.. هي خلاف الأدلة الدالة على حجية الخبر الواحد الثقة، فإحتمال إشتباه الثقة، بكونه ربَّما ينقل عن غير الثقة منفيٌ بأصالة عدم الإشتباه في حق المؤمن عند الشك بذلك.. فأصالة الصحة في حال الشك في أفعال المؤمن محكمة في هذا المجال، وهي حاكمة على غيرها.

(١٠) صفوان بن مهران الجمّال

لا يختلف اثنان من علماء الإمامية على وثاقته وجلالة قدره وعلوّ شأنه، وهو من

(١) وهو الطهراني صاحب (شرح زيارة عاشوراء) ج١ ص٦٦.

(٢) راجع (جامع الرواة) ج١ ص٥٤٠.

أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام...

فالنتيجة: إنّ سَنَدَ زيارة عاشوراء صحيح ومُعْتَبَر.

الطريق الثاني: وقوع سند الزيارة في كتاب كامل الزيارات

فضلاً عن البحث في أسانيدها المتقدِّمة الدّالّة على اعتبارها، فإنّ ثمّة طرقاً أخرى لإثبات صدورها عن المعصوم عليه السلام، ومن تلك الطُّرُق:

وقوع السَّنَد والمتن في أصلين مهمَّيْن عند الإماميّة:

أوّلهما: كتاب (كامل الزيارات) الذي أصرّ مؤلِّفُهُ أنّه لم ينقل إلاّ عن ثقة.

وثانيهما: كتاب (مصباح المتهجِّد)، حيث إنّ مؤلِّفَهُ لم يؤلِّفْهُ كَكُتُبِ الفِقه من أجل النَّظَرِ فيها، بل كَتَبَهُ للعمل بما فيه.

وقد شهد على صحّة أسانيد كتاب كامل الزيارات المحدِّث الحرّ العاملي في آخر كتابه (وسائل الشيعة)، فقال: « **وقد شهد عليّ بن إبراهيم أيضاً بثبوت أحاديث تفسيره، وأنها مرويّة عن الثقات عن الأئمّة عليهم السلام وكذلك جعفر بن محمّد بن قولويه فإنّه صَرَّحَ بما هو أبلغ من ذلك في أوّل مزاره** »[1].

وذهب السيِّد المحقِّق الخوئي رحمه الله صاحب (معجم الرِّجال) إلى أنّ عبارة صاحب الوسائل بحقّ ابن قولويه واضحة الدلالة على أنّه لا يروي في كتابه رواية عن المعصوم إلاّ وقد وَصَلَتْ إليه من جهة الثقات من أصحابنا، ثمّ أيّد كلامه بما نقلناه عن صاحب الوسائل، ثمّ قال رحمه الله: « **ما ذَكَرَهُ صاحب الوسائل متين فيحكم بوثاقة مَن شهد عليّ بن إبراهيم أو جعفر بن محمّد بن قولويه بوثاقته، اللهمّ إلاّ أنْ يبتلى بمعارض** »[2].

---

(١) راجع (وسائل الشيعة) ج٢٠ ص٦٨.

(٢) راجع (معجم رجال الحديث) ج١ ص٥٠.

الطريق الثالث : التسامح في أدلّة السُّنَن

يُراد من القاعدة المذكورة نيل الثواب على كلّ رواية تدلّ على استحباب فعلٍ حتى لو لم تكن موافقة للواقع، بل الثواب لمجرَّد الانقياد والجري بالعمل بالرواية، وقد تسالموا على تسميتها بقاعدة التسامح في أدلّة السُّنَن، وقد استدلّ فقهاء الإمامية على صحّة العمل بها بدليلين:

الدليل الأوّل : سيرة المتدينين والمتشرعة على العمل بكلّ خبرٍ ضعيف يدلّ على الأوامر والنواهي غير الإلزامية، فتكون حجّة في إثبات الاستحباب أو الكراهة مالم يعلم ببطلان مفادها، فإنّ السيرة قد جرت على أنّ الناس لا يهتمون بغير الإلزاميات في معاشهم ومعادهم، فلو أخبرهم أحدٌ بما كان فعله أو تركه لازماً عليهم فإنّهم كانوا – ولا يزالون – يتفحصون عن مدركه، ويتأملون في صدقه وعدمه، ولكنهم لا يفحصون عن رواية تأمر أو تنهى عن شيء يكون فعله أو تركه راجحاً ولا يبلغ حدَّ الإلزام، ولا يهتمون في صدق مدركه وعدمه ذلك الإهتمام الذي يبذلونه فيما كان لازماً عليهم، بل إنْ شاءوا فعلوا ما أخبروا برجحان فعله، وإنْ شاءوا تركوا ما أخبروا برجحان تركه، تسامحاً بينهم في صدق الخبر وعدمه.

وبالجملة ؛ فقد جرت سيرة المتدينين والمتشرِّعة على عدم التدقيق في سند أخبار المندوبات والمكروهات، فيعملون بها حتى لو لم يكن السَّنَد موثوقاً به، بل الظاهر من أكثر فقهاء الإماميّة الفتوى بالإستحباب الشرعي في موردها ولو لم يعمل المكلَّف بعنوان الرَّجاء.

الدليل الثاني: ما ورد في عدّة من الرّوايات الصحيحة أنه مَن بلغه ثواب من الله تعالى على عمل، فعمل التماس ذلك الثواب أوتيه وإنْ لم يكن الحديث كما بلغه، وقد روى صاحب الوسائل قسماً من هذه الرّوايات منها :

١ – أحمد بن أبي عبد الله البرقي في (المحاسن) : عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **مَن بلغه عن النبي صلى الله عليه وآله شيء من**

الثواب فعمله كان أجر ذلك له، وإن كان رسول الله ﷺ لم يقله »[1].

٢- محمد بن علي بن بابويه في كتاب (ثواب الأعمال) عن أبيه، عن علي بن موسى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن هشام، عن صفوان، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **مَن بلغه شيء من الثواب على شيء من الخير فعمله كان له أجر ذلك، وإنْ كان رسول الله ﷺ لم يقله** »[2].

٣- عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن عمران الزعفراني، عن محمد بن مروان قال: سمعت الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **مَن بلغه ثوابٌ من الله على عملٍ، عَمِلَ ذلك العمل التماس ذلك الثواب أوتيه، وإنْ لم يكن الحديث كما بلغه** »[3].

فهذه الأخبار جعلت الحجية لمطلق البلوغ في موارد المستحبات حتى لو كانت أسانيدها ضعيفة أو مرسلة أو مهملة، وقلنا إنّ روايات هذه القاعدة صحيحة الأسانيد، والمهمّ هو البحث عمّا يُستفاد منها، لذا نوزع البحث على جهاتٍ:

(**الجهة الأولى**): في مفاد هذه الروايات والمحتملات فيها، ولكنّ مفادها يشير إلى الإخبار عن فضل الله تبارك وتعالى بالنسبة إلى كلّ ما وعد من نعيم الجَنَّة، سوآء كان ذلك من جهة كونه ثواب عمل واجب أو مستحب، فإنّ المنساق منها هو أنّ كلَّ عملٍ يفعله العبد لا يكون بدون الأجر والرِّضا منه تعالى، ويكون ورود هذه الأخبار مجوّزاً كافياً لأطمئنان قلب المؤمن مطمئناً بما يفعله، ولا يبعد أنْ تكون أخبار مَن بلغ - المعبَّر عنها بقاعدة التسامح في أدلّة السنن - واردة في هذه الإتجاه أي لإطمئنان القلب على الخبر الذي قد تمَّتْ شرائط حجيته أيضاً حيث يحتمل العامل به أنْ لا يكون مطابقاً للواقع سواء كان في واجبٍ أو مستحب، فيحصل في نفس العبد منه تشويش ووسوسة، فتكون أخبار من بلغ في صدد بيان رفع الشك عن النفس

---

(١) راجع (وسائل الشيعة) ج١ ص٦٠ باب ١٨ - مقدّمة العبادات، ح٣.

(٢) راجع (وسائل الشيعة) ج١ ص٥٩ باب ١٨ ح١.

(٣) راجع (وسائل الشيعة) ج١ ص٦٠ باب ١٨ ح ٧.

والإطمئنان بفضل الله عزّ ذِكْرُه، والشاهد على ما ذكرنا هو ما تفضل به صاحب الوسائل (أعلى الله مقامه الشريف) في نفس باب أخبار مَن بلغ وفي سياق هذه الأخبار ولم يتعرض له القوم، مما ورد عن حمدان بن سليمان قال:

سألتُ الإمام أبا الحسن عليّ بن موسى الرِّضا عليهما السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ.. ﴿١٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، قال عليه السلام: « **مَن يرد الله أنْ يهديه بإيمانه في الدّنيا إلى جنته ودار كرامته في الآخرة يشرح صدره للتسليم لله والثقة به والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه** »[1].

فهذا الحديث الشريف يفهم منه ما ادعيناه واستظهرناه من تلك الأخبار، مضافاً إلى بقيّة المحتملات في هذه الأحاديث وهي ما يلي:

الإحتمال الأوّل: أنْ تكون في مقام جعل الحجية لمطلق البلوغ.

وبتوضيحٍ آخر: إنّ هذه الأخبار تكون في مقام بيان حكم طريقي وهو حجية الأخبار الضعاف في باب السنن، فيكون المفاد إلقاء شرائط حجية الأخبار الآحاد من الوثوق النوعي في الأخبار الضعاف.

وفيه: إنّ هذا الوجه غير متعين في أخبار مَنْ بلغ، بل ظاهر لسان الروايات ينفيه؛ لأنها تجعل للعامل الثواب ولو مع مخالفة الخبر للواقع، فلو كان وضع نفس الثواب تعبيراً عن التعبد بثبوت المؤدى وحجية البلوغ، لما كان هناك معنىً للتصريح بأنّ نفس الثواب محفوظ حتى مع مخالفة الخبر للواقع.

وبتعبيرٍ آخر: إنّ الإتيان برجاء الواقع يكون مانعاً من قبول هذا الوجه؛ لأنه يكون لمصلحة في ذات العمل وبرجائها يعمل العبد، لا أن يكون المراد إعمال المولوية بالنسبة إلى الأخبار الضعاف.

مضافاً إلى أنّ هذا مخصوص بصورة بلوغ الخبر ولو ضعيفاً، وأمّا موارد الإحتياط فلا يكون من بلوغ الخبر في شيء حتى يُقال إنّ الاحتياط مستحب بهذا الدليل؛ لأنّ

(١) راجع (وسائل الشيعة) ج١ ص٥٩ باب ١٨ ح٢.

الحكم يكون في ظرف الموضوع وهو في موارد الاحتياط غير محقق.

ثمّ إنه على فرض تمامية هذا النحو من الاحتمال في الأخبار، تحصل المعارضة بينها وبين ما دلّ على حجية الخبر الواحد بالشرائط المقررة في بابه، والنسبة بينهما العموم من وجه في غير مورد البلوغ؛ لأنّ أدلّة الشروط عامّة من جهة كون المخبر به ثواباً أو غيره، وهي عامّة من جهة كون المخبر عادلاً أم لا في مورد كون الخبر في مورد بيان ثواب ما، ومورد الاجتماع صورة كون المخبر به ثواباً مع كون الراوي ضعيفاً فيتعارضان.

الإحتمال الثاني: أنْ تكون في مقام إنشاء استحباب واقعي نفسي على طبق البلوغ، فيكون بلوغ استحباب الفعل عنواناً ثانوياً له يستدعي ثبوت استحباب واقعي بهذا العنوان[1].

وبتوضيحٍ آخر: أنْ تكون في مقام حكمٍ فقهيٍّ وهو استحباب العمل بكلّ ما بلغ بالنسبة إليه الثواب وإنْ لم يكن صادراً في الواقع عنهمﷺ، فكما أنّه يمكن أنْ يُقال عنوان كون الشيء مشتبهاً يحدث مصلحة توجب القول باستحباب الاحتياط نفسياً، كذلك بلوغ خبر يوجب استحباب ذلك العمل لمصلحة فيه بعد فرض كون الأخبار في الرّوايات بمعنى الانشاء.

وفيه: إنّ هذا الوجه لا موجب لاستفادته لكونه خلاف سياق الروايات، فإنّ المنساق منها أنّ الثواب يكون على نفس العمل وليس لوجود مصلحة نفسيّة في البلوغ يقتضي ذلك.

مضافاً إلى أنّ هذه الوجه إنْ كان يُراد منه تغيير الواقع إلى ما دَلَّتْ عليه أخبار من بلغ، فهو مرفوض لكون المصلحة في نفس سلوك الامارة وهو بعينه التصويب الأشعري الذي يرفضه الشيعة الإمامية، وإنْ كان المراد به إبقاء الواقع على حاله إلاّ أنّ الواقع يسجّل للعامل بالخبر ثواباً آخر لجريه على وفق الخبر، فهو حق لا ريب

---

(١) راجع (حلقات الصدر) ج٢ ص٢٠٥.

فيه وهذا ما أفادته هذه الأخبار .

الإحتمال الثالث: هو أنْ لا تكون في صدد الحكم النفسي لا الطريقي، بل في صدد بيان مسألة التفضل الإلهي على عباده المؤمنين من حيث كونه سبحانه وتعالى يُعطي العباد بفضله ورحمته ما بلغ خبر ثوابه إلى العباد، فلا يكون سنداً للاستحباب ولا لإلقاء الشرائط.

وفيه: إنّ هذا خلاف سياق روايات قاعدة التسامح؛ لأنّ سياقها هو التحريض على العمل لا الإخبار عن الفضل والرحمة فقط.

وبهذا يتميز هذا الوجه عن سابقيه من حيث إنّ الحكم فيه بالثواب إنما يكون بعد وجود العمل في الخارج، أمّا في الوجهين المتقدِّمين فإنّ الحكم بالثواب فيهما قبل وجود العمل.

الإحتمال الرّابع: أنْ يكون مفادها الإرشاد إلى حكم العقل بحُسن الانقياد والاحتياط واستحقاق المحتاط للثواب؛ لكونه عمل بما بلغ عليه الثواب، وإنْ لم يكن الأمر كما بلغه.

هذا الوجه هو المختار، وذلك لأنّ العقل والشرع يحكمان بحُسن انقياد العبد، فاستحقاق الثواب - بحسب حكم العقل - إنما يكون للعاقل وليس لشيء آخر.

(**الجهة الثانية**): هل تشمل أخبار مَنْ بلغ المكروهات فتكون عامّةً، أم أنها خاصّة بموارد المستحبات؟ فيه خلاف بين فقهاء الإمامية، فريق اختار الثاني؛ أي أنّ مورد القاعدة هو الاقتصار على المستحبات، وإليه ذهب المحقق الخوئي رحمه الله؛ بدعوى أنّ أخبار المقام مختصّة بما بلغ فيه الثواب فقط، فلا تشمل ما ثبت العقاب عليه بدليل معتَبَر(1).

وفريقٌ مالَ إلى الرّأي الأوّل وهو الأقوى بدليل: إنّه لا فَرْقَ بين العمل بما هو مراد المولى من جهة الانقياد بين كونه لاحتمال الأمر أو لاحتمال النهي.

(1) راجع (مصباح الأصول) ج٢ ص٣٢١.

مضافاً إلى ذلك: أنّ ترك المكروه أيضاً يترتب عليه الثواب، فيكون في معنى الإخبار به، ولا فرْقَ بين الفعل والترك، وبين كون الثواب مذكوراً أو غير مذكورٍ.

وبتوضيحٍ آخر: إنّ العُرْفَ بحسب المناسبات المرتكزة في ذهنه يلغي خصوصيّة الفعل والترك ويفهم من هذه الأخبار أنّ تمام النكتة والموضوع لهذا الحكم هو بلوغ الخبر والثواب على شيء سوآء كان فعلاً أو تركاً وجودياً أو عدميّاً.

مضافاً إلى أنّ المكروه فيه مبغوضية للمولىﷻ، فالنهي عنه يقتضي المحبوبية له ﷻ وهو بذاته مستحب مطلوبٌ للهﷻ، ودعوى أنّ التروك لا يترتب عليها الثواب لكون الترك زجراً محضاً فلا يكون منشأ أثر؛ مردودة بما قلنا من أنّ الترك محبوب للمولى، والمحبوبية تقرب، والتقرب مستحب.

وعلى القول بتعريف النهي أنّه طلب الترك لا الزجر تكون القضية من أسهل المهمات، لذا يكون النهي - بحسب هذا القول - هو طلب الترك غير الأكيد مقابل النهي الذي هو طلب الترك الأكيد.

(**الجهة الثالثة**): هل تشمل أخبار قاعدة التسامح حكايات وقصص الأنبياء والمرسلين والأولياء والأوصياء عليهم السلام لا سيّما مصائبهم نظير ما حصل في واقعة كربلاء على إمامنا المعظَّم سيّد الشهداء وأهل بيته الميامين أم لا؟

فيه خلاف أيضاً، لكنّ الظاهر من الشهيد الثاني في (الدراية) الجزم بجواز النقل بالنسبة إلى الأخبار الضعاف ونسبه إلى علمائنا المتقدمين، وهو الأقوى كذلك؛ لأنّ البكاء على الإمام السيِّد المظلوم أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليهما السلام وغيره من أئمّة أهل البيت عليهم السلام مستحب ويترتب عليه الثواب العظيم، ويصير هذا النقل سبباً لما يكون حكمه الاستحباب، نعم يشكل ذلك إذا كان النقل بنحو العلم بالمخبر به، وأمّا إذا كان التعبير في نقل المصيبة بعنوان نُقل كذا وكذا ويكون هذا النقل من باب رجاء المطلوبية فلا إشكال فيه، وإنما الاشكال بأنْ يكون النقل بعنوان الجزم.

إنْ قيل: إنَّ نقل الوقائع التاريخية وغيرها كوقائع كربلاء وما شابه ذلك قد يكون كذباً، وقبح الكذب عقليٌّ، فكيف يرفع اليد عنه بسبب الإحتمال.

قلنا: هذا صحيح إذا كان الأثر مترتباً على الواقع، وأمّا إذا كان الأثر لرجاء إصابة الواقع فلا يكون كذباً حتى يحكم العقل بقبحه، وسوآء أصاب الخبر الضعيف (الدّال على المظلومية المستتبعة للبكاء) الواقع أو لم يصب فالثواب حاصلٌ للبكاء.. مضافاً إلى أنّ الناقل للخبر الضعيف لم يتعمّد الكذب ولا أنّه كان جازماً بكون الخبر كاشفاً عن الواقع، لذا فإنّ زيارة عاشوراء على فرض كون سندها ضعيفاً، فإنّ مضمونها يؤكِّد ما ورد بأخبار أخرى دالّة على استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام، كما أنّ ثمّة قرائن قطعيّة من الآيات والأخبار تشير إلى مضامين زيارة عاشوراء الجامعة كاللعن والبراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام.

زبدة المقال: إنّ قاعدة التسامح ثابتة شرعاً بحسب ما تقدَّمَ معنا، وغالب أخبارها يشتمل على الثواب، فيظهر منها الاختصاص بالعبادات، ولكنّ الظاهر أنه من باب ذكر الفرد الغالب والأفضل، فيشمل التوصليات أيضاً بل يمكن شمولها لها بالفحوى.

وعليه؛ فإنّ زيارة عاشوراء ثابتةٌ شرعاً بطريق قاعدة التسامح على فرض صحّة دعوى كون سندها ضعيفاً، ولكننا أثبتنا سابقاً وثاقة سلسلة السَّنَد فيكون هذا الطريق مؤكِّداً لصحتها من جميع الجهات، والحمد لله ربّ العالمين.

الطريق الرّابع: عمل المشهور جابرٌ لضعف السَّنَد إنْ وُجِد في زيارة عاشوراء

لو فرضنا أنّ سند زيارة عاشوراء ضعيفٌ، فإنّ المشهور قديماً وحديثاً قد أخذوا بها وعملوا بمضمونها، وعمل المشهور بخبر ضعيف توثيق عمليّ للمخبر به، فيثبت بذلك صحته، فيدخل في موضوع الحجية، وكذا إعراض المشهور عن خبر صحيح أو موثَّق سنداً موجبٌ لوهنه وسقوطه عن الحجية.

ومحلّ الكلام هو الخبر الذي كان بمرأى ومسمع المشهور ولم يعملوا به، وأمّا الخبر الذي احتمل عدم اطّلاعهم عليه فهو خارجٌ عن محلّ الكلام، ولا إشكال في جواز العمل به مع كونه صحيحاً في نفسه، إذ لا يصدق عليه أنّه مُعرَضٌ عنه عند

المشهور ؛ لأنّ الإعراض فرع الإطّلاع ، فمع عدم الإطلاّع لا يصحّ إسناد الإعراض إليهم.

والحاصل: أنّ محلّ الكلام إنما هو الخبر الذي أحرز إعراض المشهور عنه، فالمشهور أنّه يوهن به ويسقط عن الحجية، وخالف في ذلك ثلّة من متأخِّري المتأخِّرين كصاحب الكفاية والسيِّد الخوئي رحمهما الله بدعوى أنّ الاعراض لا يُسقِط الخبر الصحيح عن حجيته، لعدم اختصاص دليل اعتبار خبر الثقة بما إذا لم يكن ظنّ بعدم صدوره الحاصل من إعراض المشهور أو غيره من أسباب الظنّ غير المعتَبَر.

ويُجاب عنه: إنّ نفس إعراض المشهور عن الخبر الصحيح هو بمثابة القرينة القطعيّة التي تُسقط الخبر الصحيح عن حجيته ؛ لأنّ قبول الخبر الصحيح مشروطٌ بألاّ يعارضه دليلٌ آخر أقوى منه، أو قرينة قطعيّة تصرفه عن مراده أو تزاحمه وتعارضه، نظير مقامنا حيث إنّ إعراض المشهور عن خبرٍ يوجب وهنه وإنْ كان راويه ثقةً وكان قويّ السند، بل كلّما قوي سند الخبر فأعرض عنه الأصحاب كان ذلك أكثر دلالة على وهنه، لا سيّما مشهور المتقدِّمين الذين كانوا يعتمدون على القرائن المثبتة لصحّة مضمون الحديث، « **فالعمل بالخبر عند المشهور من القدماء مما يوجب الوثوق بصدوره، والوثوق هو المناط في حجية الخبر** »[1]، وكيف لا تكون مخالفتهم للخبر قرينة لإسقاط حجيته وهم أعلم بجهة الرّوايات منا نحن الأباعد عن عصر النص، فالمدار في الخبر هو الوثوق بالصدور من أيّ طريقٍ حصل، والشهرة توجبه.. **هذا كلّه من حيث السَّنَد.**

أمّا من حيث الدّلالة ؛ فالمعروف بينهم عدم انجبار ضعف الدلالة بعمل المشهور مع عدم ظهور الخبر في نفسه، وعدم وهن الدّلالة بإعراض المشهور مع ظهوره في نفسه، فعدم الانجبار بعمل المشهور بسبب اختصاص دليل الحجية بالظهور، فلو لم يكن اللفظ بنفسه ظاهراً في معنى مع حمل المشهور للفظ على المعنى لا يكون

(١) راجع (أصول المظفر) ج٤ ص٢٥٢.

حملهم موجباً لإنعقاد الظهور في اللفظ، فلا يشمله دليل حجية الظواهر، كما أنّ إعراضهم عن الخبر الصحيح الدلالة لا يوجب الانكسار بسبب عدم اختصاص دليل حجية الظواهر بما إذا لم يكن الظنّ بخلافها أو بما إذا لم يحملها المشهور على خلافها، فلو كان اللفظ بنفسه ظاهراً في معنى، وحمله المشهور على خلافه لم يكن ذلك مانعاً عن انعقاد الظهور، فلا يسقط عن الحجية.

وزبدة المخض: إنّ زيارة عاشوراء صحيحة سنداً ودلالةً حسب القاعدة المذكورة التي بحثنا فيها، أمّا من حيث السَّنَد فواضحٌ من حيث إنّ مسلك المشهور - قديماً وحديثاً - هو الاعتماد على سند الزيارة، فحتى لو كان ضعيفاً فإنّ عملهم به يوجب تصحيحه وتقويته، وأمّا من حيث الدّلالة فلا شكّ في صحتها أيضاً من حيث قوّة دلالة الزيارة، فلا موجب للقول بتقويتها لعمل المشهور بها؛ وذلك لأنّ دلالتها قويّة بنفسها، ولا تخالف الكتاب الكريم والسنة الشريفة، فالمورد من باب السالبة بانتفاء الموضوع، ولكنْ على فرض ضعف دلالتها فإنّ المشهور عمل بها، وذلك يوجب تقويتها بحسب المسلك المتقدِّم.

وبهذا يتضح صحة زيارة عاشوراء سنداً ودلالةً، ولا يُعَوَّل على القول بتضعيفها من قِبَل أصحاب الحداثة الفقهيّة الذين تسنّموا قيادة المجتمعات الشيعيّة لا بسلطان العلم والورع، بل بوفور الرِّجال وكثرة الأموال، فبطشوا بمخالفيهم من العلماء حيث يشكِّلون خطراً عليهم بكشفهم عوراتهم وأضاليلهم أمام القواعد الشيعيّة... ﴿... وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ...!.

التشكيك باللعن الوارد في الزيارة الشريفة:

لقد شكّك السيِّد فضل الله في ذيل زيارة عاشوراء المقدَّسة الصريح وضعاً ودلالةً بلعن الأربعة المغتصبين للخلافة الإلهية باعتبار أنَّ الألفاظ التالية: **الأول والثاني والثالث والرابع** متعينة بالدلالة الإلتزامية القطعية بالأربعة الذين نازعوا إمامَ المتقين وسيِّد الموحدين مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وهم: أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية..

ولكنَّ المشكّك المذكور لا يعجبه ذلك مدَّعياً بأنَّ ذيل الزيارة الوارد في اللعن ليس من الزيارة الثابتة عن الأئمة الطاهرين(عليهم السلام)، فقال في كتابه الموسوم بـ(الندوة: ج١ ص٦٥٣) رداً على سؤال المحاور الذي طلب منه أن يبيّن له الأدعية والزيارات التي ثبتت مصادرها عن الأئمة الأطهار(عليهم السلام): " **هناك زيارة وارث وزيارة أمين الله وهكذا زيارة عاشوراء بدون ذيلها.. الذي قد يرى العلماء أنَّه من الزيادات**.. " وليس ذلك بعجيب ومستهجن صدوره منه بعد أن عُرف عنه كثرة التشكيك في كلِّ ما يتعلق بفضائل وظلامات أهل البيت(عليهم السلام) فحكم بضعف أكثرها من باب أنَّ الغاية تنظّف الوسيلة على حدّ تعبيره في (الندوة: ج٢ ص٤٦٠) وحيث إنَّ اللعن يعيق السير نحو الغاية وهي نشر الإسلام فلا بدّ من إزالته من الزيارة بالحكم عليه بأنَّه من الزيادات لأنَّ الأئمة الطاهرين(عليهم السلام) ليس من شيمهم اللعن مدَّعياً " **بأنَّ أسلوب اللعن غوغائي لا يمُتُّ إلى العلم بصلة** " حسبما نقله عنه بعضهم من (الندوة: ج ٥ ص٥٠١)، ثمَّ جاء أحد أنصاره من المتمشيخين مؤكّداً دعواه بوجود زيادة في آخر الزيارة معتمداً على وجوهٍ ملفَّقةٍ كما سوف نريكم ذلك بحول الله وقوته، ولكنْ قبل بيان زيف ذاك المدّعي، يتوجب علينا إبطال ما ادَّعاه المشكّكُ الأكبر سيِّدُ ذاك الشيخ، وخلاصة دعواه تتمحور حول وجود زيادة في ذيل الزيارة مما يستلزم الإعتقاد بأنَّ الزيادة من صنع المحرِّفين والدسّاسين، وهي دعوى باطلة من وجوهٍ هي الآتي:

(**الوجه الأول**): إنَّ زيارة عاشوراء بالكيفيَّة الموجودة في كتاب (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي(رحمه الله) هي أصحّ النسخ لزيارة عاشوراء دون غيره من كتب الحديث والزيارات، لورودها إلينا بسندٍ صحيحٍ كما سبق منا إثباته، ولما اتصف عهده من إنفراج ويسر على الشيعة بخلاف عصر من تقدّمه من المحدثين نظير الشيخ ابن قولويه القمي صاحب كتاب (كامل الزيارات) الذي لم يُذكر فيه لعن الأربعة على وجه الخصوص، وقد اكتفى باللعن العام على الظالمين كقوله: « **اللهم خُصَّ أول ظالمٍ ظلمَ آلَ نبيِّك ثم العن أعداءَ آلِ محمدٍ من الأولين والآخرين، اللهم العن يزيد..** » مع أنَّه صرَّح بإستحباب السلام على الإمام الحسين وأهل بيته

وأصحابه مئة مرة، والسر في ذلك شدّة التقية في عصر ابن قولويه رحمه الله التي أوجبت خفاء لعن المغتصبين الأربعة صريحاً، ويبدو أنَّ السلطات العباسية الحاكمة آنذاك كانت متشددة بمنع لعن الأربعة لمصالح سياسية مراعاةً لمشاعر البكريين والعمريين يومذاك، فاضطر ابن قولويه إخفاء التصريح بالأسماء وله أسوة بمن تقدَّمه من الأئمة الطاهرين والتابعين لهم بإحسان حيث عاشوا التقيّة في أقوالهم وأفعالهم حرصاً على الشيعة من إستيلاء حكام الجور عليهم فيؤدي ذلك إلى إستئصالهم وإبادتهم... ودعوى احتمال وقوع التحريف في نسخة الشيخ الطوسي ليس بأولى من وقوع التحريف في نسخة ابن قولويه القمي، فترجيح التحريف فيمن خفَّ عصره من عنصر التقيّة على من كثر العمل بها، خلاف الأصل، إذ الأولى بالحمل على التقيّة هو من كثر في زمنه العمل بها وبالتالي هو الأولى بإعتقاد وقوع الحذف من نسخته!!

(**الوجه الثاني**): القول بحصول زيادة على الزيارة يبقى مجرد دعوى لا دليل عليها سوى التخمين الذي لم يكن يوماً ما دليلاً عند علماء الشيعة منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا، بل ما قاله المشكّك المذكور ليس إلاَّ دعوى تبرعيَّة لا تنفع في مورد الإستدلال، والدعوى - كما هو واضح في الفقه القضائي - لا بدَّ لها من بيّنةٍ لما هو ثابتٌ شرعاً عنهم (صلوات ربي عليهم): « **البيّنة على المدَّعي واليمين على من أنكر** » وحيث لم يأتِ المشكك ببينةٍ على مدَّعاه فلا يجوز له ولأمثاله الإعتقاد بدعواه لكونه رجماً بالغيب وهو لا يغني من الحقّ شيئاً، ولو فسحنا لأنفسنا المجال وأطلقنا لها العنان بالعمل بدعواه لأدَّى ذلك إلى نفي الكثير من المطالب الفقهية والعلميّة بحجة أنَّ العلماء يحتملون زيادتها على الأخبار، وفي ذلك من المصائب العظمى على التشريع ما لا يخفى على متفقهٍ في حوزاتنا العلميَّة فضلاً عن عالمٍ فاضل أو فقيهٍ محصِّل..!!.

والحاصل: أنَّ دعواه المتقدِّمة مجرد إحتمال، وعند الإحتمال سقط الإستدلال!! ومتى كان الإحتمال سيّد المواقف العلميّة في الحوزات العلميّة الشيعيَّة!!؟؟ نعم الإحتمال صار اليوم سيِّد المواقف عند أنصاف العلماء المنحرفين، وهو ما كشفت

عنه أخبارنا الشريفة الحاكية عن المجتمع العلمائي في آخر الزمان المرتكز على القواعد المعتمدة عند المخالفين في عملية التشريع كالقياس والإستحسان والمصالح المرسلة وسدّ الذرائع..!!.

(**الوجه الثالث**): على فرض أنَّ نسخة ابن قولويه لم يقع عليها نسخٌ من قبل الرواة بل صدرت تقيّةً بما هي هي هكذا عن المعصوم عليه السلام فلا تعارض نسخة الطوسي رحمه الله لأنَّ ذلك من باب صدور ما كان مخفياً عنا لعوامل قسرية أدَّت إلى الإخفاء من المعصوم عليه السلام، فتكونُ نسخةُ الطوسي موضحةً لنسخة ابن قولوية القمي المحذوف منها التصريح بذكر الأسماء الأربعة وذلك بسبب عنصر التقية الشديد في عصر ابن قولويه رضي الله عنه، فيكون لعلقمة تكليفان: عام وخاص، فالعام هو التصريح بالأسماء، والخاص هو الإجمال بالتصريح حال التقية، فيدور الأمر بين الإجمال والتفصيل فيترجح التفصيل على الإجمال.

وبعبارةٍ أُخرى: إنَّ كلا النسختين صحيحتان بحمل الأولى على الإجمال، وبحمل الثانية على التفصيل، فما أُجمل في الأولى فقد فُصِّل في الثانية، فلا تعارض في البَين.

إنْ قيل: إننا نقدِّم نسخة (كامل الزيارات) على نسخة (مصباح المتهجد) لتعارضهما بسبب تكافئهما، فتقدَّم نسخة ابن قولويه لتقدمها زماناً على نسخة الطوسي المتأخر عن ابن قولوية...!.

قلنا: لا يصحُّ التقديم المذكور لعدم وجود تعارض في البين بسبب عدم تحقق شروط التعارض هنا إذ ليس ثمة سلب وإيجاب في كلا النسختين، فليستا من قبيل "إفعل ولا تفعل" أو "إلعن ولا تلعن" فلم يرد نهيٌّ في نسخة ابن قولويه حتى يدَّعى وجود تعارض بينهما، بل كلُّ ما في الأمر أنَّ واحدة تثبت اللعن للأول والثاني والثالث والرابع بشكلٍ صريحٍ، والأخرى لم تصرِّح به بل أجملت وأبهمت، وعدم التصريح أعمّ من النفي، بل المقام من موارد المجمل والمبيَّن والمفصّل، فيرجع فيه حينئذٍ إلى قواعد التفصيل وليس إلى قواعد الترجيح في هذا المورد بالذات..

فالنسختان مبنيتان على تعدد الروايات وإختلافهما في بعض ألفاظهما فقط..

(**الوجه الرابع**): لقد اعترف السيّد فضل الله بأنَّ الزيارة ثابتة عنهم عليهم السلام لكنَّ ذيلها موضوعٌ ومزيّفٌ، فقد فَصَل بين الصدر والذيل، فأفتى بصحة الصدر دون الذيل، وهو فصلٌ من دون دليلٍ ظاهرٍ، وما الذي دعاه إلى القول بصحة صدرها دون ذيلها مع أن الذي أثبتها هو سندٌ واحدٌ ثبت فيه فقرات هذه الزيارة جمعياً؟؟!!

بما تقدَّم يتضح زيف ما إدَّعاه المشكّك وأنَّه لا قيمة له في سوق العلم ودون إثباته خرط القتادة...

تشكيكٌ آخر لاقيمة له:

ثمة محاولة تشكيكيَّة أخرى رديفٌ للأول قام به نصيرٌ للمشكّك الأكبر معتمداً على وجوهٍ تبرعيّة كما فعل سلفه محرّفاً الأمور بكلّ جرأةٍ دون وجلٍ أو حياءٍ، بل غاية مناه هو رضا هواه وصاحب نعمته، وها نحن نذكر الوجوه المضطربة التي اعتمدها الشيخ حسين الراضي العبد الله صاحب كتاب زيارة عاشوراء في الميزان مع الإيراد عليها:

(**الوجه الأول**): دعواه في ص٢٥ بأنَّ اللعن الوارد في ذيل الزيارة مزوَّرٌ بدليل أنَّ ابن طاووس نقل زيارة عاشوراء من كتاب المصباح للطوسي وليس فيه اللعن مئة مرة وها هي عبارته: " **إنَّ أول من اكتشف التزوير في متن زيارة عاشوراء هو السيد ابن طاووس المتوفى ٦٦٤ حيث نقل زيارة عاشوراء من كتاب مصباح المتهجد الكبير للشيخ الطوسي وذكر أن لديه نسخة من هذا الكتاب مقابلة مع نفس نسخة الشيخ الطوسي وبخطه وفي هذه النسخة تنتهي الزيارة بكلمة (اللهم العن أبا سفيان) ولا يوجد فيها الفصلان المكرران مئة مرة وما بعدهما...** ".

يورد عليه:

أولاً: فتشنا كتاب الإقبال للسيّد ابن طاووس بدقة فلم نعثر على ما إدَّعاه هذا المشكّك على السيّد ابن طاووس، مما يستلزم القول بأنّه حرف الدعوى على ابن طاووس، وعلى فرض وجود هكذا عبارة لابن طاووس في نسخةٍ قديمةٍ لم يذكرها

لنا، فلا يكون ذلك حجةً شرعيَّةً له ولا لغيره ممن يقرأ له، وذلك لدوران الأمر بين كلام ابن طاووس وبين ما هو مكتوب ومنصوص عليه في مصنفات الطوسي كالمصباح، لانَّ قول ابن طاووس إحتمال أو ظن على أبعد تقدير، وما هو مكتوب في المصباح قطعٌ ويقين، ولا يجوز تقديم الإحتمال أو الظن على القطع واليقين، وما قلنا لا يخفى على مبتدأ في طلب العلم، فالغريب والعجيب من هذا المدّعي كيف تخفى عليه أبسط معلومة في أصول الفقه الجعفري والبكري أيضاً، وقد طفح كتابه بعبارات ينسب بها نفسه إلى التحقيق وإبداء الرأي؟؟!!

ثانياً: لعلَّ النسخة التي إعتمدها ابن طاووس - على فرض أنَّه صحيح - هي المزوّرة وليست المشهورة بين الشيعة منذ مئات السنين إلى يومنا هذا، فترجيح تلك على ما تعارف عليه عند الشيعة بحاجةٍ إلى قرينة قطعيّةٍ أو دليلٍ لا يشوبه ريب أو شكٌ، فترجيح قول ابن طاووس على قول المشهور شهرةً عظيمة يعتبر ترجيحاً بلا مرجحٍ، بل هو ترجيحٌ لقول المفضول على الفاضل وهو قبيحٌ عقلاً ونقلاً، وإسائة ظنٍ بأكابر علماء الطائفة من أجل دعوى واحدة غير معلومة المصدر ولا قطعية الصدور عن ابن طاووس، وعلى فرض صحة دعوى ابن طاووس فلا تخرج عن إطار الدعوى التي يحتاج إثباتها إلى دليلٍ قطعيٍّ وهو مفقودٌ في البين.

والعجب من هذا المدَّعي كيف يعتمد على قول ابن طاووس في دعواه في حين أنَّ هذا المشكّك ينفي دعوى عالمين جليلين من علماء الطائفة المحقّة - وهما الشهيد الشيخ نور الله التستري وسيّد الطائفة السيّد محمّد مهدي بحر العلوم - في إثبات ما جرى على شيخ الطائفة الطوسي (أعلى الله مقامه) من سلطان زمانه بسبب إثباته لعن المغتصبين الأربعة (لعنهم الله تعالى) حينما استدعاه الحاكم للمحاسبة، فقام الشيخ الطوسي بتأويل ألفاظ اللعن مستعملاً التورية في صرف اللفظ عن معناه الظاهر فيه، وما جرى على الطوسي قرينة على صحة ما في كتابه المصباح وإلاَّ فمن البعيد جداً إتهامه بلعن المغتصبين من دون أن يكون ذلك مثبتاً في كتابه، فتشكيك هذا المدَّعي بأصل القصة ناعتاً لها بكونها مرسلة مع أنَّ الراوي لها عن العامة ثلة من

علماء الإماميّة، وكونها في مصادر المخالفين لا يقدح في صحتها للقاعدة المعمول بها عند الإماميّة في تمييز الأحاديث الصحيحة عن السقيمة وهي: " **الفضل بما شهدت به الأعداء** " فلو لم يكن اللعن مثبتاً لما اجاز الطوسي لنفسه إستعمال التورية في صرف ألفاظها، ولما أمكن العامة الإدّعاء على الطوسي عند الحاكم، ولو لم تكن دعواهم حقيقية عليه رحمه الله لترتب الضرر عليهم لكون الدعوى غير صحيحة، فنقل الحكاية عن بعض المخالفين لا يضر بصحتها كشاهدٍ ومؤيدٍ، فالتهويل على القضيّة لإثبات المدَّعى لا يجدي نفعاً في المقام.

(**الوجه الثاني**): تضعيفه لسند الزيارة من دون دراية لعلم الحديث، معتمداً على تضعيفات ابن الغضائري الذي لا يعوّل عليه علماء الطائفة لكثرة تشكيكاته في أسانيد الرجال حتى الصحيح منها، والحقُّ ما أجاد به يراع بعض الأكابر بأنَّ تضعيف ابن الغضائري توثيقٌ، بمعنى أنَّ كلَّ تضعيفٍ صادرٍ من ابن الغضائري هو بمثابة التوثيق على طريقة قولهم: " **الرشد فيما خالف العامة** " فالرشد في مخالفة ابن الغضائري، وقد تبنَّى المدّعي آراء ابن الغضائري في التضعيف لغاية واضحة لدى الخط التشكيكي على الساحة الشيعية، ويشهد لما قلنا أنَّه نصح في هامش كتابه ص٥١ بقرائة مقدمة (صحيح الكافي) للبهبودي و(مقدمة الرجال) لابن الغضائري، وكلا الكتابين محشوان بالتضعيفات الركيكة المتسالم على صحتها لدى علماء الرجال حيث لم يعتنوا بها ولم يركنوا إليها، مما ينبىء عن حال هذا المشكّك وأنَّه يروم إثبات تضعيف زيارة عاشوراء سنداً ودلالةً تكذيباً لأمر الأئمة الطاهرين عليهم السلام وتقرُّباً للمخالفين، عسى أن تناله الحظوة عندهم فيشفقون عليه ببعض الحطام الزائل، مع أنَّ الزيارة المطهّرة في غاية القوة حسبما أسلفنا في الفصول المتقدِّمة فراجع...

وبالغض عن كلِّ ذلك فإنَّ السيّد المحقق الخوئي رحمه الله نقل عن بعض العلماء جزمهم بتلفيق كتاب الرجال على ابن الغضائري مدّعين أنَّه من صنع المخالفين ليشككوا بالأخبار المروية عن أهل البيت عليهم السلام من خلال التشكيك برجال الأسانيد،

وقد تبنَّى السيِّد أبو القاسم الخوئي نظرية عدم كون الكتاب لابن الغضائري قال رحمه الله في كتابه (معجم رجال الحديث) الفصل الثالث/ المقدمة السادسة: « **وأما الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري فهو لم يثبت ولم يتعرض له العلاّمة في إجازاته وذكر طرقه إلى الكتب، بل إنّ وجود هذا الكتاب في زمان النجاشي والشيخ أيضاً مشكوك فيه، فإنَّ النجاشي لم يتعرض له مع أنَّه قدس سره بصدد بيان الكتب التي صنَّفها الإماميّة حتى أنَّه يذكر ما لم يره من الكتب وإنَّما سمعه من غيره أو رآه في كتابه فكيف لا يذكر كتاب شيخه الحسين بن عبيد الله أو إبنه أحمد.. والمتحصل من ذلك: أنَّ الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري لم يثبت بل جزم بعضهم بأنَّه موضوع، وضعه بعض المخالفين ونسبه إلى ابن الغضائري...** » انتهى موضع كلامه.

ولو سلَّمنا جدلاً بكون الكتاب لان الغضائري حقيقةً فلا اعتداد به وبما ذهب إليه ابن الغضائري لكثرة تضعيفاته كما ذكرنا سابقاً، من هنا لم يعتدَّ أكثر فقهاء الإماميّة بكلامه، ولهم بذلك كلمات عريضة بحقّه، منها ما ورد عن العلامة الجليل السيّد محسن الأمين العاملي في (أعيان الشيعة) قال رحمه الله: « **وابن الغضائري حاله معلوم في أنَّه يضعف بكلّ شيء ولم يسلم منه أحد فلا يعتمد على تضعيفه..** ».

وقال المير الداماد في (الرواشح السماوية): « **..ثمّ إنَّ أحمد بن الحسين بن الغضائري صاحب كتاب الرجال هذا.. في الأكثر مسارع إلى التضعيف بأدنى سبب** ».

ونقل المامقاني في (تنقيح المقال) عن العلاَّمة المجلسي الأول قال: « **وأنت خبير بأنَّ ابن الغضائري لم يكن له معرفة بفحول أصحابنا وبجرحهم..** ».

وقال المجلسي الثاني: « **الإعتماد على هذا الكتاب - أي كتاب ابن الغضائري - يوجب ردّ أكثر أخبار الكتب المشهورة..** ».

وقال الوحيد البهبهاني: « **قلَّ أن يسلم أحدٌ من جرحه أو ينجو ثقةٌ من قدحه!! وجرح أعاظم الثقات وأجلاّء الرواة الذين لا يناسبهم ذلك، وهذا يشير إلى عدم تحقيقه حال الرجال كما هو حقّه أو كون أكثر ما يعتقده جرحاً ليس في الحقيقة جرحاً... وبالجملة لا شك في أنّ ملاحظة حاله توهن الوثوق بمقاله..** ».

إلى آخر ما هنالك من إنتقادات لاذعة لابن الغضائري والحقّ معهم في ذلك لما يترتب على السكوت عنه من توهين للاخبار الكثيرة جداً التي وهنَّها وردّها من أساسها، فأيُّ قيمةٍ حينئذٍ لجرحه وتعديله وهو بهذه الحال المزرية من الجهل بأحوال الرواة الثقات، والمشكّك الذي اعتمد على ابن الغضائري وسار على منهاجه مثله في التهور والجهل على فرض أنَّ الكتاب له، والأعجب من ذلك فإنَّه لم يتوافق مع السّيد الخوئي رحمه الله لكونه طعن على كتاب ابن الغضائري مدعياً في ص٥١ من كتابه: " **بأنّ أكثر تلك الطعون كان منشأها أغراض غير نزيهة** ".

ولا يخفى ما في دعواه من العُجب ومجافاة الحقيقة، فإنَّ من لم تُقنعه تلكم العبارات العظيمة الصادرة من أكابر علماء الرجال فكيف يُستشهد بمثلهم كالنجاشي والحلي والصدوق وابن الوليد حتى أنّه استشهد بكلمات السّيد الخوئي في تضعيفه لبعض الرجال الواقعين في سند الزيارة، بل أنّه أخذ كالببغاء بكثيرٍ من آراء الخوئي في مطاوي كتابه باعتبارها تصبُّ في خانته كمشكّكٍ من الطراز الأول، كلّ ذلك جائز في بعض الأحيان إذا كان يصبُّ في مصلحته ويقوّي من تضعيفه للزيارة مما يعني أنَّ هذا الصنف من الناس يعملون بالقاعدة العمرية: " الغاية تبرر الوسيلة ".. ومن كان على النهج العمري لا خير فيه ولا في آرائه، « **فإنَّ من ركب من القبايح والفواحش مراكب علماء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة، وإنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنَّا أهل البيت لذلك لأنَّ الفسقة يتحمَّلون عنّا فيحرفونه بأسره لجهلهم ويضعون الأشياء على غير وجهها لقلة معرفتهم وآخرون يتعمدون الكذب علينا** » على حدّ تعبير مولانا الإمام العسكري عليه السلام..

والخلاصة: فإنَّ هذا المدّعي يأخذ من هنا ضغث ومن هناك ضغث لإثبات ما يروم إليه، وهذا في الواقع من الطرق الملتوية في تدعيم المطالب والأهداف ويندرج صاحبها في خانة المستحسنين الذين يعملون بالتظنّي والرأي المنهيّ عنه في أخبارنا المتواترة..!!

(**الوجه الثالث**): دعواه بأنَّ سند زيارة عاشوراء لا تدخل في الأسانيد المتواترة

أي لا تدخل في السنّة المتواترة على حدّ تعبيره، وأنَّ من لا يقول بها لا يخرج عن مذهب أهل البيت عليهم السلام بل لا يزال في دائرة الإسلام والإيمان بمذهب أهل البيت عليهم السلام. (زيارة عاشوراء في الميزان ص ٣٧) .

وخلاصة ما ذهب إليه أنَّ الزيارة ضعيفة سنداً لكونها لم تصل إلى حدِّ التواتر...

يورد عليه:

أولاً: إنَّ حصره حجيّة الخبر بالمتواتر غريبة من نوعها في أوساطنا العلميّة، بل نكاد نجزم بمخالفتها لصريح السنَّة النبوية القائمة على الأخذ بالخبر الواحد الثقة أو ما قامت عليه القرينة، فأغلب فقهنا نحن الشيعة الإماميّة - ووافقنا عليه العامة - قائمٌ على الخبر الواحد الذي دل الدليل القطعي الثبوت على الأخذ به وحرمة مخالفته، فأدلة حجيَّة الخبر ليست خاصة بالخبر المتواتر - كما لا يخفى على المحصِّلين من العلماء - بل هي عامة تشمل الخبر المظنون الدلالة والسند، وذلك للإطلاقات والعمومات والسيرة الدالة على حجيّة الخبر المظنون الصدور الذي قامت القرائن على صحته، ويعبَّر عنه بالظن المعتبر شرعاً وعرفاً، فحصر الحجيّة بالمتواتر خلاف أدلة الحجيّة..!! من هنا ذهب إلى ما قلنا عامة فقهاء الإماميَّة بلا منازع، والخارج عن إجماعهم شاذٌ لا يُعتدَّ به بل ثمة إشكالٌ في إيمانه وإسلامه أيضاً باعتباره أنكر ضرورةً دينية قطعيّة عن سابق تصوّر وهو طرح الأخبار الظنية الصدور - فضلاً عن القطعية - ما دامت الأخبار الظنية لم تصل إلى درجة التواتر، وقد نهت أخبارنا الشريفة عن ردِّ الخبر المظنونَ الصدور عنهم، لأن ذلك إنكار يستلزم إنكار ما نزل على سيّد الرسل أبي القاسم محمَّد صلى الله عليه وآله..!!.

ثانياً: الإقتصار على الخبر المتواتر دون سواه من أقسام الخبر يستلزم طرح بقيّة الأخبار التي لم تصل إلى درجة التواتر كالخبر الثقة والمستفيض بل والضعيف المتوافق مع الكتاب والسنّة الشريفة، وفي ذلك طرحٌ لمئات بل آلاف الأخبار الدالة على أحكام الدين والفرائض والسنن وما شابه ذلك، وهذا يؤدي إلى محق الدين وإبطال شريعة سيّد المرسلين وآله الطاهرين عليهم السلام..!!.

ثالثاً: ولو سلَّمنا جدلاً بأنَّ سند الزيارة ضعيفٌ ولا إعتداد بالخبر الضعيف كما يزعم، لكننا نحتمل كونه صادراً من عند أهل البيت عليهم السلام، وقد دلت الأخبار الصحيحة بحرمة طرح الخبر المنسوب إليهم إذا لم يخالف الكتاب الكريم، فقد جاء في صحيحة أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: « **والله إنَّ أحبَّ أصحابي إليَّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإنَّ أسوأَهم عندي حالاً وأَمقتهم للذي إذا سمع الحديث يُنسَب إلينا ويروى عنَّا فلم يقبله إشمأز منه وجحده وكفَّر من دان به وهو لا يدري لعلَّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أُسند فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا** ». (أصول الكافي ج٢ ص٢٢٣).

وما ورد في صحيحة جابر عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **...وإنَّما الهالك أَنْ يحدَّثَ أحدُكم بشيءٍ منه لا يحتمله، فيقول: والله ما كان هذا والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر** ». (أصول الكافي ج١ ص٤٠١).

وما ورد في التوقيع عنه عليه السلام قال: « **... فإنَّه لا عذر لأحدٍ من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنَّا ثقاتنا، قد عرفوا بأنَّا نفاوضهم سرَّنا ونحملهم إيَّاه إليهم** ». (الوسائل باب القضاء ص١٠٩).

وفي المستفيض عنهم أيضاً قالوا: « **أعرفوا منازل الرجال منَّا على قدر رواياتهم عنّا** ». (الوسائل باب القضاء ص١٠٨).

فلو كان هذا المدّعي من أهل الدراية بالأحاديث والفقه لما كان طرح هذه الأخبار وعمل برأيه المقابل للنصوص الصادرة عنهم عليهم السلام...!!؟؟

(**الوجه الرابع**): تمسكه بحديثٍ عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال: « **في كلّ خلفٍ من أمتي عدلٌ من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين..** ». مدَّعياً بأنَّ من أبرز تحريفات الغالين هو الأدعية والزيارات، ومنها زيارة عاشوراء التي هي من أبرز مصاديق الغلو بالأئمة الطاهرين عليهم السلام...

يورد عليه:

إنَّ هذا الرجل لا يعي ما يقول ولا أظنه يحسن تعريف المفهوم اللفظي للغلو، ولو كان يحسن التعريف لما أقحم نفسه في شيءٍ ضاقت عليه سُبُلُه، وكيف يحسن ذلك وقد جعل زيارة عاشوراء من مصاديق الغلو مع أنَّه ليس فيها شيءٌ من إدِّعاء الألوهيَّة لأهل البيتعليهم السلام لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، لأنَّ معنى الغلو إصطلاحاً هو إخراج أهل البيتعليهم السلام عن حدّ البشرية وإدخالهم في حدّ الألوهيّة وأين هذا من زيارة عاشوراء يا حضرة العلامة الفهّامة؟؟!! إذ ليس فيها سوى السلام على أهل البيتعليهم السلام وذكر فضائلهم ولعن ظالميهم!! اللهم إلاَّ أن يريد بالغلو المعنى الإستنسابي الذي يؤمن به دعاة الوحدة بين الحقّ والباطل، وهذا المعنى هو نشر فضائلهم والبرائة من أعدائهم، إذ إنّ كلَّ ذلك يعتبر عند هؤلاء غلواً يجب محوه من قاموس الزيارات، هكذا أرادت الوحدة للشيعة أن يكونوا، والذي يبدو لي أنَّ المدَّعي هو أحد عناصرها، من هنا يريد أن يلغي الزيارة من أساسها بإلقاء لواقح الشبهات حولها لينسخها من نفوس المؤمنين بها لأنَّ عبارات اللعن تقضُّ مضاجعهم وتنغّص عليهم عيشهم، لذا ليس بمقدورهم الوقوف مكتوفي الأيدي إتجاهها فلا بدّ حينئذٍ من طريقة سلسة تسهّل عليهم إطراحها من قاموس السنن الإلهيَّة، وأفضل شيء في ذلك هو التشكيك، والمؤسس لهذا هو السيّد فضل الله الداعي في كتابه (تأملات في آفاق الإمام الكاظمعليه السلام) ص١١ إلى " **تجديد مضمون الزيارات المرسومة للنبيّ والأئمةعليهم السلام باعتبار حاجة المرحلة المعاصرة إلى تربية الأمة على المفاهيم الإسلامية التي تفرضها الحركة الإسلامية العالمية..** " وليس الأمر كما يظنون ويحلمون ما دام أمر الإمام الحسينعليه السلام بيد الله تعالى يرفعه إلى أعلى عليين رغم أنوف المعاندين والمنافقين: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ ﴾ الأَنبيَاءِ.. ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ الشُّعَرَاءِ، ﴿ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣ ﴾ القَصَصِ.

(**الوجه الخامس**): تمسُّك المدَّعي لتضعيف زيارة عاشوراء بأمرين، أحدهما أنَّها داخلة في موضوع العقائد المطلوب فيها القطع واليقين، وحيث إنَّ الخبر الواحد

لا يوجب العلم واليقين فلا يجوز البناء على زيارة عاشوراء لكونها رويت بواسطة الخبر الواحد الخالي من العلم، وثانيهما بأنَّ زيارة عاشوراء مروية بواسطة الخبر الواحد، ولا يجوز العمل بالخبر الواحد الذي لا يفيد العلم كما هو مذهب السيّد المرتضى رحمه الله.

يرد على الدعوى الأولى:

لست أدري من أين حصل له العلم بدخولها في أصول العقائد؟! مع أنَّ متنها صريحٌ بالسلام على صاحبها وجدّه وأبيه وأمه وأخيه وبوجوب البرائة من أعدائهم ووجوب موالاة أوليائهم ولعن الظالمين له ولآبائه الطاهرين عليهم السلام.. إلخ، وهذه أمورٌ داخلة في الفروع ويبحث فيها في ابواب الفقه الإستدلالي ولا علاقة لها بأصول العقيدة بشكلٍ مباشرٍ نعم إنَّها تصبُّ في خانة العقيدة كغيرها من مسائل الفقه الذي له علاقة وطيدة بالأصول الإعتقادية، وهو أمرٌ آخر يختلف بطبيعته عن الأمور الفقهيّة، وعلى فرض كونها داخلة في الإعتقادات بالرغم من ضعف سندها - بحسب دعوى هذا المفتري - فإنَّه مجبورٌ بالقرائن والشواهد الكثيرة من الكتاب والسنَّة الشريفة، وبالتالي يجب الأخذ بها والعمل بمضمونها عند عامة فقهاء الإماميّة حتى على مبنى السيِّد المرتضى الذي استند المدّعي على دعواه من دون دراية لما اعتقده المرتضى رحمه الله ودون أن يلتفت إلى شروط العمل بالخبر على مذاق المرتضى..!!

ويرد على الدعوى الثانية :

إنَّ السيّد المرتضى رحمه الله يحرِّم العمل بالخبر الواحد الذي لا يفيد العلم، ويقتصر على الخبر المتواتر والخبر الذي قامت القرينة على صحته لأنَّ الروايات - بحسب دعواه رحمه الله - الناهية عن العمل بالخبر الذي لم يُعلم صدوره عن المعصوم عليهم السلام إلاَّ إذا اقترن بقرينة معتبرة من القرآن أو السنَّة القطعيّة، ومن القرائن المعتبرة عنده هو خبر الثقة الإمامي باعتبار أنَّ العمل على وفقه هو من نوع الأخذ بالعلم، وذلك لثبوت

مشروعيته بالدليل القطعي، والأخذُ به في الحقيقة أخذٌ بدليله وهو من نوعُ العلم فلا يكون من غير العلم الذي نهى القرآن الكريم عنه... وزيارة عاشوراء صحيحة على مسلك المرتضى من حيثيتين مهمتَّين:

إحداهما: وثاقة رواتها باعتبار كونهم إماميين، **وثانيهما**: حيثية قيام القرائن المتعددة من الكتاب والسنَّة القطعية على صحتها ومتانتها، وكلُّ ذلك يفيد العلم بنظر السيّد المرتضى رحمه الله، وأما على مسلك المشهور فإنَّهم اشترطوا وثاقة المخبر للأخذ بخبره تعبداً حتى لو لم يفد القطع واليقين بل يكفي إفادته الظن المعتبر الذي قام الدليل على حجيته، وحيث إنَّ زيارة عاشوراء صحيحة سنداً ودلالةً بنظر المشهور فلا يشترط عندهم قيام القرائن للتدليل على صحتها بل هي صحيحة لمجرد كونها مروية بسندٍ صحيحٍ، من هنا سمّوها بزيارة عاشوراء المشهورة، وعدم إشتراطهم قيام القرائن على صحة الخبر لا يستلزم حرمة العمل بالقرائن إن توفرت للتدليل على قوة الخبر وصحته، فحيث إنَّها صحيحة سنداً بنظرهم، وحيث إنّها مما قامت القرائنُ على صحتها، فيحرم طرحها لإستلزام ذلك ردّ الخبر الواصل إليهم من طرف الأئمة الطاهرين عليهم السلام، بل إنَّ نفس عملهم بها يوجب تقويتها، على فرض كان سندها ضعيفاً لأنَّ نفس العمل بها قرينة لبيّة على صحتها واعتبارها، فتأمل جيداً.

(**الوجه السادس**): دعواه على تضعيف الزيارة بأنَّ جميع المصادر الأساسيّة للزيارات ليس فيها عبارات اللعن الموجودة في ذيل الزيارة إلاَّ ما جاء في نسخة الطوسي مما يقتضي الإعتقاد - بحسب دعواه - إلى كونها مزوَّرة ومحرَّفة.

يورد عليه الأمور الآتية:

أولاً: إنَّ عدم وجود لعن المغتصبين الأربعة في ذيلها في بقية المصادر لا يعني بالضرورة أنَّها ملفقة ومزوَّرة، ولا ريب في أنَّ أصحاب هذه المصادر لم يصرِّحوا باللعن المذيَّل في آخرها تقيَّةً خوفاً من القتل أو ما شابه ذلك، ويشهد لهذا ما جرى على نفس الشيخ الطوسي (أعلى الله مقامه) من طاغية زمانه بسبب إثباته للعن

الأربعة في كتابه المصباح، أبعد هذا يريدُ المشكّكُ من هؤلاء الأعلام أنْ يثبتوا اللعن المذكور الذي لو قُدّر لهم وأثبتوه في كتبهم لما بقي واحدٌ منهم على وجه الأرض؟! وكأنَّ المشكّكَ أراد للتقيّة أن ترتفعَ من شريعة سيّد الرسل ﷺ في عهود أولئك الأعلام، وكأنَّه لم تمر عليه آية إتقاء عمار بن ياسر: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ.. ﴿١٠٦﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ، وقوله تعالى مخاطباً عامة المؤمنين الذين قد تلجأهم الضرورة لإخفاء عقيدتهم: ﴿ ..إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً .. ﴿٢٨﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وكذلك الأخبار الكثيرة الدالة على وجوب التقيّة في حالات الخطر والخوف على العرض والنفس ففي صحيحة زرارة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **التقيّة من ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقيّة له** » وقوله أيضاً: « **التقيّة في كلّ ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به** » ونحن نحيل هذا المدّعي إلى ج٢ من (أصول الكافي) باب التقية، ليتفقه في دينه، اللهمّ إلاَّ إذا كان أيضاً غير مؤمنٍ بأخبار التقّية لكونها غير مرضية عند المخالفين وهو لا يريد إزعاجهم ومشاكستهم لكونهم إخوانه وأحباءه يموت معهم ويحشر إن شاء الله معهم..!!

ثانياً: لو فرضنا عدم القول بالتقيّة في هذا المورد لأمكننا الإعتقاد بكون نسخة الشيخ الطوسي كاشفةً أو مبيِّنةً لما كان مخفياً في النسخ المتقدّمة على نسخته رحمه الله، فتدخل في باب توضيح المجمل وتبيين المبهم كما هو دارج في الكتاب والسنَّة الشريفة إذ ثمّة كثيرٌ من الأخبار أو الآيات مبهمة أو مجملة فيأتي خبرٌ آخر فيوضّح ما كان مجملاً أو مبهماً، وسبب الإجمال أو الإهمال في الأخبار مردُّه التقيّة أو عدم وجود قابلية للتلقي الخاص، والفقيه المتمرّس في عملية الإستنباط يُبتلى بالأخبار المجملة فيحكم على ضوئها بحكمٍ معينٍ ثمَّ بعد فترةٍ يهتدي إلى خبرٍ معتبرٍ موضّحٍ أو مبيِّنٍ أو مفسرٍ لتلكم الكليات والمجملات، فعلام التشويش - إذاً - يا علاّمة الزمان؟!

وبعبارةٍ أخرى: إنَّ السبب في عدم توفر المصادر الأخرى إلى القرن الرابع الهجري وعلى وجه الخصوص أيام الشيخ الكبير الطوسي رضي الله عنه هو عنصر التقيَّة الشديدة التي كابدها علماء الإماميَّة يومذاك إلى أن سهَّل الله عزَّ ذكره لشيخ الطائفة (أعلى الله

مقامه) أن يظهر للملأ بعض الحقائق المخفيَّة والمطموسة كما هيأ الله تعالى على يديه المباركتين إظهار مظلوميَّة الصدِّيقة الشهيدة سيِّدة النساء الزهراء البتول عليها السلام لا سيَّما قضيّة كسر ضلعها الشريف بفعل ضغطة عمر بن الخطّاب (لعنه الله تعالى) للباب عليها فغرز مسمار الباب في صدرها الشريف، وقد أفصح عن تلكم الظلامة في زيارة لها رواها في (التهذيب) لكنَّ يد التحريف حذفتها منه في النسخ الجديدة، فهو رحمه الله أول من أظهر في باب الزيارات تلك الظلامة من غير التابعين من صحابة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وعلى وجه التأكيد بعد سليم بن قيس رضي الله عنه وإلاَّ فإنَّ الشيخ الصدوق قد سبقه في ذكر الظلامة في كتابه (الأمالي) كما سبقه الفقيه أبي الفضل شاذان القمي في كتابه (مناقب الإمام عليّ عليه السلام)، فالسؤال حينئذٍ عن تفرُّد الشيخ الطوسي بذكر لعن الأربعة دون غيره ممن أثبتوا زيارة عاشوراء في كتبهم، هو في الواقع كالسؤال عن السبب في تفرُّد سليم بن قيس بذكر قضية كسر الضلع الشريف وغيره من الظلامات دون سائر التابعين من صحابة أمير المؤمنين أبي الحسن عليه السلام، وكتفرُّد ابن شاذان القمي عن سائر علماء عصره ممن كتبوا عن ظلامات سيّدة النساء الزهراء عليها السلام، فعدم بيان الظلامة في بعض المصادر لا يعني بالضرورة نفيها وعدم وقوعها، بل لوجود أسباب منعتهم من ذلك، فما يُجاب عن هؤلاء، يُجاب أيضاً بنفس الجواب عن الشيخ الطوسي رحمه الله، فالظروف الملائمة التي سمحت لابن شاذان أن يظهر تلك الرواية الدالة على كسر ضلع سيِّدة النساء عليها السلام هي بعينها التي سمحت للشيخ الطوسي أنْ يُظهر نسخة عاشوراء المثبت فيها لعن الأربعة، ولا يجوز نعت نسخته بالتلفيق والتزوير لأنَّ ذلك ينسحب على كتاب ابن شاذان الذي تفرد برواية كسر الضلع، أو ينسحب على كلِّ كتاب تفرد بروايةٍ ما مع كونها تامة الشرائط، وهذا الأمر يؤدي إلى نسف عشرات المصادر الحديثية التي تفردّت بنقل الأخبار الصحيحة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

وبالجملة: إنَّ نسف نسخة الشيخ الطوسي لأجل ذيلها يبقى مجرد إحتمال ووهم عند المدّعي وهو أمرٌ يخالفُ الدليلَ القطعيّ الذي طالما تشدق به هذا المفتري في

كتابه، فأين الدليل القطعي على مدَّعاه؟! لا دليل وإنَّما يسلّي نفسه بالدليلية مع أنَّها مجرد هراء لا واقع علمي له ولا شاهد يدعمه، مضافاً إلى ذلك فإنَّ اللعن الذي أثار حفيظته هو السبب الذي دعاه إلى طرحها من أساسها، فما باله في النسخ الأخرى التي أقر بصحتها فإنَّ اللعن بشكلٍ عامٍ لا يزال موجوداً فيها، فها هي نسخة زيارة عاشوراء في كتاب (كامل الزيارات) قد أُثبت فيها لعن من ظلم آل البيت عليهم السلام –وعلى وجه الخصوص – لعن الأول الظالم لهم نظير قوله عليه السلام تقول مئة مرة: «**اللهمَّ العن أول ظالمٍ ظلم حقَّ محمَّد وآل محمّد وآخر تابعٍ له على ذلك...**» ثمّ في موضعٍ آخر يقول عليه السلام تقول مرة واحدة: «**اللهم خُصّ أنت أول ظالمٍ ظلم آل نبيك ثم العن أعداء آل محمّد من الأولين والآخرين...**» فمن المعلوم الذي لم ينكره إلاَّ مكابرٍ ومتعنتٍ ظالمٍ أنَّ أولَ ظالمٍ لهم (صلوات ربي عليهم) هما أبو بكرٍ وعمر اللذان سنّا الظلم على رسول الله محمَّد وآله الطاهرين عليهم السلام، فإن كان هذا المدّعي يؤمن كما نؤمن بأنّ أبا بكر وعمر هما أول من ظلما النبيّ وعترته فما عليه إلاَّ الرضوخ أمام الحقّ والإعتراف بصحة لعنهما، وإن لم يؤمن بذلك فلا بدّ من الإعتقاد بكفره لجحوده ظلم هذين الرجلين لأهل البيت عليهم السلام، كما أنَّ الإعتراف ببقيّة النسخ المثبت فيها لعن هؤلاء النواصب يجب أن يأخذ بعنقه للإعتراف بصحة اللعن المثبت في نسخة الطوسي وإلاَّ فيتعين عليه حينئذٍ إنكار كلّ الزيارات المثبت فيها اللعن الخاص والعام، ويظهر أنّ هذا المفتري لا يؤمن بجميع الزيارات التي فيها مقاطع اللعن، بل لعلّه لا يؤمن حتى بالأخبار التي صرَّحت بلعن هؤلاء الكفرة الظلمة، وهذه مشكلته يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ... وبما تقدَّم يتضح بأنَّ نسخة الشيخ الطوسي رحمه الله ليست متعارضة مع سائر النسخ التي لم يثبت فيها لعن الأربعة صريحاً لعدم تحقق شروط التعارض فيهما بل هي مؤسِسَة للعن بمفردها – بناءً على أنَّ سائر النسخ حذف منها اللعن تقيّةً – وبالتالي تكون زيارة عاشوراء متعددة الوجوه، واحدة تصرّح بلعن الأربعة، والأخريات لا تصريح فيها، فجميع هذه النسخ على قاعدة:

" عباراتُنا شتى وحُسْنُكَ واحدٌ، وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشيرُ ".. هذا ما أحببنا إيراده بإختصارٍ على ذاك المفتري على أخبار أهل البيتعليهم السلام، ولنا صولات وجولات أخرى وبالتفصيل الدقيق إن شاءت القدرة الإلهيّة ذلك: ﴿ ..وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.. والحمد لله ربّ العالمين.

الفصل الخامس

شرح فقرات زيارة عاشوراء الشريفة

﴿ السّلام عَلَيْكَ يَا أبَا عَبْدِ اللهِ ﴾

البحث في هذه الفقرة الشريفة يتناول مفهومَيْن مهمين:

الأوّل: معنى السَّلام.

الثاني: معنى قوله عليه السلام: يا أبا عبد الله.

الأمر الأوّل:

السَّلام مصدر ومنه اشتُقَّ السِّلْمُ والسَّلَمُ والتسليم، وللفظ السَّلام معانٍ متعدِّدة منها:

(١) إنه بمعنى السَّلامة أي التعرِّي من الآفات الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، أي مُتَعَرٍّ من الدَّغل وبقيّة الصفات النفسانيّة الذميمة.

فخلوّ القلب من الآفات والنقائص والمعايب يدخل في مفهوم القلب السليم الذي تَحَدَّثَتْ عنه الآيات والأخبار، فكلُّ قَلْبٍ تعرّى من الآفات الباطنية هو قَلْبٌ سليمٌ، هذا من ناحية الباطن، وأمّا من ناحية الظاهر فيُقال للبدن الخالي من المرض: بدنٌ سليم، وإذا خلا من المعايب الخارجيّة قيل عنه بأنه مُسَلَّمٌ، من هنا ورد في التنزيل قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا.. ﴿٧١﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، فقوله: ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ أي: بريئة من العيوب.

وقال تعالى مشيراً إلى التعرّي عن النقائص الظاهرية بقولهﷻ: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحِجْرِ، أي: بسلامةٍ جسديّةٍ تامّةٍ خاليةٍ من الأمراض والآفات والمعايب.

وكذا قوله تعالى: ﴿ ..ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا.. ﴿٤٨﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، ﴿ ۞لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ.. ﴿١٢٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، أي: دار السَّلامة من المعايب والنقائص، فالسّلامة الحقيقيّة ليست إلاّ في الجنّة، إذ فيها بقاءٌ بلا فناء، وغنىً بلا فقر، وعِزٌّ بلا ذُلٍّ، وصَحَّةٌ بلا سقم، من هنا عبّر أيضاً بقولهﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُس.

② السَّلام: هو اسمٌ من أسماء الله جلَّ وعَزَّ، ومعناه: الْمُنَزَّه والْمُبرَّأ من كلِّ عَيْبٍ ونَقْصٍ وفَقْرٍ وزَوَالٍ وانتقالٍ، وقد اعتنى به أصحابُ العزائم والطلاسم كثيراً وذكروا في آثاره العديدَ من الفوائد، من هذه الفوائد أنّ الإسم الشريف إذا قُرِئَ على مريضٍ مِئة مرّة يُشفَى بإذن الله تعالى، وإذا تُلِيَ على حلوى عدد ثلاثمئة وثمانية عشر مرّة وأُطعِمَت للمتباغضين أو للعدوّ أصبح شديد المحبّة للمُطْعِم، والمداومة عليه ينفع من الآفات.

وإذا أُطْلِقَ " **السَّلام** " في الآيات الكريمة يُستفاد منه ما ذكرناه آنفاً، وإذا أُضيفَ إلى شيءٍ آخر يُفيد معناه بحسب القرينة.

إذن ينقسم الإسم الشريف " **السَّلام** " في القرآن الكريم إلى معنيَيْن:

الأوّل: بمعنى الْمُبرَّأ من النقائص والعيوب التي تَلْحَقُ الخَلْقَ.

الثاني: بمعنى التحية والتبجيل والإكرام والثناء.

فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ سُورَةُ يس، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ.. ﴿٢٤﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ، ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ، أي: سَدَاداً في القول، ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ.. ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ

الذَّارِيَاتِ، ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ، ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ، ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ.. ۝٨٩ ﴾ سُورَةُ الزُّخْرُفِ...

وثمّة آيات تفيد كِلاَ المعَنَيَيْن المتقدِّمَيْن - أي السَّلام الفعلي والسَّلام القولي - منها:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١٢٠ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝١٠٩ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ...إلخ.

(٣) السَّلام: الصُّلْحُ، فالسَّلام والسِّلْمُ والسَّلْمُ بمعنى واحد هو الصُّلْح، قال تعالى: ﴿ ..وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا.. ۝٩٤ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، أي: لا تقولوا لِمَن استسلم ودخل معكم في صلحٍ لستَ مؤمناً، أو بمعنى لا تعجّلوا في القتل لمن أظهر الإسلام ظناً منكم بأنّه لا حقيقة لإيمانه، لإتهامه بأنّه أسلم خوفاً من القتل... أو بمعنى لا تخرجوا من الإيمان لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهراً أنّه من أهل ملتكم.. وقيل إنّ الآية المتقدِّمة نَزَلَتْ فيمن قُتِلَ بعد إقراره بالإسلام ومطالبته بالصُّلح.

وقال تعالى أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً.. ۝٢٠٨ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، أي: اُدْخُلُوا في الصُّلح، ﴿ ۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١ ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ.

(٤) السَّلام هو الإستسلام والإنقياد والطّاعة، قال تعالى: ﴿ ..يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣ ﴾ سُورَةُ القَلَمِ، أي: مستسلِمون، وقوله تعالى: ﴿ ..وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ.. ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، وقُرِئَ سالماً وسِلْماً.

ولا ملازمة بين اللفظ ومعناه الواقعي في هذه الالفاظ: " **الإنقياد والطّاعة والإستسلام** " فلربّما لا يكون في واحدٍ من هذه الألفاظ إعتقاد وإذعان قلبي في

بعض الحالات، إذ قد ينقاد الإنسان للدِّين وهو غير معتقِدٍ به، فيكون انقياده ظاهريّاً كالمنافِقِين الذين يتستّرون بالدِّين وهم منكِرُون باطناً له، قال تعالى: ﴿ ۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ.. ١٤ ﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ، فقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ ردّاً على دعواهم ﴿ ءَامَنَّاۖ ﴾ واضحُ الدَّلالة، إذ إنّ الإيمان فوق الإسلام؛ لأنّ الإسلام في الشَّرع على ضربَيْن:

أحدهما: دون الإيمان وهو الإعتراف باللسان وبه يُحْقَنُ الدم، حصل معه الإعتقاد أو لم يحصل.

وثانيهما: فوق الإيمان وهو أنْ يكون مع الإعتراف إعتقادٌ بالقلب ووفاءٌ بالفعل واستسلامٌ لله في جميع ما قضى وقَدَّرَ كما ذُكِرَ عن النبي إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ.. ١٩ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، ﴿ ..تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، أي: إجْعَلْني ممّن استسلم ظاهراً وباطناً لرضاكَ، أو يكون معناه: إجْعَلْني سالماً عن أسر الشيطان، حيث قال: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ.

فالإسلام الواقعي هو الإيمان الحقيقي الذي يستلزم إذعاناً واعتقاداً، قال تعالى: ﴿ ..إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ، أي: منقادون للحقّ مذعنون له.

وزبدة المخض:

إنّ السَّلام هو السّالم من المكاره والآفات والعاهات المادية والمعنوية.

والسَّالِم والسَّلامة (مذكَّر ومؤنَّث) مأخوذان من السَّلام، فالسَّلامة من الآفات لها مصاديق متعدِّدة تنطبق على المفهوم العام للسَّلامة، فمن هذه المصاديق المنطبقة على المفهوم ما أفدناه في الوجوه الأربعة المتقدِّمة.

وبعبارة موجَزة: إنّ اتصاف القول بالسَّلامة هو أنْ يكون القول أو السَّلام مقروناً

بالسَّلامة وعدم الإعتداء على الآخر المسَلَّم عليه وهو قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ. فمن صفات عباد الرّحمن وأهل التُّقى والورع أنهم متواضعون، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى في الآية: ﴿ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ وإذا خاطبهم الجاهلون بمقام الولاية والإمامة قالوا: ﴿ سَلَٰمٗا ﴾؛ فالقول السَّالِم الذي يقولونه عند مخاطَبَة الجاهلين هو ما ليس فيه تعدٍّ وإثمٍ وظُلْمٍ، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ، فالسّابِقُون إلى الله تعالى وهم أهل البيت عليهم السلام أولئكَ المُقَرَّبون ﴿ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ، فالله هو السَّلام، وأهل البيت عليهم السلام سابقون إليه، والأتقياء من شيعتهم يلقون التحيّة والسَّلام إلى ساداتهم السّابقين والواصلين إلى سلام الله وأمانه، من هنا ورد قوله تعالى: ﴿ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ.

وهكذا التحية بلفظ " **السَّلام** " هي تحيّة بأظهر أفرادها ومصاديقها، إذ تُعَبِّرُ عن حقيقة المسَلِّم الذي يُبْرِز ألطافَهُ نحو الطَّرَف الآخر مؤكِّداً له الأمان بما يوجب له السَّلامة من وصول الظلم والنقص والآفات من المسلّم على المسَلَّم عليه، من هنا يوجد تلازم بين الحفظ والسَّلام، لذا قيل إنّ معنى السَّلام عليكم أي الحافظ عليكم، أو حفظي وأماني وأمني عليكم.

فسلام الله عبارة عن حفظه ورضاه للمسلَّم عليه وإسباغ الرّحمة والفيوضات عليه، وسلامُ غيره أعمّ ممّا ذُكر، فتشمل معنى الإنقياد والإستسلام والتسليم، فيكون معنى " **السَّلام عليكم** ": سلَّمْتُ نفسي بما لها للمسَلَّم عليه...

وبالجملة: فالمعنى الحقيقي للسَّلام على الإمام الحسين عليه السلام فيه معنيان جليلان:

المعنى الأوّل: السَّلامة عليكَ من جميع الآفات، وسلامتكَ يا مولاي يا أبا عبد الله من النقائص والمعايب؛ وهو بهذا المعنى دعاءٌ وليس إخباراً.

المعنى الثاني: التسليم والإنقياد إليكَ، حيث صرتُ كالعبد المملوك لا يقدر على شيء بمحضر سيّده، فهو مطيعٌ له كإطاعة الآلة ليد مستَعْمِلِها وصاحبها.

وبعبارة أخرى: إنّ الزّائر للإمام سيد الشّهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام يُفرض عليه أنْ يسَلِّمَ نفسَهُ ومالَهُ ومطلَق ما يتعَلَّق به من بدوّ وجوده إلى منتهى عمره للإمام الحسين عليه السلام بحيث لا يرغب بشيءٍ ممّا يتعلّق بعالَم وجود هذا الزائر عن الإمام عليه السلام، بل وَطَّنَ نفسَهُ بإفنائها في إرادته عليه السلام ووَقْفِها على جنابه الأقدس صلوات الله عليه، فيكون هذا إقراراً منه بالرقِّيَّة لهم في الطّاعة بل والمملوكيّة من أعلى مراتب الرِّقِّيَّة إلى أدناها؛ لأنّ الإمام عليه السلام هو الذي يستأهل لأنْ يسترقّ غيرَه لولايته دون العكس، وذلك لِمَا حباهم الله تعالى به من الولاية التكوينية والمُلْك وسياسة الخَلْق.

ومعنى التسليم أيضاً على الإمام أبي الأحرار الحسين عليه السلام هو أنْ يؤدّي الزّائرُ الأمانةَ التي عَرَضَها اللهُ تعالى عليه، ألا وهي أمرُ ولاية أهل البيت عليهم السلام على المسلِّم الذي يجب عليه أنْ يعمل على طبق ما أمر الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

وبناءً على ما تقَدَّم فلا يكون – حينئذٍ – قولُ الزّائر " **السّلام عليكم** " دعاءً بل إخباراً بتسليمه لهم بنحو ما ذكرنا، هذا ما أُريد من السَّلام على أهل البيت عليهم السلام السّلامَ من نفس الزائر ليصل سلامه إلى أرواحهم وأجسامهم الطاهرة عليهم السلام، وأمّا إذا أُريدَ منه السَّلام منه تعالى عليهم بهذا المعنى، فمفاده أنّ التسليم الكلّي منه تعالى إلى خلقه إنما هو عليكم لا على غيركم؛ لأنّه تعالى خلقهم في عالم الأنوار حسبما جاء في الزّيارة الجامعة الشريفة: « **خلقكم اللهُ أنوراً** »، ولم يقتصر سبحانه على خلقهم أنواراً فحسب بل سلَّمَ إليهم أمرَ جميع العوالم، وفَوَّضَ لهم أمرَ دينه بعدما أدَّبَهم بأحسن تأديب الرّب لمربوبه، لذا أخذ الله تعالى ميثاقَ الأنبياء والمرسَلين والملائكة وعباد الله بالولاية للنبي وعترته الطاهرة عليهم السلام، فالله تعالى أوكل أمورَ مملكته وسياسة

رعيّته إليهم في كلّ جزئي وكلّي كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ..وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس، ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ التَّوْبَةِ، ﴿ ..قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾ الرَّعْدِ، ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الكَهْفِ، ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، ﴿ ..وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ النِّسَاءِ، ﴿ ..وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

ولأنهم أولياءُ الله، لذا فإنّ طاعتَهم طاعةُ الله، ومعصيتَهم معصية الله، وحبَّهم حبُّ الله، وبغضَهم بغضُ الله، وليس هذا إلاّ لمكانتهم عنده وأنهم المفوَّض إليهم أمرُ التشريع والتكوين بالمعنى الصحيح للتفويض الذي نقول به نحن الشيعة الإمامية الإثنا عشرية.

كُلُّ هذا بناءً على أنّ " **السّلام عليك يا أبا عبد الله** " بمعنى الإخبار بتسليمه لهم بالإنقياد والإستسلام، وأمّا بناءً على أنّ " **السَّلام عليك** " أو " **عليكم** " بمعنى الدُّعاء فهو عبارة عن أنّ السَّلامة التي هي بمعنى: اسم الله عليك يا مولاي يا أبا عبد الله، أي: أسألُ اللهَ تعالى أنْ يمنحكَ السَّلامةَ بالمعنى الكامل من كلِّ آفة فيما أنعم به عليكَ وعلى آبائكَ وأبنائكَ الطّاهرين من العلوم والاسم الأعظم والطّهارة من كلِّ رجسٍ، والعصمة في جميع أعمالكم وأسراركم وأقوالكم وأحوالكم والزلفى لكم عند الله، ويحفظكم من كلّ ما يكره.

ويتضح من خلال ما سبق: أنّ السَّلامة حيث إنها منه تعالى حقيقةً، فللزائر أنْ يسلِّمَ عليهم، أي أنْ يطلب منه تعالى تلك السَّلامة لهم بمعنى زيادة الألطاف لهم، وأنْ يتذكّر العهد الذي عليه لهم، ويطلبَ تعجيلَ وعدِ الله تعالى لهم بالنصر والعزّة في دولة مهديِّهم عليه وعليهم السَّلام.

فالسَّلام على الإمام عليه السلام - مطلَق إمام من أئمة أهل بيت العصمة والطهارة - معناه أنّ الزائر باقٍ على عهده الذي أخذ اللهُ تعالى ميثاقه عليه وأنّه باقٍ على سلامته بدون آفة من نقض العهد أو رفع اليد عن الدين وعمّا يلزمه من الصبر والمصابرة والتقوى، بل هو باقٍ على ما عُهِدَ عليه من هذه الأمور، ومحتمِلٌ للميثاق في أمر الدين، ومنتظِرٌ فَرَجَ مهديِّهم عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبذلك يطلب منه تعالى تعجيل الوعد منه بإنجازه تلك المواعيد.

الأمر الثاني: معنى قوله عليه السلام في الجملة الندائيّة: « **يا**[1] **أبا عبد الله** »

الإمام أبو عبد الله عليه السلام: كنية شريفة للإمام الحسين فديته بنفسي، وهي كُنية عامّة، وثمّة كنية أخصّ منها هي: " **أبو علي** "، لكنَّ الأولى أشهر بل تجمع الأخبار عليها بلا منازع.

والسؤال المهم: لماذا خُصَّ واشتُهِرَ الإمام الحسين عليه السلام بهذه الكنية الشريفة ولِمَ لم يشتهر بالكنية الثانية: " أبو علي "؟

الظّاهر أنّ علّة وسبب تكنيته بأبي عبد الله يرجع إلى أمرين لا ثالث لهما: إمّا لاختصاصها بالإمام الحسين عليه السلام من حيثية كونه العبد الكامل في التمحيص بالقتل على الصورة التي قُتِلَ بها كما سوف يأتي... وإمّا لتمييز إبنه الشهيد عبد الله وابن مولاتنا الرّباب عليها السلام الذي مات مظلوماً عطشاناً ومذبوحاً حال كونه رضيعاً، كما وصفت ذلك الأخبارُ المتواترة منها:

الرواية الأولى:

ما رواه العلاّمة المجلسي في بحاره قال: (ولمّا فُجِعَ الإمام الحسين عليه السلام بأهل بيته وولده، ولم يبقَ غيرُه وغير النساء والذراري نادى: « **هل من ذابٍّ يذبُّ عن حَرَمِ رسول الله؟ هل من مُوَحِّدٍ يوحِّدُ اللهَ فينا؟ هل من مُغيْثٍ يرجو الله في إغاثتنا؟** » ارتفعت أصواتُ النساء بالعويل، فتقدَّمَ عليه السلام إلى باب الخيمة فقال:

---

(١) ياء النداء معناها استغاثة المُنَادِي بالمنادَى واحتياجه إليه، وهذا دليل بقاء وحياة المنادى المستغاث به.

« **ناولوني عليّاً الطفل حتّى أودّعه** »، فناولوه الصبي)[1].

الرواية الثانية:

ما رواه ابن شهر آشوب قال: (فبقي الإمام الحسين عليه السلام وحيداً وفي حجره عليّ الأصغر فَرُمِيَ إليه بسهمٍ فأصاب حلقه، فجعل الإمام الحسين يأخذ الدم من نحره فيرميه إلى السّماء فما يرجع منه شيء ويقول عليه السلام: « **لا يكون أهون عليك من فصيل** »)[2].

الرواية الثالثة:

روى المفيد فقال: (ثمّ جلس الإمام الحسين عليه السلام أمام الفسطاط فأُتي بابنه عبد الله بن الحسين عليه السلام وهو طفل فأجلسه في حجره فرماه رجلٌ من بني أسد (وهو حرملة بن كاهل الأسدي لعنه الله) بسهمٍ فذبحه، فتلقّى الإمام الحسين عليه السلام دمَه في كفِّه، فلمّا امتلأ كفُّه صبَّهُ في الأرض ثمّ قال: « **يا ربِّ إنْ تكن حَبَسْتَ عنّا النصر من السّماء فاجعل ذلك لما هو خيرٌ منه وانتقِمْ لنا من هؤلاء القوم الظالمين** » ثمّ حمله حتى وضعه مع قتلى أهل بيته)[3].

وفي نسخة (البحار) نقلاً عن الشيخ المفيد قال: (فتلقّى الإمام الحسين دمَه حتى امتلأت كفُّه ثمّ رمى به إلى السّماء)[4].

الرواية الرابعة:

ما رواه ابن طاووس قال: (لمّا رأى الإمام الحسين مصارع فتيانه وأحبّتِهِ عزم

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٥ ص٤٦، المجلسي وابن شهر آشوب الوحيدان اللذان تفرَّدَا بذكر الطفل علي، بخلاف بقيّة المصادر الخاصة والعامّة المجمِعَة على أنّه عبد الله، ولا يبعد أنْ يكون للإمام ولدان صغيران: أحدهما عليّ والآخر عبد الله كما لا يبعد أنْ يكون لعبد الله اسمٌ آخر وهو عليّ، فيكون عبد الله لقباً للطفل المقدَّس عليه السلام، والله العالِم.

(٢) راجع (المناقب) ج٤ ص١٠٩.

(٣) راجع (البحار) ج٤٥ ص٤٦، و(مسند الإمام الحسين عليه السلام) ج٢ ص١٣٣ح٨٤.

(٤) راجع (البحار) ج٤٥ ص٤٦.

على لقاء القوم بمهجته ونادى: « **هل من ذابٍّ يذبُّ عن حَرَمِ رسول الله؟ هل من مُوَحِّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟ هل من مُعِينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟** » فارتفعت أصواتُ النِّساء بالعويل، فتقدَّمَ إلى باب الخيمة وقال لزينب: « **ناوليني ولدي الصغير حتى أودّعه** » فأخذه وأومأ إليه ليُقَبِّلَهُ فرماه حرملة بن الكاهل الأسدي لعنه الله بسهمٍ فوقع في نحره فذبحه فقال لزينب: « **خذيه** »، ثم قال: « **هَوَّنَ عَلَيَّ ما نزل بي أنه بعين الله** »)[1].

ثمّ قال السيِّد ابن طاووس: (قال الإمام الباقر عليه السلام: « **فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض** »)[2].

الرواية الخامسة:

ما رواه الطبري قال: (قال أبو مخنف: قال عقبة بن بشير الأسدي: قال لي الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين (أي الإمام الباقر عليه السلام): « **إنّ لنا فيكم يا بني أسد دماً** »، قال: قلت: فما ذنبي أنا في ذلك رحمكَ الله يا أبا جعفر! وما ذلك؟ قال عليه السلام: « **أُتِيَ الحسينُ بصبيٍّ له، فهو في حجره، إذ رماه أحدُكُم يا بني أسد بسهم فذبحه، فتلقّى الحسينُ دمه، فلمّا ملأ كَفَّيْه صبَّه في الأرض ثمّ قال: ربِّ إنْ تكُ حبَسْتَ عنّا النصر من السّماء فاجعل ذلك لِمَا هو خير وانتقِمْ لنا من هؤلاء الظالمين** »)[3].

تنبيه هام:

بعض الأخبار أشارت إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام ملأ كَفَّيْه من دم الشهيد عبد الله عليه السلام وصبَّهُ في الأرض، مع أنّ ثمّة أخباراً أُخَر دَلَّت على أنّ الإمام الحسين عليه السلام رماه إلى السّماء فلم يسقط منه قطرة، فيقع التعارض بين هاتين الطائفتين من الأخبار،

(١) راجع (مسند الإمام الحسين عليه السلام) ج٢ ص١٣٤ ح٨٧، و(الملهوف) ص١٦٩.

(٢) راجع (الملهوف على قتلى الطفوف) لابن طاووس ص١٦٩.

(٣) راجع (تاريخ الطبري) ج٥ ص٤٤٨، و(مثير الأحزان) ص٧٠، و(مسند الإمام الحسين عليه السلام) ج٢ ص١٣٤.

فكيف نعالجهما؟

الظاهر من خلال التتبُّع للأخبار أنّ ما دلّ على أنه عليه السلام صبَّ الدمَ على الأرض هي من مصادر المخالِفين، ويشهد لِمَا قلنا أنّ جُلَّ مَن روى هذه الأخبار هم الطبري والفتال النيسابوري، وما ذُكِرَ في مصادرنا - كما في رواية المفيد - فلعلّه محَرَّف من قِبَل المخالِفين فلا يُعْتَدّ به حينئذٍ، فكلّ الأخبار مجمعة على أنّ الإمام الحسين عليه السلام رمى دمَ الطفل إلى السّماء فتلقَّتْه الملائكة، وهي كرامة ومعجزة للإمام الحسين عليه السلام وللرضيع أراد المخالِفون إخفاءَها حِقداً وحسداً وبغضاً بأهل البيت عليهم السلام، نعم! ثمّة مؤرِّخون عامّة ذكروا هذه المعجزة أمثال: أبو الفرج الأصبهاني فقال: (حَدَّثَنا مَن شهد الإمام الحسين قال: كان معه ابنُه الصغير فجاء سهمٌ فوقع في نحره، فجعل الإمام الحسين يأخذ الدمَ من نحره ولُبَّتِهِ فيرمي به إلى السّماء فما يرجع منه شيءٌ، ويقول: « **اللهمّ لا يكون أهون عليكَ من فصيل ناقة صالح** »)[1].

الرواية السادسة:

ما رواه اليعقوبي قال: (إنّه لواقفٌ على فرسه إذا أتى بمولود قد ولد في تلك السّاعة، فأذَّنَ في أُذُنِهِ وجعل يحنِّكُه، إذ أتاه سهمٌ فوقع في حلق الصبي فذبحه فنزع الإمام الحسين عليه السلام السَّهْمَ من حلقه وجعل يلطّخه بدمه ويقول: « **والله لأنتَ أكرم على الله من الناقة، ولمحمّدٌ أكرم على الله من صالح** » ثمّ أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه)[2].

الرواية السابعة:

ما ورد في زيارة الناحية المقدَّسة عن مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف قال: « **السَّلام على عبد الله بن الحسين الرّضيع، المَرْمِيِّ الصّريع المتشحط دماً، المصعَّد دمُهُ في السّماء، المذبوح بالسَّهم في حِجر أبيه، لعن الله راميه حرملة بن كاهل**

(١) راجع (مقاتل الطالبيين) لأبو الفرج الأصفهاني ص٥٩ - ٦٠.

(٢) راجع (تاريخ اليعقوبي) ج٢ ص٢٣١، و(مسند الإمام الحسين عليه السلام) ج٢ ص١٣٦.

الأسدي وذويه »[1].

الرواية الثامنة:

ما رواه سبط ابن الجوزي في (التذكرة): (عن هشام بن محمّد الكعبي قال: إنّ الإمام الحسين لمّا رأى القومَ مصرِّين على قتله، أخذ المصحف ونشره على رأسه ونادى: « **بيني وبينكم كتاب الله..** » ثمّ التفت فإذا بطفلٍ له يبكي عطشاً فأخذه على يده وقال: « **يا قوم إنْ لم ترحموني فارحموا هذا الطفل** »، فرماه رجلٌ منهم بسهمٍ فذبحه، فجعل الإمام الحسين يبكي ويقول: « **اللهمّ أحكُمْ بيننا وبين قومٍ دعونا لينصرونا فقتلونا** »، فنودي من الهواء: « **دَعْهُ يا حسين فإنّ له مرضِعاً في الجَنّة** »)[2].

يتضح مما سبق أنّ لمولانا الشهيد عبد الله الرضيع عدّة مواصفات:

(**الصفة الأولى**): إنّه طفلٌ رضيعٌ، قيل وَلِدَ في الطف، وقيل إنه وُلِدَ في المدينة، والثاني أشهر من الأوّل، والظاهر من الأول أنّ عمرَهُ أياماً دون الشهر؛ لِمَا رُوِيَ من أنه عندما أصابه السّهم أخرج يديه من القماط[3]؛ لأنّ التقميط عادةً ما يكون في الأيام الأولى من الولادة.

والحاصل: أنّ من صفات هذا الطفل أنّه رضيعٌ ليس له أيُّ علاقة بما يجري حوله، فقتلهم له كان تشفياً منه ومن أبيه، وهذا أقصى درجات القسوة والتجبُّر والغِلظة.

(**الصفة الثانية**): إنّه كان عطشانَ، ففي رواية السبط الجوزي أنّه كان يبكي عَطَشاً، وفي رواية أخرى أنه كان مغمىً عليه من شدّة الظَّمَأ، فقد قُتِلَ عطشانَ بغير ذَنْبٍ أو جُرْمٍ اقترفه.

---

(١) راجع (البحار) ج٩٨ ص٢٧٠.

(٢) راجع (منتهى الآمال) ج١ ص٦٩٤، وفي (الاحتجاج) ج٢ ص٢٥ أنّ الإمامعليه السلام نزل عن فرسه وحفر للصبي بجفن سيفه ورمّله بدمه ودفنه.

(٣) راجع (حياة الإمام الحسينعليه السلام) للقرشي ج٣ ص٢٧٥.

(**الصفة الثالثة**): إنّ السَّهْمَ دخل حَلْقَهُ كما في رواية ابن شهر آشوب، أو إنّه أصاب منحره كما في أغلب الأخبار، ولا يبعد أنْ يكون السَّهْم دخل حَلْقَهُ وخرج من منحره، أو إنّه دخل في مِنحَرِهِ وخرج من حَلْقِهِ.

واحسيناه...! وإماماه...! وامظلوماه..! ما أعظمها وأشدّها وأصعبها قَتْلَةً، إذ إنها تُفَتِّتُ الفؤاد وتُذيبُ الصَّخْرَ الأصَمَّ..

(**الصفة الرابعة**): إنّه عليه السلام كان موردَ توجُّه الإمام الحسين عليه السلام، حيث أراد (بأبي وأمي ونفسي) توديعَه وتقبيله لكنّه عليه السلام لم يُدرِك ذلك لسبق السَّهم إلى منحر إبنه المظلوم، ومَن كان مورد توجُّه الإمام عليه السلام كان له عند الله شأنٌ ودرجة ومنزلة، لِعِلْمِ الإمام الحسين عليه السلام بسموِّ رفعة هذا الطفل عند الله عليه السلام، ولو قُدِّرَ له الحياة لَكَان في خانة المعصومين عليهم السلام وتالياً لهم .

(**الصفة الخامسة**): إنّ الإمام الحسين عليه السلام بكى عليه رحمةً به وحبّاً له، ولأنّه مات مظلوماً بغير جُرْمٍ، وهذا أسمى درجات القُرْب عند الله سبحانه وتعالى وعند موالينا الحجج الطاهرين عليهم السلام.

(**الصفة السّادسة**): إنّ الله عزّ وجلّ وملائكته رَقُّوا لهذا الطفل الرّضيع لخصوصيّةٍ فيه ليست في غيره، ولولا عِلْمُ الله عزّ وجلّ بصلاح هذا الطّفل لَمَا رَقَّ له جلّ جلاله، إذ لا يرقّ الله لإنسانٍ يَعْلَم منه عدم الصّلاح والقُرب، وهكذا فإنّ دمَ هذا الرّضيع القريب من الله تعالى صعد إلى السّماء ولم يسرِ في طبقات الرّمال، وذلك لطهارته وعدم دنسه بالقذارات والنجاسات التي هي من لوازم دم غير القريب من الله تعالى، من هنا خاطب المعصوم عليه السلام قبورَ شهداء الإمام أبي عبد الله عليه السلام في زيارة النصف من رجب بقوله عليه السلام: « **السَّلام على الأرواح المنيخة**[1] **بقبر أبي عبد الله الحسين** عليه السلام، **السَّلام عليكم يا طاهرين من الدَّنَس** »، والدَّنَس هو القذارة والنجاسة.

والطفل الرّضيع من الأرواح المنيخة بقبر المولى الإمام الحسين عليه السلام وقطعة من أبيه،

---

(١) أي: المحيطة.

فكيف لا يكون طاهراً مطَهَّراً من الدَّنَس والقذارة وقد تلقَّت الملائكة دمَهُ الطّاهر بدلاً من أنْ تتلقّاه الأرضُ بمساربها، ولا تتلقى الملائكة دماً قذراً، بل لا ترضى إلاّ بالطّاهر الزكي؛ لكونها من سنخ الطّاهر الزّكي.

(**الصفة السّابعة**): إنّ قتل الطفل الرضيع أثّر كثيراً على المولى أبي عبد الله عليه السلام كما أثَّرَ المولى العبد الصالح العبّاس بن عليٍّ أمير المؤمنين على الإمام الحسين عليه السلام؛ وذلك حينما قال: « **هوّن عَلَيَّ ما نزل بي أنّه بعين الله** ».

لقد كان المصاب عظيماً على الإمام سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام؛ لذا طلب من الله عزّ وجلّ أنْ يخفِّفَ عنه ثقله وخطورته.

(**الصفة الثامنة**): إنّ الطفل الرّضيع كان بعين الله لقول الإمام عليه السلام: « **..أنّه بعين الله** » أي أنّ الطفل بمرأى من الله تعالى حيث يرى كيف يُظْلَم وكيف يتلوّى من العطش وكيف قُتِلَ تلك القتلة التي تفرَّدَ بها عن بقيّة الشهداء، حيث ذُبِحَ وهو حيٌّ، فكونه بعين الله تعالى يستلزم زيادة الألطاف له وتخصيصه بمزيد من الإكرام والرّحمة والقُرب الإلهي.

(**الصفة التاسعة**): إنّ الطفل الشريف قد ذُبِحَ بسهمٍ لا بسكّين، والذَّبْحُ بالسهم أشقّ أنواع الذبح إذ فيه مزيد أذيّة وألم، بخلاف الذبح بالسكين فالألم به أقلّ والموت أسرع، أمّا الطفل فقد أصابه السّهم في منحره الشريف وحلْقه وهذا ما لا يطيقه إلاّ أصحاب النفوس القوية والأرواح الطاهرة النقية التي خُلِقَت من عنصر النور الحسيني.

والذبح بالسهم من مختصَّات هذا الطفل المقدَّس، إذ ليس في الأخبار ما يشير إلى ذبح غيره بسهمٍ، لا في شهداء كربلاء ولا في غيرهم.

مضافاً إلى أنّ ذبحه من النَّحْرِ كان خاصاً به وبأبيه الإمام الحسين عليه السلام المذبوح من القفا، المنحور في لُبَتِه.

وا حسيناه! وا فاطمتاه... وا عليّاه...وا محمَّداه... وا زينباه...وا عبّاساه...!

(**الصفة العاشرة**): إنّ قول الإمام الحسين عليه السلام لأخته الحوراء زينب عليها السلام: « **ناوليني ولدي الصغير حتى أودّعه** » يُنبئ عن شوق الإمام الحسين عليه السلام إلى هذا الطفل وهو دليل قُرْب الطفل من المولى عليه السلام.

(**الصفة الحادية عشرة**): إنّ الإمام المعظَّم الحجَّة بن الحسن المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف يأخذ بثأر هذا الطفل ؛ حيث سمعنا مذاكرةً أنّ الإمام المهدي يُخرِجُ الطفلَ الرضيع أمام الملأ ويقول لهم: « **ما ذَنْبُ هذا؟!** »[1].

إذن ليس من البعيد أنْ تكونَ كنيةُ الإمام الحسين عليه السلام بـ" **أبي عبد الله** " إشارة إلى إبنه المظلوم المذبوح بسهمٍ تمييزاً له عن بقيّة شهداء كربلاء حيث استشهد مذبوحاً مظلوماً وهو لا ذنب له.

وقد تكون الكنية أيضاً بـ " **أبي عبد الله** ": إختصاصاً بالإمام الحسين عليه السلام، من حيث كونه أباً لعامّة عبيد الله تعالى، بمعنى أنّه المُرَبِّي لخلق الله تعالى وسائسهم نحو الطاعة والفداء والكرامة، وهذا نظير ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالمستفيض: « **أنا وعليٌّ أبوا هذه الأمّة** »، فالنبي الأعظم وأمير المؤمنين عليهما السلام أبوا هذه الأمّة من حيث التشريع والتأسيس، بل ومن حيث الإيجاد والعلّة الغائيّة، وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فهو أبو هذه الأمّة من حيث الحفظ والتنفيذ، من هنا قيل: " **إنّ الإسلام محمّدي الوجود، حسينيّ البقاء** " ونحن نزيد عليها عبارة: " **زينبيُّ البلاغ** ".

وثمّة تفرقة أخرى بين أبوّته عليه السلام وأبوّة والديه عليهما السلام وهي أنّ أبوّة والديه خاصّة بهذه الأمّة، أمّا أبوّته فعامّة تشمل عامّة الخلق من الجنّ والإنس والملائكة وبقيّة الموجودات الأخرى، وهذا من الخصائص الكبرى التي لا يتحمّلها إلاّ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أو نبيٌّ مرسَلٌ أو عبدٌ امتحَنَ اللهُ قلبَه للإيمان.

أو أنْ تكون أبوّتُهُ بمعنى إفاضته على العبد المؤمن المعتقد به كإمام مفترَض

---

(١) ذكر الخبرَ المرحومُ الشيخُ عبد الوهّاب الكاشي (أعلى الله مقامه)، راجع (الطريق إلى منبر الإمام الحسين عليه السلام) ج٣ ص٢٨٦ - ٢٨٧.

الطّاعة، من هنا ورد التأكيد من الله تعالى على لسان أئمتنا عليهم السلام قولهم: « **أحَبَّ اللهُ مَن أَحَبَّ حسيناً** ».

يتلخص مما ذكرنا:

إنّ للكنية الشريفة " أبا عبد الله " معنَيَين عظيمَين:

معنىً ظاهرياً: ويتمثل بكونه عليه السلام والداً للشهيد الرّضيع عبد الله مع وجود إخوة له، وما ذلك إلاّ تمييزاً له لشدّة مظلوميته بسبب ما عاناه من آلام الذبح والعطش وصغر سِنِهِ دون أنْ يشارك في قتل أحدٍ من القوم الكافرين.

ومعنىً باطنياً: ويتمثل بكون الإمام الحسين عليه السلام أباً ومربِّياً لكلِّ عَبْدٍ لله تعالى لِمَا ظهر منه عليه السلام من شفقته على عباد الله بشهادته المستتبِعة للشفاعة وبقاء الشريعة إلى يوم القيامة.

ولعلّ المقصود أيضاً من الكنية الشريفة هو أنه أبو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لكونه العبد الحقيقي لله تعالى؛ فقد جاء في الدّعاء المروي عن الإمام الرِّضا عليه السلام قوله: « **اللهمّ ادفَعْ عن وليِّكَ وخليفتكَ وحجّتِكَ على خلقك.. العائذ بكَ العابد عندك..** ».

فالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وأجداده كلّهم من نسل الإمام الحسين عليه السلام، فكلّهم عبيد الله، والإمام الحسين أبوهم، فهو العابد وأبو العبيد لله عليه السلام، لكنّ الإمام بقيّة الله الأعظم القائم المنتظر أرواحنا فداه أكثرهم عبادةً لطول عمره الشّريف وأعظمهم جهاداً لما سيلاقيه من محاربة الأعداء والمنافقين.

شبهة وحلّ:

أشارت الفقرةُ الشريفة إلى السّلام على الإمام الحسين عليه السلام مما يستتبع ذلك السّلام على جسده المقَطَّع الميت وهو قبيحٌ عُرْفاً!!

والجواب: حيث إنّ حقيقة الإمام الحسين عليه السلام جوهرة مكنونة - أي روحه مصونة عن كلّ آفة ومستورة عن كلّ عقل - وكذا جسمه اللطيف وجسده الشريف، وقد أشار إلى هذا مولانا الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: « **وأجسادكم في**

الأجساد، وأرواحكم في الأرواح »، وكذا قول مولانا الإمام الحجّة المهديّ عجل الله فرجه الشريف في زيارته لشهداء كربلاء : « **السّلام على الجيوب المضرَّجات، السّلام على الشِّفاه الذابلات، السّلام على النفوس المصطلمات، السّلام على الأرواح المختَلَسَات، السّلام على الأجساد العاريات السّلام على الجسوم الشاحبات، السّلام على الدِّماء السّائلات، السّلام على الأعضاء المقَطَّعات، السّلام على الرّؤوس المشالات، السّلام على النسوة البارزات... السّلام على الرؤوس المفَرَّقة عن الأبدان.. »**[1]. وفي زيارةٍ أخرى: « **السّلام على الشَّيْبِ الخضيب، السّلام على الخَدِّ التّريب، السّلام على البدن السّليب.. السّلام على الودج المقطوع.. »**[2].

وكذا ما ورد عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام في زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام: « **فمعكم معكم لا مع عدوّكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسادكم وأجسامكم وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم آمين ربّ العالمين »**[3].

يتضح مما سبق أنّ سلام المعصوم عليه السلام على الأجسام المقَطَّعة كالشِّفاه والشيب والخدّ والودج والرؤوس، يدلّ على أنّ لها إدراكاً وشعوراً من خلاله تُدرك وتشعر وتفهم سلامَ الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف، وإلاّ لا يُعْقَل أنْ يسلِّمَ الإمام المعصوم على أمور لا تُدرِك سلامَهُ عليه السلام، بخلاف سلامنا على الجدار فإنه لا معنى له لأننا لا نُدْرِك حقيقة الجدار، أمّا الإمام عليه السلام فإنه يدرك حقائق الموجودات لا سيّما المتعلّقة بجسد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين استشهدوا معه عليهم السلام، فإنّ في أجسادهم المقطَّعة خصوصيّة لا توجد عند غيرهم، ولولا تلك الخصوصية لَمَا كان ثمة مبرِّر من السّلام والصلوات عليها، ويشهد لهذه الحقيقة الآيات والأخبار:

فمن القرآن الكريم آيتان:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣١٩.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٢٣٦.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣٣٢ ح٢.

وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ فُصِّلَتْ، وقوله ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ يس.

تشير الآية الشريفة إلى الأعضاء يوم القيامة، وشهادتها تعني إخبارها وذكرها لما تحمّلته في الدنيا من معصية صاحبها، فهي شهادة أداء لِمَا تَحَمَّلَتْهُ، ولولا التحَمُّل في الدّنيا حين العمل - كما لو جعل الله لها شعوراً ونطقاً يوم القيامة فَعَلِمَت ثمّ أخبَرَتْ بما عملته - لم يصدق عليه الشّهادة، ولا تمت بذلك على العبد المنكِر حجّةٌ...

والمتيَقَّن من معنى النطق إذا استُعْمِلَ على الحقيقة من غير تجوُّز هو إظهار ما في الضمير من طريق التكلُّم فيتوقف على علم وشعور...

فشهادة الأعضاء على المجرمين كانت نطقاً وتكلُّماً حقيقة عن علم تحملته سابقاً بدليل قولها: ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ﴾ ثمّ إنّ قولها: ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ﴾ جواباً عن قول المشركين: ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ ﴾ إراءة منها للسبب الذي أوجب نطقها وكشف عن العلم المدَّخَر عندها المكنون في ضميرها فهي ملجأة إلى التكلم والنطق... واستبعاد النطق الحقيقي تشكيك في قدرة الله تعالى القادر على إنطاق كلّ شيء فيضع العلم والشّعور والإرادة في الأعضاء فتنطق حقيقةً لا مجازاً كما توهّم بعض المفسِّرين.. فإنّه مندفعٌ بحمل " **النطق** " على معناه الحقيقي عند الشّك في ذلك، ودعوى تخصيص النّطق بما دلّ الدّليل والوجدان على أنّه ينطق كالإنسان والحيوان والملاك والجنّ مردودة بما ذكرنا آنفاً، مضافاً إلى عدم وجود دليل قطعي يثبت فقدان غير ما استثنى للشعور والإرادة سوى أنّنا في حجابٍ من بطون ذواتها لا طريق لنا إلى الإطّلاع على حقيقة حالها، والآيات القرآنيّة لا سيّما المتعرِّضة لشؤون يوم القيامة ظاهرة في عموم العلم، مضافاً للآيات الأخرى الدالّة على شمول العلم للكائنات التي تسبّح بحمد الله في الدنيا وليس في الآخرة فحسب، كما إنّ النطق ليس مقتصِراً على الأعضاء بل يشمل كلّ شيء لقولهم: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ ﴾ فالسّبب الموجِب للنطق هو الله عزّ اسمه.

فالقادر على جعل الشعور والإدراك في الأيدي والجلود حتى تنطق وتحاور صاحبها الذي يستنكر عليها ﴿ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ قادرٌ أيضاً أنْ يجعل الشعور والإدراك في أجساد أولئك المطَهَّرين الذين سفكوا مهَجَهُم من أجل إعلاء كلمة الله ونصرة الحق.

الآية الثانية: قوله تبارك وتعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.

تدلّ الآية الشريفة على أنّ أجزاء هذا العالم المادّي يسبّح لله تعالى، والتسبيح هو التنزيه عن الشريك والنقص والتشبيه وما لا يليق بالعليّ القدير، فأنتَ عندما تقول في ركوعكَ وسجودك ووردك " **سبحان الله** " يجب أنْ تقصد به تنزيه الله تعالى عن النقص والشَّيْن كأنّكَ تخاطب الله تعالى قائلاً له: يا خالقي ليس كمثلك شيءٌ، سبحانكَ أنزِّهُكَ عن النقص والشريك.

وحقيقة التسبيح هو الثناء على الله عزّ وجلّ، ولا يكون الثناء إلاّ بالكلام والقول، وحقيقة الكلام هي عمّا في الضمير بنوع من الإشارة إليه والدّلالة عليه، غير أنّ الإنسان لمّا لم يجد إلى إرادة كلّ ما يريد الإشارة إليه من طريق التكوين طريقاً، إلتجأ إلى استعمال الألفاظ وهي الأصوات الموضوعة للمعاني، والكاشفة عما في ضميره، وجرت على ذلك سُنَّة التفهيم والتفهُّم، وربّما استعان على بعض مقاصده بالإشارة بيده أو رأسه أو غيرهما، وربّما استعان على ذلك بكتابة أو نصب علامة.

فالكلام وإنْ كان أعمّ من النطق لكنّ ذلك لا يعني أنّ تسبيح الكائنات وكلامها عبارة عن تسبيح بلسان الحال أو الفقر الذاتي عند الممكن وحاجته إلى الموجِد الغني حسبما صوَّرَ ذلك الفلاسفةُ الإسلاميّون وبعض المفسّرين الذين حكى عنهم السيِّد الطباطبائي في تفسيره[1]، فيردُّه الآيات والأخبار، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ

(١) راجع (تفسير الميزان) ج١٣ ص١١٠.

أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

فليس تسبيح الطير تسبيحاً بلسان الحال أو الفقر الذاتي، وإلاّ لكان تخصيصُ الطير عمّا سواه غيرَ واضح، مضافاً إلى وجود قرينة قطعيّة في الآية وهي قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ ﴾ حيث إنّ كلَّ كائنٍ قد تعلّم تكويناً فطرياً كيفيّة التسبيح والثناء والتنزيه، فالتعليم يختلف عن " **لسان الحال أو الفقر الذاتي** "؛ لأنّ لسان الحال أو الفقر الذاتي لا يحتاج إلى تعليم من أحد بل هو بذاته فقير، ولسان حاله يدلّ على فقره واحتياجه، من هنا فإنّ الآية تشير إلى أنّ كلّ كائنٍ علَّمَهُ الله كيفيّة الثناء عليه تعالى، لذا نحن نعتقد - طبقاً للأخبار المتواترة - أنّ أئمتنا عليهم السلام علّموا الملائكة التسبيح والتكبير والتحميد، والملائكة بدورها علَّمَت بقيّة الكائنات بأمرٍ منهم عليهم السلام.

ومما يؤكِّد ما قلناه أنّ الله تعالى خاطب نبيَّهُ الذي أشهده تسبيحَ الكائنات وأراه فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ولم يقل لنا: "**ألم تروا**"؛ فإنّا ما رأيناه هو لنا إيمان ولرسول الله محمّد صلى الله عليه وآله عيان، فأشهده سجود كلّ شيء وتواضعه لله سبحانه وتعالى، وكلّ مَن أشهده الله ذلك ورآه دخل تحت هذا الخطاب، وهذا تسبيح فطري وسجود ذاتي نشأ عن تجلٍّ تجلّى لهم الباري عزّ وجلّ فانبعثوا إلى الثناء من غير تكليف بل اقتضت ذواتهم الشريفة هذه العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الإستحقاق الذي يستحقه الباري جَلَّ جَلَالُهُ وليس هذا التسبيح بلسانِ الحال كما يقول بعض أهل النّظر ممن حُجِبَتْ المعارفُ الحقيقيّة عن فؤاده، وقد يحصل أيضاً الإنكشاف لغير المعصومين عليهم السلام نظير ما حصل للفيض الكاشاني رحمه الله فقال: « **ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف، فقد سمعنا الأحجار تذكر الله رؤية عين، بلسانٍ تسمعه آذاننا منها، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله مما ليس يدركه كلّ إنسان** »[1].

(١) راجع (تفسير الصافي) ج٣ ص٤٣٩.

وأمّا الأخبار الدالة على التسبيح فكثيرة منها الآتي:

الحديث الأول: ما ذكره القمّي عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **ما من طيرٍ يُصاد في بَرٍّ ولا بحرٍ ولا يُصاد شيءٌ من الوحش إلاّ بتضييعه التسبيح** »[1].

الحديث الثاني: وما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: « **إنّ لله مَلَكاً في صورة الديك الأملح الأشهب، براثنه في الأرضين السابعة وعُرْفُهُ تحت العرش له جناحان، جناحٌ بالمشرق وجناح بالمغرب، فأمّا الجناح الذي في المشرق فمن ثلج، وأمّا الجناح الذي في المغرب فمن نار، فكلّما حضر وقت الصّلاة قام على براثنه ورفع عُرْفَهُ تحت العرش ثمّ أمال أحدَ جناحَيْه إلى الآخر يصفق بهما كما يصفق الديك في منازلكم فلا الذي في الثلج يطفئ النار، ولا الذي في النار يذيب الثلج، ثمّ ينادي بأعلى صوته أشهد أنْ لا إله إلاّ الله وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُهُ ورسولُهُ خاتم النبيين، وأنّ وصيّه خير الوصيين، سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والرّوح، فلا يبقى في الأرض ديك إلاّ أجابه وذلك قوله عزّ وجلّ:** ﴿ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ.. ﴿٤١﴾ ﴾ »[2].

الحديث الثالث: ما ورد عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام أنّه سُئِلَ: (أتسبّح الشجرة اليابسة؟ فقال عليه السلام: « **نعم أمَا سمعتَ خشب البيت كيف ينقض** [أي: يصدر أصواتاً] **وذلك تسبيحه لله، فسبحان الله على كلّ حال** »)[3].

وممّا يؤكّد هذه الأخبار ما نُقِلَ عن آل الله تعالى كيف سَبَّحَت الأحجار في أيديهم، وكيف تَكَلَّمَت الحيوانات معهم، مضافاً إلى ما نُقِلَ من بعض الأتقياء وسماعهم لتسبيح الكائنات[4].

---

(١) راجع (تفسير الصافي) ج٣ ص٤٣٩.

(٢) راجع (تفسير الصافي) ج٣ ص٤٣٩.

(٣) راجع (تفسير الصافي) ج٣ ص١٩٥.

(٤) يروى عن الفيض الكاشاني أنّ أحد طلاّبه خرج في إحدى الليالي لصلاة الليل فوجد غرفة الكاشاني مضيئة بالأنوار، وإذ به يرى الفيض ساجداً ويقول في سجوده وكلّ شيء يردِّد وراءه: " سبّوح قدّوس ⟸

هاتان الآيتان من أهمّ الآيات الدالة على تسبيح الكائنات، وتسبيحها دليل وجود شعور وإدراك عندها، إذن ليس ثمّة استحالة أو قبح عقلي وشرعي على سلام المعصوم عليه السلام على تلك الأعضاء الطاهرة التي إندكّت في جلال الله تعالى وكبريائه فصارت لله ومنه وإليه: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

فهذه الأعضاء الشريفة مدرِكَة وشاعرة لذا يصحّ السّلام عليها ومخاطَبَتِها بالتحيّة والإكرام ما دام الجود الإلهي عام والقابليّة موجودة.

وأمّا الأخبار الدالة على خصوصية في أجسادهم عليهم السلام فكثيرة منها:

[**الخبر الأوّل**]: ما رواه الصَّدوق قدس سره عن مولانا الإمام جعفر الصّادق عليه السلام قال: « **إنّ الله عزّ وجلّ حَرَّمَ عظامنا على الأرض، وحَرَّمَ لحومنا على الدُّود أنْ يَطْعَمَ منها شيئاً** »[1].

[**الخبر الثاني**]: ما رواه أيضاً عن مولانا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: « **حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم** »، قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: « **أمّا حياتي فإنّ الله عزّ وجلّ يقول:** ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ.. ﴿٣٣﴾ ﴾، **وأمّا مفارَقَتي إيّاكم فإنّ أعمالكم تُعْرَض عَلَيَّ كلّ يوم، فما كان من حَسَن استزدتُ اللهَ لكم، وما كان من قبيحٍ استغفرتُ الله لكم** »، قالوا: وقد رُمْتَ يا رسول الله؟ - يعنون صِرْتَ رميماً - فقال صلى الله عليه وآله: « **كلاّ، إنّ الله تباركَ وتعالى حَرَّمَ لحومنا على الأرض أنْ تَطعمَ شيئاً منها** »[2].

وبالجملة؛ فإنّ المستَفَاد من الأحاديث الشريفة أنّ لأجسادهم عليهم السلام معجزات تدلّ على أنّها ممتازة ليست كسائر الأجساد، فقد روى ابن أبي جمهور الإحسائي في (المُجلي) عن كتاب أنيس السمراء وسمير الجلساء عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (شهدتُ البصرة مع أمير المؤمنين عليه السلام والقوم جمعوا مع المرأة سبعين ألفاً، فما

ربّ الملائكة والرّوح " وقد أشار الفيض إلى ذلك مجملاً، فراجِعْ تفسيره: ج٣ ص٤٣٩.

(١) راجع (من لا يحضره الفقيه) ج١ ص١٢١ح٢٣، و(بحار الأنوار) ج٢٧ ص٢٩٩.

(٢) راجع (من لا يحضره الفقيه) ج١ ص١٢١ح ٢٤.

رأيتُ منهم منهزماً إلاّ وهو يقول: هَزَمَني عليٌّ، ولا مجروحاً إلاّ يقول: جَرَحَني عليٌّ، ولا مَن يجود بنفسه إلاّ وهو يقول: قتلني عليٌّ، ولا كنتُ في الميمنة إلاّ وسمعتُ صوت عليٍّ عليه السلام، ولا في الميسرة إلاّ وسمعتُ صوتَ عليٍّ عليه السلام، ولا في القلب إلاّ وسمعتُ صوته عليه السلام، ولقد مررتُ بطلحة وهو يجود بنفسه وفي صدره نبلة، فقلتُ له: مَن رماكَ بهذه النبلة؟ فقال: عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فقلتُ: يا حزب بلقيس ويا جند إبليس إنّ عليّاً لم يرمِ بالنبل، وما بيده إلاّ سيفه، فقال: يا جابر أمَا تنظر إليه كيف يصعد في الهواء تارةً، وينزل في الأرض أخرى، ويأتي من قِبَلِ المشرق مرّةً، ومن قِبَلِ المغرب أخرى، وجعل المشارق والمغارب بين يديه شيئاً واحداً، فلا يمرّ بفارسٍ إلاّ طعنه، ولا يلقى أحداً إلاّ قتله أو ضربه أو أكبّه لوجهه أو قال: يا عدوَّ الله مُتْ، فيموت فلا يفلت منه أحدٌ، فتعَجَّبْتُ مما قال)[(١)].

وفي (المُجلي) أيضاً عن المقداد بن الأسود الكندي: (أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يوم الأحزاب وقد كنتُ واقفاً على شفير الخندق، وقد قتل عمرواً وانقطعت بقتله الأحزاب، وافترقوا سبع عشرة فِرقة، وإني لأرى في كلّ أعقابها عليّاً يحصدهم بسيفه وهو عليه السلام في موضعه لم يتبع أحداً منهم لأنّه عليه السلام من كريم أخلاقه أنّه لا يتبع منهزماً).

فهذه الأحاديث الشريفة ترشدنا إلى خصائص لأجسادهم عليهم السلام تكون بها ممتازةً عن غيرها، فإنها معجزة، كيف لا وهم صنائع الله تعالى والخلق بعد صنائع لهم.

شبهة وحلّ :

إنْ قيل: إنّ هذه الخصائص خاصّة بهم فيصُحُّ سلامُ المعصوم على نظيره، لكنه ليس حالة عامّة تشمل غيرهم فلا يصحّ السّلام على أجساد غيرهم لكونهم لا يمتلكون نفس الخصائص التي هي عند المعصوم عليه السلام.

نقول: إنّ المناطَ واحدٌ، فحيث إنّ أجساد شهداء كربلاء تابعة لأرواحهم

(١) راجع (الأنوار السّاطعة في شرح الجامعة) ج٥ ص٣٥٧، (المجلي) ص٤١٠.

الطاهرة، فأرواحهم تكتسب نفسَ خصائص أرواحهم، فيشرق عليها نورٌ من صبح الأزل فتصبح حيَّةً قادرةً على تلقّي الخطاب بإقدار الله تعالى لها تماماً كإقداره الكلام للجلود والأيدي يوم القيامة فيصحّ أنْ يخاطبها صاحبُها وتجيبه على استنكاره عليها، من هنا نحن نصحّح الخطأ الذي وقع فيه بعض الشواذ من قُرّاء العزاء - تبعاً لبعض السادة البتريين في لبنان - حيث أنكروا معجزة تكلُّم رأس الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام في طريقه إلى الشام، فإنّ الذي جعل الكلام مع موسى عليه السلام في الشجرة، والذي جعل النطق في الجلود، قادرٌ على إنطاق رأس الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونحره الشريف، وقد فندنا هذه الشبهة من أساسها في بعض بحوثنا حول نطق الرأس الشريف للإمام المعظم الحسين صلوات الله عليه وأرواحنا فداه.

وبالجملة؛ على الزّائر للمولى الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنْ يقصد أموراً ثلاثة من عبارة " **السّلام عليكَ يا أبا عبد الله** ":

الأمر الأول: أنْ يقصد بذلك كونه عليه السلام أباً للطفل الرّضيع المظلوم عليه السلام.

الأمر الثاني: أنْ يقصد كونه عليه السلام أباً للإمام الحجّة بن الحسن المهدي عجّل الله فرجه الشريف الذي سيأخذ للإمام الحسين عليه السلام بثأره، إذ هو الوحيد الذي سيشفي غيظ قلوبنا وقلوب كلّ المؤمنين على وجه البسيطة منذ آدم إلى قيام يوم الدين.

الأمر الثالث: أنْ يقصد كونه عليه السلام أباً لكلِّ عابدٍ لله عليه السلام؛ لأنّ للإمام الحسين الشهيد عليه السلام الفضلَ العظيم على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فهو العابد الحقيقي والكامل في عبوديته لله عليه السلام، وفي نفس الوقت هو معلِّمٌ للعابدين وللسّالكين إلى الله تعالى.

وعليه؛ فإنّ على العابدِين أنْ يحفظوا حقوقَ الإمام الحسين وأهل البيت عليهم السلام، ومن جملة حقوقهم علينا زيارتهم والسّلام عليهم.

فالسّلام من الآداب الرفيعة التي لا تفارق المؤمنين فضلاً عن أئمتهم المعصومين عليهم السلام، معلمو الأخلاق والمُثُل الإنسانية العُليا، والسَّلام علامة الأمن حسبما ورد في موثق عبد الله بن الفضل عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: « **التسليم علامة الأمن..** ». قال السائل له: وكيف ذلك جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قال عليه السلام: « **كان النّاس فيما**

مضى إذا سَلَّمَ عليهم واردٌ أمنوا شرَّه، وكانوا إذا ردّوا عليه أمن شرَّهم، وإنْ لم يسلِّم لم يأمَنوه، وإنْ لم يردّوا على المسلِّم لم يأمنهم وذلك خُلُقٌ في العَرَب.. »[1].

ومن أهمّ المؤهِّلات المقرِّبة إلى الإمام الحسين عليه السلام وآبائه وأبنائه الطاهرين عليهم السلام هي النصرة للحقّ، والدّعوة الصّادقة المخلصة إلى الله، من هنا سَلَّمَ الإمام الباقر عليه السلام على أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وشركهم بالسَّلام مع مولاهم الإمام بقوله: « **السَّلام عليكَ يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حَلَّت بفناءك.. السَّلام على الحسين وعلى عليّ بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين..** ». ومن أجل هذه النُّصرة أيضاً بلغ بعضُ المؤمنين كالشيخ المفيد - على ما يُنسَب إليه - الجدارة لأن يسلِّمَ عليه إمامُ العصر بسلام الله في مفتتح الكتاب إليه بعد البسملة وناهيك شرفاً وفوق كلّ شرف وسنىً ومقاماً محموداً أنْ أذن الله لحجّته بمكاتبته إياه كما قال عجل الله تعالى فرجه الشريف في الكتاب الأول الصادر عنه عام ٤١٠هـ: « **...إنّه قد أُذِنَ لنا في تشريفكَ بالمكاتبة، وتكليفكَ ما تؤدِّيه عنّا إلى موالينا قِبَلك...** »، وجاء في أوّل مفتتح الثاني قوله عجل الله تعالى فرجه الشريف: « **بسم الله الرّحمن الرّحيم، سلام الله عليك أيّها الناصر للحق، الدّاعي إليه بكلمة الصّدق...** »[2]، والمراد بالحقّ هو الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، إذ هو حقيقة الحقّ الذي وجب الإستمساك به كما جاء ذلك في رواية الشيخ الكليني بإسناده عن مولانا الإمام موسى الكاظم عليه السلام يأمر عليَّ بن سويد في كلامٍ له وهو في السجن: « **فاستمْسِكْ بعروة الدِّين: آلِ محمَّد والعروة الوثقى الوصيّ بعد الوصيّ، والمسألة والرِّضا بما قالوا، ولا تلتمسنَّ دينَ مَن ليس من شيعتكَ وتُحبِّنَّ دينَهم، فإنهم الخائنون الذين خانوا الله ورسولَهُ وخانوا**

(١) راجع (الوسائل) ج٤ ص١٠٠٦، و(المختار من كلمات الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف) ج٢ ص ٥٨ للحجة الشيخ محمد الغروي رحمه الله.

(٢) راجع (الاحتجاج) للطبرسي ج٢ ص٣٢٤، و(المختار من كلمات الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف) ج٢ ص٦٠.

أماناتهم »[1].

فالإمام الحسين هو السَّلام والسَّلامة والسّالِم عن الآثام وما يزاوله الناس من الخطايا، وكلّ ما ثُبتَ لهعليه السلام هو بعينه لبقيّة الأئمّةعليهم السلام لا سيّما بقيّة الله في الأرضين الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف حيث هو الأمل وغوث البرايا والماء المعين للأكباد الصّادية، وكلُّ نعتٍ جاء في زيارات الإمام أمير المؤمنين وسيدَي الشهداء الإمامَيْن الحسن والحسين عليهما السلام هو متجسِّدٌ في الإمام المهديّعجل الله تعالى فرجه الشريف، بل له ميزةٌ وخصوصيّة لم يشاركه فيها أحدٌ من الأئمّةعليهم السلام وهو بسط العدل وإطفاء نائرة الظلم والكفر على يديه المباركَتَين، ولا عجب في ذلك إذ هو خاتم المعصومين، وختامهم المسك المتضوِّع به عالمَ الأشباح والأرواح والنفوس والأفلاك، وكيف لا!! وهو المخاطَب وابنُ المخاطَب بـ" **لولاكَ لَمَا خلَقْتُ الأفلاكَ** " وإنّه لأصلُ السَّلام والسّلامة، ويشهد لذلك قصة ملاقاة عليّ بن مهزيار حين أخذ به الدّليل صاحب الوجه الجميل، وعلا به إلى قرب ذروة جبل الطائف، وإليكَ بلفظ (غيبة الطوسي) بعضَها: « **...ونحن قد توسطنا جبال الطائف فلمّا أنْ كان هناك أمرني بالنزول وقال لي: إنْزِلْ فصلِّ صلاة الليل فصلَّيْتُ، وأمرني بالوتر فأوترتُ، وكانت فائدة منه، ثمّ أمرني بالسّجود والتعقيب، ثمّ فرغ من صلاته وركَبَ وأمرني بالرّكوب وسار وسرتُ معه حتى علا ذروة الطائف، فقال: هل ترى شيئاً؟ قلتُ: نعم، أرى كثيبَ رملٍ عليه بيتُ شَعرٍ يتوقّد البيتُ نوراً، فلمّا أنْ رأيتُه طابت نفسي، فقال لي: هناك الأملُ والرّجاء، ثمّ قال: سِرْ بنا يا أخ، فسار وسرتُ بمسيره إلى أنْ انحدر من الذروة، وسار في أسفله، فقال: إنْزِلْ، فها هنا يُذَلُّ كلُّ صعبٍ، ويخضع كلُّ جبّار، ثمّ قال: خَلِّ عن زمام الناقة، قلتُ: فعلى مَن أخلفها؟ فقال: حَرَمُ القائمعجل الله تعالى فرجه الشريف لا يدخله إلاّ مؤمن، ولا يخرج منه إلاّ مؤمن، فخلَّيْتُ من زمام راحلتي وسار وسرتُ معه إلى أنْ دنا من باب الخباء، فسَبَقَني بالدّخول وأمرني أنْ أقف حتى يخرج إلَيَّ، ثمّ قال: أُدْخُلْ هناكَ السَّلامة.. »**[2].

---

(١) راجع (روضة الكافي) ص١٢٤.

(٢) راجع (الغيبة) للطوسي ص١٦٠، و(دلائل الإمامة) للطبري ص٢٩١.

نعم، هو السَّلامة والسَّلام وإليهم يعود السَّلام، وبهم فُتِحَت خاتمة الصَّلاة بالسَّلام: " **السَّلام عليكَ أيها النبي** " وبهم خُتِمَت: " **السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته** ".

والسَّلام على الرؤوس المشالات والأعضاء المقطَّعات هو بمثابة ردٍّ على مَن أنكر سريان الحياة في تلك الأعضاء المقدَّسة التي وضع الرّحمنُ يدَه فزكت ونَمَت وهي في الواقع معجزة من معاجز الإمام الحسين عليه السلام: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ. فإذا حيا الترابُ الذي وطأه جبرائيل عليه السلام فاتخذ منه السامريُّ عِجْلاً جَسَداً له خوار فلِمَ لا تحيا تلك الأعضاء المقَطَّعة وقد أعطَتْ كلَّ ما لديها لله عز وجل فأحبَّ الرّحمنُ إفاضةَ الإكرام والتقديس عليها.

❖ **فالخلاصة**: لا يبعد أنْ يكون المقصود بـ"**أبا عبد الله**" أنّ الإمام عليه السلام أبٌ للأنبياء والمرسَلين حتى رسول الله، أي أبٌ روحيٌّ وتضحويٌّ، بحيث إنّ ما وصل إليه الإمام عليه السلام لم يصل إليه أحدٌ على الإطلاق، من هنا كان عليه السلام قدوةَ الأنبياء والمرسَلين، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله عنه: « **أنا من حسين، وحسين مني** » فتدبَّرْ جيّداً فإنه دقيق كدقة الصراط ويندرج تحت قولهم عليهم السلام: « **أمرنا صعب مستصعب..** ».

﴿ السّلام عَلَيْكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ ﴾

لعلّ التقييد بكون الإمام الحسين عليه السلام إبناً لرسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله يرجع إلى أمرَين:

الأمر الأول: إنّ النبيّ محمَّداً الأبُ الرّوحي للإمام الحسين عليه السلام وأنّ فعله هو فعل النبي، وقوله قول النبي، وهو ما يومئُ إليه الحديثُ المشهور: « **أنا من حسين، وحسين مني** »، فرسالة الإمام الحسين عليه السلام هي رسالة النبي صلى الله عليه وآله، ورسالة النبي استمَرَّتْ بتضحيات الإمام الحسين عليه السلام، فالرّسول يفتخر بأنْ يكون وجودُه وامتدادُه بوجود وامتداد الإمام الحسين، ولولا الإمامُ السبطُ الشهيدُ لاندثرتْ رسالةُ النبي،

فمحييها - وهو الإمام الحسين بأبي هو وأمي - لمحيي الموتى إنّه على كلّ شيءٍ قدير بقدرة الله الواحد الأحد.

والحسين الوليّ عليه السلام منبثقٌ من محمّد الرّسول، بل متحدٌ مع محمّد الوليّ لكنّ الغالب عليه الرّسالة أكثر من الولاية، فالحسين الرّسول خرج من رحم الرّسالة المحمّدية، فلم يأتِ بشيءٍ خارجٍ عن ظاهر الرِّسالة وأوامرها، وكأنّ الفقرة الشريفة تريد أنْ تكشف عن أهمية حركة الإمام الحسين وعظَمَة شخصيته، كأنها تريد أنْ تقول للناس: أيها الناس إنْ كنتم في شكٍّ من إمامة الحسين بن عليّ عليهما السلام فلا تكونوا في شكٍّ في أبوّة النبي للإمام الحسين، فالإمام عليه السلام تربّى في حِجْرِ النبي ورضع من لسانه ودرج في داره، فكان ظلَّ محمّدٍ الرّسول ومهجة كبده وثمرة فؤاده.

أيها النّاس إنْ كنتم لا تعتقدون بإمامة الحسين فلا يفوتنّكم إقبالي عليه وحبّي له؛ فإنّه منّي لأنني أبو هذه الأمّة وقائد زمامها أنا ووالده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: « **أنا وعليٌّ أَبَوَا هذه الأمّة** ».

الأمر الثاني: إنّ الإمام الحسين عليه السلام ابنُ رسول الله الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله لكونه حفيداً له؛ لأنّه ابنُ مولاتنا فاطمة عليها السلام، وابنُ البنت ابنٌ للجدّ حقيقةً لا مجازاً، وهو الظاهر عندنا وفاقاً لبعض الفقهاء المتقدِّمين أمثال السيِّد المرتضى رحمه الله والسيِّد ابن زهرة الحلبي وابن حمزة وابن إدريس الحلي ومعين الدين المصري والشيخ المفيد والقاضي على ما حكاه عنهما الشهيد الثاني في المسالك في بحث الوقف، وحكي هذا القول أيضاً عن القطب الراوندي والفضل بن شاذان وابن أبي عقيل وأبي الصّلاح والطوسي في الخلاف في باب الوقف وابن الجنيد، ومن المتأخرين ابن المتوج البحراني على ما نقله عنه صاحب كنز العرفان، والأردبيلي الميل إليه، والداماد والمازندراني ونعمة الله الجزائري والشيخ عبد الله بن صالح البحراني والمجلسي وصاحب الحدائق، وقد صرّح هؤلاء الأكابر بأنّ ولد البنت ولد حقيقةً وهو يقتضي إجراء حكم الوليد الحقيقي عليه في جميع الأحكام التي من جملتها جواز أخذ الخمس وتحريم أخذ الزكاة ومسائل الميراث والوقوف ونحوها؛ لأنّ ذلك كلّه مبنيٌّ على كون المنتسب

بالأم ابناً حقيقيّاً، فكلّ مَن حكم بكونه ابناً حقيقياً يلزمه أنْ يجري عليه هذه الأحكام إستناداً إلى أدلّةٍ ثلاثة، قرآنية وأخبارية وأصولية:

الدليل القرآني الأوّل: وفيه عدّة آيات منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَام.

فقد دَلَّت الآية الخامسة والثمانون من الآيات المباركات المتقدِّمات أنّ النبي عيسى عليه السلام كان من ذريّة النبي إبراهيم من ناحية أمّه العذراء مريم عليها السلام مع بُعْدِهِ عنه من حيث لم يكن له أبٌ بل كان عيسى ابنَ إبنته فنُسِبَ إليه من بعده، فبطريق أولَى أنْ يُنسَب الإمامان الحسنان عليهما السلام إلى جدّهما رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله مع قُرْبهم منه.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ النبيّ عيسى عليه السلام ينتسب إلى نوح عليه السلام بحكم انتسابه إلى النبيّ سليمان عليه السلام من ناحية الأمّ، وسليمان ينتسب إلى داوود وهو بوسائط إلى إسحاق، وإسحاق ابن إبراهيم.. فجعل عيسى من ذرية نوح ومن ذرية آدم وإبراهيم، وعيسى ابن بنته - لكون مريم بنت عمران عليها السلام بنت عمران بن ماثان - **لأنّه** لا أب لعيسى، فكيف لا يكون ولد الإبنة ولد الرّجل، وكيف لا يكون الإمامان الحسنان عليهما السلام ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقةً مع أنّ الآية نصٌّ قطعيٌّ في صدق الولد شرعاً على ولد البنت والابن وصدق الأب على الجدّ منهما، ولذلك تترتّب عليه الأحكام الشّرعيّة، والترتّب فرع المعنى الحقيقي للّفظ.

ويؤيد ما ذكرنا أخبار مستفيضة منها:

[**الخبر الأوّل**]: ما روي عن عامر الشعبي قال: بعث إليَّ الحجاج ذات ليلةٍ فخشيتُ، فقمتُ فتوضأتُ وأوصيتُ (أي كتبتُ وصيّتي) ثمّ دخلتُ عليه فنظرتُ

فإذا نَطْعٌ[1] منشور والسيف مسلول، فسلَّمْتُ عليه، فردَّ عَلَيَّ السَّلام وقال: لا تخف فقد أمنتكَ الليلةَ وغداً إلى الظهر وأجلسني عنده ثمّ أشار فأُتي برجلٍ مقيَّد بالكبول والأغلال فوضعوه بين يديه فقال: إنّ هذا الشيخ يقول: إنّ الحسن والحسين كان ابني رسول الله، ليأتيني بحجّة من القرآن وإلاّ لأضربنّ عنقَه. فقلتُ: يجب أنْ تَحِلَّ قيدَه فإنّه إذا احتجَّ فإنه لا محالةَ يذهب (أي يُطلَق سراحُه)، وإنْ لم يحتج فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد، فحلّوا قيودَه وكبولَه، فنظرتُ فإذا هو سعيد بن جبير فحزنتُ بذلك، وقلتُ: كيف يجدُ حجّةً على ذلك من القرآن؟! فقال له الحجّاج لعنه الله: إئتِني بحُجّةٍ من القرآن على ما ادَّعَيْتَ وإلاّ أضربُ عُنُقَكَ، فقال له: إنتظِرْ، فسَكَتَ ساعةً ثمّ قال له مِثلَ ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم ثمّ قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ثمّ سكت وقال للحجّاج: إقرَأ ما بَعْدَه، فقرأ: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ.. ﴾ فقال سعيد بن جبير: كيف يليق ههنا عيسى؟ قال: إنه كان من ذريته، قال سعيد: إنْ كان عيسى من ذرية إبراهيم ولم يكن له أبٌ بل كان ابنَ إبنته، فنُسِبَ إليه مع بُعْدِهِ، فالحسن والحسين أولى أنْ يُنسَبَا إلى رسول الله مع قربهما منه فأمر له بعشرة آلاف دينار، وأمر بأنْ يحملوها معه إلى داره، وأذِنَ له في الرّجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب علي أن آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن لأني كنت أظن أني أعرفها فإذا أنا لا أعرفها فأتيته فإذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرقها عشراً عشراً ويتصدق بها ثم قال: هذا كله ببركة الحسن والحسين عليهما السلام، لئن كنا أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم[2].

---

(١) النطع: بساط من الجلد يُفرَش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٢٢٩.

[**الخبر الثاني**]: ما روي عن يحيى بن يَعْمُر العامري قال: بعث إلَيَّ الحجّاجُ لعنه الله تعالى فقال: يا يحيى أنتَ الذي تزعم أنّ وِلْدَ عليٍّ من فاطمة وِلْد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلتُ له: إنْ أمِنْتَنِي تكلَّمْتُ! قال: فأنتَ آمِن، قلتُ له: نعم، أقرأ عليكَ كتابَ الله، إنّ الله يقول: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ وعيسى كلمةُ الله وروحُه ألقاها إلى العذراء البتول، وقد نسبه اللهُ تعالى إلى إبراهيم عليه السلام.

قال: وما دعاكَ إلى نشر هذا وذِكْرِه؟

قلتُ: ما استوجب اللهُ عزّ وجلّ على أهل العِلْم في عِلْمِهِم: ﴿ ..لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ.. ﴿١٨٧﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، قال: صَدَقْتَ، ولا تعودَنَّ لِذِكْرِ هذا ولا نشره[1].

[**الخبر الثالث**]: ما رواه القمي عن أبيه عن ظريف بن ناصح عن عبد الصمد بن بشير عن أبي الجارود عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال أبو الجارود: قال لي الإمام أبو جعفر عليه السلام: « **يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين؟** » قلتُ: ينكرون عليهما أنهما ابنا رسولِ الله صلى الله عليه وآله، قال: « **فبأيِّ شيءٍ احتججتم عليهم؟** » قلتُ: بقول الله عزّ وجلّ في عيسى بن مريم: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ – إلى قوله – وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ وجعل عيسى من ذرية إبراهيم[2].

ووافقنا في ذلك جماعة من مفسِّري العامّة أمثال البيضاوي فقال تعقيباً على قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ.. ﴾: « **هو ابن مريم وفي ذكره دليلٌ على أنّ الذرية تتناول أولاد البنت** »[3].

وكذا ابن كثير القرشي الدمشقي ذكر ذلك، وقد أضاف عليه مؤكّداً رواية يحيى

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٢٢٨ ح١.

(٢) راجع (تفسير القمي) ج١ ص٢٣٧، و(البحار) ج٤٣ ص٢٣٣ ح٩ وج٩٣ ص٢٤٢ ح٧.

(٣) راجع (تفسير البيضاوي) ج١ ص٣٠٩.

بن يعمر[1].

وكذا القرطبي في تفسيره الجامع، والرازي كذلك حيث قال: « **الآية تدلّ على أنّ الحسن والحسين من ذرية رسول الله لأنّ الله تعالى جعل عيسى من ذرية إبراهيم مع أنه لا ينتسب إلى إبراهيم إلاّ بالأمّ، فكذلك الحسن والحسين من ذرية رسول الله وإنْ انتسبا إلى رسول الله بالأم وجب كونهما من ذريته، ويقال: إنّ أبا جعفر الباقر استدلّ بهذه الآية عند الحجّاج بن يوسف** »[2].

والحقّ ما ذكره صاحب الحدائق أعلى الله مقامه الشّريف حيث قال معقّباً على بعض هذه الأخبار: « **ولا يخفى ما فيه - أي خبر أبي الجارود - من الصّراحة في المطلوب والظّهور والتشنيع الفضيع على من قال بالقول المشهور ومشاركته للعامّة في ردّ كتاب الله المؤذن بالخروج عن الإسلام نعوذ بالله من زيغ الأفهام وطغيان الأقلام، ولكن العذر لهم تجاوز الله عنا وعنهم واضح بعدم تتبع الأدلّة والوقوف عليها من مظانها لتفرقها وعدم اجتماعها في باب معلوم. وفي الخبر كما ترى دلالة واضحة على أنّ إطلاق الولد في الآيات المتقدِّمة على ابن البنت على جهة الحقيقة وأنّه ولد للصلب حقيقة وإنْ كان بواسطة لا فرق بينه وبين الولد للصلب الذي هو متفق عليه بينهم** »[3].

وعليه؛ يتضح أنّ الآية المباركة دالّة على المطلوب بمعيّة الأخبار الآنفة الذِّكر، وهي في الواقع قرينة قطعيّة على إثبات المدَّعى.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا

---

(١) راجع (تفسير القرآن العظيم) ج٢ ص١٣٦.

(٢) راجع (تفسير الرازي) ج١٣ ص٦٦.

(٣) راجع (الحدائق الناضرة) ج١٢ ص٣٩٩.

رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

دلَّت الآية المبارَكة على حرمة نكاح أزواج الأبناء ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ﴾ والتقييد بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ من أجل إخراج زوجة المتبنى به، فحيث إنّ الابن المتبنى به ليس إبناً حقيقةً للمتبني له، فيجوز حينئذٍ نكاح زوجته بعد طلاقها من زوجها وإنتهائها من العدة تماماً كما حصل مع زينب بنت جحش حيث تزوجها النبي صلى الله عليه وآله بعد طلاقها من زيد بن حارثة، وزواجه منها تشريعاً لإبطال سنّة الجاهلية في حرمة تزويجهم من زوجة المتبنى به. فالمتبنى ليس ولداً للمتبني له لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ..وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ.. ﴿٤﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، ولقوله أيضاً: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ.. ﴿٤٠﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

فحلائل الأبناء من النسب لا يجوز نكاحهم عملاً بالآية الشريفة، وكذا لا يجوز نكاح حلائل الأبناء من الرّضاعة عملاً بقوله صلى الله عليه وآله: « **إنّ الله حرّمَ من الرّضاعة ما حرّم من النسب** »[1].

وحيث إنّ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله لا يجوز له أنْ يتزوج بحلائل الإمامين الحسنين عليهما السلام لجهة انتسابهما إلى الرّسول الأكرم بواسطة سيّدة النساء فاطمة عليها السلام، دلّ ذلك على أنهما عليهما السلام من أبنائه عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ﴾.

وقد عَلَّمَنا هذا الإستدلال مولانا الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام، فقد روى القمي والطبرسي والمجلسي غفر الله لهم عن أبي الجارود وقد عرضناها فلا نعيد.

مضافاً إلى ما ورد في صحيحة محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام أنّه قال: « **لو لم تحرم على الناس أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله لقوله عزّ وجلّ:** ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ.. ﴿٥٣﴾ ﴾ **حرمْنَ على الحسن والحسين عليهما السلام لقوله تعالى:** ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ.. ﴿٢٢﴾ ﴾ **ولا يصلح للرجل أنْ ينكح امرأة جدّه** ».

---

(١) راجع (مجمع البيان) ج٣ ص٤٣.

والتقريب فيها واضح إذ يحرم على ابن البنت زوجة جدّه من الأمّ لكونه أباً له بمقتضى الآية المباركة، فهي تدلّ على أنّ أب الأمّ أبٌ حقيقةً؛ إذ لولا ذلك لما اقتضت تحريم زوجة جدّه عليه، فيكون ولد البنت ولداً حقيقةً للتضايف، ويؤكده قوله عليه السلام في تعداد المحرمات: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ﴾ فإنّه لا خلاف في أنّه - بهذه الآية - يحرم نكاح الرّجل لزوجة ابن ابنته لصدق الإبنيّة عليه، ومنه كذلك قوله تعالى في تعداد المحرَّمات ﴿ وَبَنَاتُكُمۡ ﴾ فإنّه بهذه الآية حرمت بنت البنت على جدّها، ومنه أيضاً في تعداد من يحلّ نظره إلى الزينة بقوله سبحانه: ﴿ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ.. ٣١ ﴾ فإنّه بهذه الآية يحلّ لابن البنت النظر إلى زينة جدّته لأمّه بل زوجة جدّه بقوله تعالى: ﴿ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ.. ٣١ ﴾. ومن الظّاهر البيّن أنّه لولا صدق الإطلاق حقيقةً لَمَا جاز ترتُّب الأحكام الشّرعيّة المذكورة في جملة هذه الآيات ونحوها.

فقد اتضح من استدلاله عليه السلام - كما في رواية أبي الجارود - أنّ الآية دَلَّت على أنّ ولد البنت داخلٌ في الآية، كما دَلَّت على حرمة نكاح حليلة الابن، ولا يتمّ ذلك إلاّ بكون ولد البنت ولداً حقيقةً للصلب، فثبت المطلوب.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ.

أشارت الآية الشريفة إلى حادثة وقعت بين رسول الله ونصارى نجران حيث تحدّاهم النبيُّ صلوات الله عليه وآله إلى المباهَلة - أي الملاعَنة - والدّعاء والطلب من الله تعالى أنْ يهلك الكاذب في دعواه، وقد أخذ معه إلى تلك المباهَلة أعزّ الخلق عند الله تعالى ولَدَيْه صلى الله عليه وآله، فصحب معه مولانا أمير المؤمنين عليّاً وسيّدة النساء فاطمة وولديهما الإمامين الحسنين عليهما السلام فقد عنى بنفسه ﴿ أَنفُسَنَا ﴾ أميرَ المؤمنين عليّاً عليه السلام فهو نفسه، وعنى بالأبناء الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وعنى بالنساء مولاتَنا فاطمةَ سيّدة النساء عليها السلام.

وتروي الأخبار أنّ وفد النصارى لمّا وفدوا إليه في المدينة دنوا منه وقالوا: إلامَ تدعونا؟ قال: « **إلى شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وأني رسول الله وأنّ عيسى عبدٌ مخلوقٌ يأكل ويشرب..** ». قالوا: فمَن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله فقال له: قل لهم: ما تقولون في آدم أكان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب... فسألهم النبيُّ فقالوا: نعم، فقال: « **فمَن أبوه؟** » فبُهتُوا، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾. ثمّ قال لهم النبي صلى الله عليه وآله: « **باهلُوني فإنْ كنتُ صادقاً أُنْزِلَتِ اللعنةُ عليكم، وإنْ كنتُ كاذباً أُنْزِلَتِ اللعنةُ عَلَيَّ** »، فقالوا له: أنصَفْتَ، فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: السيِّد والعاقب والأهتم، إنْ باهلنا بقومه باهلناه فإنه ليس بنبيّ، وإنْ باهلنا بأهل بيته خاصة فلا نباهله، فإنه لا يقدم على أهل بيته إلاّ وهو صادق، فلمّا أصبحوا جاءوا إلى رسول الله ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فقال النصارى: مَن هؤلاء؟ فقيل لهم: إنّ هذا ابن عمّه ووصيّه وخِتنُه عليّ بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة، وهذان إبناه الحسن والحسين عليهما السلام، ففرقوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: نعطيكَ الرِّضا فاعفِنا عن المباهلة، فصالحهم رسولُ الله على الجزية وانصرفوا[1].

فذيل الخبر " **وهذان ابناه** " فيه دلالة واضحة على أنّ ابن البنت ابنٌ حقيقةً للجدِّ..

والحاصل: لقد دَلَّت الآية والأخبار على أنّ المراد من ﴿ أَبْنَآءَنَا ﴾ هما الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام، وحصر الأبناء بالإمامين حصراً حقيقياً لا تشريفيّاً مجازياً، لذا لا بدّ من الإلتزام بكونهما عليهما السلام إبنَيْن للنبي حقيقةً فيكون ابنُ البنت ابناً لجدّه والد أمّه.

الدليل الثاني: الأخبار الدالة على أنّ الإمامين الحسنين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله:

بالإضافة إلى الأخبار المتقدِّمة التي فَسَّرَت الآيات بأنهما عليهما السلام ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقةً وليس مجازاً، ثمّة أخبار أخرى تدلّ على المدَّعى روى بعضاً منها العلاّمة

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٣ ص٣٤٧.

المجلسي طيّب الله ثراه وهي الآتي :

[**الخبر الأوّل**]: ما رواه عن المناقب بإسناده إلى حريز بن عبد الحميد عن شيبة بن نعامة عن السيِّدة فاطمة بنت الإمام الحسين عن السيِّدة فاطمة الكبرى سيّدة النساء قالت : « **قال رسول الله: كلُّ بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلاّ ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم** »[1]، وورد أيضاً بسَنَدٍ آخر إلى عمر بن الخطّاب لعنه الله[2].

الخبر واضح الدّلالة من حيث إنّ المنتسبين بالأمّ إلى السيِّدة المعظَّمَة هم أولادها قطعاً ؛ والنبيّ جدُّهُم، لذا يصدق عليهم أنّهم سادةٌ هاشميّون نسبةً لجدّهم الأعلى هاشم...

[**الخبر الثاني**]: نقلاً عن (الإحتجاج وعيون أخبار الرِّضا عليه السلام) عن هاني بن محمّد بن محمود، عن أبيه رفعه إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قال: « **دخلتُ على الرشيد فقال لي: لِمَ جوَّزتم للعامة والخاصة أنْ ينسبوكم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقولون لكم يا بني رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنتم بنو عليّ عليه السلام، وإنما يُنْسَب المرءُ إلى أبيه، وفاطمة إنما هي وعاء، والنبي جدّكم من قِبَل أمّكم؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين لو أنّ النبي صلى الله عليه وآله نشر فخطب إليكَ كريمتك هل كنتَ تجيبه؟ فقال: سبحان الله ولِمَ لا أجيبه، بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك، فقلتُ: لكنه صلى الله عليه وآله لا يخطب إليَّ ولا أزوِّجه فقال: ولِمَ؟ فقلتُ: لأنه وَلَدَنِي ولم يَلِدْكَ، فقال: أحسنتَ يا موسى، ثم قال: كيف قلتُم إنّا ذرية النبي صلى الله عليه وآله والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأنثى، وأنتم ولد الإبنة ولا يكون لها عقب؟ فقلتُ: أسأله بحقّ القرابة والقبر ومَن فيه إلا ما أعفاني عن هذه المسألة، فقال: لا أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد عليّ، وأنت يا موسى يعسوبهم وإمام زمانهم، كذا ألقي إليَّ ولست أعفيكَ في كلّ ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجّة من كتاب الله تعالى، فأنتم تدَّعون معشر ولد عليّ أنه لا يسقط**

(١) راجع (البحار) ج٤٣ ص٢٢٨ ح١.

(٢) راجع (البحار) ج٩٣ ص٢٤٤.

عنكم منه شيء ألف ولا واو إلا وتأويله عندكم واحتججتم بقوله عز وجل: ﴿ ..مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ.. ﴿٣٨﴾ ﴾، **وقد استغنيتم، عن رأي العلماء وقياسهم، فقلتُ: تأذن لي في الجواب؟ فقال: هاتِ، فقلتُ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ** ﴿ ..وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ.. ﴾، **مَن أبو عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أبٌ!! فقلتُ: إنما ألحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام من طريق مريم عليها السلام، وكذلك أُلْحِقْنَا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبَلِ أمّنا فاطمة عليها السلام، أزيدك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: هات، قلتُ: قول الله عز وجل:** ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ **ولم يدَّعِ أحدٌ أنّه أدخل النبي صلى الله عليه وآله تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان تأويل قوله عز وجل:** ﴿ أَبْنَآءَنَا ﴾ **الحسن الحسين، و**﴿ نِسَآءَنَا ﴾ **فاطمة عليها السلام، و**﴿ أَنفُسَنَا ﴾ **عليّ بن أبي طالب عليهما السلام** »[1].

[**الخبر الثالث**]: (الأمالي للصدوق) أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البجلي، عن جعفر بن محمّد بن سماعة، عن ابن مسكان، عن الحكم بن الصلت، عن الإمام الباقر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُذُوا بحجزة هذا الأنزع**[2] **يعني علياً؛ فإنه الصِّدِّيق الأكبر، ومنه سِبْطَا أمَّتِي الحسن والحسين، وهما إبناي** »[3].

[**الخبر الرّابع**]: (عيون أخبار الرِّضا عليه السلام والأمالي) للصدوق عن ابن شاذويه

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٩٣ ص٢٤٠ ح٤.

(٢) الأنزع: البعيد عن الشِّرك كما جاء في الأخبار الشّريفة، وليس المنحسر الشَّعر عن جانبي ناصيته؛ فإنّ ذلك ليس فضيلةً للإمام عليه السلام لتساوي أغلب الرّجال بها، ولأن ذلك عيب جسدي يتنزه عنه المعصوم فتأمَّلْ.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٩٣ ص٢٤٢ ح٥.

وابن مسرور معاً، عن محمّد الحميري، عن أبيه، عن الريان، عن الإمام الرِّضاعليه السلام فيما بُيِّنَ عند المأمون من فضل العترة الطاهرة على الأمّة: « ...**أمّا العاشرة فقول اللهﷻ في آية التحريم:** ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ ﴾ **الآية إلى آخرها، فأخْبِرُونِي أَهَلْ تصلح إبنتي أو إبنة إبني وما تناسل من صلبي لرسول الله أنْ يتزوّجها لو كان حيّاً!!** قالوا: لا، **قال: فأخْبِرُونِي هل كانت إبنة أحدكم تصلح له أنْ يتزوّجها لو كان حيّاً!!** قالوا: بلى، **قال: ففي هذا بيان لأني أنا من آله ولستم من آله ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتي لأنّا من آله وأنتم من أمته فهذا فَرْقٌ ما بين الآل والأمّة لأنّ الآل منه والأمة إذا لم تكن من الآل ليست منه...** ثمّ قالعليه السلام: **أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل؟** فقالوا: نعم، قالعليه السلام: **فتحرم على الأمة؟** قالوا: لا، **قال: هذا فَرْقٌ بين الآل والأَمَة..** »[(1)].

[**الخبر الخامس**]: (الأمالي) للصدوق عن أبيه، عن محمّد بن عليّ، عن عبد الله بن الحسن المؤدب، عن أحمد بن عليّ الأصبهاني، عن الثقفي، عن عليّ بن هلال، عن شريك، عن عبد الملك بن عمير قال: بعث الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال له: أنتَ الذي تزعم أنّ ابنَيْ عليّ ابنا رسول اللهﷺ؟ قال: نعم وأتلو عليك بذلك قرآناً، قال: هات، قال : أعْطِنِي الأمان، قال: لك الأمان، قال: أليس الله ﷻ يقول: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ.. ﴿٨٥﴾ ﴾ أفكان لعيسى أبٌ؟ قال: لا، قال: فقد نسبه اللهﷻ في الكتاب إلى إبراهيم، قال: مَن حملك على هذا أن تروي مثل هذا الحديث؟ قال: ما أخذ اللهُ على العلماء في عِلْمِهِم أنْ لا يكتموا عِلْماً عُلِّمُوه[(2)].

---

(1) راجع (البحار) ج٩٣ ص٢٤٢ ح٦، و(عيون الأخبار) ج١ ص٢٠٧ - ٢١٧ باب ٢٣ والخبر طويل.

(2) راجع (البحار) ج٩٣ ص٢٤٢ ح٧.

[**الخبر السّادس**]: (تفسير العياشي) عن بشير الدهان، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم عليه السلام من قبَل النساء ثم تلا:** ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ ﴾ **إلى آخر الآيتين وذكر عيسى** »(١).

[**الخبر السّابع**]: (إعلام الورى) من كتاب نوادر الحكمة بإسناده، عن عائذ بن نباتة الأحمسي قال: دخلتُ على الإمام أبي عبد الله عليه السلام وأنا أريد أنْ أسأله، عن صلاة الليل ونسيتُ، فقلتُ: السلام عليكَ يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام: « **أجل واللهِ إنّا وِلْدُهُ، وما نحن بذي قرابة من أتى الله بالصلوات الخمس المفروضات لم يسأل عمّا سوى ذلك فاكتفيتُ بذلك** »(٢).

[**الخبر الثامن**]: كنز الكراجكي قال: روى شيخنا المفيد أنّه لما سار المأمون إلى خراسان كان معه الإمام الرِّضا عليه السلام، فبينا هما يتسايران إذ قال له المأمون: يا أبا الحسن إني فكرتُ في شيء فنتج لي الفكر الصواب فيه، فكرتُ في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدتُ الفضيلةَ واحدةً، ورأيتُ اختلاف شيعتنا في ذلك محمولة على الهوى والعصبية، فقال الإمام أبو الحسن الرِّضا عليه السلام: « **إن لهذا الكلام جواباً إنْ شئتَ ذَكَرْتُهُ لكَ، وإنْ شئْتَ أَمْسَكْتُ** »، فقال له المأمون: لم أقلْه إلا لأعلم ما عندك فيه؟ قال الإمام الرِّضا عليه السلام: « **أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أنّ الله تعالى بعث نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله فخرج علينا من وراء أكمة من هذه الآكام فَخَطَبَ إليكَ ابنتكَ لَكُنْتَ مُزَوِّجَهُ إياها؟** » فقال: يا سبحان الله وهل أحد يرغب عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال له الإمام الرِّضا عليه السلام: « **أَفَتَرَاهُ كان يحلّ له أنْ يخطب إليَّ؟** » قال: فَسَكَتَ المأمونُ هنيئةً ثمّ قال: أنتم والله أمسُّ برسول الله صلى الله عليه وآله رَحِماً(٣).

---

(١) راجع (البحار) ج٩٣ ص٢٤٣ ح٨.

(٢) راجع (البحار) ج٩٣ ص٢٤٣ ح١٠.

(٣) راجع (البحار) ج٩٣ ص٢٤٣ ح١١.

[**الخبر التاسع**]: ما رواه الكليني والصّدوق في الفقيه والشيخ في كتابيه بطرق عديدة ومتون متقاربة عن عائذ الأحمسي قال: دخلت على الإمام أبي عبد الله عليه السلام وأنا أريد أنْ أسأله عن صلاة الليل، فقلت: السّلام عليكَ يا ابن رسول الله، فقال: « **وعليكَ السّلام، إي واللهِ أنا لولده وما نحن بذوي قرابة** »[1].

ونعم ما قال صاحب الحدائق تعقيباً على الخبر: « **أنظر صراحة كلامه عليه السلام في المطلوب والمراد وقسمه على ذلك بربّ العباد وأنه ليس انتسابهم إليه صلى الله عليه وآله بمجرّد القرابة كما يدعيه ذوو العناد والعتاد ومن تبعهم من أصحابنا ممن حاد في المسألة عن طريق السّداد حيث حملوا لفظ الأبنية في حقّهم عليهم السلام على المجاز وهي ظاهرة بل صريحة كما ترى في إرادة البنوّة الحقيقيّة لا مسرح للعدول عنها والجواز.**

ففي هذه الأخبار دلالة وافية على أنّ ابن البنت ابنٌ حقيقةً للجدّ، والدّعوى الأخرى[2] المناهضة لهذه الأخبار مجافية للبحث الموضوعي وللاطلاقات في هذه الأخبار ».

ومجمل القول في هذه الأخبار ونحوها أنها قد دلّت على دعواهم عليهم السلام البنوّة للرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله وافتخارهم بذلك، وأنّ المخالفين أنكروها عليهم، وهم عليهم السلام قد استدلّوا على إثباتها بالآيات القرآنية كما مرّ، ولولا أنّ المراد بالبنوّة الحقيقيّة لما كان لما ذكر من هذه الأمور وجه؛ لأنّ المجاز لا يوجب الافتخار ولا يصلح أنْ يكون محلاً للمخاصمة والجدال وطلب الأدلّة وإيراد الآيات دليلاً عليه، بل هذه أشياء إنما تترتب على المعنى الحقيقي، ولكنّ أصحابنا (رضوان الله عليهم) لم يعطوا المسألة حقَّها من التتبع لأخبارها والتطلّع في آثارها فوقعوا فيما وقعوا فيه.

إنْ قيل: إنّ الأخبار المتقدِّمة الدالة على أُبوّة النبي لإبنَي ابنته، تنافي قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ ﴾ الأَحْزَابِ، إذ الإطلاق في الآية ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ ﴾ ينفي أنْ يكون النبيُّ أباً للإمامَين الحسنين عليهما السلام فيقع التعارض بين ظواهر الأخبار

(١) راجع (الفروع) ج١ ص١٣٧، و(الوسائل) باب ١٧ من أعداد الفرائض ونوافلها.

(٢) أي دعوى أنّ ابن البنت ليس ابناً للجد حقيقةً.

وإطلاق الآية، فتُقَدَّم الآية على غيرها.

قلنا: ليس ثمّة تعارض بين الأخبار المتقدِّمة وبين الآية الشريفة؛ لأنّ الآية تنفي أنْ يكون النبي أباً نسبيّاً لزيد بن حارثة الذي نزلت فيه الآية، فموردها هو زيد، ولا دخل للإمامَيْن الحسنين فيها؛ لأنّهما عليهما السلام كانا من رجاله صلى الله عليه وآله كإبراهيم ولده مع أنّ الإمام الحسين عليه السلام حين نزول هذه الآية ما كان بالغاً حدَّ الرّجال فلا تشمله الآية المذكورة، والنفي مخصوص بالماضي فلا يندرج فيه الإستقبال.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ الإمامين الحسنين عليهما السلام من رجاله النسبيين، فمدلول الآية ينفي الأبوّة النسبيّة لمن لم يثبت كونه كذلك بدليلٍ شرعيٍّ، وهذا خارج عن الإمامين الحسنين لثبوت البنوّة في حقّهما؛ فالإمام الحسين عليه السلام ابنُ رسول الله ظاهراً وباطناً للوجوه التي ذكرناها آنفاً.

مضافاً إلى أنّ المعصوم لا يرجع إلى نصوص أهل اللغة عملياً لكونه المطّلع الحقيقي على معاني الألفاظ، فإذا دار الأمر بين قوله وقول اللغوي يجب الأخذ بقول المعصوم بالإجماع. – وموردنا – من هذا القبيل إذ إنّ القرآن يثبت كون عيسى ابن إبراهيم بواسطة أمّه، ثمّ اللغوي يقول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا   بنوهن أبناء الرّجال الأباعد

أليس قول مَن استدلّ برأيهم نظير القول: أنت تقول والربّ يقول، ولا آخذُ إلاّ بقولكَ وليس بقول الرّبِّ.

ودعوى أنّ الإطلاق أعمّ من الحقيقة والمجاز خصوصاً مع وجود المعارض كرواية حماد بن عيسى حسبما ادّعاه الشهيد الثاني والعلاّمة الحلّي في مختلف الشّيعة بالعرف واللغة.. مردودة أيضاً لا يُلْتَفَتُ إليها ولا يعَوَّل عليها؛ وذلك للآيات والرّوايات التي قدّمنا شطراً منها، ولأصالة الحقيقة المتعينة في مثل هذا المقام لأنّ المجاز لا يوجب الافتخار ولا يصلح أنْ يكون محلاًّ للمخاصمة والجدال وطلب الأدلّة وإيراد الآيات دليلاً عليه، بل هذه الأشياء تترتب على المعنى الحقيقي كما أشرنا إليه آنفاً... والإمامان الحسنان إنما فضلا بأنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله على المعنى الحقيقي لا المجازي،

إذ لا فضيلة ولا مدح في وصف مجاز مستعار، ولم تزل العرب في الجاهليّة تنسب الولد إلى جدّه في مواضع المدح ولا يتناكرون ذلك ولا يحتشمون منه، ويكفي في إثبات هذه الحقيقة في إطلاق البنوّة على النبي عيسى حيث يُنسَب إلى آدم وولده من جهة الأمومة دون الأبوّة...

وبالجملة: فإنّ الظاهر من الاستعمال الحقيقة وعلى مدّعي المجاز الدّلالة، ولو كان الأمر ما ادّعوه لما جاز لأئمتنا عليهم السلام الرضا بذلك إذا خاطبهم من لا يعرف كون هذا الإطلاق حقيقةً ولا مجازاً لأنّ فيه إغراء بما لا يجوز، مع أنّه لا يجوز لأحدٍ أنْ ينتسب لغير نسبه أو يتبرّأ من نسب وإن دق، فكيف بعد القسم والتأكيد ودفع ما عساه أنْ يتوهم...

وأمّا ما ادّعاه الحلي والشهيد الثاني من عدم انعقاد أصالة الحقيقة لوجود معارِض فدونه خرط القتاد، إذ ما استدلاّ به على المدَّعى بالعرف واللغة فباطل لكونه مخالفاً لقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «**هذان إبناي**» و«**لا تزرموا ابنيّ**» أي لا تقطعوا عليه بوله، وكان قد بال الإمام الحسن عليه السلام في حجر جدّه الرّسول الأكرم، مضافاً للأخبار الكثيرة الدالة على حقيقة بنوّته صلى الله عليه وآله للإمامين الحسنين عليهما السلام، ومخالفٌ أيضاً لإجماع الأمّة والمعقول – بحسب قول الشيخ الطوسي في الخلاف – فوجب ردّه.

والاستدلال برواية حماد ساقط بل هابط لكونها مرسلة، ومتى كان الاستدلال بالمراسيل حجّةً على المطالب العلميّة والفقهيّة؟! ولو سلّمنا وجود المعارِض من الأخبار فسبيله إمّا الحمل على التقيّة أو التّأويل..

وبهذا يتضح أنّ دعوى المجاز خلاف الأصل فوجب الحمل على الحقيقة لا سيّما مع نصب القرائن المؤكِّدة للمعنى الحقيقي.. وعليه فلو أُطلِقَ لفظ الابن والبنت على ولد البنت الهاشميّة من طرف أمّها، ودار بين الحقيقة والمجاز، فالأصل كونه حقيقة حتى يرد دليل قطعي يثبت كونه مجازاً، وما عدا ذلك فهو كلامٌ شعريٌّ لا أساس له في التشريع لمعارضته للآيات والأخبار، وعلى فرض حجّة ما جاء في اللغة، فإنّه يتعارض مع النصوص الشرعيّة القطعيّة الدالّة على الحقيقة، وترجع المسألة إلى عدم

حجية قول اللغوي في تعيين المطالب الشرعية عند المعارضة ؛ لأنّ قول اللغوي ليس حجّةً إذا عارض النصوص القطعيّة ، وقول اللغوي ليس حجّةً ولا دليلاً قطعيّاً حتى يُرجَع إليه ، بل ربّما يكشف عن الحجية في بعض الأحيان ، ولا عبرة بأكثر أقوال اللغويين في مقام استكشاف الألفاظ لأنّ أكثر المدوِّنين للغة همّهم أنْ يذكروا المعاني التي شاع استعمال اللفظ فيها من دون كثير عناية منهم بتمييز المعاني الحقيقيّة من المجازيّة إلاّ نادراً...

الدليل الثالث: الأصل في الإطلاق الحقيقة :

خلاصة الدليل الأصولي: إنّ الآيات والأخبار المتقدِّمة أطلَقَت أبوّةَ الجدّ على ابن البنت ، وهذا الإستعمال من قبيل الحقيقة لا المجاز.

ودعوى أنّ إنتساب الشخص إلى هاشم من طرف الأمّ مجاز ، وليس من باب الإشتراك في الوضع ، فإنّ المجاز مقدم على الإشتراك حيث تَعَارَضَ الإحتمالان ، لعدم تعدد الوضع في المجاز ، مردودة بما إذا كان الإشتراك المحتمل إشتراكاً لفظياً ، أمّا الإشتراك المعنوي فهو مقَدَّم على المجاز لأنّه حقيقة.

مضافاً أنّ هذه الدّعوى اعتمَدَت على أمور إستحسانية لا يمكن إثبات اللغة بها.

فالصحيح ما ذهب إليه السيِّد المرتضى رحمه الله وهو أنّ ابن البنت ابنٌ حقيقةً ، واستدلّ على مطلبه بأمرَين :

الأوّل: أنّ الأصل في الإطلاق الحقيقة ، وقد ثبت إطلاق الإسلام في قوله صلى الله عليه وآله في الإمامين الحسنين عليهما السلام : « **هذان إبناي قاما أو قعدا** ».

الثاني : إنّ مَن أوصى بمالٍ لولد مولاتنا فاطمة عليها السلام دخل فيه أولاد بنيها وأولاد بناتها حقيقةً ، وكذا لو وقف على ولده ، دخل فيه ولد البنت لدخول ولد البنت تحت الولد[1].

إنْ قيل: إنّه إنما يصدق الإنتساب حقيقةً إذا كان من جهة الأب عرفاً ، فلا يُقال

(١) راجع (مختلف الشيعة) ج٣ ص٢٣٢ نقلاً عن (رسائل المرتضى) ج٤ ص٣٢٨.

تميمي إلاّ لَمن انتسب إلى تميم بالأب ولا حارثي إلاّ لمن انتسب إلى حارث بالأب ويؤيده قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا　　　　بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وما رواه حماد بن عيسى قال: رواه لي بعض أصحابنا عن العبد الصالح الأول الإمام الكاظم قال عليه السلام: « **مَن كانت أمه من بني هاشم وأبوه من سائر قريش فإنّ الصدقة تحلّ له، وليس له من الخمس شيء، لأنّ الله تعالى يقول:** ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ.. ۝ ﴾ ».

جوابه: عند تعارض النقل والعرف، يؤخذ بالنقل لا العرف، فإنّا لم نجد دليلاً واضحاً على إثبات صحّة الإعتماد على العرف، فالعرف إنّما يُرْجَع إليه في حال لم يكن متعارضاً مع النقل، أمّا معه فلا، وذلك لابتناء العرف أغلب الأحيان على أمور لا واقعيّة لها.

ودعوى أنّ العبرة بالصّدق العرفي فما وافقه فيؤخَذ به، وإلاّ فلا، لم أجد لها مستنداً شرعيّاً أو عقليّاً سوى أنّه استحسان وذوق اعتبره بعض الفقهاء من المسلّمات.. مدفوعة بأنّ الولد تابع لأشرف الوالدين أو لأنّ الحقائق العرفيّة في الجزيرة العربيّة تولي أهميّة للرجل دون المرأة..

والتسمية العرفيّة أو الصّدق العرفي على بعض العناوين ليس حجّةً شرعيّةً حتى يتمسّك به، بل الصّدق العرفي هو أمرٌ اعتباريٌّ تبانى عليه العقلاء لقيمومة الرّجل على المرأة، والعبرة بالحقائق الشّرعيّة وليس بالتسميات العرفيّة فتأمَّلْ.

مضافاً إلى أنّ دعوى العرف على صدق الانتساب حقيقةً فيما إذا كان من جهة الأب مردودة لمعارضتها بصحّة وصدق إطلاقه على المنتسبين إلى الهاشميين والعلويين من ناحية الأمّ، فالعرف ببابنا فيقع التعارض بين العرف المدَّعى وبين عرفنا الذي لا يفرِّق بين الهاشمي أو العلوي في كونه من ناحية الأب أو الأمّ... وتظهر الفائدة فيما لو وقف الرّجل الهاشمي داره على أولاد أولاده دخل فيه ولد البنت لاندراجه تحت الولد، وذلك لصحّة انتساب ولد الولد إلى المنسوب الواقف...

وبعبارةٍ أخرى: كونه ولداً حقيقةً يستلزم الانتساب إليه بطريق أولى، فلا يصحّ التفكيك بين الأمرين لأنّه من باب التفكيك بين الشيء ولازمه... والاستشهاد بالتميمي والحارثي فلا يقال لهما تميمي أو حارثي إلاّ لمن انتسب إلى تميم أو حارث بالأب فكلام لا حقيقة له في الأخبار، بل هو معاكسٌ لها، لقد ورد في جملة من الأخبار على صحّة نسبتهم عليهم السلام بل جميع الذرية إلى النبيّ الأعظم فيقال: محمّدي كما يقال علويّ، ومن ذلك ما رواه في (أصول الكافي) في باب ما نصّ الله ورسوله على الأئمّة عليهم السلام واحداً فواحداً بسند صحيح عن عبد الرحيم بن روح القصير عن مولانا أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ.. ۞ ﴾ ثمّ ساق الحديث الدال على اختصاص الإمامة بهم.. إلى أنْ قال: فقلت له: هل لولد الحسن عليه السلام فيها نصيب؟ فقال عليه السلام: « **لا والله يا عبد الرحيم ما لمحمدي فيها نصيب غيرنا** ».

وما رواه الصّدوق في كتاب (معاني الأخبار) عن حمزة ومحمّد ابني حمران عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال فيه بعد ذكر حمران لعقيدته في الإمامة ما صورته: « **يا حمران مد المطمر بينك وبين العلم** » قلت: يا سيدي وما المطمر؟ قال: « **أنتم تسمّونه خيط البناء فمن خالفك على هذا الأمر فهو زنديق** »، فقلت: وإنْ كان علوياً فاطمياًّ؟ فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **وإنْ كان علوياًّ فاطمياًّ** ».

وهذان الحديثان صريحان كما ترى في صحّة النسبة إليه صلى الله عليه وآله بأنّ كلّ مَن كان من ذريته وأبناء ابنته فهو محمّديٌّ، وبه يظهر أنّ ما ذكره من أنّه لا تصحّ النسبة إليه إلاّ إذا انتسب بالأب كلام شعري لا تعويل عليه.

ويؤكّد ما ذكرنا ما رواه في (الكافي) في باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في الإمامة عن مولانا أبي جعفر عليه السلام قال: « **...الله بيننا وبين من هتك سترنا وجحدنا حقّنا وأفشى سرّنا ونسبنا إلى غير جدّنا وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا** »، ومما يدلّ على صحّة الانتساب بالأم زيادة على ما قدّمنا ما رواه العياشي

في تفسيره والبرقي في المحاسن عن بشير الدهّان عن المولى أبي عبد الله﴿عليه السلام﴾ قال: « ...**والله لقد نسب الله عيسى بن مريم في القرآن إلى إبراهيم من قبل النساء ثمّ تلا:** ﴿ ..وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ » وذكر عيسى﴿عليه السلام﴾ أترى يصحّ التفكيك بين انتسابه إلى أمّه وجدّه إبراهيم وبين الميراث والوقف وبقيّة التكاليف الإلهيّة والتي منها حرمة الصّدقات الواجبة عليه كالزكاة مثلاً؟! لا أدري كيف يكون موقف المشهور وجوابهم على ما ذكرنا؟!

ولا يُستَدَلُّ بقول اللغويين على إثبات المطالب في حال عارَضَت الأخبارَ عندنا. مضافاً إلى أنّه لا يمكن لخبر حمّاد أنْ يتقدّم على الآيات والأخبار المتضافرة الدالة على أنّ ابن البنت ابنٌ حقيقةً وأنّه من ذرية آل النبيّ وقرابته، لا سيّما أنّ الخبر مرسَلٌ لا يصلح أنْ يكون مخصِّصاً أو مقيِّداً لعدم توافر شروط العموم والخصوص أو الإطلاق والتقييد، بل المسألة داخلة في باب التعارض وليست داخلة في باب العموم والخصوص أو الإطلاق والتقييد.

مضافاً إلى أنّ دعوى دخول المرسَلة في باب الإطلاق والتقييد، فيكون مقيّداً للاطلاقات فيخرج عن الإرسال بعد انجباره بعمل المشهور لقاعدة: " **إنّ عمل المشهور بخبر ضعيف توثيق عملي للمخبر به فيثبت به كونه ثقة** " فيدخل في موضوع الحجية... هذه الدعوى مدفوعة بأنّ عمل المشهور إنّما يكون حجةً في حال كان عملهم موافقاً للقرائن الموجبة للعلم أو الاطمئنان بصدق الخبر، أو دل الدليل المعتبر على صدق الخبر فيؤخذ به، وذلك لأن القرينة الموجبة للأخذ بالخبر وكذلك الدليل المعتبر الدال على صدقه، داخلان في التبين الوجداني والتعبدي، ولا يبعد أيضاً أن يكون نفس عمل المشهور من التبين في حال عدم معارضة الخبر الذي أخذوا به لأخبارٍ أخرى أكثر إعتباراً من حيث الموافقة للكتاب والقرائن الداخلية والخارجية، وهذا كلام لا مغمز في حجيته من حيث موافقته للأصول الواصلة إلينا من أئمة الهدى الآمرة بالتمسك بكلِّ خبرٍ موافقٍ للكتاب الكريم والسنة المطهرة، ولا يبعد

صدق الدعوى القائلة بأن عمل المشهور الذي لا يعتمد على القرائن الدالة على صدق تمسكه بالخبر يكون مجملاً من هذه الناحية، والمجمل لا يُعلَم وجهه فلا يصح التمسك به، فيحتمل أنْ يكون عملهم به لما ظهر لهم من صدق الخبر ومطابقته للواقع بحسب نظرهم واجتهادهم، لا لكون المخبر ثقة عندهم، فالعمل بخبر ضعيف لا يدلّ على توثيق المخبر به، ولا سيّما أنهم لم يعملوا بخبرٍ آخر لنفس هذا المخبر.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ الخبر الضّعيف لا يكون حجّةً في نفسه، وكذلك فتوى المشهور غير حجّة على الفرض أيضاً، وانضمام غير الحجة لا يوجب الحجية، فإنّ انضمام العدم إلى العدم لا ينتج إلاّ العدم... وانضمام الضعيف إلى الضعيف لا ينتج قوّةً؛ لأن أصل فتوى المشهور لا تكون حجة بنفسها ما لم تستند على المدرك للحكم وإلا لأصبح كلُّ مشهور حجةً وهو خلف المطلوب في الأدلة الدالة على أتباع الدليل كحجَّةٍ شرعية وليس الشهرة لأنها شهرة بذاتها من دون أن تعتمد على الحجّة الشرعيَّة.

والانجبار المفترض أن يكون جابراً لعمل المشهور إنَّما هو الانجبار بعمل قدماء الأصحاب باعتبار قرب عهدهم بزمان المعصوم عليه السلام، ولأنهم أوفر حظاً منا بالوصول إلى القرائن الموجبة للعلم.

إنَّ القول بانجبار الخبر الضعيف بعمل المشهور يكون تاماً شريطة أن لا يعارضها شهرة أخرى مدعومة بأدلة أقوى من أدلة الشهرة الأولى على فرض وجودها في مثل مقامنا بالنسبة إلى نفي السيادة عن المنتسب إلى هاشم بالأم وهي غير متحققة عند المتقدمين حتى يمكن تقديمها على غيرها في مقام العمل، وعلى فرض ثمة شهرة على النفي فلا اعتداد بها لأجل مناهضتها للدليل النقلي من الكتاب والسنة، ودعوى وجود أخبار تنفي السيادة عن المنتسب إلى هاشم بالأم.. مردودة بسبب معارضتها للكتاب الكريم المثبت لسيادة نبي الله عيسى عليه السلام وانتسابه إلى جده إبراهيم عليه السلام من ناحية أمه باعتباره بلا أبٍ...

يتلخص مما أشرنا: إنَّ الشهرة قد تناهض الدليل القطعي فلا يجوز - والحال هذه

- تقديمها على الدليل القطعي من الكتاب والسنَّة، ولعلَّ هذا هو ما دعا المحقق السيِّد الخوئي رحمه الله إلى رفض قاعدة إنجبار الخبر الضعيف بعمل المشهور في تقريراته الأصوليّة وإبطاله لحجية فتوى المشهور المقابلة للدليل المعتبر الموافق للكتاب والسنة، وهو الحق الذي لا نحيد عنه بالشرط الذي أسسناه.

فالصحيح - إذاً - بمقتضى التحقيق أنّ الميزان في حجية الخبر كونه موافقاً للكتاب الكريم والقرائن الأخرى، فإذا كان مستوفياً لما ذكرنا كان حجةً، ولا يقدح إعراض المشهور عنه، وكذلك فإنّ إعراض المشهور عن الخبر الضعيف سنداً لا يوجب وهنه فيما لو كان مخالفاً للكتاب كموردنا في مرسلة حماد التي ادعى ثلة من فقهاء الإماميّة كون سندها منجبراً بعمل الأصحاب.. مع التأكيد على أنّ قدماء الأصحاب كالكليني ونظائره ممن لهم مصنفات لم يتعرضوا للمسألة فمن أين نثبت حينئذٍ أنّ الأصحاب كلّهم أو جلّهم عملوا برواية حمّاد حتى يكون عملهم جابراً لضعف سندها؟!

فدعوى وجود شهرة أو إجماع على العمل برواية حمّاد غير ثابتة لا سيّما مع وجود مخالف منهم كالسيِّد المرتضى والمفيد ونظائرهما، وهؤلاء الأعلام هم أعمدة الشهرة عند المتقدمين، فيبقى انجبار الرّواية بعمل الأصحاب مجرّد دعوى للمتأخِّرين كغيرهما من دعاوى الإجماع التي لا حقيقة لها عند التتبع والفحص.

خلاصة القول: إنّ ابنَ البنت ابنٌ للجد حقيقةً، ويصدق عليه أنّه هاشميٌّ، له ما للهاشميين من طرف الأب عُرفاً وشرعاً، ويؤكِّد هذا ما ورد عن نسب أمير المؤمنين عليه السلام أنه أوّل هاشمي تولّد من هاشميَّين من طرف الأب والأم.

فالتعبير بأنه عليه السلام " **أول هاشمي تولد من هاشميين** " إقرار واضح بأنه سيّد من بني هاشم... وبناءً عليه؛ فإنّ الإمام الحسين عليه السلام ابنُ رسول الله صلى الله عليه وآله، لذا صحّ خطابُه بـ" **السَّلام عليكَ يا بنَ رسولِ الله** ".

كلّ ذلك بناءً على القول بأنّ المقصود بالبُنوّة الناحية النسبيّة التي ينظر إليها العرب نظرةَ التقديس والإجلال، فكلّما كان المرءُ طاهر المولد صحيح النَّسَب كان محترَماً في أعرافهم وتقاليدهم، فكيف لو كان منتسِباً إلى أشرف قبيلة في جزيرة

العرب بل العالم وهي سلالة هاشم من قبيلة قريش.

لكنّ الأظهر أنّ المراد بالبنوّة هي الروحية والنفسية، وهذا نظير قوله صلى الله عليه وآله: « **حسينٌ منّي** »، وكأنّ الفقرتين المتقدّمَتَيْن « **السّلام عليكَ يا أبا عبد الله، السَّلام عليكَ يابن رسول الله** » تشيران إلى قول النبي صلى الله عليه وآله: « **أنا من حسين وحسين منِّي** »، فأنا من حسين هي فقرة قوله « **السّلام عليكَ يا أبا عبد الله** » وحسين مني هي فقرة قوله: « **السَّلام عليكَ يابن رسول الله** »... والله العالم بأسرار أحكامه.

﴿ السَّلام عليكَ يا خيرة الله وابن خيرته ﴾[1]

الخِيَرَة بفتح الياء وتسكينها هي: الفاضلة من كلّ شيء، والخِيْرَة من الشيء أو القوم هي: الأفضل، ومن الخِيَرَة اشتُقَّ الخير والإختيار، والصفوة من كلّ شيء: خالصُهُ وخيارُه.

فالإمام الحسين عليه السلام وأبوه وأمّه وأخوه والتسعة من صلبه صلوات ربّي عليهم أجمعين، خِيَرُ الله وخالصته وصفوته من جميع خلقه، فهم أفضل خلق الله تعالى على البلاد وساسة العباد ورحمة الله الواسعة على عالَم الكائنات.

وقد دلّ على ذلك النصوص المتواترة منها:

① في نوادر الكليني، باب جامع في فضل الإمام وصفاته، عن أبي محمّد القاسم بن العلاء رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنَّا مع الإمام الرّضا عليه السلام بمَرو في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: « **يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إنّ الله لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء، بيّن فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً، فقال عزّ وجلّ:**

(١) هذه الفقرة موجودة في (كامل الزيارات).

﴿ ..مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ.. ﴿٣٨﴾ ﴾ **وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره** ﷺ: ﴿ ..ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ.. ﴿٣﴾ ﴾ **وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض**ﷺ **حتى بيّن لأمّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقّ، وأقام لهم علياً**عليه السلام **علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه، فمن زعم أنّ الله**عزّ وجلّ **لم يكمّل دينه فقد ردّ كتاب الله، ومن ردّ كتاب الله فهو كافرٌ به.**

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأمّة فيجوز فيها اختيارهم، إنّ الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إنّ الإمامة خصّ اللهعزّ وجلّ **بها إبراهيم الخليل**عليه السلام **بعد النبوّة والخلّة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره، فقال:** ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ ﴾ **فقال الخليل**عليه السلام **سروراً بها:** ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ ﴾ **قال الله تبارك وتعالى:** ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

فأبطلت هذه الآية إمامةَ كلِّ ظالمٍ إلى يوم القيامة وصارت في الصّفوة، ثمّ أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّفوة والطّهارة فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةًۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعضٌ عن بعض قرناً فقرناً حتى ورّثها الله تعالى النبيّﷺ**، فقال جلّ وتعالى:** ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ **فكانت له خاصّة فقلّدها**ﷺ **علياً**عليه السلام **بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريّته الأصفياء الّذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى:** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ.. ﴿٥٦﴾ ﴾ **فهي في ولد عليّ**عليه السلام **خاصّة إلى يوم القيامة، إذ لا نبيّ بعد محمّد**ﷺ **فمن أين يختار هؤلاء الجهّال؟.**

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسُّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة والزكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثّغور والأطراف.

الإمام يحلّ حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجّة البالغة، الإمام كالشّمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير، والسّراج الزاهر، والنّور الساطع والنّجم الهادي في غياهب الدُّجى وأجواز البلدان القفار، ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظّماء والدّال على الهدى والمنجي من الرّدى، الإمام النّار على اليفاع[1]، الحارّ لمن اصطلى به والدّليل في المهالك، من فارقه فهالك، الإمام السّحاب الماطر، والغيث الهاطل والشمس المضيئة، والسّماء الظّليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشّقيق، والأمّ البرّة بالولد الصّغير، ومفزع العباد في الدّاهية النّآد[2] الإمام أمين الله في خلقه، وحجّته على عباده وخليفته في بلاده، والدّاعي إلى الله، والذابّ عن حرم الله.

الإمام المطهّر من الذّنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدّين، وعزّ المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين.

---

(١) اليفاع: المرتفع العالي.

(٢) النآد: الداهية العظيمة.

الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحدٌ، ولا يعادله عالمٌ، ولا يوجد منه بدلٌ ولا له مثلٌ ولا نظير، مخصوص بالفضل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب.

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلّت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الألباب، وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيّرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصُرت الخطباء، وجهِلَت الألبّاء، وكلّت الشعراء، وعجِزت الأدباء، وعيِيَت البلغاء، عن وصف شأنٍ من شأنه، أو فضيلةٍ من فضائله، وأقرّت بالعجز والتّقصير، وكيف يوصف بكلّه، أو ينعت بكنهه، أو يُفْهَمْ شيءٌ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنّى؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الإختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا؟!.

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد ﷺ كذّبتهم والله أنفسهم، ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً، تزلُّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلاّ بعداً، ﴿ ..قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٣٠ ﴾ **ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين.**

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٨ ﴾ **وقال** عزّ وجلّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ.. ۝٣٦ ﴾ **الآية، وقال:** ﴿ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ۝٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ۝٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝٣٨ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ۝٣٩ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ۝٤١ ﴾ **وقال** عزّ وجلّ: ﴿ أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ أم ﴿ ..طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ أم ﴿ ..قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرًا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ أم ﴿ ..قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا.. ﴿٩٣﴾ ﴾ **بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.**

فكيف لهم باختيار الإمام؟! والإمام عالمٌ لا يجهل، وراعٍ لا ينكل، معدن القدس والطّهارة، والنّسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله ونسلِ المطهّرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذّروة من هاشم، والعترة من الرّسول صلى الله عليه وآله والرّضا من الله عز وجل، شرف الأشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلعٌ بالإمامة، عالمٌ بالسياسة، مفروض الطّاعة، قائمٌ بأمر الله عز وجل، ناصحٌ لعباد الله، حافظٌ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿ ..أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ **وقوله تبارك وتعالى:** ﴿ ..وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًاۗ.. ﴿٢٦٩﴾ ﴾ **وقوله في طالوت:** ﴿ ..إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةً فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ **وقال لنبيّه صلى الله عليه وآله:** ﴿ ..أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ **وقال في الأئمّة من أهل بيت نبيّه وعترته وذريته صلوات الله عليهم:** ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾.

وإنّ العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمورِ عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه

ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعِ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصّواب، فهو معصومٌ مؤيّد، موفّقٌ مسدّد، قد أمن من الخطايا والزّلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصّفة فيقدّمونه، تعدّوا - وبيتِ الله - الحقَّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتّبعوا أهواءهم، فذمّهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جلّ وتعالى: ﴿ ..وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ **وقال:** ﴿ ..فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾ **وقال:** ﴿ ..كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ **وصلّى الله على النبيّ محمّد وآله وسلّم تسليماً كثيراً** »[1].

② بإسناده إلى محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمّة عليهم السلام وصفاتهم: « **إنّ الله عزّ وجلّ أوضح بأئمّة الهدى من أهل بيت نبيّنا عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أمّة محمّد صلى الله عليه وآله واجب حقّ إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، لأنّ الله تبارك وتعالى نصّب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجّةً على أهل موادّه وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشّاه من نور الجبّار، يمدّ بسبب إلى السّماء، لا ينقطع عنه موادّه، ولا ينال ما عند الله إلاّ بجهة أسبابه، ولا يقبل اللهُ أعمالَ العباد إلاّ بمعرفته، فهو عالمٌ بما يرد عليه من ملتبسات الدّجى، ومعميّات السّنن، ومشبّهات الفتن، فلم يزل الله**

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص١٩٨، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته.

تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الإمام الحسين عليه السلام من عقب كلّ إمام، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم، كلّما مضى منهم إمامٌ نصب لخلقه من عَقِبِه إماماً، علماً بيّناً، وهادياً نيّراً، وإماماً قيّماً، وحجّةً عالماً، أئمّةٌ من الله، يهدون بالحقّ وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد، وتستهلّ بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد[1]، جعلهم الله حياةً للأنام، ومصابيح للظّلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادي المنتجى، والقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك واصطنعه على عينه في الذرّ حين ذرأه، وفي البريّة حين برأه، ظلاً قبل خلق نسمه عن يمين عرشه، محبوّاً بالحكمة في علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيّةٌ من آدم، وخيرةٌ من ذريّة نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلالةٌ من إسماعيل، وصفوةٌ من عترة محمّد صلى الله عليه وآله لم يزل مرعيّاً بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث كلّ فاسق، مصروفاً عنه قوارف السّوء، مبرّأً من العاهات، محجوباً عن الآفات، معصوماً من الزّلاّت، مصوناً عن الفواحش كلّها، معروفاً بالحلم والبرّ في يفاعه[2]، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمر والده، صامتاً عن المنطق في حياته.

فإذا انقضت مدّة والده، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبّته، وبلغ منتهى مدّة والده عليه السلام فمضى وصار أمر الله إليه من بعده، وقلّده دينه، وجعله الحجّة على عباده، وقيّمه في بلاده، وأيده بروحه، وآتاه علمه، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سرّه، وانتدبه لعظيم أمره، وأنبأه فضل بيان علمه، ونصّبه علماً لخلقه، وجعله حجّةً على أهل

---

(١) التلاد: المال القديم، ففي دعاء الندبة الشّريف: « بنفسي أنتَ من تِلادِ نِعَمٍ لا تُضاهَى ».

(٢) يفاع: أوائل شبابه أو سِنِّه.

عالمه، وضياءً لأهل دينه، والقيّم على عباده، رضي الله به إماماً لهم، إستودعه سرّه، واستحفظه علمه، واستخبأه حكمته واسترعاه لدينه وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله، وفرائضه وحدوده، فقام بالعدل عند تحيّر أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل، بالنّور السّاطع، والشّفاء النّافع، بالحقّ الأبلج، والبيان اللائح من كلّ مخرج، على طريق المنهج، الّذي مضى عليه الصّادقون من آبائه عليهم السلام، فليس يجهل حق هذا العالم إلاّ شقيٌّ، ولا يجحده إلاّ غويٌّ، ولا يصدّ عنه إلاّ جريّ على الله جلّ وعلا »[1].

③ العلاّمة المجلسي نقلاً عن تفسير عليّ بن إبراهيم قال: ثمّ ذكر آل محمّد: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهم الأئمّة عليهم السلام، قال: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ من آل محمّد غير الأئمّة، وهو الجاحد للإمام ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِد ﴾ وهو المقرّ بالإمام ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ وهو الإمام[2].

④ وفي (تفسير العياشي) عن أبي حمزة عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **لمّا قضى محمّد صلى الله عليه وآله نبوتَه واستكملت أيامه، أوحى اللهُ: يا محمّد قد قضيتَ نبوتَكَ، واستكملتَ أيامكَ، فاجْعَل العِلْمَ الذي عندكَ من الإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في العَقِب من ذريتكَ، فإني لم أقطع العلْمَ والإيمان والاسمَ الأكبر وميراثَ العلْم وآثارَ علْم النبوة من العَقِبِ من ذريتكَ، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينكَ وبين أبيك آدم، وذلك قول الله عز وجل:** ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾، **وإن الله جلَّ وتعالى لم يجعل العِلْمَ جَهْلاً، ولم يَكِلْ أمرَه إلى أحدٍ من خلقهِ، لا إلى مَلَكٍ مُقَرَّب، ولا إلى نبيٍّ مُرْسَل، ولكنه أرسل رُسُلاً من ملائكته فقال له: كذا وكذا، يأمرهم بما يجب، وينهاهم عمّا يكره، فقصَّ عليه أمرَ خَلْقهِ بعِلْمٍ، فَعَلَّم ذلك العلم،**

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٢٠٣ ح٢، باب النوادر في صفات الإمام عليه السلام.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢١٣.

وعَلَّم أنبياءَه وأصفياءَه من الأنبياء والأعوان والذرية التي بعضها من بعض، فذلك قوله: ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ **فأمّا الكتاب فهو النبوة، وأمّا الحكمة فهم الحكماء من الأنبياء في الصفوة، وأمّا الملك العظيم فهم الأئمة الهداة في الصفوة، وكلّ هؤلاء من الذرية التي بعضها من بعض التي جعل فيهم البقية وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق حتى ينقضي الدنيا، وللعلماء ولولاة الأمر الإستنباط للعلم والهداية** »[1].

⑤ وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الرحمن عن أبي كلدة عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرَّوْح والرّاحة، والرّحمة والنصرة، واليسر واليسار، والرِّضا والرّضوان، والمخرج والفلج، والقرب والمحبة؛ من الله ومن رسوله، لِمَن أَحَبَّ علياً وائتمَّ بالأوصياء من بعده، حقّاً عَلَيَّ أنْ أدخِلَهُم في شفاعتي، وحَقَّ على ربّي أنْ يستجيبَ لي فيهم؛ لأنهم أتباعي، ومَن تبعني فإنه مني؛ مثل إبراهيم جرى فيَّ لأنه مني وأنا منه، ودينه ديني، وديني دينه، وسنته سنتي، وسنتي سنته، وفضلي فضله، وأنا أفضل منه، وفضلي له فضل، وذلك تصديق قول ربي:** ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ »[2].

⑥ شي، (تفسير العياشي) عن أيوب قال: سمعني الإمام أبو عبد الله عليه السلام وأنا أقرأ ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾، فقال لي عليه السلام: « **(وآلَ محمّد) كانتْ، فمحوها، وتركوا** ﴿ وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ »[3].

⑦ وفي تفسير العياشي عن أبي عمرو الزبيري عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما الحجة في كتاب الله أن آلَ محمّد هم أهلُ بيته؟ قال: « **قول الله تبارك وتعالى:** ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ **وآل محمد** ﴾

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٢٥ ح٤٦.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٢٧ ح٤٧.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٢٧ ح٤٨.

هكذا نَزَلَتْ ﴿ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤ ﴾، **ولا يكون الذرية من القوم إلا نسلهم من أصلابهم، وقال:** ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ **وآل عمران وآل محمّد** ﴾ »[1].

⑧ وفي كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة عن محمّد بن العباس عمن رواه عن محمّد بن جمهور عن حماد عن حريز عن الفضيل عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٢ ﴾ قال: « **الأئمة من المؤمنين فضَّلناهم على مَن سواهم** »[2].

⑨ روى ابن بطريق في العمدة من تفسير الثعلبي بإسناده عن الأعمش عن أبي وائل قال: قرأتُ مصحف عبد الله بن مسعود: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ **وآلَ محمّد** عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٣ ﴾[3].

﴿ السّلام عَلَيْكَ يَا ابْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ وَابْنَ سَيّدِ الوَصِيّينَ ﴾

بعد أنْ سَلَّمَ الإمام الباقر عليه السلام على جدِّه سيّد الشهداء والأحرار بجوامع السّلام مقِرّاً مذعِناً بأنّه عليه السلام أبو العبيد الأحرار الذين تحرّروا من ربقة الشيطان، وأنه عليه السلام ابنُ رسول الله حقيقةً، وأنّ قولَه قولُ رسولِ الله، وطاعتَهُ طاعةُ رسول الله لأنهما من بعض ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ.. ۝٦١ ﴾، ثمّ عرّج الإمامُ الباقر عليه السلام بإلقاء السَّلام عليه مذعِناً مقرّاً معتقداً بأنّ الإمام الحسين عليه السلام هو ابنُ أمير المؤمنين عليّ حيدر الكرّار وأنّه نفسُ أبيه، وصفاتُه صفات أبيه وشجاعته كشجاعة أبيه، وله ما لأبيه من الفضائل والمعاجز والكرامات.

وكأنّ الإمام الباقر عليه السلام يريد أنْ يشير إلى الأركان الأساسية الثمانية التي اتصفت

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٢٧ ح٤٩.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٢٨ ح٥٠.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٢٨ ح٥١.

بها شخصية الإمام الحسين عليه السلام وهي الآتي :

١ – إنّه عليه السلام أبو عبد الله : العبوديّة المطلَقة لله تعالى.

٢ – إنّه عليه السلام ابنُ رسول الله : ابن النبوّات والرِّسالات.

٣ – إنّه عليه السلام خيرة الله : اصطفاه الله تعالى له.

٤ – إنّه عليه السلام ابن أمير المؤمنين : ابن الولاية.

٥ – إنّه عليه السلام ابن سيّد الوصيين : ابن الوصاية والخلافة.

٦ – إنّه عليه السلام ابن سيّدة النساء : ابن الولاية والقداسة.

٧ – إنّه عليه السلام ثار الله وابن ثاره.

٨ – إنّه عليه السلام وترٌ موتور.

إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام تدرَّجَت في سيرها الإلهي من العبوديّة لله تعالى إلى رسالات السّماء المتمثِّلة بالنبوّة والإمامة ثمّ استقرَّت في رحم الولاية الفاطميّة التي هي في الواقع رحم الولاية الإلهيّة، لقد جاء في المستفيض أنّ ليلة القدر هي مولاتنا فاطمة، فالقدر هو الله عزّ وجلّ، والليلة هي مولاتنا فاطمة، فأضيفَت عليها السلام إلى الله تعالى أي فاطمة الإلهية العذراء البتول المتعبِّدة لله تعالى المستغرقة في جلال كبريائه.

وبالجملة فإنّ الفقرة الشريفة أشارت إلى مفهومَين مهمين :

الأوّل: الولاية الكبرى.

الثاني: الولاية الصغرى ومصداقها الخلافة والوصاية.

والإمام الحسين عليه السلام هو صاحب وابن هاتين الولايتين بإجماع العقلاء، أمّا كونه وليّاً فلا شكّ فيه ولا ريب يعتريه؛ إذ تصافقت الأمّة، خاصُّها وعامُّها، عزيزها ووضيعها، على أنّه بخروجه أحيا التوحيد وكسّر الأصنام، وأطفأ بنوره كلَّ فتنة، وأخمد بسيفه كلَّ نار، وأحرق كلَّ شيطان، بل أجمعت الملل قاطبةً أنّه عليه السلام ثار الله وابن ثاره، وأنه قِبْلَة كلّ ثائر على الباطل، من هنا قال عنه غاندي: « **لقد عَلَّمَني الحسين الثورة على الباطل** ». وقال عنه القساوسة: « **لو كان عندنا الحسين لنصبنا له**

تمثالاً[1] **في كلّ مدينة وقرية وزقاق** ».

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ليست وليدة ساعتها، بل هي في سِفْر الوصايا الإلهية، نُقِشَت عليه قبل نزول الرّسالة المحمّدية، وعِلْمُ ذلك عند ربّ الأكوان وباعث الرّسالات، إذ كان الله تعالى يعلم بما ستتعرّض له هذه الرّسالة من اهتزاز بعد نزولها على رسول الله محمّد، فهيّأ لها الإمام الحسين قبل أنْ يكون.

فها هو الشهيد عليه السلام يقول لعبد الله بن جعفر: « **إنّي رأيتُ رسولَ الله في المنام وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له** »، ورؤيا الأنبياء والأوصياء وحيٌ، وفي بطن العَقَبَة قال لمن معه: « **ما أراني إلاّ مقتولاً فإني رأيتُ في المنام كلاباً تَنْهَشُني، وأشدُّها عليَّ كلبٌ أبقع** ».

ولمّا أشار عليه عمرو بن لوذان بالإنصراف عن الكوفة إلى أنْ ينظر ما يكون عليه حالُ الناس، قال عليه السلام: « **ليس يُخْفَى عَلَيَّ الرأي ولكن لا يُغلَب على أمر الله وإنهم لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي** »، وفي مكّة حينما أراد السفر منها إلى العراق قال: « **كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأنّ مني أكراشاً جُوَفاً وأجرِبَةً سغباً، لا محيص عن يومٍ خُطَّ بالقلم** ».

فعبارة « **لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم** » دلالة واضحة على أنّ سيّد الشهداء كان عالِماً بأنّ مصيره قد خُطَّ بالقلم، وأنْ لا مندوحة من الإمتثال لمشيئة الله القادر دونما تساؤل عن هذا السر الإلهي، فالأنبياءُ والشهداء والمصطَفَون لا يسألون: لماذا وكيف؟ بل هم يمضون في دربهم على هَدي الإيحاءات العُلوية التي تنير لهم دربهم خطوة إثر خطوة؛ وهذا السرّ العلوي هو الذي منع الإمام المجتبى الحسن بن أمير

(١) ليس معنى ذلك أننا ندعو إلى صناعة تمثال للإمام الحسين عليه السلام أو لأحدٍ من آبائه وأبنائه الطّاهرين عليهم السلام؛ فإنّ ذلك محرَّمٌ شرعاً بالإجماع، مضافاً إلى ذلك يحرم تشبيههم بصور زيتيّة أو فوغرافيّة أو أنْ تمثّل أدوارهم عليهم السلام عبر ممثلين لاستلزام ذلك تصغير شأنهم، ولأنّ الصّور أو الأشخاص لا يعبّرون بأجسامهم وسحنات وجوههم عمّن كان جمال النبيّ يوسف عليه السلام جزءاً من تسعة أجزاء من جمالهم المقدَّس.

المؤمنين عليه السلام من السؤال حينما حلّ الأجلُ تسليماً لقضاء القوّة الإلهيّة، ودفعه لأنْ يمدّ يده بلا ارتعاش إلى جعدة بنت الأشعث ليتناول منها اللبن المسموم ويرفع رأسه إلى السّماء قائلاً: « **إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الحمد الله على لقاء محمّد سيّد المرسَلين وأبي سيّد الوصيين وأمي سيدة نساء العالمين وعمّي جعفر الطيار في الجنة وحمزة سيّد الشهداء** » ثمّ يشرب اللبن المسموم وهو يدعو على جعدة بالخزي.

وفي هذا الرضوخ للقوّة العُلْوية تفسيرٌ في الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

وهذا ما يفسِّر أيضاً المعاناة التي ذاقها الأنبياءُ، خاصة النبي محمّد وآلِ بيته الأطهار وقد قال: « **ما أوذي نبيٌّ بمثل ما أُوذيتُ** »، وأوصاه اللهُ بالصبر حيث قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ.. ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْقَافِ، لكنّ ما صبر عليه الإمامُ الحسين عليه السلام وصحبه عليهم السلام كان أشدَّ من كلّ المعاناة التي وقعت بالأنبياء والرُّسُل، كانت أشدَّ هولاً وفتكاً وآلاماً، وقد صبر الشهيد وطالَبَ أهلَه وصحبه بالصبر ابتغاءً لمرضاة الله بقوله: « **صبراً بني الكرام، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة، والنعيم الدائم، فأيكم يكره أنْ ينتقل من سجنٍ إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصرٍ إلى سجنٍ وعذاب، إنّ أبي حَدَّثَني عن رسول الله أنّ الدّنيا سجن المؤمن وجنَّة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جنّاتهم، وجسر هؤلاء إلى جهنّم ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ** »، وهو يودّع عياله قال لهم: « **إستعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حاميكم وحافظُكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبةَ أمركم إلى خيرٍ، ويُعَذِّبُ عدوَّكم بأنواع العذاب، ويعوِّضكم عن هذه البليّة بأنواع النِّعَم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما يُنْقِص من قدْرِكم** ».

هذا الصبر العجيب النادر الذي تحلّى به الأنبياء والشّهداء فمنعهم حتى من

التساؤل عن سبب ما يُبتَلون به... هو الذي يعجَزُ تفكيرنا البشري عن إدراك ماهيته، إلاّ أنّنا من وجهة قدرتنا المحدودة لا نملك إلاّ أنْ نفهمَ الحكمة الإلهيّة التي سنَّت لهؤلاء الأخيار سننَ الشهادة، فكأنهم فَرِحون بها، وفرحهم يمنعهم حتى من التساؤل ما داموا قد أُعطُوا مَلَكَة تبصُّر نتائج صبرهم واستشهادهم، وما هيأه الله سبحانه وتعالى لهم من نِعَمٍ وجِنان.

إنّ رؤيا الإمام الحسين عليه السلام التي استشفَّها في خضمِّ الشدائد التي حَلَّت به وبآل بيته وصحبه، فبشّرهم بتعويض بليّتهم بنِعَمٍ وكرامة هي ذاتُ الرؤيا التي بشّر بها المسيح رسله بقوله: « **ستبكون وتنحبون، ستحزنون ولكن حزنكم سيتبدّل فرحاً** »..

« **فما الذي يمكن لنا كباحثين ومطَّلِعِين أنْ ندركه من هذه الأمثولات الإلهية التي لا مجال لنا إلى إدراكها أو الغوص في حكمتها المقدَّسة؟! وما الرأي لدى أولئكَ المشكِّكِين بواقعيّة ووعي ثورة الإمام الحسين... بكلّ ما سبق ذِكْرُهُ، من أنّ البررة كُتِبَت لهم حياتُهم ومصائرهم في الصحيفة الإلهيّة التي يقف عليها الأنبياء فتتكشَّف أمامهم حُجُبُ الغَيْب وتُهْتَك لوعيهم سُتُرُ المستَقبَل..؟ ألا يصحّ بموقف الذين تناولوا ثورة الإمام الحسين بمقياس الربح والخسارة والثورات العسكرية والنتائج المادلة والزمانية والمكانية في حينها، ألا يصحّ فيهم - وبسَوْءَةِ نواياهم - قولُ الإمام الباقر عليه السلام: « إني لأعجب من قومٍ يتولونا ويجعلونا أئمّةً ويصفون أنّ طاعتنا مُفتَرَضة كطاعة رسول الله ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم لضعف قلوبهم فينتقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على مَن أعطاه اللهُ برهانَ حقِّ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون اللهَ تعالى أفترض طاعةَ أوليائه على عباده ثمّ يُخفي عليهم أخبارَ السّماء ويقطعُ عنهم موادَّ العِلْم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوامُ دينهم » »**[1].

وهنا لا بدَّ أنْ نوضِّحَ حقيقةً أخرى دَلَّتْ عليها الفِقرة المبارَكةُ وهي كونُ الإمام

---

(1) راجع (الإمام الحسين عليه السلام في الفكر المسيحي) لأنطوان بارا ص٩٦ - ١٠٠. وحديث الإمام الباقر عليه السلام في (بصائر الدّرجات) ص٣٣، و(مرآة العقول) ج١ ص١٩٠.

الحسين عليه السلام ابناً لأمير المؤمنين عليّ ولرسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، وهذا لا ريب فيه، وقد افتخر به عليه السلام في شعره حينما نزل للمبارزة عند قوله:

خيرةُ الله من الخلق أبي　　　بعد جدِّي فأنا ابن الخيرتين[1]

ولعلّ المقصود بابن الخيرتين أيضاً هو الإمام عليّ ومولاتنا فاطمة عليهما السلام حيث ورد في نسخة البحار هكذا:

خيرة الله من الخلق أبي　　　ثمّ أمي فأنا ابن الخيرين

كلُّ هذه المعاني مطلوبة وقد دلّت عليها ألفاظُ الفِقرة السابقة واللاحقة على هذه الفِقرة وهي قوله: « **السَّلام عليكَ يابن رسول الله، السَّلام عليكَ يابن أمير المؤمنين... السَّلام عليكَ يابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين** ».

ويجدر بنا البحثُ في عدّة نقاط:

النقطة الأولى: إنّ لقب أمير المؤمين خاصٌّ بالإمام عليّ عليه السلام.

النقطة الثانية: إنّ الإمام عليّاً عليه السلام قائدُ المؤمنين جميعاً حتى الأنبياء والمرسَلين.

النقطة الثالثة: معنى كلمة "**سيّد**".

النقطة الرابعة: مفهوم الوصاية، وأنه لا بدَّ أنْ يَخلُف الوصيُّ النبيَّ صلى الله عليه وآله.

أمّا النقطة الأولى:

الدّالة على أنّ لقب (أمير المؤمنين) خاصٌّ بسيِّد الموحدين وقائد الغر المحجلين الإمام عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، ويشهد لهذا الرّوايات المتواترة الدالة على ذلك والمؤكِّدة على أنّ الله تعالى هو مَن سَمَّاه ولقَّبَه بهذا اللقب، وقد سمّاه به حين أخذ الميثاق له على عباده كما نطقت بذلك الأخبار الكثيرة، منها:

① ما روي عن جابر عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام قال له جابر: لِمَ سُمِّيَ أميرُ المؤمنين أميرَ المؤمنين؟ قال: « **سمّاه اللهُ، وهكذا أنزل في كتابه:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ **وأنّ**

(١) راجع (مقتل أبي مخنف) ص١٣٤، و(بحار الأنوار) ج٤٥ ص٤٨.

محمَّداً رسولي، وأنّ علياً أميرُ المؤمنين »[1].

② وعن ابن سنان قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **أوّل مَن سبق من الرُّسُل إلى بلى رسولُ الله، وذلك أنّه كان أقربُ الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وكان بالمكان الذي قال له جبرائيل لمّا أُسرِيَ به إلى السّماء تقَدَّمْ - يا محمّد - فقد وطئتَ موطئاً لم يطأه أحدٌ قبلَكَ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَل، ولولا أنّ روحَهُ ونفْسَهُ كانت من ذلك المكان لَمَا قَدَرَ أنْ يبلُغَهُ، فكان من الله عزّ وجلّ كما قال ﴿ ..قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ أي بل أدنى، فلمّا خرج الأمر من الله وقع إلى أوليائه** »، قال مولانا الإمام الصّادق عليه السلام: « **كان ذلك الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالربوبية ولرسوله بالنبوة ولأمير المؤمنين والأئمّة بالإمامة، فقال: ألستُ بربّكم، ومحمَّد نبيّكم، وعليٌّ إمامكم، والأئمّةُ الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى شَهِدْنا، فقال الله: ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: لئلاّ تقولوا يوم القيامة: ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ فأوّل ما أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على الأنبياء له بالربوبية وهو قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ ﴾ فذكر جملةَ الأنبياء، ثمّ أبرز أفضلَهم بالأسامي فقال: ﴿ وَمِنكَ ﴾ يا محمّد، فقدّم رسولَ الله لأنّه أفضلُهم ﴿ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ.. ﴿٧﴾ ﴾ فهؤلاء الخمسة أفضل الأنبياء، ورسولُ الله أفضلُهم، ثمّ أخذ بعد ذلك ميثاقَ رسول الله على الأنبياء بالإيمان به، على أنْ ينصروا أميرَ المؤمنين فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ يعني رسولَ الله ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ.. ﴿٨١﴾ ﴾ يعني أميرَ المؤمنين، وتُخبروا أممَكم بخبره وخبرَ وليّه من الأئمّة عليهم السلام** »[2].

③ وعن جابر قال: قال مولانا أبو جعفر عليه السلام: « **يا جابر، لو يعلمُ الجُهّالُ متى سُمِّيَ أميرَ المؤمنين عليٌّ لم ينكروا حقَّه** »، قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداكَ متى

---

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٢ ص٦٠٨ ح٤٠٥٥.

(٢) راجع (تفسير البرهان) ج٢ ص٦٠٩ ح٤٠٥٧.

سُمِّيَ؟ فقال لي: « **قوله:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ **إلى** ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ **وأنّ محمّداً نبيُّكُم رسولُ الله، وأنّ عليّاً أميرُ المؤمنين؟** » قال: ثمّ قال: « **يا جابر هكذا والله جاء بها محمّد** »(1).

④ ومن طرق العامّة ما روي من كتاب الفِردوس لابن شيرويه، يرفعه إلى حذيفة اليماني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **لو يعلم الناسُ متى سُمِّيَ عليٌّ أميرَ المؤمنين ما أنكروا فضله، سُمِّيَ أميرَ المؤمنين وآدمَ بين الرّوح والجسد، قال الله تعالى:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ.. ﴿١٧٢﴾ ﴾ **وقالت الملائكة: بلى، فقال تبارك وتعالى: أنا ربُّكم ومحمّدٌ نبيُّكم وعليٌّ وليُّكم وأميرُكم** »(2).

⑤ وعن حمران عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « **إنّ الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق ماءً عذباً وماءً مالحاً أُجاجاً، فامتزج الماءان، فأخذ طيناً من أديم الأرض فَعَرَكَهُ عَرْكاً شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون إلى الجنّة بسلام، وقال لأصحاب الشمال إلى النّار ولا أبالي، ثمّ قال:** ﴿ ..أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ **ثمّ أخذ الميثاق على النبيين، فقال:** ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾**، وأنّ هذا محمّداً رسولي، وأنّ هذا عليّاً أميرُ المؤمنين؟ قالوا: بلى، فثبتت لهم النبوّةُ، وأخذ الميثاق على أولي العزم: أنني ربكم، ومحمّداً رسولي، وعليّاً أميرُ المؤمنين، وأوصياءَه من بعده وُلاةُ أمري وخُزّان عِلْمي، وأنّ المهديَّ أنتصرُ به لدِيني، وأُطَهِرُ به أَرضِي، وأُظْهِرُ به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأُعْبَدُ به طوعاً وكَرْهاً، قالوا: أقررنا - يا رب - وشَهِدْنا، ولم يجحد آدمُ ولم يُقِرّ، فثبتت العزيمةُ لهؤلاء الخمسة في المهديّ، ولم لآدم عَزْمٌ على الإقرار به وهو قوله:** ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ **قال: إنما هو " فترك " ثمّ أمر ناراً فأُجِّجَتْ، فقال**

---

(1) راجع (تفسير البرهان) ج٢ ص٦١٤ ح٤٠٧٧.

(2) راجع (تفسير البرهان) ج٢ ص٦١٥ ح٤٠٨٢، نقلاً عن (الفردوس) ج٣ ص٣٥٤ ح٥٠٦٦.

لأصحاب الشمال: أُدْخُلُوها فهابوها، وقال لأصحاب اليمين: أُدْخُلُوها، فدخلوها، فكانت عليهم برداً وسلاماً، فقال أصحابُ الشمال: يا رب أَقِلْنا؟ فقال: قد أقلتكم إذهبوا فادخُلُوها، فهابوها، فثمَّ ثبتت الطاعة والولاية والمعصية »[1].

⑥ عن العياشي عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رجلٌ على الإمام أبي عبد الله عليه السلام فقال: السَّلام عليكَ يا أمير المؤمنين، فقام على قَدَمَيه فقال: « **مه!! هذا اسمٌ لا يصلح إلاّ لأمير المؤمنين سمّاه به، ولم يُسَمَّ به أحدٌ غيرَه فرضي به إلاّ كان منكوحاً وإنْ لم يكن به ابتُلِيَ، وهو قول الله في كتابه:** ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ ﴾ » قال: قلتُ: فماذا يدعى به قائمكم؟ قال: « **يُقال له: السَّلام عليكَ يا بقيّةَ الله، السَّلام عليكَ يابن رسول الله** »[2].

⑦ ما رواه ابن شهر آشوب في المناقب عن جماعة من الثقات، عن الأعمش، عن عباية الأسدي، عن الإمام عليّ عليه السلام والليث، عن مجاهد والسدي، عن أبي مالك وابن أبي ليلى، عن داود بن عليّ، عن أبيه وابن جريح، عن عطاء وعكرمة وسعيد بن جبير، كلّهم عن ابن عبّاس، وروى العوّام بن حوشب، عن مجاهد، وروى الأعمش، عن زيد بن وهب عن حذيفة، كلّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: « **ما أنزل اللهُ تعالى آيةً في القرآن فيها** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ **إلا وعَلِيٌّ أميرُها وشريفُها.**

الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ **إلى أربع آيات نَزَلَتْ في ولاية عليّ عليه السلام، وما كان من قوله صلى الله عليه وآله: سَلِّمُوا على عليّ بإمرة المؤمنين..** »[3].

⑧ ما عن المنصوري عن عمّ أبيه، عن الإمام أبي الحسن الثالث عن آبائه عن

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٢ ص٦٠٧ ح٤٠٥٣.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٣٣١ ح٧٣.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٣٣٣ ح٧٦.

الإمام عليّ عليه السلام قال: « **قال رسول الله: لمّا أُسْرِيَ بي إلى السّماء كنتُ من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليَّ ربّي ما أوحى، ثمّ قال: يا محمّد إقرأ على عليّ بن أبي طالب عليهما السلام أميرَ المؤمنين، فما سَمَّيْتُ به أحداً ولا أُسَمِّي بهذا أحداً بعده** »[1].

يتضح ممّا سبق: إنّ لقب أمير المؤمنين من خصائص المولى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لا يشاركه فيه أحدٌ من الأوّلين والآخرين حتى رسولَ الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

إنْ قيل: إنّ خبر مولى آل سام[2] الوارد في الإختصاص يشير إلى جواز تسمّي بقيّة أئمتنا بهذا اللقب الشريف، فينتفي الإختصاص بالإمام عليّ عليه السلام..! .

وخبر آل سام هو التالي: الشيخ المفيد في (الإختصاص) عن علي بن الحسن عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن علي بن السندي، عن محمد بن عمرو، عن أبي الصباح مولى آل سام، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أنا وأبو المغرا، إذ دخل علينا رجل من أهل السواد، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم اجتذبه وأجلسه إلى جنبه، فقلت: لأبي المغرا أو قال لي أبو المغرا: إن هذا الاسم ما كنت أرى أن أحداً يسلَّم به إلا أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه)، فقال لي أبو عبد الله: « **يا أبا صباح أنه لا يجد عبد حقيقة الإيمان، حتى يعلم أن لآخرنا ما لأولنا** ».

وقد أجاب المجلسي رحمه الله في (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٣٣٢ ح٧١ بالتالي: « **إنّ هذا الخبر نادرٌ لا يصلح لمعارضة الأخبار الكثيرة الدالة على المنع من إطلاق لقب أمير المؤمنين على غيره عليه السلام، ويمكن حمله على أنّه عليه السلام إنما ردّ السائل لتوهمه أنّ معنى هذا الإسم غير حاصل فيهم عليهم السلام، ولا شكَّ أنّ المعنى حاصلٌ فيهم، وأنّ الممنوع هو إطلاق الاسم لمصلحة، على أنه يُحتَمَل أنْ يكون المنع أيضاً على سبيل المصلحة لئلاّ يجترئ غيرُهم في ذلك والله يعلم** ». وقال ابن شهرآشوب في (المناقب): « **ولم يجوز أصحابنا أن يطلق**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٢٩٠ ح٢.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٣٣٢ ح٧١.

هذا اللفظ لغيره من الأئمة(عليهم السلام) ».

أقول: إن اللقب الشريف (أمير المؤمنين) من مختصات سيدنا ومولانا المعظم إمام المتقين عليّ(عليه السلام) لأجل أنه أول الأئمة الطاهرين ومبدأ وجودهم، ولما يمتاز به هذا الرجل العظيم من مميزات لسنا قادرين على إحصائها فضلاً عن إدراكها، ويشهد لما ذكرنا ما جاء في الأخبار التي سوف تتشرفون بالإطلاع عليها الدالة على أن هذا الرجل الكريم عند الله تعالى سوف يقود الأنبياء والمرسلين في يوم الرجعة ومن جملتهم بقية أولاده الذين سوف يكونون من جملة التابعين له صلوات الله عليه.. فلهذا لقّب بهذا اللقب الشريف..!.

والسؤال المهم: ما معنى كلمة " **أمير** " ؟ ولماذا سُمِّيَ الإمام عليّ بالأمير؟

نقول: الأمير مفرد، وجمعه أمراء، وله عدّة معانٍ: بمعنى الآمِر لقومٍ، وبمعنى القائد والمرشِد والهادي، وهو خاص بالمهتدين، لكنّه صار صفةً لسلاطين بني أميّة وبني العبّاس لعنهم الله تعالى.

وجذر هذه الكلمة هو " مِيْر " أو " المَيْرَة "، وهي جلب الطعام للعيال، وبهذا المعنى يُسَمَّى أمراء الدنيا بالأمير لكونهم متكفِّلين بميرة الخلق وما يحتاجون إليه في معاشهم بزعمهم، وأمّا أمير المؤمنين(عليه السلام) فإمارته لأمر أعظم من ذلك، لأنّه يميرهم بما هو سبب لحياتهم الأبديّة وقوّتهم الرُّوحانية، وإنْ شارك سائر الأمراء في الميرة الجسمانية.

وقد أشار إلى هذا المعنى ما ورد عن جابر عن الإمام أبي جعفر(عليه السلام) قال: قلتُ: جُعِلْتُ فداكَ، لِمَ سُمِّيَ أميرُ المؤمنين أميرَ المؤمنين؟ قال(عليه السلام): « **لأنه يميرهم العِلْمَ، أَمَا سَمِعْتَ كتابَ الله**(عزّ وجلّ): ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾[1] »[2].

ويُروَى في المستفيض عن الإمام الصادق(عليه السلام) قال في معرض حديثه عن ولادة أمير

(١) نمير أهلنا: نجلب لهم الطعام.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٢٩٣ ح٧.

المؤمنين في الكعبة: « **إنّ البيت - أي الكعبة المشرَّفة - أنفتح من ظهره ودَخَلَت فاطمة فيه، ثمّ عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيّام**[1]، **فأكَلَتْ من ثمار الجَنَّة، فلمّا خرجت قال الإمام عليّ: السّلام عليكَ يا أبه ورحمة الله وبركاته ثم تنحنح وقال:** ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ **فقال رسول الله: قد أفلحوا بكَ، أنتَ واللهِ أميرُهم تميرُهم من علْمِكَ فيمتارون**[2]، **وأنتَ والله دليلهم، وبكَ واللهِ يهتدون** »[3].

وأمّا النقطة الثانية: أنّ الإمام عليّاً عليه السلام قائد المؤمنين جميعاً حتى الأنبياء والمرسَلين:

بيانها: عند التدقيق في كلمة " **المؤمنين** " وهي جمع مُحَلّى بالألف واللام وهما يفيدان العموم الإستغراقي بحسب المصطلح الأصولي، يتضح أنّ الإمام عليّاً عليه السلام زعيمٌ وهاديٌ وقائدٌ ومرشد لعامّة المؤمنين من الملائكة والأنبياء والمرسَلين والجِنّ والإنس وكلّ مخلوق يؤمن بالله تعالى ربّاً خالقاً مدبِّراً حكيماً عليماً قديراً عظيماً، فعليٌّ المولى قائده ومدبّرُه ومرشده بإذن الله الواحد القهّار.

فعندما أطلق اللهُ جلّ جلاله لقبَ أمير المؤمنين ولم يقيِّدْهُ بشيءٍ دَلَّ ذلك على عموم إرادته عزّ وجلّ لتنصيب الإمام عليه السلام قائداً ومرشداً لعامّة الخلق بدون استثناء جماعة، وليس ثمّة خبر يشير إلى استثناء نبيٍّ أو رسول من عموم اللفظ الذي أصبغه سبحانه وتعالى على وليّه أمير الموحِّدين عليّ بن أبي طالب روحي لنعلَيْه الفِداء.

وعليه فيبقى العموم على عمومه دون أنْ يَرِدَ مُخَصِّصٌ أو مُقَيِّدٌ يُخْرِجُ فرداً عن عموم إمارة أمير المؤمنين على الخلائق أجمعين.

---

(١) لعلّ السرّ في العدد ٣ في بقائه عليه السلام في الكعبة وكذا بقاء جسد الإمام الحسين عليه السلام على رمضاء كربلاء ثلاثة أيام هي أنْ يكونا معراج ملائكة الله لمدّة ثلاثة أيام، وكذا بقاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته.

(٢) تميرهم... فيمتارون، أي: تُطعِمُهُم فيُطْعَمون ويَشبَعون. وهناك فَرْقٌ بين "يمتارون" وبين كلمة "يمترون"، فالثانية بمعنى يشكون، والأولى بمعنى يُطْعمُون.

(٣) راجع (المناقب) ج٢ ص١٧٤، و(بحار الأنوار) ج٣٥ ص١٧.

ويشهد لما ذكرنا: العموماتُ الواردة الدالة على أنّ ولايته وإمارته تشمل كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، مضافاً إلى أنّ ما من آية فيها ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ إلاّ وعليٌّ الإمام أميرها وشريفها حسبما ورد عن مجاهد والسدّي وأبي مالك وابن أبي ليلى وداود بن عليّ والليث وابن جريح وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وابن عبّاس، كلُّهم رووا عن حذيفة عن النبيﷺ كما تقدَّمَ معنا.

وفي رواية أخرى لحذيفة: « **إلاّ كان لعليّ بن أبي طالب لبُّها ولبابُها** ».

وفي رواية: « **إلاّ عليّ رأسُها وأميرُها** ».

وفي رواية موسى القطان ووكيع بن الجراح: « **أميرُها وشريفُها لأنّه أوّل المؤمنين إيماناً** ».

وفي رواية إبراهيم الثقفي وأحمد بن حنبل وابن بطة العكبري عن عكرمة عن ابن عباس: « **إلاّ عليّ رأسُها وشريفُها وأميرُها** ».

وفي صحيفة الإمام الرضاعليه السلام: « **ليس في القرآن** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ **إلاّ في حقّنا، ولا في التوراة "يا أيها الناس" إلاّ فينا** ».

وفي تفسير مجاهد قال: « **ما كان في القرآن** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ **فإنّ لعليّ سابقةُ هذه الآية؛ لأنّه سبقهم إلى الإسلام، فسمّاه اللهُ في تسع وثمانين موضعاً أميرَ المؤمنين وسيد المخاطَبين إلى يوم الدّين** »[1].

لقد جعل اللهُعَزَّ وَجَلَّ الإمامَ عليّاً أميراً علينا ونحن راضون مسلّمون مذعِنون معتقِدُون محِبُّون لذلك، فإنّه أميرنا ونِعْمَ الأمير...

وممّا يدلّ أيضاً على عموم سيادة الإمام عليّ أمير المؤمنين بما فيهم الأنبياء والمرسَلين، ما ورد في الأخبار المتقدِّمة التي استعرضنا قسماً منها، ومفهوم هذه الأخبار المتقدِّمة هو كون الأمير وليَّ الأنبياء والمرسَلين خاصّة، والأوصياء والمؤمنين عامّةً.

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٣٧ ص٣٢٣.

مضافاً إلى هذه الأخبار، ثمّة أخبار تشير إلى كونه عليه السلام قاسمَ الجَنَّة والنّار، وأنّه يحاسب الخلائق بإذن الله تعالى، وأنّ الأنبياء والمرسَلين سوف ينصرونه في الرّجعة، وقد أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء بنصرته، وهي كثيرة جدّاً، منها:

① ما رواه في منتخب البصائر من كتاب الواحدة روى عن محمَّد بن الحسن بن عبد الله الأطروش، عن جعفر بن محمَّد البجلي، عن البرقي، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن مولانا الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **إنّ الله تبارك وتعالى أحدٌ واحدٌ، تَفَرَّدَ في وَحْدَانِيَّتِه، ثمّ تَكَلَّمَ بكلمةٍ فصارت نوراً، ثمّ خلق من ذلك النور محمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي، ثمّ تَكَلَّمَ بكلمةٍ فصارت روحاً، فأسكنه الله في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا، فنحن روح الله وكلماتُه، فبنا احتجَّ على خَلْقِه، فما زلنا في ظُلَّةٍ خضراءَ، حيث لا شمسَ ولا قمرَ، ولا ليلَ ولا نهارَ، ولا عينَ تَطْرُفُ، نَعْبُدُهُ ونُقَدِّسُهُ ونُسَبِّحُهُ؛ وذلك قبل أنْ يخلق الخلقَ، وأخذ ميثاق الأنبياء بالإيمان والنُّصرة لنا؛ وذلك قوله عزّ وجلّ:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ.. ﴿٨١﴾ ﴾ **يعني لتؤمنن بمحمَّد صلى الله عليه وآله، ولتنصرنّ وصيّه، وسينصرونه جميعاً.**

وإنّ الله أخذ ميثاقي مع ميثاق محمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّصرة بعضنا لبعض، فقد نصرتُ محمَّداً، وجاهدت بين يديه، وقَتَلْتُ عدوَّهُ، وَوَفَيْتُ للهَ بما أَخَذَ عَلَيَّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمَّد صلى الله عليه وآله، ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله؛ وذلك لمّا قبضهم الله إليه، وسوف ينصرونني، ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها، ولَيَبْعَثَنَّ الله أحياء من آدم إلى محمَّد صلى الله عليه وآله كلَّ نبيٍّ مُرْسَل يضربون بين يَدَيَّ بالسيف هامَ الأموات والأحياء والثقلين جميعاً.

فيا عَجَبَاً!! وكيف لا أعجب من أمواتٍ يبعثهم اللهُ أحياءً يلبّون زمرة زمرة بالتلبية: لبيكَ لبيكَ يا داعيَ الله، قد تخللوا بسكك الكوفة، قد شهروا سيوفَهم على عواتِقِهِم؛ ليضربون [ليضربوا] بها هام الكَفَرَة وجَبَابِرَتِهِم

وأتباعهم من جَبَابِرَةِ الأوّلين والآخرين؛ حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ.. ﴿٥٥﴾ ﴾ **أي: يعبدونني آمنين، لا يخافون أحداً من عبادي، ليس عندهم تقيّة.**

وإنّ لي الكرّة بعد الكرّة، والرّجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرّجعات والكرّات، وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات، وأنا قَرْنٌ من حديدٍ، وأنا عبد الله وأخو رسول اللهﷺ.

أنا أمينُ الله، وخازنُه، وعيبة سرّه، وحجابه، ووجهه، وصراطه، وميزانه، وأنا الحاشر إلى الله، وأنا كلمةُ الله التي يجمع بها المُفْتَرِق، ويفرق بها المجتمع، وأنا أسماء الله الحسنى، وأمثاله العُليا، وآياتُه الكبرى، وأنا صاحب الجَنَّة والنّار، أُسْكِنُ أهلَ الجَنَّة الجَنَّةَ، وأُسْكِنُ أهلَ النَّارِ النَّارَ، وإِلَيَّ تزويج أهل الجَنّة، وإِلَيَّ عذاب أهل النّار، وإِلَيَّ إيابُ الخلق جميعاً، وأنا الإياب الذي يئوب إليه كلّ شيء بعد القضاء، وإِلَيَّ حساب الخلق جميعاً، وأنا صاحبُ الهبّات، وأنا المؤذن على الأعراف، وأنا بارز الشمس، أنا دابة الأرض، وأنا قسيم النّار، وأنا خازن الجِنَان وصاحب الأعراف.

وأنا أميرُ المؤمنين، ويعسوبُ المتقين، وآيةُ السابقين، ولسانُ الناطقين، وخاتمُ الوصيين، ووارثُ النبيين، وخليفةُ ربّ العالمين، وصراطُ ربي المستقيم وفسطاطُه، والحجةُ على أهل السماوات والأرضين، وما فيهما وما بينهما، وأنا الذي احتج اللهُ به عليكم في ابتداء خَلْقِكُم، وأنا الشّاهدُ يومَ الدِّين، وأنا الذي عَلِمْتُ عِلْمَ المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب والأنساب، واستحفظتُ آياتِ النبيين المستخفين المستحفظين.

وأنا صاحبُ العصا والميسم، وأنا الذي سُخِّرَتْ لِيَ السحابُ والرَّعْدُ والبرقُ، والظُّلَمُ والأنوارُ، والرِّياح والجبال والبحار، والنجوم والشمس والقمر.

أنا القرنُ[1] الحديد وأنا فاروقُ الأمّة، وأنا الهادي، وأنا الذي أحصيتُ كلَّ شيءٍ عَدَدَاً، بعلم الله الذي أَوْدَعَنيهِ، وَبِسِرِّهِ الذي أَسَرَّهُ إلى محمّدٍ ﷺ وأَسَرَّهُ النّبيُّ ﷺ إِلَيَّ، وأنا الذي أَنْحَلَنِي ربّي اسمَهُ وكَلِمَتَهُ وحِكْمَتَهُ وعِلْمَهُ وَفَهْمَهُ.

يا معشر النّاس: إسألوني قبل أنْ تَفْقِدُونِي، اللهم إنّي أُشْهِدُكَ وأَسْتَعْدِيْكَ عليهم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليِّ العظيم، والحمد لله، متَّبِعِيْنَ أَمْرَهُ »[2].

② في تفسير القمي عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **ما بعث اللهُ نبياً من لدن آدم فهلمَّ جَرَّاً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أميرَ المؤمنين عليه السلام، وهو قوله:** ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ **يعني برسول الله صلى الله عليه وآله ولتنصرنَّ أميرَ المؤمنين** »[3].

③ في تفسير العياشي عن سلام بن المستنير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **لقد تسمّوا بإسمٍ ما سَمَّى اللهُ به أحداً إلا عليَّ بنَ أبي طالب وما جاء تأويلُه** »، قلتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ متى يجيءُ تأويلُه؟ قال: « **إذا جاءَتْ، جَمَعَ اللهُ أمامَه النبيين والمؤمنين حتى ينصروه، وهو قول الله:** ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ **إلى قوله** ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ ﴾ **فيومئذٍ يدفعُ رسولُ الله ﷺ اللواءَ إلى عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فيكون أميرَ الخلائق كلّهم أجمعين، يكون الخلائقُ كلُّهم تحت لوائه، ويكون هو أميرَهُم، فهذا تأويله** »[4].

ومن الأدلّة أيضاً على أنّ الإمام عليّاً أميرُ الخلائق أجمعين ما أشارت إليه آيات الكتاب الكريم قوله تعالى:

(١) القرن: الحصن.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٤٦ ح٢٠.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٥٠ ح٢٣.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٧٠ ح٦٧.

الآية الأولى: قولهﷻ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ.

فشهادة أمير المؤمنين عليه السلام مع شهادة الله تعالى حاكمتان على رسالة النبيّ محمّد التي هي أفضل الرِّسالات والشرائع السّماوية، وصاحبها نبيُّنا محمّد أفضل المرسَلين والأنبياء عليهم السلام على الإطلاق.

الآية الثانية: قولهﷻ: ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

فاللهﷻ أمر رسولَ الله محمَّداً أنْ يبلِّغَ عن أمير المؤمنين عليّ، وأنّ مولانا عليّاً أهمّ من كلّ الرِّسالات والنبوّات والشرائع، بل إنّ الإعتقاد بالمولى عليّ عليه السلام يستلزم الإعتقاد بكلّ الرِّسالات السماوية والشرائع المقدَّسة، وعدم الإعتقاد به يستلزم الكفر بكلّ الرّسالات والشرائع على الإطلاق.

فتوسُّط النبي محمّد صلى الله عليه وآله بتبليغ ما أمره اللهﷻ بمولى الموحِّدين عليّ عليه السلام يستلزم القول بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام أفضل الخلق أجمعين بلا منازع، فيكون أميرَهم وسيّدَهم وقائدَهم إلى عبادة الله الواحد الأحد.

الآية الثالثة: ﴿ ..ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ[1] فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ.. ﴿٣﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

وإتمام النعمة يكون بالأكمل والأرقى وهي الوَلاية لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام،

(١) قوله تعالى: ﴿ مِن دِينِكُمْ ﴾ هي وصف لجماعة الكفار من المتظاهرين بالإسلام، أي اليوم يئس الكفار المتظاهرون بالإسلام لمّا نَصَّبَ اللهُ عليّاً أميرَ المؤمنين وليّاً على عامّة المسلمين. وليس قوله: ﴿ مِن دِينِكُمْ ﴾ وصفاً ليئسهم من الدّين كما هو مشهور المفسِّرين، وحتى لو كان وصفاً فإنّ الآية بصدد بيان يأس الكفّار - سواء أكانوا من اليهود والنصارى وعَبَدَة الأوثان، أم كانوا من المتظاهرين بالإسلام - فإنّهم يئسوا من الدِّين المتمثّل برسول الله وأمير المؤمنين وعترتهما الطّاهرة عليهم السلام.

وليست الأكمليّة بإرسال الرُّسُل وإنزال الكتب، وإلاّ لو كانت الأكمليّة بإرسال الرُّسُل لَمَا كان ثمّة داعٍ لأنْ يأمر اللهُ النبيَّ محمَّداً بتبليغ كون أمير المؤمنين عليّاً وليّاً على عامّة المؤمنين سواء الذين مضوا من الأنبياء والمرسَلين وأقوامهم، أو الذين سوف يأتون إلى أبد الدّهر، وفيهم النبي عيسى والخضر وإلياس، فهؤلاء من المؤمنين، والمولى عليّ حيدر الكرّار أميراً عليهم وقائداً لهم إلى جنّاتِ ربّ العالَمين.

الآية الرابعة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ.

ورد في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي قال: « **الآيات أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام إذا رَجَعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم، والدليل على أنّ الآيات هم الأئمة قول أمير المؤمنين** عليه السلام: « **والله ما لله آية أكبر مني، فإذا رجعوا إلى الدّنيا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم في الدّنيا** » »[1].

فالإمام عليّ عليه السلام هو الآية الكبرى لله تعالى، وليس ثمّة آية أكبر منه، فيستلزم كونه أميراً على عامّة الآيات لأنها صغرى بالقياس إليه، لكونه أكبر منها، فيثبت أنَّه أميرٌ على المؤمنين كافّة بدون استثناء ومنهم الأنبياءُ والمرسلون.

الآية الخامسة: قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **ما بعث اللهُ نبيّاً من لدن آدم إلاّ ويرجع إلى الدنيا فينصر أميرَ المؤمنين، وقوله:** ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ **يعني رسول الله،** ﴿ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ **يعني أميرَ المؤمنين** »[2].

ولا تعني نصرة الأنبياء للإمام عليّ عليه السلام سوى أنّه أفضل منهم، فهو أميرُهم،

(١) راجع (نور الثقلين) ج٤ ص١٠٦ ح١٣٨.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٥٣ ص٦١ ح٥٠.

وهم جنودُه، وعلى الجنود أنْ ينضووا تحتَ إمرة قائدهم، والقائد أفضل من الجنود في الأعمّ الأغلب عند النّاس، لكنه عند الله دائماً يكون هو الأفضل لأنّ الله يختار الأفضل والأكمل.

زبدة المخض:

يتلخص مما سبق أنّ ثمّة أموراً تدلّ على أنّ الإمام علياً هو أميرُ المؤمنين عليه السلام:

الأمر الأوّل: أنّ الأخبار دَلّت على أنّ الإمام عليه السلام هو فقط أميرُ المؤمنين، ولفظ "**المؤمنين**" الذي أُضيف إليه لفظ "**أمير**" يفيد العموم، أي أنّه أميرٌ على عامّة المؤمنين بدون تخصيص على الإطلاق.

الأمر الثاني: الأخبار الخاصة الدالة على أنّ الأنبياء كلَّهم سينصرونه في الرّجعة مما يعني كونه عليه السلام أفضل منهم قطعاً لأنّ تقديم المفضول على الفاضل قبيحٌ عقلاً وشرعاً.

الأمر الثالث: الآيات الدالة على كونه أميرَ المؤمنين.

النقطة الثالثة: معنى كلمة "**سيّد**":

السيِّد هو الأفضل الأكرم، والسيِّد مِن ساد يَسُودُ، والاسم السؤدد وهو المجد والشرف، فهو سيّد، والأنثى سيّدة، والسيِّد: الرئيس الكبير في قومه، المطاع في عشيرته، وإنْ لم يكن هاشمياً أو علويّاً، والسيِّد الذي يفوق في الخير، والسيِّد المالك، ويُطلَق على الرب والشريف والحليم والكريم والفاضل والمتحمل أذى قومه، والسيِّد: الزوج كقوله تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ.. ﴿٢٥﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، والسيِّد: المقدَّم.

والنبيُّ والعترة يجري عليهم مصطلح السيادة على كلّ واحد من هذه المعاني، فبمعنى الشريف وذي المجد فإنهم بمكانٍ من الشرف لا تصل إليه أوهام الخلائق كما يدلّ عليه قولُ الإمام الهادي عليه السلام في (الزيارة الجامعة): « ...**فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ حَيْثُ لاَ**

يَلْحَقُهُ لاَحِقٌ، ولاَ يَفُوقُهُ فَائِقٌ، ولاَ يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، ولاَ يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ حَتَّى لاَ يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، ولاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولاَ صِدِّيقٌ، ولاَ شَهِيدٌ، ولاَ عَالِمٌ، ولاَ جَاهِلٌ، ولاَ دَنِيٌّ، ولاَ فَاضِلٌ، ولاَ مُؤْمِنٌ صَالِحٌ، ولاَ فَاجِرٌ طَالِحٌ، ولاَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ، ولاَ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ، ولاَ خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلاَ عَرَّفَهُمْ جَلاَلَةَ أَمْرِكُمْ، وعِظَمَ خَطَرِكُمْ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ، وتَمَامَ نُورِكُمْ، وصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ، وثَبَاتَ مَقَامِكُمْ، وشَرَفَ مَحَلِّكُمْ، ومَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ، وكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ، وخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ، وقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ بِأَبِي أَنْتُمْ، وأُمِّي، وأَهْلِي، ومَالِي، وأُسْرَتِي أُشْهِدُ اللَّهَ، وأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ، وبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ، وبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ، وبِضَلاَلَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ، ولأَوْلِيَائِكُمْ مُبْغِضٌ لأَعْدَائِكُمْ، ومُعَادٍ لَهُمْ سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ، وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ، مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ، مُطِيعٌ لَكُمْ، عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ، مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ، مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ، ومُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ، مُنْتَظِرٌ لأَمْرِكُمْ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ، مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ، زَائِرٌ لَكُمْ، لاَئِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ، مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ عزّ وجلّ بِكُمْ، ومُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ.. ». إلى أنْ قال عليه السلام: « **آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ، وبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ، وخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ، وفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلاَيَتِكُمْ بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ، وعَلَى مَنْ جَحَدَ وِلاَيَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ...** »(١).

ومعنى « **طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ** » أي خضع وخفض وانحطّ ولم يدرك غاية شرفكم، والمجد هو الشرف الواسع والعلوّ والكمال والعزّ، ولهم من كلّ واحدٍ من هذه الصفات ما لا يحوم حوله أُمنيةُ مَلَكٍ مقَرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَل.

(١) رواها الشيخ الطوسي بسند معتبر في (التهذيب) ج٦ ص٨٤ باب٤٦ ح١٧٧، وكذا الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) ج٢ ص٣٧٠ ح١٦٢٥.

وعلى معنى أنّ السيِّد هو الفائق في الخير فإنهم قد فاقوا كلَّ شيءٍ من الخلق في جميع كمالات الخير بما لا يتناهى لأحدٍ ممن سواهم، بمعنى أنّه لو كان نبيٌّ من أفضل أولي العزم غير النبي محمّدﷺ، زُخَّ في كمال من كمالاتهم فبقي يصعد أبد الآبدين ما حام حول حمى كمالاتهم ذلك ولم يتجاوز أثره.

وعلى معنى أنّ السيِّدَ هو الرئيس في قومه المطاع في عشيرته فإنّ اللهﷻ قد أحلّهم في مقام بين قومهم وعشيرتهم، بل وبين كلّ الخلق كافّة؛ لا يكيّف كنههم ولا يُكْتَنَه أصلهم، فهم غاية الخلق كما قال الإمام عليّعليه السلام: « **نحن صنائع ربّنا، والخلقُ بعدُ صنائع لنا** »[1] أي خلقنا اللهُ له، وخلق الخلق لنا، فهم مطاعون في كلّ الخلق، إذا دعوا أجابَتْهم الحقائق والرقائق والطرائق والأفئدة والقلوب والأرواح والنفوس والطبائع والألفاظ والأحوال والأعمال والأقوال والحركات والخواطر والضمائر والسّرائر، فكلّ شيء لهم وكلّ شيء يطيعهم.

والفقرات المتقدِّمة من زيارة الجامعة « **بلغ بكم أشرف محلّ المقرَّبين...** »، تدلّ على أنهم فاقوا كلَّ خير، أي أنّ الله أحلَّهم محلاًّ لا يطمع طامع من الخلق سواهم في إدراكه ولا أنْ يفوقه ولا أنْ يلحقه.

وعلى معنى أنّ السيِّد بمعنى المالك فظاهر أيضاً فإنّ اللهﷻ قد خلق لهم الخلق وفوَّضَ إليهم أمرهم والحكم فيهم كما صَرَّحَت به أخبارهم، ولا غرو في ذلك بعد كونهم مطهرين من الرجس ومنزهين من الدنس، وبالتالي تكون « **إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليهم، وتصدر من بيوتهم** »، حسبما جاء في زيارة الإمام الحسينعليه السلام في (كامل الزيارات) لابن قولويه القميرضي الله عنه.

وعلى معنى أنّ السيِّد هو الرب، أي بمعنى المدبِّر والمربِّي والمتمِّم والمنعِم، وعلى أنّ السيِّد بمعنى الصاحب فمن حيث إنهم علّة الموجودات الإيجادية والمادية والصورية

---

(١) الحديث الشريف مروي عن الفاتحين العظيمين: الأول الإمام أمير المؤمنين عليّعليه السلام في كتاب بعثه إلى معاوية وهو من محاسن الكتب. راجع (نهج البلاغة) ج٣ ص٣٦، شرح محمّد عبده، طبعة الاستقامة في مصر، ولابن أبي الحديد شرح رفيع له فليراجع.

والغائية، فكيف يجوز أنْ يفارقهم خلقٌ ويبقى، والبقاء بهم، فهم المصاحبون للخلق بهذا المعنى.

وعلى أنّ السيِّد بمعنى الحليم والمتحمِّل أذى قومه، فمن تتبع الأخبار وجد حلمهم وتحملهم الأذى وعدم انتقامهم وهم يقدرون على نحوٍ لا يمكن أنْ يقع من غيرهم، من هنا استحقوا أنْ يصفهم الله تعالى على لسان الإمام الهادي في الزيارة الجامعة المباركة بأنهم « **السادة الولاة والذادة الحماة** ».

فتحَصَّلَ ممّا سبق أنّ معنى كون الإمام عليّ سيدَ الوصيين أي أنه القائد لهم والهادي والمرشد والفائق في الخير عليهم.

إنْ قيل: إنّ كونه عليه السلام سيّداً للوصيين لا يستلزم كونه سيداً للنبيين والمرسَلين، فكيف تقولون أنه عليه السلام سيّدُ الأنبياء والمرسَلين ومن أين استدليتم على ذلك؟

قلنا: صحيح أنّه ليس ثمة ملازَمة بين كونه سيّد الوصيين وبين سيادته على الأنبياء والمرسَلين، إذ يمكن الفصل بين الأمرين - أي سيادته على الأوصياء دون الأنبياء والمرسَلين - لكنْ بما أنّ الأوصياء أنبياء فقد ثُبُتَتْ سيادته على الأنبياء قاطبةً؛ باعتبار أنهم أوصياء من قبل آدم أبي البشر، فكلّ الأنبياء أوصياء له عليه السلام، ومن حيثية كونهم أوصياء للأنبياء الذين استخلفوهم بالوصاية باعتبار أنهم يأتون بعد الأنبياء وينفذون وصاياهم، فلا إشكال حينئذٍ بأنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو سيّد الأنبياء والمرسَلين والأوصياء والأولياء؛ باعتبار كونه عليه السلام أميراً على عامّة المؤمنين، ومنهم الأنبياء والمرسَلين، حسبما استدلينا على ذلك بفقرة: « **السَّلام عليكَ يا بن أمير المؤمنين** »، مضافاً إلى الإطلاقات والعمومات المعتضدة بالإجماعات الدالة على أنّ الإمام عليّاً عليه السلام هو نفس النبي بنصِّ آية المباهلَة، وحيث إنّ النبي محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء والمرسَلين بإجماع الأمّة، ثَبُتَ أنّ أمير المؤمنين أفضلهم لكونه نفسَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو للإمام عليّ عليه السلام؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « **ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟** قالوا: بلى، قال: **مَن كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصُرْ مَن نصره، واخذُلْ مَن خذله** ».

يتلخَّص مما سبق: إنّ لقب أمير المؤمنين خاص بالإمام عليّ لا يشاركه فيه أحد من العالمين على الإطلاق، وهذا يستلزم - كما قلنا - أنّه أفضل خلق الله تعالى، كما أنّ سيادته على الوصيين (مع أنهم أنبياء، إذ كلّ وصيٍّ نبيّ في نفسه، والأنبياء بأنفسهم أوصياء لآدم(عليه السلام)، وآدم وصيٌّ عند الإمام عليّ(عليه السلام) لما تقدم من آية أخذ الميثاق على الأنبياء بنصرته(عليه السلام) بضميمة الأخبار المتواترة في بيان الأفضليّة) تستلزم أنْ يكون أفضلَ منهم مع أنهم أنبياء لقبح تقديم المفضول على الفاضل، وهذا يقتضي القول بأنّ الأفضليّة ليست بالنبوة والرّسالة وإنما بالوَلاية والأقربية، من هنا كان الوليّ بمعنى القريب لله تعالى والأولى بالتصرف وهما متحقّقان في الإمام عليّ(عليه السلام)، فالأنبياء أولاد عند مولانا أمير المؤمنين عليّ(عليه السلام) وصدق الشيخ الأزري حيث قال:

وهـو الآيـة المحيطـة بـالكون ... ففي كلّ عين كلّ شيء تراها

هـو طـاووس روضـة الملـك بـل ... ناموسها الأكبر الذي يرعاها

وهـو الجـوهر المجـرد منـه ... كـلّ نفـس مليكهـا زكاهـا

لم تكـن هـذه العناصـر إلاّ ... مـن هيـولاه حيـث أباهـا

وقال الشاعر عبد الباقي أفندي العمري(رحمه الله):

يـا أبـا الأوصـياء أنـتَ لـ"طه" ... صـهرُه وابـنُ عمّـه وأخـوه

إنّ لله في معانيـك سـرّاً ... أكثـر العـالمين مـا عَلِمُـوه

أنت ثاني الآباء في منتهى الدَّور ... وآبـاؤه تعـدّ بنـوه

النقطة الرابعة: مفهوم الوصاية:

المُلاحِظ للآيات المقدَّسة في الكتاب العزيز والأخبار المطَهَّرة وفي الزيارات الواردة عنهم(عليهم السلام) يرى بوضوح التأكيد على مفهوم الوصاية والخلافة الإلهية، إذ ما من نبيٍّ إلاّ وخَلَّفَ على أمّته وصيّاً يخلفه في إكمال مسيرته وتوضيح أفكاره وأهدافه للأقوام الذين كان فيهم ذاك النبيُ الموصي، ومَن سيولدون بعد وفاته، لذا فإنّ مسألة الوصاية أمر عقلائي اتفق عامّة العقلاء في كلّ عصرٍ ومِصر من أجل حفظ ودائعهم

وأموالهم وأولادهم وأزواجهم ورعاياهم لا سيّما الملوك والأمراء قبل سفرهم للحرب وغيره أو قبل موتهم، فإنهم لا يتركون مَن يعولون إلى مجريات القدر دون راعٍ أو قائدٍ، فكيف بسيّد الرُّسُل الذي ارتحل من هذه الدّنيا وأمّته تنخر فيها الأهواء وتتلاعب بها العصبيات القبليّة والصحراوية، فهل يتصوّر عاقل أنْ يتركها بلا راعٍ ومرشدٍ يقودها للخير ويوصلها إلى الكمال ويرفع عنها ما به ابتَلَت؟! وهل يتصوّر أيضاً أنْ يخالف رسولُ الله صلى الله عليه وآله فطرة الله في الوصية بالقاصرين والسفهاء، وهي فطرة جرى عليها الأنبياء في مواريثهم وطرق تبليغهم، بَيْدَ أنّ رسالته صلوات ربّي عليه وآله أكمل الرِّسالات وناسخة لكلّ الشرائع مع حاجة الأمّة إلى مَن يُكمل مسيرة النبي في طرق تهذيبه للنفوس وتعليمه للأحكام والمعارف، وسوقه الأرواح إلى مراقي الكمال والهداية لينعموا بعبادة الله تعالى التي من أجلها خُلِقُوا...

يتضح مما سبق أنّ الأدلّة التي أوجبت ضرورة بعثة الأنبياء والمرسَلين لتكميل النفوس وسوقها إلى عوالم الملكوت، هي بعينها توجب ضرورة وجود الإمام وتنصيبه بعد النبي، لأنّ الموضوعَين يشتركان في جانبٍ مهمٍّ من المناهج الربانية، فقاعدة اللطف - مثلاً - التي من خلالها أثبت أعلامُ الشيعةِ الإمامية ضرورةَ إرسال الأنبياء من حيث إنّ الله عزّ وجلّ بمقتضى رأفته بالعباد ولطفه بهم يجب عقلاً - بعد أنْ فرض عليهم أحكاماً وتكاليف - أنْ يوجِدَ لهم مَن يبعدهم عن المعصية ويقرِّبهم إلى الطاعة، فإيجاده للأنبياء محصّلٌ لغرضه، وهو طاعتهم له وانقيادهم إليه، ولو لم يوجِدْهُ لَنَقَضَ غرضَه، إذ كيف يأمرهم بطاعته ثمّ لا يحقق لهم الفرصَ التي تمكّنهم من العبادة والطاعة.

ووجوب اللطف لا يختصّ بالأنبياء والمرسَلين، بل يشمل الأوصياء والأولياء المنصوبين من قِبَلِ الله عزّ وجلّ، لأنّ مهام هؤلاء كمهام أولئك بمناطٍ واحدٍ لا يختلفون عن بعضهم البعض إلاّ في تلقّي الوحي التشريعي، وبحسب قاعدة اللطف وجب كون الإمام أو الخليفة معصوماً؛ لأنّ غير المعصوم لا يؤمَن عليه من الإنحراف أو الزيادة والنقصان في الشريعة، فاقتضت حكمتُهُ المتعالية أنْ ينصِّبَ حججاً بعد

الرّسول محمّدﷺ لكي يوصلوا النفوس إلى الكمال، ويبلِّغوا الأحكام المشرّعة التي لم تُبَلَّغ للناس لعدم وفرة الظروف الموضوعية لبيانها وتبليغها، ويربّوا الأشخاصَ الذين لم يحظوا برؤية النبي الإستفادة منه.

وليس من المعقول أنْ يهمل اللهُ الأمّةَ ويتركها بلا قائدٍ أو راعٍ لشؤونها، في حين أنّ جميع الناس متساوون من حيث الحاجة إلى مَن يربّيهم ويعلِّمَهم، وجميعهم متكافئون من حيث شمولهم لقاعدة اللطف الإلهي.

فمن اللازم - إذن - أنْ يبعث اللهُﷻ مَن يوجِه النفوس إلى الكمال وهو المربّي المعصوم الذي يوضِّح معالم الشريعة ببيانه.. ويصدّ أعداء الدِّين من المنافقين المتسترين بالدين وشعاراته، ويقوِّم الإعوجاج بيده ولسانه، ويرفع النقائص ويملأ الفراغ... ولا يتمّ ذلك إلاّ من خلال تعيين الإمام الذي يستطيع هو فقط أنْ يحمل هذه المَهَمَّة الثقيلة وهو الأنموذج الأكمل والمثل الأعلى لوجود النبي في كافة الخصوصيات، وهو الذي يقود الناس نحو الكمال، من هذا المنطَلَق كان تعيينُ الوصيّ فرضاً على النبيّ، لذلك نَصَبَ الإمامَ عليّاًعليه السلام بأمرٍ من الله تعالى وصيّاً على الأمّة[1].

والإمام الذي وجب نصبه بمقتضى قاعدة اللطف يجب أنْ يتوفر فيه شرطان:

الشرط الأول: العِلْم اليقيني.

الشرط الثاني: العصمة المطلَقة عن الخطأ والإثم والجهل[2].

أمّا شرط العِلْم فلأنّ الإمام كالرّسول هو الملجأ العِلْمي للناس، فلا بدّ أنْ يكون عارفاً بجميع المعارف والعلوم سوآء الشرعية أو المدنية والاجتماعية وغير ذلك بحيث يشمل عِلْمُهُ كلَّ شيء بإذن الله تعالى.

وأمّا شرط العصمة فلا بدّ أيضاً أنْ يكون الإمام معصوماً أي مصوناً من كلّ خطأ

---

(١) ثمة عناصر أخرى تدخل في تركيبة الشخصية الرسالية للإمام الخليفة، راجِعْ كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج١ ص٥١٣.

(٢) راجِعْ للمزيد من التفاصيل كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) ج١ ص٥١٨.

وإثم، وإلاّ فإنّه غير قادرٍ على أنْ يكون قائداً فذّاً فريداً، وقدوةً وأُسوةً حسنةً للناس يعتمدونه ويتبعونه.

والإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هو الوحيد الذي توفَّرَ فيه الشَّرْطان المتقدِّمان بعد النبي صلى الله عليه وآله، فلا بدّ حينئذٍ أنْ يكون عليه السلام المقدَّم على غيره من أمّة النبي، ومن الظلم قياسه على غيره، إذ لا يُقاس به أحدٌ من الناس على الإطلاق، فهو سيّد الوصيين جميعاً بل هو سيّد الأنبياء والمرسَلين عدا رسول الله لأنّه نفسه وروحه التي بين جنبَيْه، وبما أنّ النبيَّ أفضل الأنبياء والمرسَلين، فلا بدّ أنْ يكون أميرُ المؤمنين أفضلَ الأنبياء والوصيين بل سيّدهم وذلك لأنّه أميرُهم، ولأنّه نفس النبي محمّد صلى الله عليه وآله الذي أجمعَتْ الأمّة على أنّه أفضل الأنبياء والأوصياء والمرسَلين عدا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام بمقتضى آية المباهلة.

﴿ السّلام عَلَيْكَ يَابْنَ فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ ﴾

أشارت الفِقرة الشريفة إلى أمرَين اتصف جوهرُ السِّدة الصدِّيقةِ بهما:

الأمر الأوّل: الاسم المبارَك " **فاطمة** ".

الأمر الثاني: اللقب الشريف " **سيدة نساء العالمين** ".

فكان الأمر الثاني مرتبطاً بالأوّل كارتباط الجزء بالكلّ، والمعلول بالعلّة، وحتى يمكننا إدراك ذلك، علينا البحث في جهاتٍ متعدِّدةٍ لنكشف عن علاقة الأمرين المتقدِّمَيْن بكيان السيِّدة الجليلة المعظَّمة مولاتنا فاطمة عليها السلام.

الجهة الأولى: مقامات السيِّدة الجليلة فاطمة عليها السلام في القرآن المجيد:

إعْلَمْ أنّ كلّ مَدْحٍ ورد لممدوح في الكتاب الكريم فإنّ مولاتنا فاطمة الزكية الصدِّيقة الطاهرة شريكةٌ فيه، ولها السّهم الأوفى من ذلك الفيض والفضل الخاص، وذلك أنّ كلَّ مَدْحٍ مذكورٍ في القرآن موجود في هؤلاء الخمسة وأوصيائهم ذاتاً وأصالةً، وكلّ قَدْحٍ ورد في القرآن الكريم هو في حقّ مخالفيهم ومَن جَحَدَ ولايتَهم

وتنكَّرَ لمحبّتهم ولو كان في الأمم السابقة؛ لأنّ إطاعة الله التي توصِل إلى السّعادة الأبديّة إنّما هي في قبول ولايتهم ومحبّتهم، وعصيان الله الذي يوصِل إلى الشقاوة السرمدية إنّما هو في غضبهم وسخطهم.

ولا شكّ أنّ القرآن المجيد هو أساس الإسلام قد دَلّنا على أهل بيت النبوّة الذين أُنزِلَ عليهم الكتابُ المبارَكُ وخاطبهم بالكلام الكريم، وكشف لهم حقائق الآيات الشريفة؛ ليهتدي المؤمنون بكلامهم إلى ظواهر القرآن وبواطنه، هم آل بيت النبوة ومختَلَف الملائكة ومعدن الوحي ومنبع الرّحمة، وبيوتهم أرفع البيوت وأعلى بقعة واقعة في العوالم الإمكانية، بمدلول قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ... ﴿٣٦﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

وأهل ذلك البيت أركان الإمكان والسبب الكلي والعلّة الغائيّة في إيجاد نوع الإنسان، بهم تُعْرَفُ معالمُ القرآن ومعارفُه، وهم طريق معرفته، وخاصةُ هذا البيت وخلاصتُه وأُسُّه وأصله، وزبدة الأخيار وقدوةُ الأطهار، صدف العصمة للأنوار المطَهَّرة الأحد عشر، الجوهرة اليتيمة مولاتنا فاطمة صلوات الله عليها، الفريدة في الأوصاف الكمالية، ومظهر الصفات الإلهيّة، ومصدر الآيات الربوبية، ومشكاة أنوار النبوّة، ومرآة أسرار الولاية، الكلمة الجامعة الربانية، فهي فضلاً عن أصالتها وعصمتها الذاتية، تنتهي وتنتمي إليها الدّوائر الإمكانية من الأعيان الثابتة، ففاطمة سيّدتُنا هي آيةُ الله العظمى المقدَّسة متينة تتفرّعُ عن أصالتها الذاتية وشرافتها الأصليّة فروعٌ عديدة تُشَيَّدُ وتُسَدَّد أركانُ الدِّين بها، وذلك النور متَّحِدٌ دائماً بحقيقة النبوّة، ومتَّصِلٌ أبداً بباطن الوَلاية، تسايرها في جميع المراحل والمنازل وتطلع على العلوم اللدنيّة، فحقيقة العصمة الكبرى للصدِّيقة المطَهَّرة تشكل الثلثَ الأتمَّ والجزءَ الأقوم للكتاب المنيف والمصحف الشريف، ومعرفة تلك الطاهرة المطَهَّرة من المكمّلات والمتممات للإقرار والإذعان بنبوّة سيّد المرسَلين والوَلاية الكبرى لأمير المؤمنين والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا ما يُستفاد من الرّواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « **نزل القرآن أثلاثاً، ثلثٌ فينا وفي عدوّنا، وثلث سُنَنٌ وأمثال،**

وثلثٌ فرائض وأحكام »[1].

وقالوا أيضاً: « **نحن القصص والأحكام** »، ومعلوم أنّ أكثر القرآن أحكامٌ وقصص، وهكذا فإنّ معرفة خلافة أمير المؤمنين وسيّدة نساء العالمين وأولادهما الطاهرين هي من متممات النبوّة، فالإقرار بالنبوّة دون الإقرار بهؤلاء إقرارٌ عقيمٌ لا ثمرة فيه؛ لأنّ الإقرار بأمير المؤمنين يعني الإقرار بالقرار الإلهيّ بحقّه، من هنا ورد في المعتَبَر: « **عليٌّ مع القرآن والقرآن معه، ولن يفترقا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض يوم القيامة** ».

وأيضاً ورد عن شهر بن حوشب قال: كنتُ عند أمّ سَلَمَة رضي الله عنها فَسَلَّمَ رَجُلٌ، فقيل: مَن أنتَ؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذر، قالت: مرحباً بأبي ثابت، أدْخُلْ، فدَخَلَ، فَرَحَّبَتْ به وقالت: أين طار قلبُكَ حين طارت القلوبُ مطائرها؟ قال: مع عليّ بن أبي طالب، قالت: وُفِّقْتَ والّذي نفس أُمّ سَلَمَة بيده لسمعتُ رسولَ الله يقول: « **عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، لن يفترِقَا حتى يَرِدَا عَلَيَّ الحوض** ».

فكونه عليه السلام مع القرآن، والقرآنُ معه يُعْتَبَر فضيلةً ليس بعدها فضيلة يستوجب بها الشخصُ التقديمَ في الخلافة، ويستلزم ألاّ يترجَّجَ عليه غيرُه.

فهم عليهم السلام بيان القرآن وعلماء الأسرار، فضلاً عن أنّهم عِدْلُ القرآن وشركاؤه، وكم هو ذا الفرقان وكتاب الرّحمن صريح في مضامينه، ومِشعر ببركتهم وعلوّ شأنهم، ومن المسَلَّمِ أنّ فاطمة الطّاهرة داخلة في عنوان ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ.. ۝٧﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ، تعلمُ المحكَمَ والمتَشَابَهَ والناسخ والمنسوخ كما أُنزِل، وكيف يمكن أنْ يكون كتابٌ ينطوي على مدح وتعظيم وبيان لشأن شخصٍ في أكثر مواضعه، ثمّ لا يعلم ذلك الشخص بما فيه ولا يعرفه أو يوجد مَن هو أعرَف به منه؟! إلاّ أنْ ينكر أنْ تكون بضعة النبي صلى الله عليه وآله من النبي والنبي منها، ونضرب مثالاً على ذلك بالكعبة حيث لها أربعة أركان، وكذلك لمعاني القرآن وبطونه وأسراره ورموزه وحقائقه أربعة

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٨٩ ص١١٤ ح٢.

أركان: الرّسول الأكرم وأمير المؤمنين والصدِّيقة الطّاهرة والأئمّة المعصومون عليهم السلام، فمَن أراد الوصول إلى كعبة المراد وحقيقة الإيمان، فعليه بطريق الولاية للعصمة الكبرى، والتوسل بهدايات ودلالات الصدِّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء عليها السلام، فلو أنّ عبداً عَبَدَ اللهَ عبادَةَ الجِنِّ والإنس ولم يوالِ تلك المخدَّرة ويسلك سبيل طاعتها، لَسَلَكَ وادي برهوت وسارع إلى عقاب الهاوية؛ وذلك لأنّ حقيقة الجنَّة والنّار مخلوقة من الطّاعة والمعصية والحبّ والبغض للسيّدة فاطمة المطَهَّرة عليها السلام، بل إنّكَ إذا أمعَنْتَ النظر في أكثر معاني القرآن وجدْتَها أوصافَ فاطمة المطَهَّرة، فتلك المستورة الكبرى والمرأة الكاملة كانت في أعلى وأتمّ درجة من درجات العبوديّة والكمال، وكلّ صفة من الصّفات الممدوحة التي سجّلت في القرآن لكلّ واحد من العباد الصالحين والمقَرَّبين، ولكلّ نبيٍّ من الأنبياء والمرسَلين كانت في تلك المخدَّرة بمستوى عين الكمال، وكانت هي مجموعة جامعة لتلك الصفات العديمة المثال، ولذا فإنّ ثلث القرآن بل أكثر، جاء في مدح مولاتنا فاطمة والثناء عليها، بل إنّ بعض المزايا التي وردت في القرآن لبعض المصطفين المقربين كنزول المائدة على مريم قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، ونظائر ذلك، أعطاها الله لموليَّات السيِّدة فاطمة المطَهَّرة عليها السلام كما جاء في كتاب (بصائر الدرجات) من أنّ أمّ أيمن كانت امرأة صالحة وعفيفة وهي خادمة سيّدة القيامة وكوكب برج الرّسالة، فلمّا ماتت مولاتنا فاطمة صلوات الله عليها خرجت من المدينة فأصابها الحرُّ والظمأ، فدعت اللهَ فنزل عليها دلواً من السّماء فيه ماء.

أجل، إنّ القرآنَ مَدَحَ تلك السيِّدة وبَيَّنَ بعضَ محاسنها وكشف عن بعض أوصافها، ولا يمكن أنْ يكون الوصف – من حيث هو وصف – أشرف من الموصوف، ولا شكَّ أنّ تلك المخدَّرة أشرف من كلّ شيء خلقه الله تعالى، من هنا إمتنّ الله عزّ وجلّ على نبيّه صلى الله عليه وآله بها عليها السلام كما تفصح عن ذلك سورة الكوثر: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ.. ﴾

الدالة على الخير والنسل الكثيرين وهما منحصران بالصدّيقة الكبرى الزهراء البتول صلوات الله عليها.. إنّ كلّ الصفات الممدوحة التي ذكرها القرآن موجودة في تلك الذات الشريفة المقدَّسة، وأنّ كلّ المَلَكَات المحمودة والصفات الممدوحة التي ظهرت في جميع النساء - بدءاً بحوّاء وأنتهاءً بآخر عابدة لله تعالى إلى يوم القيامة - برزت وظهرت فيها بشكلٍ أكمل وأشمل: وصدق ما صدر عن أمير المؤمنين حيث قال عليه السلام:

وتزعم أنّكَ جُرمٌ صغيرٌ ... وفيكَ انطوى العالَمُ الأكبرُ

واللهِ لو أنّ بنتاً يكون رسولُ الله أباها وخديجةُ أمَّها وعليٌّ أميرُ المؤمنين زوجَها، لجديرة أنْ تطوي السّماء علوّاً وشرفاً والأملاك تواضعاً واستكانةً، والذي نذكره هنا من صفاتها دون مقدارها، واللسان قاصرٌ والبلاغة حسيرة، ولهذا يرجع عن بثّ صفاتها كالاًّ، ومن النظر إلى مدايحها كليلاً مقرّاً بالقصور؛ لأنّ قوى الإنسان لها مقادير وحدود تنتهي عندها، وغايات لا تتعدّاها:

يفنى الزّمان ولا يحيط بوصفهم ... أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

وبالجملة: فإنّ مولاتنا المعظَّمة فاطمة صلوات الله عليها هي أبرز مصداق للصالحين في القرآن، وأبرز مصداق للصادقين، وأبرز مصداق للأبرار والمقرَّبين، وأبرز مصداق للشهادة، وأبرز مصداق للعابِدين والزّاهِدين والمتقين، وأبرز مصداق للعالمين.

وقد نزل فيها خصوصاً آياتٌ كثيرةٌ منها قوله تعالى:

١ - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ.

٢ - ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّحْمَٰن.

٣ - ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الإِسْرَاءِ.

٤ - ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ

فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ.

٥- ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ ﴾ سُورَةُ الضُّحَىٰ.

٦- ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ.. ﴿١٩١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

٧- ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

٨- ﴿ ..ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ.. ﴿٣٦﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

٩- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

١٠- ﴿ ..وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ.. ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ.

١١- ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الإِنسَانِ.

إلى آخر سورة الدّهر، كلها نزلت في أهل الكساء الخمسة وأحد أركانهم السيِّدة الزّهراء عليها السلام.

١٢- ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ.

١٣- ﴿ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ المُدَّثِّرِ.

١٤- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴿١﴾ ﴾ سُورَةُ القَدْرِ.

١٥- ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴿٣﴾ ﴾ سُورَةُ القَدْرِ.

١٦- ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ.. ﴿١٩٥﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

١٧- ﴿ ..وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ.. ﴿١٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْقَافِ.

١٨- ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

١٩- ﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

٢٠- ﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

٢١- ﴿ ... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

٢٢- ﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ.. ١١٥ ﴾ سُورَةُ طه.

٢٣- ﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ ﴾ سُورَةُ اللَّيلِ.

٢٤- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ ﴾ سُورَةُ الطُّورِ.

٢٥- ﴿ ..إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ ﴾ البَقَرَةِ.

٢٦- ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

٢٧- ﴿ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

٢٨- ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ ﴾ المُطَفِّفِينَ.

٢٩- ﴿ ..إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ؛ نزلت في حقّ مولاتنا

فاطمة والإمامين الحسن والحسين وعقيل وجعفر.

٣٠- ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ.

٣١- ﴿ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ القَلَمِ؛ نزلت فيمَن غصب حقها.

٣٢- ﴿ ..وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ.

٣٣- ﴿ ..كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ.

٣٤- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

٣٥- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُسَ.

٣٦- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

٣٧- ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

هذه باقة طيبة من الآيات الدالة على علوّ شأنهاعليها السلام وجلالة قدرها، وثمة آيات أُخَر لم نستعرضها لكثرتها، لكنّ الخلاصة أنّ لمولاتنا فاطمةعليها السلام نصيباً في كلّ جزءٍ وكلّ حرفٍ من القرآن الكريم، إذ لولا أنّ الله تعالى ربط القرآنَ بهم لَمَا كان عُرِفَ القرآنُ وأحكامُه ودساتيرُه وأخلاقُه، فمعرفة هذه الأمور مرتبطة بأهل البيتعليهم السلام؛ إذ لولاهم ما عُرِفَ الله وما عُبِدَ اللهعزّ وجلّ.

فهم الغاية للمعرفة والعبادة، لذا فهم عقل القرآن وروحه ونفسه وكبده وقلبه، فالرسول محمّد عقله، وأميرُ المؤمنين عليّ روحُه، والصدِّيقة الطاهرة هي نفسُه القدسيّة، والإمام الحسن المجتبى بمنزلة الكبد يوزّع الغذاء على القوى، والإمام الحسين كالقلب يفيض الحياة بواسطة النَّفْس وتعود إليه التدبيرات البدنية، ومنه تُفاضُ الحياةُ إلى الأعضاء والنخاع والذاكرة والحافظة والعاقلة والحسّ المشتَرَك، فكما أنّ كلّ جزء من الوجود الإنساني يجري فيه الفيض الرحماني بواسطة هذه

الوسائل المدبرة، ولكلّ واحدة من هذه الوسائل مدخلية تامّة، وبدونها يبقى هيكل الإنسان مهمَلاً معَطَّلاً، فكذلك هي الصدِّيقة الطاهرة لها نصيب وسهم في كلّ جزء من الآيات القرآنية، وهذا هو تحقيق قوله عليه السلام: « **نحن القصص والأحكام** »، فمن قصص القرآن - مثلاً - حكاية مائدة بني إسرائيل ونظيرها بل أفضل منها مائدة مولاتنا فاطمة عليها السلام كما في الخبر الصحيح: إنّ النبي وثب حتى ورد إلى حجرة مولاتنا فاطمة، فقرع الباب فلمّا فتحت له الباب نظر النبيُّ إلى صفار وجهها وتغيُّر حدقتيها، فقال لها: « **يا بُنيّة ما الذي أراه من صفار وجهكِ وتغيُّر حدقَتَيْكِ؟ أفٍّ لكِ يا دنيا، فقالتْ: يا أبه إنّ لنا ثلاثاً ما طُعِمْنا طعاماً، إنّ الحسن والحسين جائعان، فأخذها النبي وأجلسهما على فخذيه وأجلس الصدِّيقة فاطمة بين يديه واعتنقها النبيُّ، ودخل أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب فاعتنق النبيَّ من ورائه، ثمّ رفع رسولُ الله طرْفَهُ نحو السّماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي، هؤلاء أهل بيتي اللهمّ أَذْهِبْ عنهم الرِّجس وطَهِّرْهُمْ تطهيراً**.

ثمّ وثَبَتْ مولاتُنا فاطمة عليها السلام حتى دخلت إلى مخدعٍ لها - بيت خاصّ للعبادة - فصَفَّتْ قَدَمَيْها فصَلَّتْ ركعتين ثمّ رَفَعَتْ باطن كَفَّيْها إلى السّماء وقالتْ: إلهي وسيّدي هذا محمّد نبيُّكَ، وهذا عليٌّ ابن عمّ نبيِّكَ، وهذا الحسن والحسين سبطا نبيِّكَ، إلهي أَنْزِلْ علينا مائدةً من السّماء كما أنزلتها على بني إسرائيل أكلوا منها وكفروا بها، اللهمّ أنزِلْها علينا فإنّا بها مؤمنون ».

قال ابن عبّاس: واللهِ ما استتَمَّتْ الدّعوة فإذا هي بصحفة[1] من ورائها يفور قتارُها، وإذا قتارُها أزكى من المسك الأذفر، فاحتضنتها ثمّ أَتَتْ بها إلى النبي والأئمّة عليّ والحسن والحسين، فلمّا نظر إليها الإمامُ عليّ قال لها: « **يا فاطمة من أين لكِ هذا؟** » فقال له النبيّ: « **كُلْ يا أبا الحسن ولا تسألْ، الحمد لله**

(١) الصّحفة: قطعة كبيرة منبسطة تُشبع خمسة أفراد.

الذي لم يُمِتْني حتى رزقني ولداً مثلها مثلَ مريم بنت عمران ﴿ ..كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ **فأكل النبي والموالي عليّ وفاطمة والحسن والحسين..** »[1].

مولاتنا وسيّدتنا الزّهراء عليها السلام أفضل من مريم بنت عمران قطعاً لأمور متعدِّدة:

الأوّل: إنّ الصدِّيقة مطَهَّرَة تطهيراً مطلَقاً حتى مِن تَرْكِ الأَوْلَى، ولكنّ مريم لم تصل إلى هذه المرحلة لقوله تعالى: ﴿ ..يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، ولو كانت بلغت تلك المنزِلة لكان أشار القرآن إلى ذلك بالتطهير المطلَق كما فعل مع الصدِّيقة الطاهرة لقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، فالتّطهير بعد الظهور بالمصدر مبالغة في الطّهارة.

الثاني: إنّ مولاتنا فاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالَمين وسيّدة نساء أهل الجَنَّة، ومريم من نساء العالمين ومن نساء الجَنَّة، فثَبُتَ أنّ سيّدتَنا الزّهراء البتول سيّدَةٌ على مريم بطريقٍ إنّيٍّ.

الثالث: إنّ مولاتنا فاطمة عليها السلام نفس النبي والوليّ لقوله تعالى: ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾، فهو عزّ وجلّ يشير إلى أنّ الأمير والسيِّدة الزهراء وأولادهما نفسُه المطَهَّرَة، وكذا لقوله صلى الله عليه وآله: « **فاطمة بضعة مني... وروحي التي بين جَنْبَيَّ** »، ومعلومٌ أنّ النبي أفضل العالمين على الإطلاق، وكون السيِّدة الزهراء نفسَهُ وروحَهُ يستلزم أنْ تكون أفضل من الصدِّيقة مريم والأنبياء عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وآدم.

الرّابع: ما ورد في الحديث المستفيض: « **لو لم يكن أميرُ المؤمنين زوجاً للصدِّيقة الطّاهرة لم يكن لها كفؤ من آدم إلى لدن يوم القيامة** ».

فهي - فديتها بنفسي وأمي وأبي - كفؤ لأمير المؤمنين فقط، إذن هي نفسه، ومعلوم أنّ الإمام عليّاً أميرٌ على النبي عيسى وأمّه مريم و.. و.. و.. فهو أفضل من

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٧٣ ح٦١ باب٣.

الخلائق أجمعين، لذا فالسيِّدة الزّهراء أميرةٌ على العالمين صلّى الله عليها ولَعَنَ ظالميها، لا سيّما مَن عصرها بين الحائط والباب فأنبت مسماراً في صدرها الشريف.

إشكال وحلّ:

إنْ قيل: إنّ عدم ذكر اسم الصدِّيقة المبارَكة صراحةً في القرآن، والتصريح باسم مريم مراراً[1] دليلٌ على أشرفيّتها على مولاتنا فاطمة عليها السلام.

الجواب من وجوه:

الوجه الأول: إنّ تكرُّر اسم مريم لا يكون دليلاً على أشرفيتها، وعدم ذِكْر الاسم أو قلّة ذِكْرِهِ أيضاً لا يستلزم عدم الأشرفيّة، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يذكر اسم النبي محمّد أكثر من خمس مرّات[2]، في حين ذُكِرَ موسى حدود ١٣٥ مرّة في القرآن الكريم، وذُكِرَ إبراهيم حدود ٦٠ مرّة، ونوح ٤٣ مرّة، وعيسى ٢٩ مرّة، وآدم ٢٥مرّة، مع أنّ آدم ونوح وإبراهيم وموسى لم يبلغوا مقام القرب إلاّ بمحبّة النبي وعترته الطاهرة، بل لولا وجود النبي والعترة لم يُخْلَق هؤلاء العظماء، فلو كان ذِكْر الاسم دليلاً على الأشرفية للزم أنْ يذكر اسم النبي أكثر ممن ذُكر من الأنبياء العظام.

الوجه الثاني: الملكوت - دائماً - أعظم من المُلْك، فالملك يشير إلى الظاهر، والملكوت يشير إلى الباطن، والباطن أشرف من الظاهر الدال عليه والكاشف عنه في أغلب الأحوال، فكما كان النبيُّ موسى باباً ظاهرياً للكشف عن حقيقة العبد الصالح الخضر، فكذا السيِّدة مريم هي باب ظاهري للكشف عن حقيقة مولاتنا فاطمة - روحي لنعليها الفدء -، فمقام وليّ الله الخضر عليه السلام أعظم من مقام نبي الله موسى عليه السلام مع أنه صاحب رسالة، فلِشرافة الموقع والمقام للخضر اقتضى أنْ يَخفي اسمَ الخضر واكتفى بذكر لقبه ﴿..عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، وموسى الكليم أُمِرَ بالإنقياد والتسليم للعبد

(١) صرَّحَ القرآنُ باسم السيِّدة مريم عليها السلام في عشرين موضعاً.

(٢) تكَرَّرَ اسمه صلى الله عليه وآله في السُّوَر التالية: آل عمران:١٤٤، الأحزاب:٤٠، الفتح:٢٩، محمّد صلى الله عليه وآله:٢، الصف:٦.

الكريم: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ ﴾ سُورَةُ الكَهۡفِ، وهكذا بالنسبة للسيِّدَتَيْن فاطمة ومريم عليهما السلام؛ فإنهما شبيهتا موسى والخضر في المقام والموقع، فمريم شبيهة موسى، ومولاتنا الزهراء شبيهة الخضر، فموسى ومريم كانتا تمثّلان الظاهر، والسيِّدة المطَهَّرَة والخضر كانا يمثّلان الباطن، وصاحِبا المقام الباطني ذُكِرَا تلميحاً وبالوصف دون الاسم.

والمتدبِّر في آيات الكتاب المجيد يرى بوضوحٍ أنّ أصحاب الوَلاية الباطنية من الأولياء لم تُذْكَر أسماؤهم صريحاً في القرآن، بل ذُكِرُوا في الوصف أمثال: الخضر والإسكندر وأمّ موسى وأخت موسى وآصف بن برخيا، ويكفي أنّ الإمام عليّاً أميرَ المؤمنين هو عظيم العظماء ولم يُذْكَر بالاسم في القرآن الكريم، وكذا أولاده الطاهرون وزوجته المقدَّسة، فالقرآن لم يصرِّح بأسمائهم في حين أنهم أفضل من الأنبياء والمرسَلين وعامّة أولياء الله أجمعين، فتأمَّلْ.

الوجه الثالث: إنّ الملوك والسّلاطين لا يدعون الحرائر والعقائل من ذوات البيوتات بأسمائهنّ في الملأ العام والمحافل، وإنما يدعونهنّ بالألقاب والكنى تعظيماً وتكريماً، فينبغي أنْ يبقى اسم الحرَّة المحتَرَمَة محجوباً مستوراً كشخصها، خلافاً للإماء والجواري حيث لا ينزعج السّادةُ من ذكر اسمائهنّ على رؤوس الأشهاد، ولمّا كان النصارى يعتقدون بعيسى عليه السلام أنّه ابن الله، وبمريم أنها زوجته، وينسبونهما للحقّ – تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً –، فقد وصف الله سبحانه عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بصفة العبودية، وأجرى ذلك على لسانه حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ ..إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ ﴾ سُورَةُ مَرۡيَمَ، وكذلك وصف مريم بالعبوديّة وخاطبها بهذه السِّمَة، ليعلم النصارى أنّ تلك المستورة العظمى كباقي النساء أمَةٌ من إماء الله عزّ وجلّ وابنها عبدٌ من عبيده، ونسبتهما إلى الله ذي المِنَن نسبة العبودية لا نسبة النبوة ولا الزوجية، وهذا لا يعني أنّ الله قلّل من شأن مريم في القرآن حاشا

وكلاّ، بل ذكرها وصرَّحَ باسمها وأمرها بالطاعة والعبادة تعظيماً لها، والغرض من تكرار اسمها والتأكيد عليها بالإمتثال والطاعة لإثبات العبوديّة والإئتمار ليعلم النصارى أنّ مريم امتازت في العبادة ولم تتميز في العبوديّة، وإنما هي من عبيد الله، ولا نسبة بينها وبين الساحة المقدَّسة لحضرة مَلِك الملوك وربّ الأرباب، خلافاً لِمَا توهّمه النصارى حينما جعلوها إقنوماً -أي أصلاً- من الأقانيم الثلاثة، حتى عُرِفَ بعضهم بـ" **المريميّة** "، ولا تزال بقايا منهم في المغرب إلى يومنا هذا.

الوجه الرابع: السبب في تكرار اسم مريم في القرآن الكريم هو أنّ الله تعالى أكرمَ مريم بكراماتٍ باهرةٍ وآياتٍ زاهرةٍ، ونزَّهَها عن النقائص والكدورات النسوية، وهَذَّبها وقَبِلَهَا بقبول الذكر المحرَّر، وجعلها في عداد الأنبياء العِظام، وخاطبها بخطاباتٍ صريحةٍ مباشرةٍ، ليُعْلَمَ بأنّ القدرة الربانية الكاملة يمكن أنْ تجعلَ المرأةَ في عداد الأنبياء بعد رفع الموانع وطهارة الذيل وكثرة التقوى وشدّة الإيمان، فتكون مثل إبراهيم وعيسى وموسى وداود عليهم السلام، فيتوجّه إليها الخطاب الإلهي بقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

هذا الوجه قال به السهيلي في تعريف الأعلام من كتاب أسئلة الحكم، وهو قريب من مشرب بعض علماء العامّة[1] الذين ذهبوا إلى القول بنبوّة مريم، وأنها من الأنبياء العِظام، واستدلّوا على ذلك بالخطابات القرآنية.

أُوْرِدُ على بطلان هذه الدّعوى بأمرَيْن:

الأمر الأول: ما أورده أحد الأعلام من: أنّ النساء مهما بَلَغْنَ من الكمال في الإيمان لا يُكَلَّفْنَ بتكاليف الرِّجال، ولا يمكن أنْ يأتِيْنَ بشريعة، فللرجال تكاليفهم وأحكامهم ومهامهم، وللنساء تكاليفهنّ وأحكامهنّ ومهامهنّ[2].

وفيه: لقد ربط الوجهُ المتقدِّم بين النبوّة وبين التكليف بشريعة، أي أنّ الأنبياء

---

(١) ذهب إلى هذا القول جماعة بحسب دعوى صاحب تفسير روح المعاني في تفسير الآية٤٣ من سورة النحل.

(٢) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص٢٥٥.

دائماً أصحاب شرائع مقدَّسة مع أنه ليس ثمّة ملازَمة بين النبوّة والتشريع، فليس كلُّ مَن تنبّأ يكونُ صاحبَ شريعة، أو أنّه رسولٌ مرسَل إلى النّاس برسالةٍ وشريعةٍ، إذ بينهما عموم وخصوص من وجه، إذ كلّ رسول هو نبيٌّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً صاحبَ شريعة.

فتكليف بعض الأنبياء بتكاليف وأحكامٍ ومهامٍ ليؤدّوها إلى الناس إنما يكون من حيثية كونهم مرسَلين، بمعنى أنّ تبليغ الأحكام إلى الآخرين لحيثية التبليغ التي هي من مهام المرسَلين من الأنبياء، فالخلط بين وظائف النبي ووظائف الرّسول وجعلهما وظيفةً واحدةً خلاف ما ورد في أخبارنا المقدَّسة حسبما جاء في (أصول الكافي) في باب الحجّة عليه السلام.

الأمر الثاني: إنّ قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا.. ﴿١٠٩﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، ينافي القول بنبوّة النساء.

وفيه: إنّ الآية المذكورة صَرَّحَت باختصاص " الرّسول " بالرِّجال فلا ينافي ثبوت النبوة بلا رسالة للنساء، كلُّ ذلك بناءً على النبوة بالمعنى العام لا الخاص المستلزم للمخالطة مع الرجال.

وبهذا يتضح عدم تمامية هذين الوجهين على نفي مصطلح النبوّة على النساء مع أنّ نفس المناط الموجود في الرّجال الأنبياء متحقّق في النساء المطَهَّرات كالقرب والإيحاء بل ونزول المَلَك جبرائيل على كثيرٍ من الأنبياء بل كان يوحى إليهم وحي سماع ونقرٌ في الآذان ووقرٌ في القلوب.

فالصحيح أنْ يُقال: إنّ هؤلاء النسوة يصلحنَ للنبوّة الذاتية ولا يصلحنَ للنبوّة التبليغيّة، لكنْ لا لنقصٍ في ذواتهنّ، بل لأنّ مقام الأنوثة لديهنّ يمنع من استلامهنَّ مقام النبوّة التبليغيّة الذي يُشتَرَطُ فيه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر باليد ومجالسة الرّجال ومخاطبتهنّ لهم والخوض معهم، وهذا لا يليق بمقام المرأة وعفافها.

فأمثال سيّدة النساء ومريم وحوّاء وأمّ موسى وأخته و.. و.. فيهنّ قابليّات الأنبياء ويصلحْنَ أنْ يَكُنَّ أنبياء بالمعنى الأوّل – أي النبوّة الذاتية – لا بالمعنى الثاني – أي

النبوّة التبليغيّة – وما ذلك إلاّ لأنّ المِلاكَ واحدٌ، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: إنّ النبوّة لغةً بمعنى الإخبار من عند الله تعالى، وهو متحقّقٌ فيهنَّ باتفاق الأمّة وتصافق الأدلّة، فتأمَّلْ.

وبالجملة يتضح ممّا ذكَرْنا: إنّ التصريح باسم مريم وتكراره في القرآن لا يستلزم أفضليّتها على مولاتنا سيّدة النساء الحوراء فاطمة عليها السلام التي لم يُصَرَّح باسمها في القرآن الكريم – بحسب الظاهر – واحتجاب اسمها المبارَك واختفاؤه يشير إلى أمرَين مهمين:

الأمر الأول: تمحيص المسلمين وفتنتهم، إذ لو كان اسمها مذكوراً في القرآن لَمَا اختلف عليها أحدٌ من المسلمين، بل لَمَا أوجب غربلتهم وتصفيتهم إذ كلّما خَفِيَ العنوان – وهو الاسم هنا، والمعنوَن هو ذات مولاتنا فاطمة عليها السلام – كلّما اشتدّ التكليف، من هنا خَفِيَ اسمُ أمير المؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام ولم يُصَرَّح به في القرآن الكريم ليشتدَّ التكليف ويعظمَ الإمتحانُ وتُغَرْبَلَ الأمّةُ، وليُعْلَمَ المؤمن من المنافق، والمطيعُ لله ولرسوله من العاصي لهما.

الأمر الثاني: إحتجاب اسمها المبارَك واختفاؤه دليلٌ على عَظَمَة ذاتها وشرف حالاتها، وهي المستورة الكبرى؛ فعدم التصريح باسمها المبارَك في القرآن من قبيل خفاء المعنى في اللفظ، والسرّ المكنون في الكلام الملفوظ، واختفاء الاسم الأعظم في الأسماء الحسنى، وليلة القدر في سائر الليالي، والصّلاة الوسطى في باقي الصلوات، وساعة الإستجابة في السّاعات، والأولياء الكاملين في سائر الخلق، والأعمال المقبولة في الطّاعات.

فالعقل حاكمٌ بحُسْنِ احتجاب اسم النساء واستتاره، وحُسْن تستُّر اسمها مثلَ حُسْنِ تستُّر مسمّاها؛ لأنّ كلّ ما يتعلّق بالنساء يحسن استتاره واختفاؤه، قالت مولاتنا فاطمة عليها السلام: « **خير للنساء أنْ لا يَرَيْنَ الرّجال ولا يراهنَّ الرّجال** »، وهذا حكمٌ جامعٌ لكلّ نساء العالَم، لو عمل به الجميع لفازوا وسُعِدُوا.

ومن البديهي أنّ مولاتنا فاطمة الطاهرة الزكيّة عيبةُ العلوم ومخزنها، وخزينةُ

الأسرار ومستودعُ دقائقِ الأحكام الإلهيّة، وكلٌّ خير خلقه الله فهو متطفِّل في وجوده على وجود تلك المخدَّرة ووجود أبيها وبعلها وبنيها، فإنّكَ تراهم مغلوبين في بعض الأمور وفق الحسابات الدنيوية، أو أنهم لا مال لهم أو لهم مالٌ قليلٌ، فإنّ هذا بنفسه دليلٌ واضحٌ على أفضليّتهم وأشرفيّتهم على كافّة مَن في العالَم؛ وذلك لأنّ مبغوض المولى لا يكون محبوباً عند الوليّ أبداً، فحُبُّ الدّنيا وحطامها عند الله تعالى رأسُ كلّ خطيئة، فكيف لا يَعرض هؤلاء المقربون عنها، وكيف يطلبونها ويرغبون فيها؟! وقد قَدَّرَ اللهُ لهم الحياةَ والغنى الأبدي فاكتفوا بالحدّ الأدنى الذي يكفل لهم البقاء في هذه الحياة الدّنيا بحيث يعجز الغير عن أنْ يعيش بمثله ثمّ أعرضوا عن الباقي.

والإنصاف أنْ يُقال: هل كان عيشُهُم غيرَ ما ذَكَرْنا؟ وهل أنّ التاريخ العامي أنصفهم؟ كلاّ ثم كلاّ، فها هي ابنة مَن كان ملوك العَجَم مثل كسرى وصناديد العرب مثل ملوك الغسانيين وبني النعمان وغيرهم يحسبون له ألفَ حساب خوفاً من زوال ملكهم بيديه ثم تبقى ابنته بعد الزواج جائعة ثلاثة أيام ويكون جهازها مخدّة حشوها ليف لأنّهم يرون الصوف والقطن لفراشهم من الترف والحال أنّ الله تعالى خلق كلَّ زينة للسيدة الطاهرة فاطمةعليها السلام.

زاد اللهعزّوجلّ في شرفها كما شرَّفَها أو شُرِّفَت بأبٍ قد فاق العالَمين فضلاً، وجعلها نورَ مشكاة الرّسالة في الأنام، وبأمٍّ كخديجةعليها السلام كانت أقدم نساء العالَمين إسلاماً وأبذلهنَّ مالاً في الإسلام، وبزوجٍ خَصَّهُ الله تعالى بالوَلاية، وهو الإمام الربّاني والهيكل النوراني، قطب الأقطاب وسلالة الأطياب، والعامل بالسنَّة والكتاب، والناطق بالصّواب، نقطة دائرة الإمامة... الذي حارت العقول والأفكار في زهده وتعبُّده وخشوعه وتهجّده ووقوفه موقف العصاة مع شدّة طاعته وبكائه ونحيبه وخفوق قلبه من خشية الله وقد انتصب يصلّي وقد أرخى الليلُ سدولَهُ مناجياً ربَّه، وقد انسلخ من الدنيا الدنية، وتعرّى من الجنّة البشريّة، يتململ تململ السليم، مع أنه قسيم الجَنَّة والنّار... هذا هو حال زوجها وحالها، يعجز القلم عن وصف

جوهرها وكشف واقعها، فهي محجوبةٌ عن الأغيار، مستورة بجمال الواحد القهّار، ومع هذا فقد كشف الله عزّ وجلّ في القرآن المجيد عن بعض صفاتها كما في آية التطهير والمباهلة وسورة الدهر والكوثر وغيرها، كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، قد أوضح عن بعض مآثرها ومعاجزها وقربها وولايتها، ولا يخفى ما ورد عنه بقوله صلى الله عليه وآله: « **فاطمة يرضى اللهُ لرضاها ويسخط لسخطها** ».

أجل!! إنّ القلم لعاجزٌ واللسان لكالٌّ عن أنْ يصف مَن كانت أسماؤهم كلمات قُبِلَت بها توبة نبيّ الله آدم عليه السلام، فلولا أسماء هؤلاء ومعرفة صفاتهم لَمَا قُبِلَت توبته أبداً ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البَقَرَةِ.

الجهة الثانية: أسماؤها المقدَّسة عليها السلام:

الاسم ما دَلَّ على المُسَمَّى، أو هو علامة لمعرفة المُسَمَّى حسبما عَرَّفَه اللغويون، والاسم غير الكنية واللقب.

والاسم " **فاطمة** " هو أفضل أسمائها، فهو جامعٌ للمعاني والألقاب الأخرى، وقد لوحِظَ في خواص هذا الاسم الشريف آثار ربّانية وإفاضات رحمانية تعود إلى نفس السيِّدة المطَهَّرة أو تعود على الآخرين، وعلى كِلاَ الإحتمالَين يكون الاسم الشريف بآثاره المترتِّبة عليه موهبة إلهيّة خاصّة وصفها الجبّار عليها السلام بها.

ويظهر من الأخبار أنّ لمولاتنا عليها السلام أربعة أسماء مهمّة تَمَيَّزَتْ عليها السلام بها، إثنان في الأرض واثنان في السّماء، أمّا اللذان في الأرض فهما: الزهراء وفاطمة، وأمّا اللذان في السّماء فهما: النوريّة (مشتق من النُّور) والمنصورة في السّماوات.

والاسم فاطمة وإنْ كان معروفاً قبل ولادتها حيث تَسَمَّتْ به ثلّة من النساء المؤمنات قبل مجيء رسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، من هؤلاء فاطمة بنت أسد وفاطمة أمّ خديجة وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير وغيرهن، إلاّ أنّ لانتشاره في أوساط العرب يومذاك سببٌ في هذه الأسرة النبيلة - قبيلة بني هاشم - يرجع إلى أنّ آباء السيِّدة الزهراء المطَهَّرين وأمهاتها الطاهرات كانت لهم معرفة خاصّة بحقّ المستورة

الكبرى وعلوّ مقاماتها إذ ورد في المستفيض عنهمعليهم السلام: « **فاطمة الصدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارَت القرون الأولى** »، حيث كان الأنبياء العِظام يوصون أمّهاتهم بحبّها ومعرفتها، ويأمرونهم بالتوسّل بشفيعة يوم الجزاء في البلايا والشدائد، فإذا كان هذا دأب الجميع، فلا بدّ أنْ يكون أهلُها أعرفَ بها، بل إنهم كانوا يفتخرون لأنهم وقعوا في سلسلة آبائها وأمهاتها، وكانوا يسمّون أغلب بناتهم باسمها تشريفاً وافتخاراً.

فالحمد لله الذي جعل اسم فاطمة في كلّ بيتٍ من بيوت هذه الأمّة سبباً للبركة ونزول الرّحمة.

وينبغي أنْ نعرف الحيثيّة أو الخلفيّة التي من أجلها سُمِّيَت المخدَّرة الكبرى بفاطمة الزّهراءعليها السلام؛ ليتضح فيما بعد معاني هذا الاسم الشريف.

فثمّة خبران أشار إليهما بعضٌ يفيدان غيرَ ما أفادَتْه بقيّة الأخبار، وهما:

[**الخبر الأوّل**]: يفيد أنّ السيِّدة خديجةعليها السلام طَلَبَتْ من النبيصلى الله عليه وآله أنْ يسمّي ابنتها باسم أمّها - وكان اسمها فاطمة - بناءً على الأدب الذي كان ولا زال شائعاً بين نساء العرب والعجم حيث تسمّي المرأةُ إحدى بناتها باسم أمّها ويسّمي الرّجل أحد أولاده باسم أبيه، تخليداً لذكراهم في تلك الأسرة.

[**الخبر الثاني**]: لمّا توفيتْ السيِّدة آمنة بن وهبعليها السلام أمّ النبي الأكرمصلى الله عليه وآله كفلته السيِّدة فاطمة بنت أسدعليها السلام - أمّ مولانا أمير المؤمنينعليه السلام - وكان النبيُّ يحبُّها، من هنا لمّا ماتَتْ عَبَّرَ عنها بأنها « **أُمّه بعد أُمّه** »، فلمّا وُلِدَتْ الصدِّيقة الطاهرة أراد النبيُّ تعظيمَ كافلته وتكريمها وتطييب خاطرها الشريف وإدخال السّرور عليها، فسمَّى ابنته باسمها[1].

يتضح من هذين الخبرين أنّ النبيصلى الله عليه وآله سمّاها فاطمة مراعاةً لمشاعر زوجته وعطفاً عليها، وعلى فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليّعليه السلام مما يقتضي الميلَ إلى أنّهصلى الله عليه وآله

(١) راجع (الخصائص الفاطميّة) ج١ ص٢٨٣؛ نقلاً عن جماعة.

كان يعمل بالعاطفة، وفي هذا الإستدلال من الخدش ما لا يخفى على المتأمِّل حلاًّ ونقضاً:

أمّا حلاًّ: فلأنّ تسمية النبي لابنته بفاطمة مراعاةً لمشاعر مَن ذُكِر ليس مخالفاً للأسس الشرعية التي أمر بها الكتاب الكريم، إذ إنه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ سُورَة النَّجْمِ، كما إنه عطوفٌ على المؤمنين رؤوف ورحيم بهم: ﴿ ..قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١ ﴾ التَّوْبَةِ، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ التَّوْبَةِ.

فعمل النبيِّ بالعاطفة لا يخرجه عن قانون العصمة، إذ عاطفته مترشِّحة من رحمته وعقلانيته، وإلاّ ما معنى أنْ يبكي النبيُّ على ابنته السيِّدة فاطمة وولده الإمام الحسينعليهما السلام وكذا بكاؤه على أمير المؤمنينعليه السلام وما سيجري عليه بعده، وكذا بكاؤه على ابنه إبراهيم لمّا مات... إلخ.

ومعلومٌ أنّ البكاء نتيجة عاطفته ورحمته بهؤلاء، فكما أنّ العاطفة لا تخرجه عن العصمة، كذا لا تُخرجه عن العقلانية، إذ لا ملازمة بين العاطفة وبين عدم العقلانيّة حتى يُدَّعَى أنّهصلى الله عليه وآله يحابي زوجته على حساب الدِّين والشرع.

وأمّا نقضاً: فلأنّ هذين الخبرين مرسَلَين لا سند لهما، ولا حجية في المراسيل علماً وعملاً، وعلى فرض قبولهما والعمل بهما فإنهما يتعارضان مع الأخبار الصحيحة والمعتَبَرَة الدالة على أنّ تسميتها بفاطمة إنما هو بأمرٍ من اللهعزّ وجلّ.

ففي العلل عن يزيد بن عبد الملك عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **لمّا وُلِدَتْ فاطمةعليها السلام أوحى اللهعزّ وجلّ إلى مَلَكٍ فانطلق به لسان محمّدصلى الله عليه وآله فسمّاها فاطمة** »[1].

وفي (معاني الأخبار) عن سدير الصيرفي عن مولانا الإمام الصادقعليه السلام في حديث

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٣ ح٩ باب٢.

المعراج قال – أي جبرائيل عليه السلام –: « **يا محمّد! هذه تفاحة أهداها الله عزّ وجلّ إليكَ من الجَنَّة، فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمّد! يقول الله جلّ جلاله كُلْها، ففلقتُها فرأيتُ نوراً ساطعاً وفزعتُ منه، فقال: يا محمّد! ما لكَ لا تأكل؟! كُلْها ولا تخف، فإنّ ذلك النور للمنصورة في السّماء وهي في الأرض فاطمة..** »[1].

فمولاتنا فاطمة عليها السلام كانت معروفة بهذا الاسم قبل ولادتها، وكان اسمها في السماوات معروفاً، ويمكن الجمع بين الخبرَيْن الأوّلَين المعتَبرَين بأنْ يُقال: إنّ الله تعالى أجرى هذا الاسم الشريف على لسان نبيّه تحقيقاً لرغبة خديجة واحتراماً لفاطمة بنت أسد تمييزاً وتشريفاً لهذا الاسم.

معاني الاسم الشريف (فاطمة) :

من خلال الإطّلاع على معاني الاسم المبارَك "فاطمة" وعلّة تسميتها به ستنكشف لنا علومٌ ومطالبُ عاليةٌ، نادراً ما تنكشف في غيره من الأسماء.

ولفظ " فاطمة " مشتقٌّ من فَطْم وهو الفصل والقطع، فَطَمَ الولدَ أي فصله عن الرِّضاع، وفطمه عن العادة: قطعه عنها، وفطم الحبلَ: قطَعَهُ، والفطيم: هو مَن انتهت مدّة رضاعه، وفطمه عن الشهوات : قطعه عنها، قال البوصيري:

والنفس كالطفل إنْ تهملْهُ شبّ على   حبّ الرّضاع وإنْ تفطِمْهُ ينفطمُ

فالفَطْم والفطام: القطع والفصل، وغالباً ما استُعمل هذا اللفظ في أخبار الأئمّة الأطهار وآثارهم بمعنى الإنقطاع عن الدّنيا ولذاتها.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « **خير أمتي مَن هدم شبابه في طاعة الله، وفطم لذاته عن لذّات الدّنيا وتوله بالآخرة، إن جزاءه على الله أعلى مراتب الجنة** »[2].

وفي (تفسير الإمام العسكري عليه السلام) في معنى "فاطمة" قال: « **إنّ الله سبحانه سمّى**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٤ ح٣ باب٢.

(٢) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص٢٨٦ و(تنبيه الخواطر) ج٢ص١٢٣.

نفسه الفاطم، يعني الفاطم أعداءه عن رحمته يوم فصل قضائه، وفاطم[1] **أوليائه عمّا يعتريهم ويشينهم** ».

وفي حديث العلل بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: « **إنّ رجلاً مَرَّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله فقال له: أرشِدْني، فقال له عثمان: دونكَ الفتية الذين ترى، وأومأ بيده إلى ناحيةٍ من المسجد فيها الإمامان الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر... ثمّ انصرف الرّجل فمَرَّ بعثمان فقال له عثمان: ما صنعت؟ قال: مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت.. وإن صاحب الوفرة لما سألته قال لي: يا هذا فيما تسأل، فإنّ المسألة لا تحلّ إلاّ في إحدى ثلاث.. فأعطاني خمسين ديناراً وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً، فقال عثمان: ومَن لكَ بمثل هؤلاء الفتية، أولئكَ فُطِمُوا العِلْمَ فَطْماً، وحازوا الخير والحكمة** »[2].

وقوله: « **فطموا العلم فطماً** » أي: قطعوه عن غيرهم قطعاً وجمعوه لأنفسهم جمعاً. هذا حصيلة ما جاء في كتب اللغة بالنسبة للاسم الشريف " فاطمة ".

معاني الاسم المبارَك اصطلاحاً:

ثمّة وجوه عشرة في علّة التسمية بالاسم الشريف "فاطمة"، وهي مقتَبَسَة من الأخبار المطَهَّرَة:

❖ **الوجه الأوّل**: ما رواه الصدوق في (العلل) عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام مسنداً قال: « **لمّا ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عزّ وجلّ إلى ملك فانطلق به لسان محمّد صلى الله عليه وآله فسمّاها فاطمة، ثمّ قال** - والقائل هو الله عزّ وجلّ -: **إني فطمتكِ بالعِلْم وفطمتُكِ عن الطمث** »، ثمّ قال مولانا أبو جعفر عليه السلام: « **واللهِ لقد فَطَمَها اللهُ تباركَ وتعالى بالعِلْم وعن الطمث بالميثاق** »[3].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج١١ ص١٤٩ح٢٥.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٣٣٢ ح٤.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٣ح٩، و(العلل) ج١ ص٢١٢ح٤.

يشير الحديث الشريف إلى خمسة مطالب مهمّة:

المطلب الأوّل: إجراء المَلَك اسم مولاتنا وسيّدتنا فاطمةعليها السلام على لسان رسول اللهصلى الله عليه وآله.

المطلب الثاني: خطاب الله تعالى لها مباشرةً.

المطلب الثالث: فطام الله تعالى لها بالعِلْم.

المطلب الرّابع: فطام الله تعالى لها عن الطمث.

المطلب الخامس: قَسَم الإمام الباقرعليه السلام بتأكيد وقوع ما أخبر به النبيّصلى الله عليه وآله.

وأما المطلب الأول: فيدلّ على أنّ المَلَك أجرى اسمَ مولاتنا فاطمةعليها السلام على لسان النبيِّ محمّدصلى الله عليه وآله، وهذا لا يخلو من تصوّرَين:

إمّا أنْ يكون المَلَك أعلم من رسول اللهصلى الله عليه وآله بشرف الاسم، لذا سبق رسولَ الله صلى الله عليه وآله بالتسمية، والأسبقيّة تقتضي الأعلميّة، وعليه فيكون هذا التصور دليلاً لمن قال بأنّ الأسبقيّة بالعلوم تقتضي الأعلميّة.

وإمّا أنْ يكون النبيُّ أعلم بالتسمية، لكنّ المَلَكَ سبقه لقُرْبِهِ من الله تعالى وولايته التكوينية على رسول الله لا سيّما بضميمة ظواهر الأخبار الدالة على أنّ الملائكة وسائط بين الله ورسله، والوسيط أشرف من المتوسَّط له، وهذا دليل أيضاً لمن قال بأشرفيّة الملك على الرّسل.

وكِلاَ التصورين باطلٌ، وبطلان التصوُّر الأوّل من ناحية عدم وجود ملازَمة بين الأسبقيّة بالتسمية وبين الأعلمية، فكما أنّ جبرائيلعليه السلام كان يسبق رسولَ الله بنزول القرآن على قلبه الشريف نجوماً مفرَّقة، وكان النبيُّ مطَّلِعاً عليه قبل نزوله، كما يشهد له قوله تعالى: ﴿ ..وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ سُورَةُ القَدْرِ، والمراد أنّ الله تعالى ذِكْرُهُ أنزل القرآنَ جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا في ليلة القدر، ثمّ كان يُنْزِلُهُ المَلاكُ جبرائيل على رسول الله محمّدصلى الله عليه وآله نجوماً، وكذا قوله: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ

بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ سُورَةُ طه، ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ القِيَامَةِ.

فالتعبير بالإنزال يفيد اعتبار الدفعة دون التنزيل الظاهري في التدريج. مضافاً إلى أنّ التعبير الوارد في الرواية المذكورة: « **أوحى الله عزّ وجلّ إلى مَلَك..** » يدفع التصوُّر المتقدِّم، إذ اللهُ تعالى هو الآمِر للمَلَك بأنْ ينطقَ لسانَ رسول الله صلى الله عليه وآله، فالمجري والمسبّب للاسم المبارَك على لسان النبي هو الله تعالى، والمَلَك واسطة في الفعل والمراد بالملك هو المَلَك الموكَّل بالخلايا الجسمية الخاصّة بالنطق، إذ كلّ ذرّةٍ في جسم الإنسان موكَّلٌ بها مَلَكٌ.

وأمّا بطلان التصوّر الثاني: فواضح أيضاً بحسب ما جاء في الآيات والأخبار الدالة على علوّ شأن رسول الله وأقربيته إلى الله تعالى، فيكفي أنّه صلى الله عليه وآله كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، وأنّه رحمة للعالمين، والملك من جملة العالمين، فالرّسول الأكرم رحمة له، فهو - إذاً - أقرب إلى الله تعالى من الملك.

مضافاً إلى ما ورد عنهم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كانوا أوّل خلق الله تعالى، وهم صفوة خلقه، وأوّل مَن سبق إلى الإقرار بالوحدانيّة.

فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: « **أوّل مَن سبق من الرُّسُل إلى "بلى" رسول الله وذلك أنّه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك وتعالى** »[1].

وورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل شيءٍ خلق الله تعالى ما هو؟ فقال صلى الله عليه وآله: « **نورُ نبيِّكَ يا جابر، خَلَقَهُ الله ثمّ خَلَقَ منه كلَّ خيرٍ** »[2].

وفي (الكافي) مسنداً إلى المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلّة؟ فقال: « **يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج١٥ ص١٥ ح٢٠، والأخبار في هذا المجال كثيرة فراجعْ المصدر المذكور.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج١٥ ص٢٤ ح٤٣.

ظلة خضراء نسبّحه ونقدّسُهُ ونهلّلُهُ ونمجِّدُهُ، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء من الملائكة وغيرهم، ثمّ أنهى علم ذلك إلينا »[1].

وكونهﷺ أوّلَ خلق الله يقتضي الأعلميّة والأفضليّة، مضافاً إلى أنّهﷺ أنهى علمَ كلِّ شيء إليه وإلى أهل بيته، وهذا يستلزم أسبقيتهم بالعلوم والمعارف[2]، إذاً هو أقرب إلى الله تعالى من المَلَك، ولديه صلوات الله عليه وآله من الولاية التكوينية ما عجز عنها المَلَك العظيم جبرائيل الذي لم يقدر أنْ يتخطّى عالَمَ الملكوت خلال سفره مع النبيِّ إلى السماوات العُلَى.

وأما المطلب الثاني: وفي هذا المطلب نبحث إجمالاً في مفهوم الوحي وماهيته، إذ الرّواية الشريفة أشارت إلى وحي الله تعالى لهاعليها السلام، وحتى تنكشف حقيقة هذا الوحي لا بدّ من دراسة هذه الظاهرة على ضوء كلمات اللغويين وآيات الكتاب الكريم.

الوحي في اللغة: الإشارة والإيماء والإسراع في الإعلام، والإلهام والإلقاء في الرَّوْع، ووحى إليه: كَلَّمَه بكلامٍ يخفى على غيره، ومن معاني الوحي: الكتابة والأمر والإرسال، لذا يُقال: وحى إليه: أي كتب وأمر، ووحى اللهُ إليه: أي أرسله وألهمه وأخبره. ووحى الذبيحة: أي ذبحها بسرعة، ووحى فلانٌ الكلام إلى فلان: أي ألقاه إليه، والوحي بالشيء: الإسراع به، والوحي: الصوتُ يكون في الناس وغيرهم[3]. وكلّ ما ألقيتَهُ إلى غيرك في سرعة خاطفة حتى فَهِمَهُ فهو وحيٌ، قال الشاعر:

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج١٥ ص٢٤ح٤٥.

(٢) للمزيد: راجع كتابنا (شبهة إلقاء المعصومعليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها).

(٣) راجع (المعجم الوسيط) ص١٠١٩، و(المنجد) ص١١٤٢، و(لسان العرب) ج١٥ ص٣٨٠.

نظـرتُ إليهـا نظـرةً فتحيّـرت   دقائق فكري في بديع صفاتها

فـأوحى إليهـا الطـرفُ أنـي أُحبّهـا   فـأثّر ذاك الـوحيُ في وجناتهـا

وحيتُ إليه بالكلام: أي كلَّمْتُهُ بكلامٍ أخفيتُهُ على غيره، قال أبو ذؤيب:

فقـال لهـا وقـد أوحـت إليـه   ألا للهِ أمُّـكَ مـا تعيـفُ[(١)]

وقوله تعالى: ﴿ ..يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ.. ﴿١١٢﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَام، معناه يُسِرُّ بعضُهم إلى بعض، ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي.. ﴿١١١﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، أي ألهمتُهم، كما قالﷻ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ.. ﴿٦٨﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ، وقال بعضهم: إنّ المراد بالوحي إلى الحواريين هو أمرُهم عبر السيِّد المسيحعليه السلام، وهذا نظير قوله: وحى لها القرار فاستقرتِ أي أمرها.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ.. ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ، أي ألقى الله في قلبها، وقال الشاعر: فأوحت إلينا والأناملُ رسلها..، أي أشارت بأناملها.

قال الراغب الأصفهاني: « **أصل الوحي: الإشارة السريعة، ولتضمُّن السّرعة قيل: أمرٌ وحيٌ وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوتٍ مجرَّدٍ عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة** »[(٢)].

وقال ابن فارس: « **وحيٌ: أصلٌ يدلّ على إلقاء عِلْمٍ في إخفاء أو غيره** »[(٣)]. - قد لا يكون الإلقاء عِلْماً بل يكون جهداً نظير الحاصل بواسطة الشياطين -.

قال أبو إسحاق: « **أصل الوحي في اللغة كلّها: إعلام في خفاء، ولذلك سُمِّيَ الإلهام وحياً** »[(٤)].

ولعلّ الخفاء في مفهوم الوحي جاء من جهة إعتبار السرعة فيه، فالإيماءة السريعة تخفى - طبعاً - على غير المومى إليه، من هنا قيل: " موتٌ وحيٌ " أي سريع، ومنه

(١) أي لا تكفّ عمّا لا يحلّ لك.

(٢) راجع (المفردات) ص٥١٥.

(٣) راجع (معجم مقاييس اللغة) ج٦ ص٩٣.

(٤) راجع (لسان العرب) ج١٥ ص٣٨١.

"الوحا الوحا" أي البدار البدار، يُقال ذلك عند الإستعجال، لذا يُقال في هذا الشأن: توحَّ يا هذا في شأنكَ، أي: أسرِعْ، ووحّاه توحيةً أي عَجَّلَه، وفي الحديث: " إذا أرتَ أمراً فتدَبَّرْ عاقبته، فإنْ كانت شراً فانتهِ، وإنْ كانت خيراً فتوحَّهْ "، أي أسرِعْ إليه، والهاء للسكت(1).

وقال الزمخشري: « **أوحى إليه وأوحى بمعنى، ووحيتُ إليه وأوحيت: إذا كلَّمْتَهُ بما تُخْفِيه عن غيره... وتوحّى أي أسرع، قال الأعشى:**

مثل ريح المسك ذاك ريحُها صبَّها الساقي إذا قيل توحَّ »(2)

الوحي في القرآن الكريم:

ورد استعماله في القرآن المجيد في عدّة معانٍ:

المعنى الأوّل: نفس المعنى اللغوي الدال على الإيماءة الخفيّة، وقد أشار إليها القرآن حاكياً عن نبيّ الله زكريا فقال: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، أي: أشار إليهم على سبيل الرّمز والإيماء.

المعنى الثاني: ويُراد به التركيز الفطري الغريزي، و" الغريزة " بمعنى التكوين الطبيعي المجعول في جبلّة الأشياء أي أنّ الله جلّ اسمه جعل الوحيَّ في النحل إعلاماً ذاتياً يجامع الخفاء في كيفيّة الإلقاء والتلقي، فاستُعير هنا الإعلام الذاتي من الإعلام القولي، هذا هو المعنى الصحيح للإيحاء الغريزي في النحل، وليس يُراد ذاك المعنى الفلسفي الرائج بأنّ: " الغريزة هي صورة من النشاط النفسي وطراز من السلوك يعتمد على الوراثة " دون أنْ يكون للإلهام الرّبوبي أيُّ دَخْلٍ في تدبير النحل وطُرُقِ عملها البديع، ولو كان المراد بالغريزة المعنى الرائج لَمَا كان للنحل أيّة مزيّة على غيرها من الحشرات والطيور وبقيّة الحيوانات، فمثلاً كما أنّ للنحل غريزة بها تقوم بعملها البديع، كذا فإنّ للنمل غريزة أيضاً بعملها الرائع في إنشاء المخازن وتخزين

(1) راجع (لسان العرب) ج١٥ ص٣٨٢، و(النهاية) ج٥ ص١٦٣.

(2) راجع (أساس البلاغة) ص٦٦٨.

الحبوب وبناء البيوت بحيث لا تؤثر فيها الأنهار والفيضانات وما شابه ذلك، وكذا فإنّ للطيور من بديع العمل ما تعجز العقول عن دركه والأفهام عن وصفه، فلا بدّ من الإعتقاد - إذاً - بأنّ ما تقوم به هذه المخلوقات ليس بالغريزة المحضة، وإنما بتخطيطٍ من ربّ العالمين، لكنّ النحلة كان لها مزيد عناية على غيرها من الحشرات والطيور، فكان إيحاؤه لها خاصاً بها ولا يشمل غيرها من الحشرات مع ما لهذه الحشرات من تدبيرٍ عظيمٍ وإتقانٍ بديعٍ، لذا لم تُعَبِّر الآياتُ عن بقيّة الحشرات بـ"الوحي" كما عَبَّرَت بذلك في النحل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ.. ﴿٦٨﴾ ﴾، ولم يقل: أوحى إلى الطير أو إلى النمل، نعم عَبَّرَ القرآنُ عن هؤلاء بأنهم ﴿ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْۚ.. ﴿٣٨﴾ ﴾ ؛ أي: بما أننا متفاوتون في الإدراك والإلهام، فإنّ الحيوانات كذلك يعتمدون على ما أعطاهم الله تعالى من الفهم والإدراك في أغلب أمورهم، وفي بعض الأحيان يعتمدُ بعضُهم على الإلهام الرّبوبي بحسب مشيّة الله عزّ وجلّ.

يتضح مما ذكرْنا أنّ معنى الوحي الغريزي - إنْ صَحَّتْ تسميته بذلك - هو الإيحاء الباطني للنحلة عبر الغريزة التي أودَعَها في بُنية النحلة.

وبمعنى آخر: إنّ النحل تستوحي من الله تعالى في باطن غريزتها، مذلّلة لِمَا أُودِعَ فيها من غريزة العمل المنتظم، ومن ثَمَّ فهي لا تحيد عن ذلك السبيل، فالوحي إعلامٌ سريٌّ، ناسب استعارته لكلّ شعور باطني فطري، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ، فهي تنتهج وفق فطرتها وتستوحي من الله عزّ وجلّ في باطن غريزتها وليس من باطن غريزتها.

ومن الوحي الفطري قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ.. ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ فُصِّلَتْ، ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾ سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ، أي: قَدَّرَ، وقد استوحى الشاعر العجاج هذا المعنى من القرآن في قوله:

وحى[1] لها القرار فاستقرت وشدّها بالراسيات الثُّبَّتِ

المعنى الثالث: الإلهام النفسي أو الرّوحي، وهو شعور في الباطن، يحسّ به الإنسانُ إحساساً يخفى عليه مصدرُهُ أحياناً، وأحياناً يُلهَم أنه من الله تعالى، وقد يكون من غيره تعالى. وينقسم إلى قسمين: إلهام ربّاني وآخر شيطاني.

والإلهام النفسي مشهور عند المرتاضين ويُعرَف عند الجُدد منهم بظاهرة التلباثي: "التخاطر من بعيد"، وهو خطور باطني آني لا يُعْرَف مصدرُهُ، من هنا قالوا إنّ التخاطر عبارة عن فكرة تنتقل من ذهن إنسانٍ إلى آخر، والمسافة بينهما شاسعة، أو إلقاء روحي من قِبَل أرواح عالية أوسافلة.

وقيل: إنّه فكرة رحمانية توحيها الملائكة، تنفثها في روع إنسانٍ يريد اللهُ هدايته، أو وسوسة شيطانية تلقيها أبالسة الجنّ لغرض غوايته.

الإلهام الربّاني:

ومن الإلهام الرحماني قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ سُورَةُ القَصَصِ.

أختلف المفسِّرون على حقيقة الوحي عند أمّ موسى على رأيَيْن: أحدهما أنّه إعلامٌ خَفِيٌّ، وثانيهما: إنّه رؤيا في المنام.

قال الأزهري: « **الوحي هنا: إلقاء الله في قلبها، وما بعد هذا يدلّ - والله أعلم - على أنّه وحيٌ من الله على جهة الإعلام للضمان لها** ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ **وقيل: إنّ معنى الوحي هنا: الإلهام، وجائزٌ أنْ يُلقي اللهُ في قلبها أنّه مردودٌ إليها وأنّه يكون مرسَلاً، ولكنّ الإعلام أبيَن في معنى الوحي ههنا، قال أبو إسحاق: وأصل الوحي في اللغة كلّها إعلامٌ في خفاء، ولذلك صار الإلهام يُسَمَّى وحياً** »[2].

وقال مقاتل: « **أتاها جبرائيل**عليه السلام **بذلك..** ». وقال الجبائي: « **إنّ الوحي عبارة عن**

---

(١) أوحى: كتب وقَدَّر.

(٢) راجع (لسان العرب) ج١٥ ص٣٨٠-٣٨١.

رؤيا منام عَبَّرَ عنها مَن يثق به من علماء بني إسرائيل ».

ولم يُرَ للشيخ المفيد وجهٌ واضحٌ في معنى الوحي الوارد في الآية، ففي كتابه (أوائل المقالات) ص٣٩ فَسَّرَهُ بمعنى الإعلام الخَفِيّ، وفي كتاب (تصحيح الإعتقادات) ص٥٦ فَسَّرَهُ بمعنى رؤيا أو كلام سمعته في المنام.

الصحيح أنّ وحيَ أمّ موسى كان إعلاماً خفياً، وليس رؤيا في المنام، بل هو أمرٌ بواسطة المَلَك أو تكليم موسى لها كما أشار إلى ذلك خبران أوردهما الحويزي في تفسيره[1]:

الأوّل: « **في تفسير عليّ بن إبراهيم وأمّا قوله عزّ وجلّ**: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧ ﴾ **فإنه حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن العلا بن رزين، عن محمّد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: « إنه لما حملت به أمه لم يظهر حملها إلاّ عند وَضْعِهَا له، وكان فرعون قد وَكَّلَ بنساء بني إسرائيل نساءً من القبط يحفظونهنّ، وذلك أنه كان لمّا بَلَغَهُ عن بني إسرائيل أنّهم يقولون إنّه يُولَدُ فينا رَجُلٌ يقال له موسى بن عمران يكون هلاكُ فرعون وأصحابه على يده، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلنَّ ذكورَ أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفَرَّقَ بين الرِّجال والنساء، وَحَبَسَ الرجال في المجالس، فلمّا وَضَعَتْ أمّ موسى بموسى عليه السلام نَظَرَتْ إليه وحَزِنَتْ عليه واغتَمَّتْ وَبَكَتْ وقالتْ: يُذْبَحُ الساعة؟ فعطف الله عزّ وجلّ قلب الموكلة بها عليه فقالت لأمّ موسى: مالك قد أصفرَّ لونُك؟ فقالت: أخاف أن يُذْبَحَ ولدي، فقالت: لا تخافي، وكان موسى لا يراه أحدٌ إلاّ أحبَّه، وهو قول الله** ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي.. ۝٣٩ ﴾ **فأحبَّتْهُ القبطيةُ الموكلةُ بها، وأنزل اللهُ على أمّ موسى التابوتَ. ونُوْدِيَتْ أمُّه: ضَعِيهِ في التابوت، فاقذِفِيْهِ في اليَمِّ وهو البحر،** ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ

---

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٤ ص١١٢ح١٧ و١٨.

وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ **فَوَضَعَتْهُ في التابوت وأَطْبَقَتْهُ عليه وأَلْقَتْهُ في النِّيْلِ » ».**

الثّاني: « **في روضة الواعظين للمفيد رحمه الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله حديثٌ طويلٌ يقول فيه صلى الله عليه وآله مخاطباً لِجَمْعٍ من أصحابه: « وعلمتم أنّ موسى بن عمران كان فرعون في طلبه يشقُّ بطونَ الحواملِ ويذبح الأطفالَ ليقتل موسى، فلمّا وَلَدَتْهُ أمُّهُ أُمِرَتْ أنْ تأخذَهُ من تحتها وتَقذِفُهُ في التابوت، وتُلْقِي بالتابوت في اليَمِّ، فقالت وهي ذعرة من كلامه: يا بنيَّ إني أخافُ عليكَ الغَرَقَ، فقال لها: لا تحزني إن اللهَ رادِّني إليكِ، فَبَقِيَتْ حيرانةً حتّى كَلَّمَهَا موسى فقال لها: يا أمّ اقذفيني في التابوت وألقي التابوتَ في اليَمِّ فقال: فَفَعَلَتْ ما أُمِرَتْ به، فَبَقِيَ في التابوت في اليَمِّ إلى أنْ قذفه في الساحل وردَّه إلى أمِّه برمَّتِهِ لا يَطْعَمُ طعاماً ولا يشرب شراباً معصوماً، وروي أنّ المدة كانتْ سبعين يوماً وروي سبعة أشهر » ».**

فالصحيح – إذن – في معنى الوحي هو الإعلام الخفي.

ومما يشير أيضاً إلى الإلهم الرحماني قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ۝١١١ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، فوحيه عزّ وجلّ إلى الحواريين عبارة عن إلهامه لهم حسبما ورد ذلك عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام حينما سأله يوسف الصنعاني عن قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ.. ۝١١١ ﴾ فأجابه الإمام عليه السلام: « **أُلْهِمُوا** »[1].

إنْ قيل: كيف أُلْهِمُوا وقد كفروا في قولهم لنبيّ الله عيسى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١١٢ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، حيث دلَّت الآية على شكّهم في قدرة الله تعالى، لذا أشار النبيُّ عيسى إلى ذلك بقوله عليه السلام لهم: ﴿ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(١) راجع (تفسير الصافي) ج٢ ص٩٧ بإسناده إلى الإمام الباقر عليه السلام، و(تفسير نور الثقلين) ج١ ص٦٨٩ ح٤٢٩.

فتعليقه التقوى على الإيمان بأداة الشرط يقتضي كونهم غير مؤمنين بالقدرة الإلهية، ثمّ أكَّدَ لهم بأنّ مَن يكفر منهم بعد نزول المائدة فسوف يعذّبه عذاباً شديداً بقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، ولمّا أنزل المائدةَ عليهم كفروا، فكيف نجمع بين الوحي إليهم وبين كفرهم.

قلنا: إنّ كفرهم كان بعد إيمانٍ صدر منهم، فكان الكفر متأخِّراً عن الإيمان، من هنا خذلوه في ساعة العسرة في كرم الزيتون إلاّ أفراد معدودون كبرنابا ووصيّه شمعون الصَّفا.

فالإلهام يدور مدار الإيمان، فإذا أرتفع الإيمان، سُلِبَ أو أرتفع الإلهام.

ومما يشير أيضاً إلى الإلهام الرّحماني قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ.

فخطاب الملائكة لمريم عليها السلام هو وحيٌ من الله تعالى بواسطة الملائكة.

ومن الآيات الدالة أيضاً على الإلهام الرحماني قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ١٢ ﴾ سُورَةُ الأَنفَالِ.

فقد جاء في التعبير بالوحي إلى الملائكة ليلقوا من أمره سبحانه وتعالى بالتثبيت إلى الذين آمَنوا، مما يقتضي القول أنّ الثابتين من المؤمنين ملهَمين من قِبَلِ الله تعالى عبر الحجج عليهم السلام الذين يأمرون الملائكة بالتثبيت، فتأمَّلْ.

الإلهام الشيطاني:

وردت في آياتٍ كثيرةٍ عَبَّرَت بالوحي عن وسواس الشيطان اللعين وتسويله

خواطر الشر والفساد نظير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، وقال أيضاً: ﴿ ..وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، ويفسر هذه الآية قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ النَّاسِ.

المعنى الرابع: الوحي الرسالي:

الوحي الرسالي لا يخرج عن سياق المفهوم اللغوي، بعد أنْ كان إعلاماً خفيّاً، وهو اتصال غيبي بين الله ورسوله، وقد استعمله القرآن بكثرة، وميّز هذا المعنى عن غيره من الأنحاء الأخرى بإضافته إلى القرآن أو الرسول والرُّسُل أو الإنذار.

فالوحي الرِّسالي عبارة عن إنذارات وتشريعات ودساتير أخلاقيّة ومدنيّة وعباديّة يُراد منها تنظيم علاقة الفرد بربّه وعلاقاته بالآخرين، من هنا كان القرآن وحياً، والدساتير السماوية وحياً نزلت على الأنبياء المرسَلين أصحاب الشرائع السماوية أو المبعوثين إلى جماعاتٍ كيونس وداود وسليمان ويوسف وهارون عليهم السلام.

فالقرآن المجيد وحيٌّ أُلْقِيَ على رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ.. ﴿٣﴾ ﴾ سُورَةُ يُوسُفَ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا.. ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ، ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ.. ﴿٤٥﴾ ﴾ سُورَةُ العَنكَبُوتِ.

والوحي الرسالي على نحوين:

النحو الأول: الوحي المضاف إلى النبي المرسَل بشريعة، ويمكننا تسميته بـ"الوحي الرسالي"، وهو خاص بأصحاب الشرائع والكتب السماوية كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله محمّد عليهم السلام.

النحو الثاني: الوحي التبليغي، وهو المضاف إلى عامّة أنبياء الله بمن فيهم أولوا

العزم من حيث كونهم أصحاب شرائع ومبلِّغين في ذات الوقت.

وقد أمتاز بعضُ الأنبياء على بعض بالجنبة التبليغيّة، فمثلاً أولوا العزم أكثر تبليغاً من غيرهم، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأيوب ويونس وهارون وسليمان وداود أكثر تبليغاً من غيرهم أيضاً، كما أنّ في هؤلاء مَن هو أعظم من غيره كإسماعيل ويونس وهارون وسليمان وداود، وهكذا فالأفضليّة بينهم نسبيّة إضافيّة مع أنهم كلّهم أنبياء مرسَلون من عند الله تعالى يبلِّغون أحكامه تعالى مبشِّرين ومنذِرين حسبما جاء في سورة النساء: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾.

فمصطلح الرّسول - لغةً - أعمّ من مصطلح "النبي"، فلغةً كلُّ نبيٍّ رسول من عند الله تعالى ليبلِّغ أحكامه عزّ وجلّ النازلة عليه مباشرةً أو التي نزلت على غيره من الرُّسُل أصحاب الشرائع؛ كما حصل للوط عليه السلام حيث كان يبلِّغ شريعة إبراهيم لأنّه أفضل من لوط، ولأنّ إبراهيم الخليل نبيّ صاحب شريعة، بخلاف لوط عليه السلام فليس بصاحب شريعة ولكونه في عصره وابن خالته، وكذا هارون كان يبلِّغ شريعة موسى وهو أخوه وإن كان هارون مساوٍ لموسى في تبليغ الرّسالة كما نصّ على ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ طه، وقوله: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ.. ﴿٤٧﴾ ﴾ سُورَةُ طه. والأصحّ أنْ يُطْلَق على هذا النحو من الوحي اسم "الوحي النبوي" بدلاً من "الوحي الرسالي"؛ لأنّ المتبادر - بحسب الإصطلاح - من "وحي رسالي" هو الوحي النازل على أصحاب الشرائع السماوية؛ لأنّ إضافة وحي إلى كلمة "رسالي" تُوْقِعُ في اللبس والإجمال مما يدعو إلى التوضيح والتفصيل.

وبالجملة: فإنّ الوحي هو اتصال غيبي بين الله تعالى وأنبيائه، ويتحقق على أنحاء وصور ثلاث، كما جاء في الآية الكريمة: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّورَىٰ.

فالصورة الأولى: إلقاء في القلب ونفث في الروع: ﴿ وَحْيًا ﴾.

والصورة الثانية: تكليم من وراء الحجاب بخلق الصوت في الهواء بما يقرع مسامع الأنبياء، ولا يُرى شخص المتكلِّم: ﴿ مِن وَرَاء حِجَابٍ ﴾.

والصورة الثالثة: إرسال مَلَك الوحي فيبلِّغه إلى الأنبياء المبعوثين إلى الناس برسالاته.

فالصور الثلاثة تشير إلى الإلهام، والتكليم المباشَر بدون مَلَك، أو إرسال المَلَك.

والقاسم المشترك بين الوحي الرسالي وسائر الإيحاءات المعروفة هو إتصال الموحى إليه بعالَم الغيب، فهو إيحاءٌ من العالَم الفوقاني الذي لا تدركه الحواس، الأمر الذي دعا بأولئك الذين لا يروقهم الإعتراف بما سوى هذا الإحساس المادّي، أنْ يجعلوا من الوحي الرسالي سبيله إلى الإنكار، أو تأويله إلى وجدانٍ باطنيٍّ ناشئ من عبقريةٍ واجدةٍ.

الوحي ظاهرة روحيّة، توجَد في آحاد من الناس، يمتازون بخصائص روحيّة تؤهِّلهم للإتصال بالملأ الأعلى، إمّا مكاشَفَةً في باطن النفس، أو قرعاً على مسامع الموحَى إليه، يحسُّ به الموحَى إليه إحساساً مفاجئاً يأتيه من خارج وجوده، وليس منبعثاً من داخل الضمير، ومن ثمّ لا يكون الوحي ظاهرةً فكريّةً تقوم بها نفوس العباقرة - كما يزعم ناكرو الوحي -... كلاّ!! بل إلقاء روحاني صادر من محلٍّ أرفع إلى مهبطٍ صالحٍ أمينٍ، قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ.. ﴿٢﴾ ﴾ سُورَةُ يُونُسَ.

توضيح الأنحاء الثلاثة للوحي:

قلنا إنّ الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾، دلّت على ثلاثة طرق من الوحي: إلهامٌ وتكليمٌ وإرسال مَلَك.

أما الإلهام: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِلَّا وَحْيًا ﴾ أي: إلهاماً وقذفاً في رَوْعِهِ، وهو إلقاءٌ في الباطن، يحسُّ به المُوْحَى إليه؛ كأنما كُتِبَ في ضميره صفحة لامعة أو رؤيا في منام.

وأما التكليم المباشري: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ أي: يكلّمه تكليماً يسمع صوتاً ولا يرى شخصاً كما كُلِّمَ النبيُّ موسى عليه السلام بخلق الصوت في الهواء يخرق مسامعه، ويأتيه من كلّ مكان، وكما كَلَّمَ نبيَّنا محمّداً ليلة المعراج، والتكليم من وراء حجاب كناية أو تشبيه بمَن يتكلّم محتجباً، أو المراد بالحجاب الحجابُ المعنويُّ لبُعْدِ الفاصلة بين كمال الواجب ونقص الممكن.

وأما إرسال الملك: فيشير إليه قوله تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾؛ أي: يرسل مَلَكاً من ملائكته ﴿ فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ ﴾ إمّا إلقاءً على السَّمع أو نقراً في القلب ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾.

هذه أنحاء الوحي بصورة إجمالية، وهي طرق روحيّة لتلقّي المعارف الربانية لهداية الخلق، وإنْ كان ثمّة طريق آخر لم تُشِر إليه الآيةُ المبارَكة وهو العِلْم اللدني الدالّ على استلام المعارف دون معرفة تفاصيل حقيقته وماهيته، اللهمّ إلاّ أنْ يُقال إنّ العلم اللدني هو نفسه "التكليم من وراء حجاب" لكنَّه بعيد؛ لأنّ العلم اللدني هو علمٌ حاضرٌ من دون أنْ يكون ثمّة حجاب معنوي بين المخاطِب والمخاطَب، في حين أنّ التكليم من وراء حجاب يقتضي وجود آلة وواسطة بين المخاطِب والمخاطَب.

إنْ قيل: بتفرقتكم المتقدِّمة بين العلم اللدني والتكليم من وراء حجاب تقعون في إشكال إخراج العلم اللدني عند الخضر عن كونه لدنياً باعتبار أنّ القرآن عَبَّرَ عن

عِلْمِهِ بكونه لدنياً، فيُصبح الخضر - بحسب هذه التفرقة وهذا التقسيم - مساوياً لأهل بيت العصمة والطهارة الذين دَلَّت الآيات والأخبار على أفضليتهم على سائر الخلق بالعلوم والمعارف والإيمان.

أقول: لا شكّ أنّ علومَ ومعارفَ أهل بيت العصمةعليهم السلام تنقسم إلى نحوين:

الأوّل: عبر ما تلقّوه بالسُّماع من الرّسول، أو بنزول الملاك، أو بوقر القلوب أو ما شابه ذلك.

وهذا النحو من المعارف حصلوا عليه تأكيداً لا تأسيساً حسبما فَصَّلْنا في بعض كتبنا[1].

الثاني: عبر ما حباهم به المولىسبحانه وتعالى من العِلْم الحضوري الذي قامت الأدلّة العقليّة والنقليّة على ثبوته لهم قطعاً.

وعليه؛ فإنّ كلّ عِلْمٍ يهبط إلى الأرض إنما هو بواسطتهم سواء أكان عِلْماً حصوليّاً أم حضوريّاً، وما نزل على الخضر إنما هو عِلْم حضوريٌّ من عند الله تعالى بواسطتهم أي بما أنّ الله تعالى أختار أهل البيتعليهم السلام من سائر خلقه لشدّة طهارتهم، فهم الوسائط بينه وبين خلقه، من هنا أشار مولانا الإمام الهاديعليه السلام في الزيارة الجامعة: « **إنْ ذُكِرَ الخيرُ كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه** »، وكما أشارعليه السلام في أول الزيارة بقوله: « **السّلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرّحمة وخُزّان العِلْم** ».

وما يدرينا لعلّ أميرَ المؤمنين عليّاًعليه السلام لهو الذي وهب الخضر العِلْم اللدني بإذن

---

(١) (شبهة إلقاء المعصومعليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها) جزءان: أثبتنا فيهما بالأدلّة الأربعة مسألة العلم الحضوري لدى النبيّ وأهل بيتهعليهم السلام، وعالجنا الآيات والأخبار التي دلّت بظاهرها على العلم الحصولي معالجةً فقهيّةً تتوافق مع أصولنا الاعتقاديّة، وقد وفقني اللهعزّ وجلّ في حلّ الشّبهة العويصة التي غرق فيها أكابر علماء الإماميّة، فله الحمد والمنّة على هذا الفتح العلمي الفريد، ولأهل بيت العصمة والطّهارة الشّكر والفضل لتوفيقهم وإعانتهم لي في إنجازه، فالعبد وما ملكت يداه لسيّده ومولاه، فالفضل أوّلاً وآخراً لهم صلوات ربّي عليهم، ولعن اللهُ ظالميهم من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدّين.

الله الواحد الأحد وهو الأقرب باعتبار أنّ العلم اللدني أشرف ما في اللوح المحفوظ، وأهل البيت مطَّلِعون عليه، ومحيطون به، ويشهد له قوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّعْدِ، والكتاب هو اللوح المحفوظ، فعليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام مطَّلِعٌ عليه ومحيطٌ به، وإطلاعه وإحاطته يقتضيان أفضليته وأعلميته وقيادته وسيادته على الخضر، إذ لا يصحّ أن يكون عليٌّ أميرُ المؤمنين قائداً على الأنبياء والأولياء والمرسَلين ولا تصدر منه الأوامر إليهم.

مضافاً إلى قوله تعالى: ﴿ ... وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ يسٓ، ولا يُعْقَل أنْ يخرج علم الخضر اللدني عن الكلية الإمكانيّة التي أحصاها أميرُ المؤمنين عليه السلام بإذن الله تعالى، ولا يمكن للمعارف المحاطة أنْ تخرج من قيدها إلاّ بإذن مُحيطها ومحصيها؛ لأنّ الإحاطة والإحصاء للشيء يستلزمان القيومية له، فلا يمكن لهذا الشيء أنْ يخرج من أسره حتى يأذن له مَن أحاط به وأحصاه لا سيّما إذا عرفنا أنّ أهل البيت عليهم السلام «**معدن العلْم**» بهم يمسك السماوات أنْ تقع على الأرض وأنّه لولاهم لساخت الأرض بأهلها، و«**أنهم أوعية مشيّة الله**» وأنّ «**مقادير أموره تهبط إليهم وتصدر من بيوتهم**» إلى غير ذلك من الأخبار المقدَّسة التي دَلَّت على أنهم عليهم السلام الصادر الأول للقدرة الإلهية جَلَّت وعَظُمَت، فتأمَّلْ.

وقد تمايز الأنبياءُ والمرسَلون بعضُهم عن بعض في نوعية الوحي المتلبس بهم، فمنهم مَن كَلَّمَهُ اللهُ تعالى كموسى ورسول الله محمّد والخضر - على القول بأنّ التكليم نوعٌ من العِلْم اللدني - ومنهم مَن أُرسِلَ إليه الملاك كأصحاب الشرائع المقدَّسة بل وغيرهم أيضاً كيونس وسليمان وداود ويوسف ويعقوب ولوط وصالح وثمود... إلخ.

وأكثر الأنبياء، بل كلّهم، كانوا يرون الرؤيا الصادقة، وتتأكّد هذه الرؤيا في غير المرسَلين منهم، لذا طالما كَثُرَت هذه الرؤى على رسولنا أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآله قبل بعثته بالرِّسالة، ثمّ انحسَرَتْ في ظهورها بعد الرّسالة، والسر هو أنّ قسمَيْهما - أي النحوين الآخرين من أقسام الوحي - كانا لا يفارقان الرّسول في حِلِّه وترحاله، لذا

لا يحصل له في هذا النحو من الوحي إلاّ في حالاتٍ خاصّةٍ طبقاً لظروف إقتضت ذلك نظير ما رآه النبيّ صلى الله عليه وآله في حادثتين إحداهما مبشِّرة والأخرى مُنذِرَة، فالأولى كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ سُورَةُ الفَتْحِ، فقد رأى النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك في عام الحديبية السّنة السادسة من الهجرة، وصدقت عام الفتح السنة الثامنة للهجرة. والثانية كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ؛ فقد أخرج السيوطي والطبري بإسنادهما إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال: رأى رسول الله بني أميّة على المنابر، فساءَهُ ذلك، فأوحى الله إليه: « **إنما هي دنيا أُعْطُوها..** »[1].

فمورد الرؤيا عند الأنبياء خاصٌّ بغير التشريع إلاّ في بعض الموارد، بمعنى أنّ أكثر موارد الرؤيا إنَّما تكون في الأمور التكوينيّة حيث إنّ الله تعالى ألقى إليهم من الإلهام في الرؤيا تسديداً وتوفيقاً، نعم ثمّة حالات استثنائية عند بعض الأنبياء كانت رؤاهم تشريعاً نظير الأمر للنبي إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل، وحسبما أسلفنا عن رؤيا رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله.

ويمكننا التفرقة بين الرؤيا والوحي المَلَكي بأنّ الأولى خاصّة بالتكوين، والثانية خاصّة بالتشريع.

وأفضل أنواع الوحي هو الوحي المباشري وهو خاص ببعض المرسَلين والأولياء المقرَّبين نظير ما كان يصيب النبيَّ محمّداً وأهلَ بيته من الغشية أو السكتة التي كانت تعتريهم من جرّاء ثِقْلِها.

قال الشيخ الصدوق: « **إنّ النبي صلى الله عليه وآله يكون بين أصحابه فيغمى عليه وهو يتصابّ**

(١) راجع (الدر المنثور) ج٤ ص١٩١، و(تفسير الطبري) ج١٥ ص٧٧.

عرقاً فإذا أفاق قال: قال الله تعالى كذا وكذا وأمركم بكذا ونهاكم عن كذا، وكان يزعم أكثر مخالفينا أنّ ذلك كان عند نزول جبرائيل، فسُئِلَ الإمام الصّادق عليه السلام عن الغشية التي كانت تأخذ النبيَّ أكانت عند هبوط جبرائيل؟ فقال: « لا إنّ جبرائيل كان إذا أتى النبيَّ لم يدخل حتى يستأذنه، وإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد، وإنما ذاك عند مخاطبة الله عزّ وجلّ إياه بغير ترجمان وواسطة » »[1].

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: « **نَزَلَتْ على النبي سورة المائدة وهو على بغلته الشهباء، فثقل عليه الوحي حتى وَقَفَتْ، وتدلّى بطنها حتى رأيتُ سرَّتَها تكاد تمسُّ الأرضَ، وأُغْمِيَ على رسول الله..** »[2].

وروى ابن شهر آشوب: « **إنّه كان إذا نزل عليه الوحي، نَكَّسَ راسَهُ ونَكَّسَ أصحابُه رؤوسَهم** »[3].

رواية ابن شهر آشوب تشير إلى التنكيس دون الغشية مما يعني أنّ الغشية ليست ملازِمة دائماً للوحي المباشري، اللهمّ إلاّ أنْ يُقال أنّ الوحي المباشري ذو مراتب تشكيكيّة، أعظمها تلك التي تؤدي إلى السُّبات والغشية، والله أعلم بحقائق الأمور.

فالغشية والثِّقْل هما أبرز العلامات الدالة على اتصاف النبيِّ بالوحي المباشري، وقد دَلَّت عليهما الأخبار من الفريقَيْن، لكنْ ثمّة علامات أخرى، لنا عليها بعض الملاحظات نظير ما ورد أنّه حال الوحي المباشري يصير صلى الله عليه وآله كالسكران[4]، وأنّه يتصدَّع رأسه[5]، أو أنّه يظنّ أنّ نفسه تُقْبَض[6]، فكلّ ذلك مما لا سبيل إلى الاعتقاد به وذلك لأمرين:

الأوّل: إنّ الناقل لهذه العلامات رواة عامّة لا يمكن قبول رواياتهم أو الإعتماد

(١) راجع (كمال الدين) ص٨٥، و(بحار الأنوار) ج١٨ ص٢٦٠ ح١٢.

(٢) راجع (تفسير العياشي) ج١ ص٣١٧ ح٢.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج١٨ ص٢٦١ ح١٣ عن (المناقب) ج١ ص٣١.

(٤) راجع (الطبقات) لابن سعد ج١ ص١٣١.

(٥) راجع (بحار الأنوار) ج١٨ ص٢٦١ ح١٣.

(٦) راجع (الإتقان) ج١ ص٤٤ عن مسند أحمد بن حنبل.

عليها؛ لفقدانها الشروط المعتبرة عندنا والتي منها وثاقة الراوي، ووجود بعضها في أخبارنا لا يبرِّر الأخذ بها بعدما ورد عنهم بتنخيل الأخبار المنسوبة إليهم بعرضها على الكتاب وأخبار العامّة، فكيف إذا كانت هذه الأخبار من مصادر العامّة وتلفيقاتهم؟!

الثاني: إنّ مَن سبقه من المرسَلين ممّن كَلَّمَهُم الله كالخضر وموسى لم يُصابا بتلك العوارض التي أصابت رسولَ الله صلى الله عليه وآله، كما أنّ الغشية كانت تصيب أئمتنا الأطهار عليهم السلام دون أنْ يتأثروا بعوارضها السلبية المتقدِّمة.

مضافاً إلى أنّ العوارض المذكورة فيها أذى لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يُرِد له الرّحمن ذلك، حيث نهانا عن أذيّة الرسول بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وقوله تعالى: ﴿ ..وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

فقد نهى سبحانه عن أذيّة رسوله فكيف تصدر الأذيّة منه لرسوله الأكرم صلوات الله عليه وآله - حاشا وكلاّ -؟!

وكيف كان فإنّ رسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله كان يوحَى إليه بالأنحاء الثلاثة لقربه من المولى عزّ وجلّ وأفضليته على الأنبياء والمرسَلين والأقربيّة والأفضليّة ليست جبريّة بل مترشِّحة من إخلاصه صلى الله عليه وآله لله عزّ وجلّ، فإنّ مَن أخلص لله تعالى أخلص تعالى له فقَرَّبَهُ وفضَّلَهُ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ النَّجْمِ، ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ ﴾ سُورَةُ القَلَمِ.

شبهة ودفع:

إنْ قيل: كيف عَرَفَ الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه مبعوثٌ؟ ولِمَ لم يشكّ في أنّ الذي أتاه شيطان بل بالعكس اطمأنّ أنّه جبرائيل؟ وهل يجوز على النبيِّ صلوات الله عليه وآله أنْ يُخْطِئَ فيما يوحَى إليه، فيلتبس عليه تخيُّلات باطلة في نفسه لتبدو له بصورة وحيٍ، أو يُلقي عليه إبليس ما يظنُّه وحياً من عند الله عزّ وجلّ؟

هذان تساؤلان متداخلان، إعتَقَدَ بصوابيتهما جمهورُ العامّة حيث جعلوا من النبيِّ مسرحاً للخوف والضلال، لذا فإنّه صلى الله عليه وآله كان مرتاعاً في أوّل أمره، خائفاً على نفسه من مَسِّ الجنون، عائذاً إلى أحضان زوجته أمّ المؤمنين السيِّدة خديجة الوفية لتستنجد – بدورها – بإبن عمّها ورقة بن نوفل فيطمئنه هذا بأنّه نبيٌّ، ويؤكِّد عليه ذلك حتى يَطْمَئِنَّ قلبُهُ ويستريح باله.

ثمّ أجاز هؤلاء – المخالفون – أنْ يتلاعب إبليس اللعين بوحي السماء فيُلقَى على النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله ما يظنه وحياً – كما في حديث الغرانيق – لولا أنْ يتداركه جبرائيل فيذهب بكيد الشيطان.

لكنّ الصواب عند الإمامية في كِلاَ الموضوعَين أنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله أكرم عند الله عزّ وجلّ من أنْ يتركه إلى غيره ولا ينير له الدلائل الواضحة على نبوّته الكريمة في تلك الساعة الحرجة، كما لا يدع للشيطان أنْ يستحوذ على مشاعر نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ سُورَةُ الطُّورِ.

ويتلخص الجواب بأمور:

الأمر الأول: إنّ النبوّةَ مقرونةٌ دائماً بدلائل نيِّرَة، حيث يجب على الله تعالى وجوباً منبعثاً من مقام لطفه ورأفته بعباده أنْ يقرن تنبيئَهُ إنساناً كاملاً بدلائل نيِّرَة لا تدع لمسارب الشك مجالاً في نفسه كما أرى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض؛ ليكون من الموقنين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، وكما ﴿ ..نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ طه، و﴿ ..يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ سُورَةُ النَّمْلِ.

هذا هو مقتضى قاعدة اللطف التي اعتمدها عامّة علماء الكلام، وتتلخص في تمهيد سبيل الطاعة، فوجب عليه تعالى[1] أنْ يمهِّدَ لعباده جميع ما يقرِّبهم إلى الطاعة

(١) لا نعني بهذا الواجب أنّ العقل يحكم على الله تعالى أنْ يفعل أو لا يفعل، بل نريد به أنّ العقل ⟸

ويبعدهم عن المعصية، وهذا الوجوب منبعثٌ من مقام حكمته تعالى إذا كان يريد من عباده الإنقياد، وإلاّ كان ناقضاً لغرضه من التكليف، ومن ثَمَّ وَجَبَ عليه تعالى أنْ يبعَثَ الأنبياء وينزل الشرائع ويجعل في الأمم ما ينير لهم درب الحياة.

وطبقاً لهذه القاعدة لا يدع الله عزّ وجلّ مجالاً لتدليس أهل الزيغ والباطل إلاّ ويفضحهم من فورهم ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سُورَةُ الحَاقَّةِ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ، ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ سُورَةُ غَافِرٍ، وحيث إنّ الأنبياء عليهم السلام دائماً مع الله تعالى؛ لذا فإنّ الله تعالى معهم، فالحقّ يعلو ولا يُعْلَى عليه ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ، ﴿ ..إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

ولا يمكن لإبليس أنْ يتسلَّطَ على عباده المخلصين لا سيّما الأولياء والمرسَلين ﴿ قَال فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ صٓ.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « **أبى الله أنْ يعرِّفَ باطلاً حقّاً، أبى الله أنْ يجعل الحقَّ في قلب المؤمن باطلاً لا شكّ فيه، وأبى الله أنْ يجعل الباطل في قلب الكافر المخالِف حقّاً لا شكّ فيه، ولو لم يجعل هذا هكذا ما عُرِفَ حقٌّ من باطلٍ** ». وقال عليه السلام: « **ليس من باطلٍ يقوم بإزاء الحق إلاّ غَلَبَ الحقُّ الباطلَ، وذلك قوله تعالى:** ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ »(1).

وورد أيضاً أنّ زرارة بن أعين سألَ الإمامَ الصّادق عليه السلام عن نفس الموضوع قال: قلتُ للإمام أبي عبد الله عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قِبَلِ الله أنْ

ينبعث منه عدم تخلُّف المولى عزّ وجلّ أن يمهِّد لعباده ما يقرّبهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية.

(1) راجع (محاسن) البرقي، (مصابيح الظلم) باب البيان والتعريف ح٣٩٤ و ح٣٩٥.

يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان؟ فقال عليه السلام: « **إنّ الله إذا أتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار** - أي الطمأنينة والإتزان الفكري - **فكان الذي يأتيه من قبَلِ الله عزّ وجلّ مثل الذي يراه بعينه** »[1]. أي: يجعله في وضح الحق، لا غبار عليه أبداً، فيرى الواقع ناصعاً جليّاً لا يشكّ ولا يضطرب في رأيه ولا في عقله، وقد أوضح الإمام عليه السلام ذلك في حديثٍ آخر، فسُئِلَ عليه السلام كيف عَلِمَت الرُّسُلُ أنّها رُسُلٌ؟ فقال عليه السلام: « **كُشِفَ عنها الغطاءُ** »[2].

والحاصل: أنّ الله تعالى يسدِّد أنبياءَه بالبراهين النيِّرة والآيات البيِّنة الدالة على أنّ ما يُوحَى إليهم إنما هو من الله تعالى فلا يفزع ولا يُفَزَّع ولا يفرق ولا سلطان لإبليس عليه لقوّة روحه ولطافة عنصره وجوهره، فلا يصحّ - والحال هذه - في حكمته تعالى أنْ يتصوّر له الشيطان في صورة المَلَك ويلبِّس عليه الأمر، لا في أوّل الرِّسالة ولا بعدها، واطمئنان الأنبياء - لا سيّما نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله - في ذلك دليلُ المعجزة وأنّ ما يأتيه صلى الله عليه وآله إنما هو من الله عزَّ شأنُهُ؛ إمّا بعِلْمٍ ضروريٍّ يخلقه الله له، أو ببرهانٍ جليٍّ يظهره الله لديه لتتمَّ كلمة ربِّكَ صدقاً وعدلاً لا مبدِّلَ لكلمات الله.

الأمر الثاني: إنّ الله عزّ وجلّ حينما أرسل نبيَّه محمّداً صلى الله عليه وآله واختاره للنبوّة والرِّسالة بعد عِلْمِهِ عزّ وجلّ بأنّه كاملٌ في قواه العقليّة والرّوحية، مع التأكيد بأنّه عزّ وجلّ هو المتفضِّل عليه بكمال عقله ووفور أدبه، واطّلاعه على أسرار ملكوت السماوات والأرض بما يستأهله للقيام بمهمّة السفارة وتبليغ رسالة الله إلى العالمين، من هنا أشار مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام بقوله: « **ونظر الله إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها، أذن لأبواب السّماء ففتحت ومحمّد ينظر إليها..** »[3]؛ ومَن كان أفضل خلق الله وصفوته لا بدّ أنْ يكون قلبه قويّاً لا يخاف المَلَك حتى يلتجئ إلى زوجته لتطمئنه، كما أنّ مَن كان متعمِّقاً في أسرار الملكوت

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج١٨ ص٢٦٢ ح١٦، و(تفسير العياشي) ج٢ ص٢٠١ ح١٠٦.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج١١ ص٥٦ ح٥٦.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج١٨ ص٢٠٥ ح٣٦.

وسرّ الخليقة، ممهِّداً نفسه لذلك، عارفاً بسمات أمرٍ قد أشرفت طلائعه منذ حين لا يمكن أنْ يفزع أو يجهل حتى تلجئه الضرورة إلى أنْ يستغني بورقة بن نوفل الذي كان حظّه من العلم أنْ قرأ كتباً محَرَّفَة وآثاراً بائدة، لم يثبت آنذاك أنه لمس حقائق ومعارف من الملك والملكوت.

إنّ نبيّنا محمّداً كان أشرف المرسَلين وخاتم النبيين، فكان أكرم عليه تعالى من أنْ يتركه ونفسه يتلوّى في أحضان القلق والإضطراب، خائفاً على نفسه مسّ الجنون أو الإستحواذ على عقله الكريم حسبما جاءت به روايات القوم.

فالوحي لا يحتمل إلتباساً؛ لأنّ الله عزّ اسمه أعطى نبيَّه - تماماً كغيره من الأنبياء بل زاده عليهم - قدرةً نورانيّةً فيرى بفؤاده الواقعية بكلّ تجلياتها، فلا حَيِّزَ للباطل في روحه التي هي من ربِّها كقاب قوسين أو أدنى بحيث يلمس الإشراقات الرحمانية تغشاه من عوالم الملكوت لينصرف بجميع وجوده إلى لقاء روح الله وتلقي كلماته بشعورٍ واعٍ وبصيرةٍ نافذةٍ كمَن يرى الشمس في وضح النهار، لا يحتمل خطأً في إبصاره ولا التباساً فيما يعيه، فإنّ الهدف إذا كان عظيماً ومهمّاً لا بدّ لله تعالى أنْ يحفظ مقدِّماته، وإلاّ فإنّ تعريضه للتلف يستلزم عدم اعتنائه بذاك الهدف، وعليه فحيث إنّ الغاية والهدف من الخلقة هو العبادة، فلا بدّ له أنْ يحافظ على شريعته النازلة على أيدي رُسُلِهِ الأمناء فيصونها عن احتمال الخطأ رأساً.

الأمر الثالث: إنّ الضرورة العقليّة تقضي بلزوم عصمة الأنبياء فيما يبلِّغون من شرائع الله عزّ وجلّ، وقد أثبتنا في كتبنا الأخرى[1] الأدلّة على ذلك، وتتلخص في أنّ الرسول المبلِّغ عن الله تعالى يجب - على ضوء قاعدة اللطف - أنْ يَنْعَمَ بصحّةٍ جيّدةٍ وكاملةٍ في أجهزة إحساسه بحيث يكون منَزَّهاً عن المعايب الجسدية والنفسية؛ لأنّ عدم تنَزَّهِهِ عن ذلك يوجب تنفير الناس عنه، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم الإنقياد التام وهو نقض الغرض الذي من أجله بعث الله سبحانه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

(١) (الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإمامية) ج١ ص٤٧١. وكذا في (شبهة إلقاء المعصوم عليه السلام نفسه في التهلكة ودحضها)، وفي (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد)؛ فلتراجع.

يتضح ممّا سَلَفَ أنّه يجب أنْ يتصف الرسولُ بجسمٍ كاملٍ في أحاسيسه ومشاعره، وبمقدرة عقليّة وروحيّة عالية، فيكون مستقيماً في آرائه ونظرياته، معتدلاً في خلقه وسيرته، مستوياً في خلقته وصورته.

وبعبارة موجَزَة: يجب أنْ يصطفي اللهُ تعالى ويختار لرسالته إنساناً كاملاً في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ؛ كي لا يتنفَّر الناسُ من معاشرته، ويطمئنوا إلى تبليغه عن الله تعالى، وإلاّ لَكَان نقضاً لغرض التشريع.

فالرّسول صلى الله عليه وآله - بل مطلَق الأنبياء والأولياء عليهم السلام - يجب أنْ يكونوا معصومين من الخطأ والنسيان والإشتباه في كلّ أمورهم، ويتأكّد ذلك في تبليغ أحكام الله عز وجل، وإلاّ فإنّ تطرُّق الإشتباه والخطأ وما شابه ذلك إلى أفعالهم وأقوالهم يستلزم الإغراء بالجهل والباطل وهو قبيحٌ، مضافاً إلى أنه لولا العصمة لكان الإلتزام بشرائع الدين سفهاً يأباه العقل والشرع.

الأمر الرابـع: إنّ الله تعالى تَعَهَّدَ برعاية وحفظ نبيّه الأعظم محمد صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ ﴾ سُورَةُ الأَعْلَىٰ، أي أننا ألقينا وسنلقي عليك آياتنا فلن تنساها أبداً لأننا أعطيناكَ القدرةَ على حفظها وتخزينها في ذاكرتِكَ، فالآيةُ في صدد بيان إمتنان الله تعالى على نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله الذي حباه بالقدرة على عدم النسيان ولو شاء لأنساه لكنّه لم يشأ ذلك.

ومن الآيات على حفظه ومصونته من الخطأ والنسيان قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، فإنّ الله تعالى أبعد عنه الجهل بجميع مصاديقه والتي منها عدم علمه بنُزول الوحي عليه أوّل البعثة.

وكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ، فمَن نَزَّلَ الذكرَ على رسوله يجب أنْ يحفظه من الجهل ويقطع عنه أي احتمال للدس والتزوير في نصوص الكتاب العزيز، كما أنه عز وجل حافظه من احتمال تلبيس إبليس ليتدخّلَ فيما يوحَى إلى نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، فلا يمكن للشيطان الإستحواذ على عقليّة

رسول الله وعباده المكرمين ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.

وقدرة إبليس على تلبيس رسول الله ﷺ بالوحي يتنافى مع قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سُورَةُ الحَاقَّةِ، ويتنافى أيضاً مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ سُورَةُ النَّجْمِ.

فمَن كان معلِّمُه هو الله تعالى لا يمكن أنْ يتطرَّقَ لفؤاده النسيان وإلاّ كان إبليس سيّده ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ.. ﴿٢٢﴾ ﴾ إِبْرَاهِيمَ.

عودٌ على بدء:

بعد أنْ توضَّحَت حقيقة الوحي، وأنه مفهومٌ عامٌّ ينطبق على مصاديقه المتعدِّدة ذكوراً وإناثاً، يبرز إلى السطح إشكالٌ طَرَحَه الجبائي مفاده: إنّ الوحي لا يكون إلاّ للأنبياء، فلا يشمل النساء[1].

ويكفي في ردِّه ما قاله السيِّد ابن طاووس رحمه الله قال: « **هذا جَهْلٌ منه أيضاً وتكذيبٌ للقرآن ومكابرة للعيان، أَمَا سمع الجبائيُّ في كلام الله تعالى:** ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا.. ﴿١١١﴾ ﴾ المَائِدَةِ، **مع أنهم ليسوا بأنبياء، أَمَا كان للجبائي من العقل ما يدلّ على أنه إذا جحد الوحي عن غير الأنبياء أنْ يجوز أنْ يكون الله تعالى ألهم الخضر ذلك إلهاماً من غير وحي حتى وقع الجبائي في هذا التعبير..** »[2].

ونضيف إلى ردّ ابن طاووس الآتي: إنَّ حصره الوحي بالرجال خلاف كتاب الله تعالى بحقّ أمّ موسى عليها السلام ومريم ابنة عمران في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ.. ﴿٧﴾ ﴾ القَصَصِ، ﴿ ..يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ آلِ عِمْرَانَ، ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ مَرْيَمَ.

وبالجملة؛ لا شكّ أنّ أئمّتنا عليهم السلام – وفي طليعتهم مولاتنا الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام –

---

(١) راجع (سعد السعود) لابن طاووس ص١٦٣.

(٢) راجع (سعد السعود) ص١٦٣.

ملهَمُون موحَىً إليهم بالتسديدات والإفاضات الربانية حسبما دَلَّت عليه البراهين والأدلّة القاطعة من الكتاب الكريم والأخبار المطَهَّرة.

وسيّدة النساء عليها السلام محَدَّثَة من قِبَلِ الله تعالى كما سوف يأتي في اللقب الشريف "محَدَّثة"، ونستدلّ على ذلك من كتاب الله قبل الأخبار المطَهَّرة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ؛ فالله تعالى قد خاطبهم وحَدَّثَهم قائلاً لهم: إنني طهَّرْتُكُم وأذهَبْتُ عنكم الرجس لأنكم أهلٌ لذلك وتمتلكون القابليّة للطهارة والقداسة.

مضافاً إلى ما ورد في بعض الأخبار الدالة على خطاب الله تعالى لها عليها السلام، ومنها:

① ما رواه العلاّمة المجلسي بإسناده إلى يزيد بن عبد الملك عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام[1] إلى أن قال عزّ وجلّ: « **إني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث** ».

② عن العلل بإسناده الصحيح إلى ابن مسكان ومحمّد بن مسلم قال: سمعتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **لفاطمة عليها السلام وقفة على باب جهنّم فإذا كان يوم القيامة كُتِبَ بين عَيْنَيْ كلّ رجلٍ مؤمن أو كافر، فيُؤمر بمحبٍّ قد كَثُرَت ذنوبُه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً فتقول: إلهي وسيّدي سمَّيْتَني فاطمة وفَطَمْتَ بي مَن تولاني وتولّى ذريتي من النار ووعدك الحقّ وأنتَ لا تخلف الميعاد، فيقول الله عزّ وجلّ: صَدَقْتِ يا فاطمة إنّي سمَّيْتُكِ فاطمة وفطمتُ بكِ مَن أحَبَّكِ وأحبَّ ذريتكِ وتولاّهم من النّار، ووعدي الحق وأنا لا أخلف الميعاد وإنما أمرتُ بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفّعكِ وليتبيّن ملائكتي وأنبيائي ورُسُلي وأهل الموقف موقفكِ منِّي ومكانتكِ عندي، فمَن قرأتِ بين عينيه مؤمناً فخذي بيده وأدخليه الجنَّة** »[2].

الخبر واضح الدّلالة على تكليم الله تعالى لها ولمنْزلتها عنده عزّ وجلّ، بل ثمّة شيء أهمّ من خطاب الله تعالى لها ألا وهو أنّ رضا الله تابعٌ لرضاها حسبما ورد في

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٢ ح٩، باب أسمائها وبعض فضائلها عليها السلام.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٥.

الحديث المتضافر: « **إنّ الله** عزّ وجلّ **يغضب لغضبها ويرضى لرضاها** ».

والسر أنّ الرضا أفضل من التكليم هو أنّ الثاني عبارة عن صوت خلقه الله تعالى فتسمعه مولاتنا الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام، والصوتُ مُحْدَثٌ من صفات الأفعال يوجده بواسطة الأشياء، بخلاف الرضا فإنه وإنْ كان من الصفات الفعلية لكنه مترشح من نفس الذات الإلهية دون توسّط تلك الأشياء، والفرق بينهما واضحٌ عند المتأمِّل.

وبهذا البيان نكون قد انتهينا من المطلبين الأولين، ويبقى الثالث والرابع.

المطلبان الثالث والرابع وهما: فطام الله عزّ وجلّ لها بالعِلْم وعن الطمث، ومعنى فطامها بالعِلْم هو إرضاعها بالعِلْم، فالرضاع معنىً مجازيّاً، أي: كما أنّ الطفل يغتذي الحليب من ثدي أُمِّهِ حتى تقوى عظامُهُ ويشتدَّ لحمُهُ، فيستغني بثدي أُمِّهِ عن كلّ طعامٍ وشراب، كذا مولاتنا الصدِّيقة الطاهرة الزكية استغنَتْ بعِلْم الله تعالى - وهو بمثابة الحليب في ثدي الأمّ - عن كلّ ممكنٍ ومخلوق، فليست بحاجة إلى معلمٍ بشريٍّ حتى لو كان هذا المعلِّم هو نبيٌّ من الأنبياء، إذ معلِّمها هو الله تعالى واهب العلوم للأنبياء، فالإرضاع هنا بمثابة الوصل بالعِلْم.

وثمّة معنىً آخر للفطام ألا وهو القطع عن الجهل بسبب العِلْم، فالعِلْم والجهل نقيضان لا يجتمعان، فإن قطعها بالجهل يقتضي وَصْلَها بالعِلْم، فالعِلْم سابقٌ على وجودها، فلا يتوهّمنَّ أحدٌ بأنّ ثمة جهلاً سابقٌ عليها فقُطِع، بل يُراد من القطع عن الجهل أنّ الله عزّ وجلّ مُذ خلقها حباها بالعِلْم في بدو فطرتها.

وكِلا المعنيين - أي الوصل بالعِلْم والقطع عن الجهل - واحدٌ ويصبّان في خانةٍ واحدةٍ، وهي أنّ الله تعالى معلِّمُها، وهذا التعليم الرباني ذاتيٌّ وطريقيٌّ، فكونه ذاتياً من حيث إنَّ العلم بذاته - دون العوارض المترتبة عليه - حَسَنٌ، وكونه طريقياً باعتبار ما يؤدي إلى ابتهاج النفس بمعرفة المعلوم، وليكون واسطة لإلقاء المعرفة إلى عباد الله تعالى وتعليمهم وتهذيبهم.

فالسيِّدة الصدِّيقة الطّاهرة الزكية مفطومة بالعِلْم على كِلاَ النحوَيْن المتقدِّمَيْن، أي

أنّها مفطومة عن الجهل، وتفطم غيرها كذلك، وثمّة كلام رائع للعلاّمة المجلسي أعلى الله مقامه الشريف في ذيل الحديث الدّال على إفطام الله تعالى لها، لا بأس بنقله مع شيءٍ من التوضيح لعباراته الشائكة؛ قال: « **فطمتكِ بالعِلْم أي أرضعتكِ بالعِلْم حتى أستغنيتِ وفُطِمْتِ أو قطعتكِ عن الجهل بسبب العِلْم أو جعلتُ فطامكِ من اللبن مقروناً بالعِلْم كنايةً عن كونها في بدو فطرتها عالِمة بالعلوم الربانية، وعلى التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول كالدافق بمعنى المدفوق أو يقرء على بناء التفعيل أي جعلتُكِ قاطعةً**[1] **الناس** (الأصحّ: تقطعين) **من الجهل، أو المعنى: لمّا فطمها من الجهل فهي تفطم الناس منه.. وكذا الطمث يُجعَل كناية عن الأخلاق والأفعال الذميمة، أو يُقال: فطمتُكِ عن الأدناس الروحانية والجسمانية فأنتِ تفطمين الناس عن الأدناس المعنوية** »[2].

وبالجملة؛ فإنّ الفطْمَ بالعِلْم والفطْمَ عن الطمث الواردين في الحديث الشريف يشيران للطهارة المعنوية والمادية، أي أنّها - روحي فداها - طاهرة من كلّ الأدناس والأرجاس الظاهرية والباطنية.

فالأرجاس الظاهرية كالبول والغائط والريح وخباثة الدم والحيض والنفاس والإستحاضة، والأرجاس الباطنية كالجهل بشتّى أقسامه من الموضوعات الصرفة والأحكام والصناعات والحِرَف والعلوم الطبيعيّة والكيميائية والفيزيائية وغيرها من المعارف والعلوم، وكالنسيان والسهو والخطأ والقبيح وما تنفر عنه الطباع، كلّ ذلك منفيٌّ عنها.

فقوله عزّ وجلّ « **فطمتُكِ بالعِلْم..** » أي بمطلَق العِلْم دون أنْ يكون العِلْم مقيَّداً ومتعلِّقاً بالأحكام الشرعية أو النبوية بل يشمل اطلاعها على العلوم كلّها من دون استثناء؛ لأنّ هذه الطوارئ متعلقات حُذِفَت من العموم الدال على شمول التعليم، وحذف المتعَلَّق دليل العموم كما هو مقرر في أصول الفقه.

فالله عزّ اسمه جعل الصدِّيقة الشّهيدة عليها السلام جامعة لكلّ الكمالات الممدوحة يوم

(١) والصحيح أنّ الوزن تفعيل هو: تقطيع أو تعظيم أي أنت تفطمين المؤمنين المتقين عن الجهل.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٣- ١٤.

العهد والميثاق بسبب شدّة قابليّتها، لتأتي منَزَّهة عن كلّ الخبائث الظاهرية والباطنية، ولمّا كانت عقوبة الطمث في النساء لها خصوصية، لذا فإنّه عزّ وجلّ إهتمّ بذكر رفعها عنها والنص على عدمها، وهذا المعنى يدلّ على عِلْم الطاهرة الزكية المطلَق، فلا سلطة للجهل على كيانها المقدَّس؛ لذا هي عليها السلام عالِمة غير معَلَّمة، فلا تحتاج إلى معلِّمٍ، فكما ورد أنه « **لا رضاع بعد فطام** » من حيث إنّ الرضاع بعد الفطام لا ينشر الحرمة، هكذا مولاتنا فاطمة عليها السلام قد فُطِمَت عن الجهل منذ بدو الخلقة ومنذ يوم الميثاق، فهي لا تحتاج إلى استرضاع، بل جاءت إلى هذا العالَم وهي في غاية الإستغناء عن المعلِّمين والمؤدِّبين، وما قاله عنها المعصوم عليه السلام كان بياناً للواقع الثبوتي والإثباتي ليس إلاّ.

وثمّة معنى آخر لـ" الطمث " في اللغة العربية ألا وهو " المسّ "؛ قال ابن منظور: « **الطمث: المسُّ، وذلك في كلّ شيء يُمَسُّ، ويُقال للمرتع: ما طَمَثَ ذلك المرتع قبلنا أحدٌ، وما طَمَثَ هذه الناقة حبلٌ قط أي ما مَسَّها عِقالٌ، وقوله تعالى:** ﴿ ..لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦ ﴾ **معناه: لم يمسَسْهُنَّ، والعرب تقول: هذا جَمَلٌ ما طَمَثَهُ حبلٌ قط أي لم يمسّه... والطمث: الفساد** »[1].

وعليه؛ فيكون قوله عزّ وجلّ: « **وفطمتُكِ عن الطمث** » إشارة إلى عدم إمكان معرفتها كاملاً، فلا أحدَ يمسُّ ذاتَها، أو يمكنه أنْ يدركَ مداها إلاّ أبوها وبعلُها وبنوها الأطايب، قال تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾ وهم مَن أذهب عنهم الرِّجس وطهّرهم تطهيراً: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.. ويؤكّده ما أورده أبو جعفر الطّبري بإسناده إلى الإمام الرّضا عليه السلام عن آبائه الطّاهرين عليهم السلام عن جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « **أنتم أولى بي في الدنيا والآخرة، وآلى الله مَنْ والاكم وعادى من عاداكم، أنتم منّي وأنا منكم..** »، وعن الإمام الرّضا عليه السلام عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: « **يا عليُّ لقد عاتبني رجال**

(1) راجع (لسان العرب) ج2 ص165- 166.

من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوَّجت عليّاً؟ فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوَّجته، بل الله منعكم وزوَّجه؛ فهبط عليَّ جبرئيل فقال: يا محمَّد إنَّ الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليّاً لما كان لفاطمة أبنتك كفوٌ على وجه الأرض، آدم فمن دونه »[1].

المطلب الخامس: وهو قَسَمُ الإمام الباقر عليه السلام بتأكيد وقوع ما أخبر عنه النبيُّ الأكرمُ صلى الله عليه وآله، فلا ريب أنّ متعلّق القَسَم راجعٌ إلى المكلَّفين ليزدادوا إيماناً بطهارة الزكية المظلومة عليها السلام، فيكون قَسَمُهُ كشفاً واقعياً لِمَا كانت عليه جدّته سيّدة النساء عليها السلام.

❖ الوجه الثاني:

ومن وجوه علل التسمية بفاطمة ما رواه العلاّمة صاحب البحار عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: « **سُمِّيَت فاطمة لإنقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحَسَبَاً** ». وقيل: « **لإنقطاعها عن الدنيا إلى الله** »[2].

ويشير الخبر الشّريف إلى أحد مصاديق التسمية بـ" فاطمة "، وهو الإنقطاع بالدين والفضل والحَسَب[3] عن غيرها من نساء زمانها، ومعناه أنّ سيّدتنا فاطمة عليها السلام لا تُقاس بسواها من نساء زمانها في الفضل والدين والحَسَب، فلها فضلٌ وشرفٌ على جميع مَن في عصرها كافة، وليس فيه دلالة على أفضليتها على عموم نساء العالمين، نعم بمعونة الأخبار الأُخَر الدالة على الأفضليّة مطلَقاً نظير " إنها سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة، وأنها ليست كالآدميين، وأنها حوراء إنسيّة، وأنّ الله يرضا لرضاها ويسخط لسخطها ".. نستفيد عموم أفضليتها على نساء الأولين والآخرين.

إنْ قيل: لماذا شدَّدَ الخبر على فضل الحسب دون النَّسَب؟

---

(١) راجع (الزّهراء بهجة قلب المصطفى) ج١ ص٨٠ ح٥؛ نقلاً عن (بحار الأنوار).

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٥ ح١٣ باب٢.

(٣) الحَسَب: ما تعدُّه من مفاخر آبائكَ أو أنّه شرف الأصل، أو هو الفعال الصالح، والفَعَال مثل الشجاعة والجود وحُسن الخُلُق والوفاء. (لسان العرب) ج١ ص٣١٠ - ٣١١.

قلنا: لأنّ الفخر بالنسب ليس فيه كثير فائدة للإنسان، وأنّ الذي ينفعه حقاً هو الفضل في الدين والشرف في الحسب وذلك لأمرين:

الأوّل: إنّه قد يكون المرءُ ذا نسبٍ صحيح لكنّه لا حسب له أي لا خُلُقَ له ولا في آبائه وأجداده فيكون لئيمَ المعشر خسيس الصفات والمَلَكَات، وقد تجد إنساناً وضيعَ النسب لكنّه شريفُ الحسب، ولو اجتمع الحسب والنسب كان أجمل وأكمل وأفضل، فالحسب هو الفَعَالُ الحسن له ولآبائه، مأخوذ من الحُسَّاب إذا حسبوا مناقبهم، من هنا قال المتلمس:

ومَن كان ذا نسب كريمٍ ولم يكن له حسبٌ كان اللئيمَ المُذَمَّما

ولا يكفي أنْ يتباهى ذو الحسب بفعال آبائه دون أنْ يتصف بما فعلوه، قال الشاعر: ورُبَّ حسيبِ الأصل غيرُ حسيبٍ، أي له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو.

الثاني: ما جاء في الأخبار من الحثِّ على التمسُّكِ بالحسب الشريف والإتصاف به، منها: قوله(عليه السلام): « **لا حسب أبلغ من الأدب** »[1].

وقوله(عليه السلام): « **حسب المرء دينه** »[2].

وقوله(صلى الله عليه وآله وسلم) لقريش: « **ستأتون غداً يوم القيامة بأحسابكم لا بأنسابكم** »[3].

وجاء على الألسن: شرف المرء بالعِلْم والأدب، لا بالأصل والنسب.

نعم، إذا أجتمعت الأصالة والنبالة في الأنساب مع الشرف والفخامة في الأحساب، فهو شرفٌ على شرف، ونورٌ على نور يهدي الله لنوره مَن يشاء.

❖ **الوجه الثالث:**

ما رواه الشيخ الكجوري في الخصائص نقلاً عن البحار قال: « « **سُمِّيَت فاطمة لإنقطاعها عن الفواطم التسعة** »؛ **أنهنّ ولدن في الكفر، ولها بذلك الفخر** »[4].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٧٢ ص٦٧ ح٣ باب٤٤.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج١ ص٨٩ ح١٤ باب١.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٩٣ ص٢٢١ باب٢٧.

(٤) راجع (الخصائص) ج١ ص٢٩٠.

ثمّ قال صاحب الإختصاص: « **وهذا الخبر خاص بتفضيلها على الفواطم التسع، بينما كان الخبر السابق عاماً يشمل نساء زمانها أيضاً..** ».

ولكنّ الصحيح أنّ هذين الخبرين - أي الوجه الثاني والوجه الثالث - خاصين وليس أحدهما أشمل من الثاني؛ لأنّ تفضيلها على أهل زمانها خاص وليس عامّاً يشمل ما قبل الإسلام، والفواطم التسع ولِدْنَ قبل الإسلام، فيكون الحديث الثاني في الوجه الثالث خاصاً أيضاً، وعلى فرض شمول الحديث الأوّل - في الوجه الثاني - للفواطم التسع فلا يدلّ إلاّ على أفضليتها على هؤلاء التسعة دون ما سواهنّ، مع أنّ السيِّدة أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام ولدت قبل الإسلام وهي أفضل من هؤلاء التسعة عدا السيِّدة فاطمة بنت أسد عليها السلام، نعم إنْ قلنا إنّ السيِّدة فاطمة بنت أسد أفضل من السيِّدة خديجة أمكن القول - حينئذٍ - بكون مولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل منها قطعاً لبقاء فاطمة بنت أسد إلى ما بعد الإسلام حيث توفيت في المدينة بعد الهجرة.

❖ الوجه الرّابع:

ما رواه صاحب البحار عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: « **تدري أيّ شيءٍ تفسير فاطمة؟** قال عليه السلام: **فُطِمَتْ من الشر** »[1].

وفي الأمالي والعلل عن عبد العظيم الحسني قال: حَدَّثَني الحسن بن عبد الله بن يونس بن ظبيان قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **لفاطمة عليها السلام تسعة أسماء عند الله عزّ وجلّ** - وذكر الأسماء - ثمّ قال عليه السلام: **أتدري أيّ شيءٍ تفسير فاطمة عليها السلام؟** قلتُ: أخبِرْني يا سيدي، قال عليه السلام: **فُطِمَت - فَطَمَت - من الشر** »[2].

إنْ قُرِئَ الفعل "فطمت" بالبناء للمجهول، فنائب الفاعل مردَّد بين كونه "الله" أو "هي"، فإنْ كان الفاطم هو الله تعالى فيترتب على هذا القول محذورَ الجبر، لذا دفعاً له لا بدّ من القول بأنها هي فطمت نفسها عن الشر.

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٦ ح١٤.

(٢) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٢١٢ ح٣ باب١٤٢.

وفيه من الدفع ما لا يخفى على المتأمِّل، إذ على القول بأنَّ نائبَ الفاعلِ هو اللهُ تعالى فلا يترتب المحذور المتقدِّم بأعتبار أنّه عز وجل فطمها بمعنى قطع الشر وأبعده عن ساحتها المقدَّسة لعلمه الأزلي بحسن إنقيادها وحبها لله عز وجل وكُرهها لمعاصيه.

فالصدِّيقة الطّاهرة الشّهيدة عليها السلام مبرّأة من الشرور والمفاسد ظاهراً وباطناً، وكانت منبعَ الخيرات ومصدرَ البركات، ولم يكن في وجودها المبارَك شيءٌ من الشرور والمعاصي والمَلَكَات الذميمة، ولا يتصور ذلك في حقها، بل لا يُتَصَوَّر إحتمال إرتكاب المخالفة في حقها، وكانت كذلك - منذ وُجِدَت في عالَم الأنوار - لمقتضى الصلاح والحكمة.

ففاطمة الطاهرة الزكيَّة عليها السلام هي التي أبعدت نفسَها عن الشرور، وهذا الإبتعاد يحتاج إلى تأييدٍ من الله جلّ وعلا نظير إذهاب الرِّجس عنها كما في آية التطهير وهو - أي الرّجس - بمعنى " الدّفع " لا الرّفع أي إنّه عز وجل دفع عنها الرّجس وأبعده عن نفسها وروحها لما لها من قابليات وملكات أدَّت إلى أنْ يصفها بالطّهارة المطلقة ﴿ ..وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣ ﴾.

❖ الوجه الخامس:

وفي الخصائص نقلاً عن البحار أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « **سُمِّيَت فاطمة "فاطمةً" لفطمها عن الدنيا ولذاتها وشهواتها** ».

قال الكجوري رحمه الله في (الخصائص): « **لمّا نزل المَلَك وأجرى اسمها على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله كانت فاطمة عازفة عن الدنيا، معرضة عمّا سوى الله، موجهة قلبها من المهد إلى اللحد نحو الآخرة ونحو الله، لأنّ حبّ الدنيا قُطِعَ عنها قطعاً واستغرقت في محبة الحق تعالى، ولهذا عاشت في هذه الدنيا فترة قصيرة، وكابدت فيها المصائب مكابدةً وهي في غاية القدرة وكمال الكرامة، ومَن طالع سيرة زهد الطاهرة فاطمة عليها السلام عَلِمَ أنها عليها السلام " ليست كالآدميين " فتكون التسميةُ بياناً لما ستؤول إليها عليها السلام** ». إنتهى بشيء من التصرف.

❖ الوجه السادس:

ورد في (علل الشرائع) عن عبد الله المحض بن الحسن المثنى عن أبي الحسن

السجّاد عليه السلام قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: « **لِمَ سُمِّيَت فاطمةُ فاطمةً؟ قلتُ: فرقاً بينه وبين الأسماء، قال: إنّ ذلك لمن الأسماء، ولكنّ الاسم الذي سُمِّيَتْ به إنّ الله تبارك وتعالى عَلِمَ ما كان قبل كونه، فعلم أنّ رسول الله يتزوج في الأحياء وأنهم يطمعون في وراثة هذا الأمر... فلمّا وُلِدَت فاطمة سمّاها الله تبارك وتعالى فاطمة لِمَا أُخْرِجَ منها وجُعِلَ في وِلْدِها، فقطعهم عمّا طمعوا، فبهذا سُمِّيَت فاطمة أنها فطمت طمعهم، ومعنى فطَمَت: قَطَعَتْ** »[1].

فقوله عليه السلام: « **فَطَمَت طمعهم** » فيه مغزىً عظيمٍ على تصدّي السيِّدة الزهراء عليها السلام ومجابهتها لهم وقطعها لطمعهم بقتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وبتعريتهم على حقيقتهم وواقعهم؛ لأنّ الناس كانوا مؤمنين بهؤلاء الظالمين المستبِدِّين.

توهُّم ودفعٌ:

ورد في الخبر الشريف ما يوهم التعارض؛ وذلك أنّ قوله: « **فلمّا وُلِدَت فاطمة سمّاها الله فاطمة** » أي أنّ الله الذي سمّاها بهذا الاسم هو الفاطم والقاطع لطمع أعدائها، مضافاً إلى قوله: « **لِمَا أُخرِجَ منها وجُعِلَ في ولدها فقطعهم عمّا طَمَعوا** » أي أنّ الله هو الذي جعل الوراثة والخلافة في ولدها، وهو الذي قطع طمع الناس فهو الفاعل والجاعل، فقوله: « **سمّاها فاطمة وقطعهم** » يفيد أنّ الله تعالى هو القاطع والفاطم، وهو يعارض قوله « **لأنها فطمت طمعهم** » أي أنّ مولاتنا فاطمة هي الفاطم والقاطع.

والجواب:

إنّ الجَمْعَ بين الفقرتين من قبيل الجمع بين الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ.. ﴿٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، و ﴿ ۞قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ.. ﴿١١﴾ ﴾ سُورَةُ السَّجْدَةِ، و ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ.. ﴿٢٨﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحْلِ.

فالآية الأولى صريحة في أنّ القابض للأرواح هو الله جلّ شأنه، وفي الثانية مَلَك

(١) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٢١٢ ح٢ باب١٤٢.

الموت، وفي الثالثة الملائكة؛ ومثله إذا قَطَعَ السكينُ شيئاً فهو منسوبٌ إلى السكين وإلى اليد وإلى الروح معاً، لكنّ الأصل هو الرُّوح، والقطع حاصلٌ ظاهراً من اليد بواسطة السكين.

فالله سبحانه وتعالى أختار سيِّدة النّساء فاطمة الشهيدة عليها السلام منذ الأزل بإرادته الحتمية وسمّاها بهذا الاسم وجعل الوراثة والخلافة في أولادها وقطع طمع الآخرين بمولاتنا فاطمة عليها السلام، فلمّا ولدت فاطمة الطاهرة عليها السلام آيس الآخرون بوجودها الشخصي وقُطِعَ طمعُهُم.

وبعبارة أخرى: إنّ وجودها قطع الطمع لوجود تلك المقدِّمات جميعاً، ولكنّه كان بإرادة الله تعالى وجعله بواسطة إرادة الصدِّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، ولا يمنع أنْ نقول: إنّ إرادته عز وجل إرادتُها، وإرادتَها إرادتُهُ عز وجل، ويشهد له ما ورد بالمتواتر: « **إنّ الله يرضى لرضا فاطمة ويسخط لسخطها** ».

❖ الوجه السّابع:

روي في البحار معنعناً عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « **مَن عَرَفَها حقَّ معرفتها أدرك ليلة القدر، وإنما سُمِّيَتْ فاطمة لأنّ الخلق فُطِمُوا عن كنه معرفتها** »[1].

وفي حديثٍ آخر قال: « **إنما سُمِّيَت فاطمة لأنّ أعداءها فُطِمُوا عن حبِّها** ».

يشير الحديث الأوّل إلى أمرين:

الأوّل: إنّ معرفة الصدِّيقة الطاهرة تستلزم إدراك ليلة القدر.

الثاني: إنّ عامّة الخلق لا يدركون حقيقتها.

وبالتأمّل البدْوي بكلا الأمرَيْن يظهر أنّهما متعارضان لا يمكن الجمع بين صدر الحديث وذيله، ولكنّه مندفعٌ بالوجهين التاليين:

الوجه الأول: إنّ الحديث الشريف عَلَّقَ معرفتها عليها السلام على إدراك ليلة القدر، وحيث إنّ إدراك ليلة القدر بتفاصيلها مستحيلٌ، فإدراك السيِّدة الطاهرة عليها السلام مستحيل

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٦٥ ح٥٨ باب٣.

بطريق أوْلَى، فمَنْ يعجز عن الأدنى لا يمكنه معرفة الأعلى والأرقى؛ لأنّ السيِّدة الطاهرة الزكية أفضل من ليلة القدر، وبما أنّ الخلق لم يعرفوا التفاصيل عن السيِّدة الأميرة الطاهرة – إذن – لا يمكنهم إدراك ليلة القدر، وهذا ما أشار إليه الأمر الثاني المتقدِّم.

وبعبارةٍ أخرى: إنّ معرفتها التفصيليّة غير ممكنة لعامّة الخلق حتى للأنبياء والمرسَلين سوى أبيها وبعلها وبنيها، فكذا لا يمكن إدراك ليلة القدر، فاستحالة إدراك ليلة القدر لاستحالة معرفة الطاهرة فاطمة عليها السلام حقّ المعرفة، وهذا نظير قوله عليه السلام: « **مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ ربَّه** »، حيث عَلَّقَ معرفة الرب التفصيليّة[1] على معرفة النفس بحقيقتها وجوهرها، فلمّا استحالت معرفة النفس، استحال بطريق أولى معرفة الرب بكنهه وجوهره.

الوجه الثاني: لعلّ الحديث يشير إلى المعرفة الإجمالية، فمَن عرف مولاتنا فاطمة عليها السلام بالمعرفة الإجمالية فإنّه يدرك ليلة القدر الإجمالية لا التفصيليّة فيفترق هذا الوجه عن سابقه بأنّ الموضوع والمحمول[2] فيه مقتصران على المعرفة الإجمالية، بخلاف الوجه السابق حيث إنّ الموضوع والمحمول فيه مقتصران على المعرفة التفصيليّة، فلم يبقَ إلاّ أنْ نصنِّفَ المعرفة إلى نحوَيْن:

النحو الأوّل: معرفة اسمها ونسبها وجملة من حالاتها ومقاماتها، نظير ما فعله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله حينما أخذ بيدها الطاهرة عليها السلام وقال: « **مَن عرفها فقد عرفها، ومَن لم يعرفها فهي فاطمة بضعةٌ منِّي وروحي التي بين جَنْبَي..** »[3].

أراد نبيّنا صلى الله عليه وآله بهذا التعريف أنْ يخبر عن إتحاده النفسي والروحي بسيّدة النساء فاطمة

(١) هذا بناءً على تفسيرنا للحديث بالمعرفة التفصيليّة للنفس والربّ، وكلا المعرفتين التفصيليتين مستحيلتان، فيكون التعليق على الشّرط المستحيل، وإلاّ فلو فسّرناه بالمعرفة الإجماليّة لأمكنت المعرفتان بلا إشكال كما يأتي في الوجه الثاني.

(٢) نقصد بالموضوع هو معرفة السيِّدة الزهراء، وبالمحمول: ليلة القدر.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٦٢ ح١٦، وج٤٣ ص٥٤ ح٤٨.

صلوات الله عليها، وهو إتحادٌ - لعلاقة السنخية بينهما - يدلّ على كمال فضلها وشرفها، كأنَّه أراد أنْ يقول للناس: "إعرِفوا فاطمة بهذه المعرفة فإنها روحي وقلبي"، ونتيجة هذه المعرفة أنْ يتعامل الناس مع روح النبي وقلبه وبضعته كما يتعاملون معه تماماً، وحرمة روح النبي كحرمة النبي وإحترام الجزء الأعظم إحترامٌ للكلّ.

النحو الثاني: معرفة كنهها وحقيقتها الكاملة، والإحاطة التامّة بتمام مقاماتها وكمالاتها وفضائلها وفواضلها، إضافة إلى اسمها ورسمها ونسبها وحسبها، فهذا ما لا يبلغه أحدٌ، وقوله عليه السلام: « **وهي الصدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرونُ الأولى** »[1] يشيرُ إلى المعرفة الإجمالية؛ لأنّ فاقد المقامات العالية يعيش دائماً في المرتبة الدانية، فلا يصل إلى المقام العالي ولا يستطيع معرفته وإدراكه، وإنما يعجز الإنسان عن إدراك الشيء أو إدراك الشخص لكثرة أوصافه وآياته، فكلّما إزدادت أوصاف الموصوف عَظُمَ قَدْرُهُ وعلا شأنه في العيون، فكيف يمكننا إدراك حقيقة هذه المخدَّرة المستورة عن كلِّ عينٍ وروحٍ وقد فُطِمَتْ عن الخَلْق والجهل؟

إشكالٌ عويصٌ:

الحديثُ الشريفِ يدلُّ على أنَّ معرفةَ السيِّدةِ المطهَّرة فاطمة عليها السلام وليلة القدر أشدّ وأعظم من معرفة الإمام عليه السلام، حيث ورد في وجوب معرفته قوله عليه السلام: « **أنْ تعرف أنه إمامٌ مفتَرَض الطاعة وأنّ معرفته معرفة الله** »، بينما قالوا في بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله: « **إنها لا يمكن معرفتها بحال** ».

وفيه: إنَّ الإشكالَ غيرُ واردٍ عند التأمّل والتدقيق حيث يُرادُ من "معرفة الإمام" معرفته بالإجمال لا بالتفصيل؛ لأنّ حقيقة الإمام كإمامٍ بما هو هو في مقام الإمامة تماماً كمقام الصدِّيقة الطّاهرة من حيث القيام بوجه الظّالمين، إنْ لم تكن أشدّ وأصعب حسبما هو مستفاد من قول مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام: « **نحن**

---

(1) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٠٥ ح١٩.

حجج الله وأمّنا فاطمة حجّة علينا »[1]، حيث إنّنا لا نفهم من كونها " حجّة عليهم " سوى قطرة من بحر معارفهم، إذ ليس وراء عبّادان قرية، وكذا ما ورد عنهمعليهم السلام أنّ الله تعالى قال لآدم: « **لولا محمّد وعليّ ما خلقتُكَ، ولولا فاطمة ما خلقتهما** » أطفِئ السِّراج فقد طلع الصبح، فتدبَّرْ.

❖ **الوجه الثامن:**

جاء عن مولانا الإمام الباقرعليه السلام أنه قال: « **إنما سُمِّيَت فاطمة بنت محمّد الطاهرة لطهارتها عن كلّ دَنَسٍ، وطهارتها من كلّ رفث وما رأتْ يوماً قطّ حمرةُ ولا نفاساً** »[2].

دلالة الحديث ظاهرة في معنى الطاهرة والبتول، ولكنّه من "فطمت عن الطمث"، فهو يشير إلى نزاهة مولاتنا فاطمةعليها السلام عن الدنس ظاهراً وباطناً، فقد تكرَّرَ ذكر الطهارة باعتبار تعدّد المتعلَّق من قبيل تكرار ذكر الإصطفاء في حقّ مريمعليها السلام، فالدنس والرفث[3] صريحان في الأدناس الظاهرة والأرجاس الباطنة، والدنس هو الوسخ حقيقةً، ولكنه يستعمل في غير معناه الحقيقي، فيُقال: فلان دنس الثياب إذا كان خبيث الفعل والمذهب، وفي وصف الإمام الحسينعليه السلام في زيارته في عيد الفطر: « **لم تنجِّسْكَ الجاهليةُ بأنجاسها، ولم تُلْبِسْكَ من مدلهمّات ثيابها** »، و« **لم تدنِّسْكُم الجاهلية الجهلاء** »[4]، وفي الزيارة الجامعة: « **وطَهَّرَكم من الدَّنَس** ».

والرفثُ هو الفحش بالقول، وفي الحديث: « **ويُكْرَه للصائم الرفث** »[5]، وقال الباريعزّ وجلّ: ﴿ ..فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ.. ﴿١٩٧﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

ومضمون هذا الحديث متواتر عند العامّة والخاصة، مؤدّاه: فطام سيِّدة نساء

---

(١) راجع (تفسير أطيب البيان) ج١٣ص٢٣٥رواها عن الإمام العسكريعليه السلام.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٩ ح٢٠.

(٣) راجع (مجمع البحرين) ج٤ ص٧١ مادّة " دنس ".

(٤) راجع (مجمع البحرين) ج٤ ص٧١ مادّة " دنس ".

(٥) راجع (مجمع البحرين) ج٢ ص٢٥٥ مادة " رفث ".

العالمين فاطمةعليها السلام وتنْزيهها وتهذيبها من أدناس النساء خاصة، ومن الخصال الرذيلة في البشر عامّةً، وهذه موهبة من مواهب الرّحمن ومكرمة من مكارم الملك المنّان، وذلك فضل الله لها ورحمته عليها لشدّ قابليتها وصفاء سريرتها.

❖ **الوجه التاسع:**

ورد في (علل الشرائع) عن محمّد بن مسلم الثقفي قال: سمعتُ الإمام أبا جعفر عليه السلام يقول: « **لفاطمةعليها السلام وقفة على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كُتِبَ بين عَيْنَي كلّ رجلٍ مؤمنٌ أو كافرٌ، فيُؤمَرُ بمحبٍّ قد كَثُرَتْ ذنُوبُهُ إلى النار، فتقرأ بين عينيه محبّاً، فتقول: إلهي وسيدي سميتني فاطمة وفطمتَ بي مَن تولاّني وتولّى ذريتي من النار، ووعدك الحقّ وأنتَ لا تخلف الميعاد، فيقول اللهعزّ وجلّ صدقتِ يا فاطمة إني سميتُكِ فاطمة وفطمتُ بكِ مَن أحبَّكِ وتولاّكِ وأحبَّ ذريتكِ وتولاهم من النار، ووعدي الحق وأنا لا أُخْلِفُ الميعادَ، وإنما أمرتُ بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه فأشفعكِ، ليتبيّنَ لملائكتي وأنبيائي ورُسُلي وأهل الموقف موقفكِ منِّي ومكانتكِ عندي، فمَن قرأتِ بين عينيه مؤمناً فجذبتِ بيده وأدخلتِه الجَنَّةَ** »(١).

وفي (عيون أخبار الإمام الرِّضاعليه السلام) عن مولانا الإمام عليّ بن موسى الرِّضاعليهما السلام قال: « **قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: إني سمَّيْتُ إبنتي فاطمة لأنّ اللهعزّ وجلّ فَطَمَهَا وفَطَمَ مَن أحبَّها عن النّار** »(٢).

والخركوشي في (شرف النبيصلى الله عليه وآله) وابن بطّة في (الإبانة) عن الكلبي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادقعليهما السلام قال: « **قال رسول الله لعليّ: هل تدري لِمَ سُمِّيَت فاطمة؟ قال الإمام عليّ: لِمَ سُمِّيَتْ فاطمة يا رسول الله؟ قال: لأنها فُطِمَت هي وشيعتها من النار** »(٣). وقد روى مثله أبو هريرة كما في بحار الأنوار نقلاً عن

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٨ ص٥٠ ح٥٨.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٢ ح٤.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٥ ح١٤.

المناقب.

وأورد ابن أبي جمهور الإحسائي بأنّ نار الدنيا لا تحرق بدن فاطمة وذريتها وشيعتها، وهو من أعجب الأحاديث على حدّ تعبير الكجوري في الخصائص[1].

وهذا الوجه من أبرز مصاديق اسم فاطمة الشريفة، وستظهر تجلياته في الآخرة، وهو حديث متَّفَق عليه لا تجد مَن ينكره، والمخالفون جميعاً يذعنون لصحّته، وكأنّ اسم فاطمة وضع للدّلالة على الشفاعة، ونجاة الشيعة من النّار، والوجوه السابقة متعلِّقة بهذا الوجه ولا تعارض بينها.

❖ الوجه العاشر:

وفي (بحار الأنوار) وغيره في معنى فاطمة والبتول: « **إنها فُطِمَتْ وبُتِلَتْ عن النظير** »[2].

يشير الحديث الشريف إلى أنّ سيِّدة النّساء فاطمة الطاهرة الشريفة عليها السلام مفطومةٌ منقطعةٌ عن المثيل والنظير، أي لا ندَّ لها ولا نظير في الدنيا والآخرة، وهو معنى سيادتها على نساء الأولين والآخرين، ومَن كانت عديمة النظير من أوّل الخلقة إلى يوم القيامة لا بدّ أنْ تجمع كلّ الخصائص الحَسَنَة، وتتنَزَّهَ عن كلّ النقائص والمعايب، وتكون مفطومة معصومة عن كلّ الذنوب والقبائح، وأنّ كلَّ هذه الأخبار والآثار المتظافرة الواردة عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام في أوصاف المخدَّرة الكبرى وفي إثبات عصمتها وطهارتها تدلّ جميعاً على أنها لا نظير لها.

نعم، لقد كانت مريم المعصومة الطاهرة عليها السلام نظير السيِّدة الطاهرة فاطمة عليها السلام في هذا العالَم من حيث العصمة عن الذنوب والخطايا دون غيرها من المقامات والمراتب والفضائل الذاتية والخارجية، فكيف يمكن أنْ تناظرها في كلّ شيء؟ ففاطمة الشهيدة والشاهدة حجبت القلب عمّا سوى الله، وقَطَعَتْ عُرَى المحبّة عن كلّ فردٍ من أجزاء هذا العالَم، ولم تَرَ شيئاً سوى الله، ولم تفكّر إلاّ به وبرضاه، ونِعْمَ ما قيل:

---

(١) راجع (الخصائص) ج١ ص٣٠٥.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٦ ح١٤.

جمالك في عيني وذكرك في فمي وحبّك في قلبي فأين تغيب

وقال شاعرٌ آخر:

طلب الحبيب من الحبيب رضاه ومنى الحبيب من الحبيب لقاه

فسبحان مَن خَصَّهَا بأعظم الفضائل، ومَيَّزَها عن خلقه بأكرم الخصال، وشَرَّفَها ورفع قَدْرَها وأكرمها وأكثر نسلها، وجعل كلَّ حالٍ من أحوالها آيةً باهرةً، وكلّ طورٍ من أطوارها معجزةً ظاهرةً زاهرةً، ونِعْمَ ما قيل:

ولو كان النساء بمثل هذي لفضِّلَتِ النساء على الرِّجال

كان هدفهاﷺ الأوّل هو الله - لا الدنيا ولا الآخرة - والمطلوب والمقصود المحبوب هو الله وحده لا أحدَ سواه، ولهذا اصطفاها اللهﷻ وانتجبها وفَضَّلَها على نساء العالَمين وأعطاها السيادة.

لقد كانت سيدةُ نساء العالمين تتعبّدُ لله تعالى في عالَم الإمكان وفي هذا الزّمان المحدود من عمرها المبارَك، لقد لازَمَتْ رضا اللهﷻ وتمحّضَتْ في العبوديّة وذابَتْ في جنب الربوبية، ولم تطلب لنفسها شيئاً من نقير أو قمطير في أيّ حالةٍ من حالاتها، بل لم ترَ نفسها مالكةً لأمرٍ أو شيءٍ ما، تماماً كأبيها رسول الله الذي قال اللهﷻ في مدحه: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ سُورَةُ النَّجْمِ؛ أي أنّه كانﷺ يسمع من الله ﷻ ولم يقل إلاّ من الله وبأمرٍ من الله ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ سُورَةُ النَّجْمِ، وأنّ عينه الظاهرية لم تزغ ليلة المعراج إلى شيء من الأفلاك والأملاك، وهو حكاية عن بصيرته الباطنية ورؤيته الفؤاديّة، والسيِّدة فاطمة الزّهراءﷺ ثمرة فؤاد نبيّ الرّحمةﷺ، وقرّة عين هذه الذات المقدَّسة، وقد أتفقَت الرّوايات من مصادر الفريقين على أنّ العصمة الكبرى فاطمة الزهراءﷺ شابهَتْ أباها وماثلَتْهُ في الصورة والسيرة والكمالات والفضائل، كيف لا!! وهيﷺ حسبما قال أبوهاﷺ: « **إنّ فاطمة روحي وقلبي** »[1]، وكما قال أمير المؤمنين في خطبته: « **إنَّ فاطمة المرضيّة**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٥٤ ح٤٨.

المرضيّة

آنية الله الزكيّة »[1].

قال صاحب الخصائص: « **المراد من آنية الله أي قلب الله، وأحبّ القلوب إلى الله أرقّها وأصفاها** »[2].

والمراد من القلب في الرواية هو المعنى المجازي، فالقلب بمعنى الوعاء، وهي وعاء المشيئة الإلهيّة، وما وجدناه في البحار هو قوله عليه السلام جواباً لمن سأله كيف دفعوكم عن هذا الأمر، فأجاب: « **أرادوا قلع أوتاد الحرم، وهتك ستور الأشهر الحرم، من بطون البطون ونور نواظر العيون بالظنون الكاذبة والأعمال البائرة بالأعوان الجائرة في البلدان المظلمة، بالبهتان المُهْلَكَة بالقلوب الخربة، فراموا هتك الستور الزكية، وكسر إنيَّة [أو: إنسية] الله النقيّة ومشكاة يعرفها الجميع، وعين الزجاجة ومشكاة المصباح**[3]... »[4]؛ وعين الزجاجة: فؤادها ونورها.

فقوله عليه السلام: « **وكسر آنية الله النقيّة** » إشارة منه عليه السلام إلى كسر أضلاع الطاهرة الزكية المبرأة من العيوب؛ الخالية من الذنوب؛ فقد عَبَّرَ عنها بالمشكاة وعين ومشكاة الزجاجة أي أنها أصل النور والهداية، فقد طمس عمر بن الخطّاب هذه الهداية، وأطفأ وهجها بالإعتداء عليها وصفقها بقوّة على خدّها من وراء الخمار حتى تناثر قرطها، وجلدها بالسياط على عضديها، ورفسها على بطنها، وضغطها بين الحائط والباب فاقتضى تكسير أضلاعها وإدخال مسمار الباب في صدرها الشّريف وإسقاط جنينها مما أودى بحياتها شهيدةً مظلومةً. ويُحْتَمَلُ باللفظ المذكور واحدٌ من ثلاثة:

الإحتمال الأوّل: أنْ يكون المراد به " إنّيّة الله " أو " أنيَّة " أو " انْية الله ".

الإحتمال الثاني: أنْ يكون المراد به " آنية الله ".

(١) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص٣٠٧.

(٢) راجع (الخصائص) ج١ ص٣٠٧.

(٣) المشكاة: كلّ ما يوضَع فيه أو عليه المصباح.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٣٦ ص٣٥٦ ح٢٢٥.

الإحتمال الثالث: أنْ يكون المراد به " إنسيّة الله ".

الإحتمال الثالث تصحيف " إنية " أو " آنية "، والمراد بالإنسيّة: المخلوقة الفريدة، والأنية مأخوذة من الأناة أي الحلم والوقار والتثبت، والإنيَّة مأخوذة من التأخر والإبطاء عما لا يرضي الربّ، وأمّا الإنْيَة بتسكين النون وفتح الياء فيُراد بها الساعة من الليل أيّ ساعةٍ كانت أو النهار كله أو النضج، والآنية يُراد منها الوعاء، وجمعها أواني.

وكلّ هذه الإحتمالات صحيحة في حقّ الصدِّيقة الطاهرةعليها السلام؛ لأنّها: الفريدة في فضائلها وغرائبها ومعاجزها وكمالاتها وصفاتها كالعلم والفهم والقرب والأناة والحِلْم والوقار والسكينة والجمال والبهاء والتثبت والنضج والليل والنهار والقدر والكوثر، مضافاً إلى أنها معدن الرحمة بل خُزانة العلم ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، ووعاء الأسرار ووليّة الجبّار وزوجة عليّ حيدر الكرّار.

وزبدة المخض:

إنّ كونهاعليها السلام " آنية الله " يقتضي أنْ تكونَ هذه الطاهرةُ الزكية قلبَ المشيئة الإلهيّة - ومعنى القلب هو الوعاء حسبما أشرنا - وأحبّ القلوب إلى الله أرقّها وأصفاها، وأخيرها أوعاها لمقاديره تعالى: ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴾ سُورَةُ الحَاقَّةِ.

وإنْ شئتَ فقَلْ: إنَّ سيّدةَ النساءِ فاطمةعليها السلام هي مهجةُ الرّسولِ، والمهجة سبب حياة القلب والجسد العنصري الإنساني وهو عين ما روي عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: « **فاطمة منِّي وأنا من فاطمة** »[1].

---

(١) ذكره العلاّمة الكجوري في (الخصائص الفاطميّة) ج١ ص٣٠٧، وما عثرنا عليه في (البحار) ج٤٣ ص٣٣ وص١٢٢ وص٢٠٢ وص٢٠٤ قولهصلى الله عليه وآله: « **يا فاطمة... أنتِ مني وأنا منكِ** » و « **إنها مني وأنا منها** »، و « **إن فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله** » والحديث المذكور مقتطعٌ ذيله في مصادر المخالفين مع إضافة تحريفيّة زادوها على الحديث وهي: " وأنا أتخوف أن تفتتن في دينها "، في سياق افترائهم عليها وعلى بعلها بالزواج المفتعل لابنة أبي⇐

وورد في البحار عن مجاهد قوله صلى الله عليه وآله: « **من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبيّ فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله** »(1).

وهذا المعنى المتقدِّم هو من لوازم ذات السيِّدة الطاهرة الصدِّيقة الكبرى (صلوات الله عليها)، ومِن لوازم الاسم الشريف " **فاطمة** " الذي قلنا أنّه الإنفصال والإنقطاع عن الخلق، والإتصال بالله تعالى.

وبعبارةٍ موجَزَة: إنّ لازمَ الإنفصالِ والإنقطاع عن الخلق يقتضي الإتصال والإلتحاق بالخالق، وقد ظهر معنى الاسم والمسمَّى وتجلّى الإنفطامُ والإنفصالُ عمّا سوى الله والإتصال بالمولى في وجودها الحق صلوات الله وسلامه عليها ولعن اللهُ ظالميها الذين اغتصبوا حقَّها وأذلّوها في حين أنّهم يروون عن النبيّ صلى الله عليه وآله: « **أرقبوا محمداً في أهل بيته** »(2)، أي حدّقوا بآل محمّد كما تحدّقون به صلى الله عليه وآله، وخذوا منهم كما كنتم تأخذون منه.. لكنْ هيهات أن يكون ما رووه عن رسول الله صلى الله عليه وآله هو عين ما يبيتون من العداوة والبغضاء لأهل بيته الطّاهرين عليهم السلام!!.

بقيّة الأسماء المقدَّسة:

وثمّة أسماء مطَهَّرة للسيدة الجليلة فاطمة سيّدة نساء أهل الجَنَّة صلوات الله عليها، بلغتْ مئةً خمساً وثلاثين اسماً ولقباً بل وأكثر من ذلك وهي التالية:

الأول: أمة الله، **الثاني**: آية الله، **الثالث**: بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، **الرابع**: زوجة

جهل، وهذه الزيادة في كتاب (كنز العمال) للمتقي الهندي ج١٢ رقم الحديث: ٣٤٢١٢ و٣٤٢٤٠ و٣٤٢٤٣، ولكن النسائي ذكر الحديث الآخر المناهض للحديث المفتعل وهو قوله صلى الله عليه وآله: « **فاطمة بضعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها** »، وكذا ما رواه البخاري عنه صلى الله عليه وآله قال: « **فاطمة بضعة منِّي، فمن أغضبها أغضبني** » راجع: (البخاري) ج٤ ص٥٧٩ ح٣٧١٤، و(السنن الكبرى) ج٥ ص٩٧ ح٨٣٧١.

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٥٤ هوامش ح٤٨.

(٢) راجع (صحيح البخاري) ج٤ ص٥٧٩ ح٢٧١٣.

وليِّ الله، **الخامس**: كلمة الله التامة، **السادس**: حجاب الله المرخى، **السابع**: نخبة أبيها، **الثامن**: ستر الله الكبرى، **التاسع**: كلمة التقوى، **العاشر**: المزوَّجة في الملأ الأعلى، **الحادي عشر**: الغرة الغراء، **الثاني عشر**: الزهرة الزهراء، **الثالث عشر**: العارفة بالأشياء، **الرابع عشر**: المعروفة في السماء، **الخامس عشر**: سيدة الإماء، **السادس عشر**: حاملة البلوى، **السابع عشر**: مبشِّرة الأولياء، **الثامن عشر**: عديلة مريم، **التاسع عشر**: زجاجة الوحي، **العشرون**: مشكاة الأنوار، **الحادي والعشرون**: ثمرة النبوة، **الثاني والعشرون**: بقية النبوة، **الثالث والعشرون**: ابنة الصفوة، **الرابع والعشرون**: عقيلة الرِّسالة، **الخامس والعشرون**: والدة الحجج، **السادس والعشرون**: صاحبة الجنة السامية، **السابع والعشرون**: فلذة الكبد، **الثامن والعشرون**: تفاحة الفردوس، **التاسع والعشرون**: الفاضلة المحدَّثة، **الثلاثون**: جمال الآباء، **الواحد والثلاثون**: شرف الأبناء، **الثاني والثلاثون**: صفوة الشرف، **الثالث والثلاثون**: معدن الحكمة، **الرابع والثلاثون**: موطن الرحمة، **الخامس والثلاثون**: ريحانة النبي، **السادس والثلاثون**: الروح بين جنبي المصطفى، **السابع والثلاثون**: المشرقة الرباعية، **الثامن والثلاثون**: البيضاء البضعة، **التاسع والثلاثون**: وديعة الرّسول، **الأربعون**: الناطقة بالشهادتين، **الحادي والأربعون**: الوليدة في الإسلام، **الثاني والأربعون**: شفيعة الأمة، **الثالث والأربعون**: قلادة الوجود، **الرابع والأربعون**: ركن الدين، **الخامس والأربعون**: الدعوة المستجابة، **السادس والأربعون**: الطاهرة الميلاد، **السابع والأربعون**: مقتولة الولد، **الثامن والأربعون**: إحدى الكبر، **التاسع والأربعون**: صاحبة المصحف، **الخمسون**: صاحبة الأحزان الطويلة، **الواحد والخمسون**: سيدة نساء الجنة، **الثاني والخمسون**: سيدة الأئمة، **الثالث والخمسون**: سيدة نساء هذه الأمة، **الرابع والخمسون**: سيدة بنات آدم، **الخامس والخمسون**: سيدة نساء الأولين والآخرين، **السادس والخمسون**: الكوكب الدري، **السابع والخمسون**: أعز البرية، **الثامن والخمسون**: الخيرة من الخير، **التاسع والخمسون**: المنعوتة في الإنجيل، **الستون**: درة التوحيد، **الحادي والستون**: قرة عين الخلائق،

الثاني والستون: ليلة القدر، **الثالث والستون**: الصلاة الوسطى، **الرابع والستون**: من بِرُّها خير العمل، **الخامس والستون**: العالمة، **السادس والستون**: الصابرة، **السابع والستون**: الصادقة، **الثامن والستون**: المتهجدة، **التاسع والستون**: القانعة، **السبعون**: القانية، **الواحد والسبعون**: الحبة النابتة، **الثاني والسبعون**: الذروة الشامخة، **الثالث والسبعون**: العابدة، **الرابع والسبعون**: الشهيدة، **الخامس والسبعون**: الرشيدة، **السادس والسبعون**: المضطهدة، **السابع والسبعون**: صاحبة القبة الفاطمية، **الثامن والسبعون**: منهدَّة الركن، **التاسع والسبعون**: الممتحَنة، **الثمانون**: المغصوبة حقَّها، **الحادي والثمانون**: الممنوعة حقَّها، **الثاني والثمانون**: الكريمة، **الثالث والثمانون**: المظلومة، **الرابع والثمانون**: التقية، **الخامس والثمانون**: النقية، **السادس والثمانون**: المتعوبة، **السابع والثمانون**: عين المحجة، **الثامن والثمانون**: ناحلة الجسم، **التاسع والثمانون**: وديعة المصطفى، **التسعون**: بضعة النبي صلى الله عليه وآله، **الواحد والتسعون**: ثالثة الشمس والقمر، **الثاني والتسعون**: صدف الفخار، **الثالث والتسعون**: الحبيبة، **الرابع والتسعون**: الكئيبة، **الخامس والتسعون**: الصفيَّة، **السادس والتسعون**: الميمونة النسل، **السابع والتسعون**: الكلمة الطيبة، **الثامن والتسعون**: الدرّة المنضدة، **التاسع والتسعون**: القدوة المسددة، **المائة**: خامسة أهل العبا، **الواحد بعد المائة**: النبيلة، **الثاني بعد المائة**: الجميلة الجليلة، **الثالث بعد المائة**: المعصومة، **الرابع بعد المائة**: العفيفة، **الخامس بعد المائة**: الوحيدة، **السادس بعد المائة**: الوالهة، **السابع بعد المائة**: باكية العين، **الثامن بعد المائة**: محترقة القلب، **التاسع بعد المائة**: معصبة الرأس، **العاشر بعد المائة**: وسيلة الرضوان، **الحادي عشر بعد المائة**: المصباح المنير، **الثاني عشر بعد المائة**: العروة الوثقى، **الثالث عشر بعد المائة**: سفينة النجاة، **الرابع عشر بعد المائة**: عين الحياة، **الخامس عشر بعد المائة**: قرار القلب، **السادس عشر بعد المائة**: زين الفواطم، **السابع عشر بعد المائة**: نور الأنوار، **الثامن عشر بعد المائة**: ذريعة الشيعة، **التاسع عشر بعد المائة**: عيبة العِلْم، **العشرون بعد المائة**: وعاء المعرفة، **الحادي والعشرون**

بعد المائة: حظيرة القدس، **الثاني والعشرون بعد المائة**: سماء الكواكب الدرية، **الثالث والعشرون بعد المائة**: سلالة الفخر، **الرابع والعشرون بعد المائة**: فخر الأئمة، **الخامس والعشرون بعد المائة**: برزخ النبوة والولاية، **السادس والعشرون بعد المائة**: بهجة الفؤاد، **السابع والعشرون بعد المائة**: حجة الله الكبرى، **الثامن والعشرون بعد المائة**: مهجة العالم، **التاسع والعشرون بعد المائة**: آية الله العظمى[1]، **الثلاثون بعد المائة**: أرومة العناصر، **الحادي والثلاثون بعد المائة**: جرثومة المفاخر، **الثاني والثلاثون بعد المائة**: ربيبة المكرمة، **الثالث والثلاثون بعد المائة**: عالية الهمة، **الرابع والثلاثون بعد المائة**: القائمة في الليل، **الخامس والثلاثون بعد المائة**: الصائمة في النهار[2].

ونزيد عليها:

السّادس والثّلاثون بعد المائة: البكاءة، **السّابع والثّلاثون بعد المائة**: مرج البحرين، **الثّامن والثّلاثون بعد المائة**: الزّاهدة، **التّاسع والثّلاثون بعد المائة**: مكسورة الجنب، **الأربعون بعد المائة**: المصفوعة الخدّ، **الحادي والأربعون بعد المائة**: المتناثرة القرط، **الثّاني والأربعون بعد المائة**: صاحبة السّقط، **الثّالث والأربعون بعد المائة**: المرفوسة على البطن، **الرّابع والأربعون بعد المائة**: المجلودة على الظّهر والعضدين، **الخامس والأربعون بعد المائة**: صاحبة الضّلع المكسور، **السّادس والأربعون بعد المائة**: المنتهَكَة الحُرْمَة.

وهذه الألقاب الشريفة المتقدِّمة استُخرِجَت من الأدعية والروايات وكلمات العلماء الأعلام، وأنّ كلّ لقبٍ منها يشير إلى معنى يفيد كرامةً خاصةً، ومتى تنتهي ألقابها الشريفة وأوصافها المنيفة؟!!.

---

(١) لا يجوز لأحدٍ أنْ يُلَقَّبَ بهذا اللقب لأنه من مختصات المعصومينعليهم السلام. وأمّا آية الله فقد جاء في الأخبار أنّ المؤمن آية من آيات الله تعالى، فالمؤمن الفقيه العارف بآل البيت هو آية من آياتهم، وأمّا إطلاق آية الله العظمى على الفقهاء ففي غاية الإشكال والحرمة...!

(٢) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص١٤٠.

والخوض في تفسير هذه الأسماء يتطلب بحوثاً عميقةً جدّاً، فيستغرق ذلك مجلَّدات كبرى، فنخرج عن طور شرح الفقرة الشريفة: « **السَّلام عليك يابن فاطمة سيدة نساء العالمين** »، لكنّنا سنقتصر على شرح بعض ألقابها الشريفة لأهميتها، إذ ما لا يُدْرِكُ كلُّه لا يُتْرَك جُلُّهُ، وعددها تسعة عشر وهي التالية:

البتول، الطاهرة، الحوراء، العذراء، التقية، الحرّة، الحصان، الحانية، الزهراء، المنصورة، الصدِّيقة الكبرى، الزكية، الراضية المرضيّة، المبارَكة، النورية، مريم الكبرى، المحدَّثة، السيِّدة، سيّدة النساء.

البتول:

هذا اللقب الشريف من ألقاب مريم بنت عمران عليها السلام، وهي أدنى بالفضائل والمكرمات من السيِّدة الطاهرة فاطمة الزكية صلوات الله عليها، وما ثبت من الفضائل للأدنى يثبت للأعلى بطريقٍ أولى؛ وذلك لأنّ مولاتنا فاطمة سيدة نساء العالمين وسيِّدة نساء الجَنَّة بل ورجال الجَنَّة عدا أبوها وبعلها وبنوها، إذ هم نفسٌ واحدةٌ، وفضائلهم ومنازلهم واحدة، فهم سادات أهل الجَنَّة.

والحاصل: إنّ اللقب الشريف بكلّ مصاديقه من مختصات مولاتنا الزهراء عليها السلام، وللتبتُّل معانٍ متعدِّدة منها:

١- القطع والإبانة من الغير؛ أي أنّها تختلف عن غيرها خَلْقاً وخُلُقاً.

٢- الفسيلة (غصن نبات): المنقطعة عن أمّها.

٣- الإنقطاع والإخلاص، ومنه ما ورد في التنْزيل ﴿ ..وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ ﴾ سُورَةُ المُزَّمِّلِ؛ ومعناه: أخْلِص له بالعبادة إخلاصاً.

٤- البتول: المنقطعة عن الرِّجال لا أرَبَ - أي شهوة - لها فيهم، وقيل لمريم بتول لأنها تركت التزويج، فالبتول هي العذراء المنقطعة من الأزواج. فسيّدة النساء عليها السلام عذراء منقطعة عن غير بعلها الطّاهر المطهَّر عليه السلام.

٥- مبتلة الخَلْق: أي المنقطعة الخَلْق عن النساء، لها عليهنّ فضلٌ، سُئِلَ أحمد بن يحيى عن السيِّدة فاطمة بنت رسول الله لِمَ قيل لها البتول؟ فقال: لانقطاعها عن

نساء أهل زمانها ونساء الأمّة عفافاً وفضلاً وديناً وحَسَبَاً[1]، ومن ذلك قول الأعشى:

مبتّلة الخَلْق مِثلَ المهاوَة[2] لم ترَ شمساً ولا زمهريراً

وتبتيل خَلْقها: أي إنفراد كلّ شيء منها بحسنه لا يتكل بعضُه على بعض. قال ابن الأعرابي: المبتلة من النساء الحَسَنَة الخَلْق لا يَقْصُرُ شيء عن شيء، فلا تكون حَسَنَة العين سمجة الأنف، ولا حَسَنَة الأنف سمجة العين، ولكنْ تكون تامّةً، وقال غيره: هي التي تفرَّدَ كلُّ شيءٍ منها بالحُسْنِ على حِدَتِهِ.

٦- البتيلة والمبتلة من النساء هي التي لم يَرْكَبْ بعضُ لحمها بعضاً، فلحمها مستقيمٌ مسترسلٌ وليس مترهِّلٌ، والمبتلة هي التي تمَّ حُسْنُ كلِّ عضوٍ منها.

٧- البتول: المنقطعة عن النظير.

٨- البتول: الطاهرة من الأدناس والأرجاس.

٩- البتول: العذراء.

بناءً على ذلك يكون معنى " فاطمة البتول " هو:

- المنقطعة عن الخَلْق.
- المنقطعة إلى ربها بالإخلاص له.
- المنقطعة عن النساء فضلاً وديناً وحَسَبَاً ونَسَباً.
- المنقطعة عن الرِّجال شهوةً.
- المنقطعة عن الدّنيا.
- المنقطعة عن النظير.
- المنقطعة عن رؤية الدم.
- الحسنة الخَلْق، إذ حُسْنُها لا نظير له في عالَم الجمال.

وهذه مصاديق موزَّعة في الأخبار الشريفة عنهم منها:

---

(١) راجع (لسان العرب) ج١١ ص٤٣.

(٢) المهاوة: البلورة.

[**الخبر الأوّل**]: ما رواه القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « **إنما سُمِّيَت فاطمةُ البتولَ؛ لأنها تبتلت من الحيض والنفاس** »[1].

[**الخبر الثاني**]: ما رواه الحنفي في المناقب المرتضوية عن أمّ سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « **وسُمِّيَت فاطمةُ بتولاً لأنها تبتلت وتقطَّعَت عمّا هو معتاد العورات في كلِّ شهرٍ، ولأنها ترجع كلّ ليلة بكراً، وسُمِّيَتْ مريم بتولاً لأنها ولدت عيسى بكراً** »[2].

[**الخبر الثالث**]: ما رواه في أرجح المطالب عن مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال: « **إنّ النبيّ سُئِلَ عن البتول، وقيل: إنّا سمعناكَ يا رسول الله تقول: مريم بتول وفاطمة بتول، فقال صلى الله عليه وآله: البتول التي لم ترَ حُمْرَةً قط، أي لم تحض فإنّ الحيض مكروهٌ في بنات الأنبياء** ». " أخرجه الحاكم "[3].

[**الخبر الرّابع**]: ما ورد في ذخائر العقبى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: « **إنّ أبنتي فاطمة حوراء، إذ لم تَحِضْ ولم تطمث** »[4].

وقد ورد في (أخبار الدول وآثار الأُوَل) عن عائشة قالت: كنّا نخيط ونغزل وننظم الإبْرَةَ بالليل في ضوء وجه فاطمة عليها السلام، وقالت: إذا أقبَلَتْ فاطمة كانت مشيتُها مشيةَ رسولِ اللهِ، وكانت لا تحيض قط؛ لأنها خُلِقَتْ من تفّاحةِ الجَنَّة، ولقد وَضَعَت الحسن بعد العصر، وطَهُرَتْ من نفاسها فاغتسلتْ وصَلَّتْ المغرب ولذلك سُمِّيَتْ الزهراء[5].

❖ **ملاحظة**: دعوى أنها اغتسلت من نفاسها ملفقة عليها روحي لها الفداء، لمعارضته لآية التطهير والأخبار المتواترة الدالة على طهارتها المادية والمعنوية – وقد

(١) راجع (إحقاق الحق) ج١٠ ص٢٥.

(٢) راجع (إحقاق الحق) ج١٠ ص٢٥.

(٣) راجع (إحقاق الحق) ج١٠ ص٢٥.

(٤) راجع (ذخائر العقبى) ص٢٦، و(بهجة قلب المصطفى) ج١ ص١٥٨.

(٥) راجع (إحقاق الحق) ج١٠ ص٢٤٤.

أسسنا الإعتقاد بطهارتها المادية في كتابنا القيِّم (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد) - وعلى فرض صحة الخبر المذكور عن عائشة، وفرض المحال ليس محالاً، فنحمل معنى النفاس على فترة الولادة من دون رؤية الدم، وإغتسالها إنَّما هو لإجراء السُنَّة لأنهاعليها السلام قدوة لغيرها، وإلاّ فهي طاهرة مطَهَّرة خالية من الدّنَس، ولم تمر لحظة زمنيّة عليها - روحي فداها - وهي خالية من الطّهارة، ففي خبرٍ عن عائشة أنّ النبيصلى الله عليه وآله قال لها: « **يا حميراء، فاطمة ليست كنساء الآدميين، لا تغتسل كما تغتسلين** »[1]. وفي نصٍ آخرٍ: « **لا تعتلّ كما تعتَلِلْنَ** »[2].

[**الخبر الخامس**]: ما رواه ابن بابويه مرفوعاً إلى أسماء بنت عميسرضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله وقد كنتُ شهدتُ فاطمةعليها السلام وقد ولدت بعض ولدها فلم أرَ لها دماً، فقالصلى الله عليه وآله: « **إنّ فاطمة خُلِقَتْ حوريةً في صورة إنسيّةٍ** »[3].

ومن لوازم الحورية أنْ تكون طاهرة مطَهَّرة في كلّ شيءٍ، طهارةً مادّيةً وروحيةً وفكريةً ونفسيّةً وخياليةً.

[**الخبر السّادس**]: ما روي عن مولانا الإمام أبي جعفرعليه السلام قال: « **إنما سُمِّيَتْ فاطمة بنت محمّد " الطاهرة " لطهارتها من كلّ دَنَسٍ، وطهارتها من كلّ رفثٍ، وما رَأَتْ قط يوماً حمرةً ولا نفاساً** »[4].

وفي خبرٍ آخر قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث طويل: « **خلقت فاطمة حوراء إنسيّة لا إنسيّة..** »[5].

تفريع مهم:

يُستفاد من الوجوه المتقدِّمة لا سيّما الخبر الخامس الدال على أنها حوريّة في

---

(١) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص١٥٤.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٦.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٧.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٩.

(٥) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٨ ح١٧.

صورة إنسيّة، طهارتها من الأرجاس والأدناس المادية والمعنوية، فالحيض والنفاس من الأرجاس المادية التي طَهُرَتْ منهما السيِّدتان المباركتان مريم والصدِّيقة الطاهرة الزكيّة، فلا دماء ولا فضلات طبيعيّة تنشأ منها الدّماء والأوساخ والقذارات يمكن أنْ تكون لها سلطة على باطن تينك السيِّدتين الكريمتين، فقد نزَّهَهُنَّ اللهُ تعالى من هذه الأقذار ولم يخلقها فيهنّ وجعل أرحامهنّ مطَهَّرَة، وجعل طهارتهنّ آية لنساء العالمين وعلامةً على عصمتهنّ.

فمَن كانت سيّدة نساء أهل الجنَّة فلا يمكن بل لا يجوز أنْ يصيبها قَذَرٌ، وإذا كان الحور العين لا يطمثْنَ ولا يخرج منهنّ قَذَرٌ، فهنّ مطَهَّرات منه، فكيف يكون حال نساء أهل الجنّة مطَهَّرات من الدَّنَس والقَذَر وتُبْتَلَى به سيّدتُهُنَّ فاطمة عليها السلام؟!

إشكال ودفع:

إنّ عدم طمث الصدِّيقة الكبرى الزهراء عليها السلام خلاف قانون السببيّة والمسبَّبيّة، فلماذا استُثْنِيَتْ الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول صلوات الله عليها من هذا القانون العام الذي جرت عليه نواميسُ الطبيعة، ومنه الحيض في النساء حيث يقتضي أنْ يكونَ - أي الحيض - من لوازم الخلقة، فخلوُّ المرأة عنه نقصٌ، وإنّ العادة الشهرية علامةٌ وسببٌ للولادة.

والجواب:

صحيحٌ أنّ قانون العلّة والمعلول مبنى جميع المقاصد العلميّة وسارٍ في جميع العوالم الوجودية، فلا بدّ أنْ تكون لكلّ حادثة مادية علّة موجبة، فإذا رأينا إحتراقاً نحكم بالضرورة أنّ هناك ناراً أو اصطكاكاً أو غير ذلك، ونعلم أيضاً أنّ التناسل والتوالد لا يمكن إلاّ من خلال أنتقال نطفة الرجل إلى رحم المرأة وتطورها إلى أنْ تصير جنيناً، وأنْ يكون الزوج شاباً معتدل المزاج وكذلك المرأة، ولا يكون الزوج شيخاً كبيراً، ولا تكون المرأة عجوزاً ولا عاقراً وهكذا.. إلا أن هذا القانون الطبيعي يمكن إختراقُهُ عبرَ المعجزة والكرامة، فيكون على وِزانِ: " أنَّ لكلِّ قاعدة شواذ ".

فنظام العلّية والمعلوليّة والسببيّة والمسببيّة قاعدة عامّة مطَّرِدَة في جميع الممكنات، لكنّها ليست بمثابة أنْ تجعل يد جاعلها مغلولة إلى عنقه وتمنعه من أنْ يتصرف في ملكه على نحو آخر حسبما حكى القرآن المجيد عن اليهود ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ.. ﴿٦٤﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، بل هو قادر مطلق يتصرف كيف يشاء ضمن الحكمة، وهذه القاعدة العامّة مقهورة لإرادته، خاضعة لمشيته كما يُستفاد من كلام مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام حين قال: « **ذَلَّتْ لقدرتكَ الصعاب، وتسبّبت بلطفكَ الأسباب** »[1]، وما ورد في بعض الأدعية: « **يا مسبِّبَ الأسباب من غير سبب** »، وكذلك توجد في القرآن الكريم طائفة من القصص والوقائع والحوادث لا يساعد عليها جريان العادة المشهورة في عالَم الطبيعة على نظام العلّة والمعلول المعهودة كحمل مريم عليها السلام فحيث إنّه لم يمسسها بشرٌ، حملت بولدها نبيّ الله عيسى عليه السلام، وكحمل سارة بإسحاق عليه السلام مع أنها كانت عجوزاً، وكحمل امرأة زكريا بيحيى عليه السلام مع كونها عاقراً، وأمثال ذلك من المعجزات وخوارق العادات التي بثّها القرآن الكريم لعدّة من الأنبياء الكرام كمعجزات نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وداود وسليمان وموسى وعيسى ورسول الله محمّد وأمير المؤمنين والأئمّة الطاهرين عليهم صلوات الله جميعاً، فإنّ كلّ ذلك أمور خارقة للعادة.

يتضح مما سبق: إنّ المعجزة والكرامة تخرق القانون العام للسببيّة والمسببية فيما لو كان المتعلق هاماً كما حصل لِمَن تقدَّم ذِكرُهُم، ولِمَ لا يجري هذا القانون على سيّدة النساء روحي فداها مع أنها أفضل منهم قطعاً بالأدلة والبراهين.

فليس الخروج من مضايق الطبيعة نقصاً، بل ربّما يكون كرامةً ويا له من كرامة! على أنّ الحيض بنفسه قذارة ورجس كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى.. ﴿٢٢٢﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، أي أنّه قذارة تتأذى منها الحائض، ويصيبها من

(١) راجع (الصّحيفة السجادية) الدّعاء السّابع.

الإضطراب والتشنج العصبي ما لم تشعر به قبل الحيض، مضافاً إلى أنّه دمٌ فاسدٌ لا بدّ من خروجه وإلاّ أدّى إلى مضاعفات خطيرة، فالحيض بطبعه دنس نهى الله عزّ وجلّ المتصفة به عن الصوم والصلاة ودخول المساجد ومسّ أسماء الله والحجج، بل وقراءة آيات السجدة في القرآن الكريم وما شابه ذلك مما هو مذكور في محلّه.

من هنا حُرمت الحائض من بعض الأحكام فَنَقَصَ إيمانها بذلك كما نبّه عليه الإمام عليّ عليه السلام بقوله: « **فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصّلاة والصيام في أيّام حيضهنَّ** »[1].

وعليه: لقد تفضل الله عزّ وجلّ على سيّدة النساء فاطمة البتول العذراء سلام الله عليها بالولادة الكاملة من دون رؤية هذه القذارة والنجاسة، وهذه فضيلة سامية لها، وتطهير زائد في ذاتها عليها السلام، وإنّ الله عزّ وجلّ لا يرضى أنْ تتأذى سيّدة النساء وتتلوث بهذه القذارة الظاهرية عدا عن الباطنية، فهي مطَهَّرَة عن القذارتين: المادية والروحية حسبما جاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال لعائشة: « **يا حميراء! إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميين، لا تعتلّ كما تعتَلِلْنَ [يعْتَلِلْنَ]** ».

الطاهرة:

الطاهرة من الألقاب الشريفة للصدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو لَقَبٌ يُنْبِئُ عن أوصافها الذاتية عليها آلاف السلام والتحية.

وهو مشتَقٌّ من " الطُّهر " وهو النَّزَاهة والنظافة، والمطَهَّر هو المنَزَّه، والطهورين: الماء والتراب، وجمعه: أطهار، وأهل اللغة يقولون: امرأةٌ طاهر من الحيض وطاهرة من النجاسة والعيوب، والطهور هو المطَهِّر؛ قال تعالى: ﴿ ..وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ ﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ.

قال تغلب: الطهور هو الطاهر في نفسه، المطَهِّر لغيره. وقوله تعالى: ﴿ ..فِيهِ

(١) راجع (نهج البلاغة) الخطبة الثامنة والسبعون.

رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ قيل: المراد به الطهارة من الذنوب، والأكثر قالوا: إنها الطهارة من النجاسات. وقوله تعالى: ﴿ ..وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ.. ﴿١٥﴾ ﴾ أي نساء مطَهَّرات من الحيض والحدث ودنس الطبع وسوء الخلق، وقوله تعالى: ﴿ ..صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ﴾ أي لا يمسُّها إلاّ الملائكة المطَهَّرون، والطُّهْر: نقيض الحيض.

ورد عن الزبير بن بكار قال في حديثه عن أحوال خديجة الكبرى عليها السلام: « **وكانت تُدْعَى في الجاهلية بالطاهرة** »، وفي إسعاف الراغبين قال: « **وكانت تُدْعَى سيّدةَ قريش** »؛ فهذا اللقب موروث لسيّدتنا فاطمة عليها السلام من أمّها؛ إضافةً إلى استحقاقها الذاتي للطهر والطهارة والتطهر والتطهير.

روى الشيخ الصدوق في (علل الشرائع والأمالي) عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال: « **لفاطمة تسعة أسماء...** » وعَدَّ منها " الطاهرة "، ثمّ فَسَّرَ معنى فاطمة وقد تقدَّمَ سابقاً.

قال العلاّمة الكفعمي في (المصباح): « **الطاهر من أسماء الله أي المنَزَّه عن الأشباه والأمثال والأضداد والأنداد وعن صفات الممكنات وحالات المخلوقات من الحدوث والزوال والسكون والإنتقال، والتطهير: التنَزُّه عمّا لا يحلُّ** »[1].

ولّما كان لأسماء الله مظاهر في هذا العالَم، كانت فاطمة الطاهرة مظهرَ اسمِ "الطاهر"، ولم يكن لها مثال في المخلوقات ولا نظير في النساء.

ويشهد لهذا ما ورد عن مولانا الباقر عليه السلام قال: « **إنما سُمِّيَتْ فاطمةُ بنت محمّد الطاهرةَ لطهارتها من كلّ دَنَسٍ، وطهارتها من كلّ رَفَثٍ، وما رأَتْ قط يوماً حمرةً ولا نفاساً** »[2].

وورد عن مولانا الصادق عليه السلام قال: « **إنّ الله حَرَّمَ النساءَ على عليٍّ عليه السلام ما**

(١) راجع (مصباح الكفعمي) ص٤٥٧، شرح الأسماء الحسنى.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٩ ح٢٠ باب٢.

دامت فاطمة حَيَّةً، لأنّها طاهرة لا تحيض »[1].

فهذان الحديثان يشيران إلى طهارتها من الأرجاس المادية والمعنوية، وهو ما دلّ عليه قوله عليه السلام: « **من كلّ دَنَسٍ ورَفَثٍ** » فالدَّنَس يشير إلى الرِّجس المادي والمعنوي معاً، والرَّفَث يشير إلى المعنوي؛ لأنّ من معاني " الرّفث " الفحش في الكلام ولوازم الجماع كالنجاسة الباطنية والظاهريّة، وكلّ ذلك تتنزَّه عنه مولاتنا الصدِّيقة الزكيّة عليها السلام.

ويكفي للتدليل على طهارتها ما أشار إليه المولى عزّ وجلّ في آية التطهير حيث إنه عزّ وجلّ حذف متعلَّق التطهير ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ وهو دليل عموم طهارتها وقداستها، فمتعَلَّق الطهارة على مراتب:

- الطهارة الظاهرية من الخبائث.
- طهارة الجوارح عن المعاصي والآثام والجرائم.
- طهارة النفس من الأخلاق الردية والرذيلة.
- طهارة السرّ عمّا سوى الله عزّ وجلّ.

وهي موجودة بمراتبها الأربع في تلك الطاهرة المطَهَّرة.

وأيضاً ورد في (الأمالي) عن ابن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه دعا لأمير المؤمنين عليه السلام والموالي الأطهار فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: « ...**واجعَلْهُم مطَهَّرِين من كلِّ دَنَسٍ، معصومين من كلّ ذَنْبٍ، وأَيِّدْهُم بروح القُدُس منكَ** »[2].

وورد عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام في دعاء الغيبة من أدعية يوم الجمعة لمولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: « **فإنّه عبدكَ الذي أستخلصته لنفسكَ وأصطفيته على غيبكَ وعصمته من الذنوب وبرّأته من العيوب وطَهَّرْتَهُ من الرِّجس وسلَّمْتَهُ من الدَّنَس** »[3].

---

(١) راجع (فاطمة الزهراء عليها السلام بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله) ج١ ص١٩٢، و (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٦ وص١٥٣ ح١٢.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٢٤٠ ح٢٠ باب٣ عن (أمالي) الصدوق ص٣٩٣ ح١٨ المجلس٧٣.

(٣) راجع (مصباح المتهجد) ص٢٩٤، و(مفاتيح الجنان) دعاء الغيبة يقرأ عصر يوم الجمعة وفي ⟸

والدَّنَس هو الأوساخ والقذارات المادية والظاهرية، أضف إلى ذلك فإنّ مَن كان روحُ القدس معهم كيف يمكن - والحال هذه - أنْ يكون مدنَّساً بالقذارات والأرجاس؟! ومَن كان مع الله‌ﷻ كان بعيداً عن التدنُّس بما سواه، فتأييدهم بروح القدس يلازم طهارتهم المطلَقة بلا تخصيص بمرتبة من المراتب المتقدِّمة، بل الطّهارة تلازم الجميع:

مطَهَّرون نقيّاتٌ ثيابُهم   تجري الصّلاة عليهم أينما ذُكِروا

فقول مولانا أبي جعفر‌عليه‌السلام: « **..سُمِّيَتْ فاطمةُ الطاهرةَ لطهارتها من كلّ دَنَسٍ** » يشير إلى حقيقةٍ هامّةٍ وهي الطهارة المطلَقة، وهذا الحديث الشريف يؤكِّد الطهارة المطلَقة في آية التطهير، لا سيّما أنّ " كلّ " الواردة في الحديث الشريف « **لطهارتها من كلّ دنس... من كلّ رفث** » من أدوات العموم عند الأصوليين والبلاغيين، وهو يفيد التطهير من الأدناس والأرجاس المادية والمعنويّة معاً.

ولا يكاد ينقضي عجبي ممَّن تزَيّ بلباس الدِّين والعِلْم، ويَقْصر الطهارةَ عند أهل البيت‌عليهم‌السلام على المعنوية فقط[1]، بل إنّ ثلّة من هؤلاء المتسولين تطاولوا على الجنبة المعنوية لأولئك العظماء‌عليهم‌السلام؛ فنسبوا إليهم السّهو والنسيان في الموضوعات، وفي التبليغ أيضاً، جامدين على ظواهر أخبار مصدرها عامّي، وتخالف المحكَمَات من آيات الكتاب العزيز لا سيّما آية التطهير.

إنّ أهل البيت‌عليهم‌السلام مطَهَّرون نقيّون مبَرَّؤون من كلّ الأرجاس الظاهرية والباطنية، وإنْ كانوا يعاملون الناس في الظاهر كسائرهم لأجل المصالح والحكم، وقد فصّلنا في رسالة خاصّة طهارة أهل البيت المادية والمعنوية في كتابنا الجليل (أبهى المداد في شرح

كل وقت، وأغلب الشيعة اليوم لا يقرأونه وامهدياه واغوثاه بك يا سيدي أبا صالح المهدي روحي فداك.

(١) وقد ذهب ثلة من محققي الإمامية والعامّة إلى الطهارة المادية لأهل البيت‌عليهم‌السلام منهم: العلاّمة الحلّي، والسيِّد الفقيه مهدي بحر العلوم، والمحقِّق البحراني، ومحمّد عبده، والسيِّد محسن الأمين، والمولى الجليل محمّد علي الأنصاري، والهمداني، والأحسائي، ، وابن شهر آشوب، والعلاّمة الأميني، والشهيد الثاني، والنوري، والإربلي، والشافعي من العامّة، وأحمد بن حنبل... وابن أبي الحديد.

مؤتمر علماء بغداد) فليُرَاجَعْ.

وزبدة المخض:

إنّ وجه الطّهارة بجميع مراتبها في أهل البيت عليهم السلام، ومن حيث الحكمة هو أنّ منشأ النجاسة ونحوها إنما هو بسبب سطوة النفس الأمّارة، وليس في تلك الأنوار القدسيّة أصلاً ولو مثقال ذرّة، وما ورد في طهارة أجسادهم الشريفة إنما هو محمول على أجزائها الظاهرية والباطنية من كلّ حيثيّة وإلاّ فظواهر الأجساد طاهرة من كلّ مسلم أيضاً فلا يكون لهم عليهم السلام حينئذٍ فَضْلٌ من هذه الجهة.

وقد عُلِّلَ حرمة الدم في الأخبار بكثرة مضاره مثل أنه يمرض البدن ويغيِّر اللون، ويورث البخر والصفراء والجنون وسوء الخُلُق والقسوة ونحو ذلك، وليس في دم المعصوم هذه المفاسد بل صَرَّحَت الأخبار عنهم عليهم السلام باشتماله على مصالح وفوائد(1)، فلا حرمة في البَيْن.

قال المولى محمّد عليّ الأنصاري أعلى الله مقامه: « **معنى النجاسة في الشيء ليس إلاّ وجوب الإحتراز عنه في الصّلاة مثلاً أو الأكل والشرب ونحو ذلك، ووجوب الإحتراز فيه إمّا من جهة خباثة في نفسه ذاتاً أو صفةً، أو من جهة المصالح الخارجية، فدم المعصوم يجب غسله البتة بحسب القواعد الشرعية من جهة المصالح الخارجية، إذ لو بني على عدم غسله مثلاً بالحكم بالطهارة لزم الهرج والمرج في الشريعة، فكان يقول بعض الناس بطهارة دم سلمان وبعضهم بطهارة دم أبي ذر، ومريد العالِم بطهارة دمه، ومريد الفلاني كذلك، وهذا باب عظيم يدخل منه الشيطان، فيفسد على النّاس أحكامَ الدين والملة...**

وأمّا من حيث الحقيقة فليس في دم المعصوم خباثة بالمرَّة لا ظاهرية ولا باطنية، بل هو طهر طاهر مطهَّر من طهر طاهر مطهَّر في غاية الطهارة، وآية التطهير تدلُّ على حكم المسألة... وأيُّ خبيث يتجاسر أنْ يقول بخباثة دم المعصوم، وقد مرّ أنّ الأنبياء خُلقوا من نور أجسامهم اللطيفة، وأجسادهم الشريفة، ودماؤهم من جملة أجزائهم في عالم

(1) كما جاء في بعضها كيف أنّ أبا ظبية الحجّام وأمّ أيمن شربا من دم وبول النبي وقد قرَّره بقوله صلى الله عليه وآله: « **لا ييجع بطنك** »، وفِعْلُهُ وقوله وتقريره حجّة.

الجسميّة، ولا معنى لطرو النجاسة بالنسبة إلى العقول الصافية، فكيف بما هو أعلى منها مرتبة! فالأنوار اللطيفة في غاية اللطافة لا تعرضها الخباثة والكثافة »[1].

ونظرة فاحصة في حديث سدّ الأبواب إلاّ باب الإمام عليّ عليه السلام توضِّحُ مدى طهارة أهل البيت عليهم السلام، فعن بريدة الأسلمي قال: أمرَ رسولُ الله بسدّ الأبواب، فشقّ ذلك على أصحابه، فلمّا بلغ ذلك رسول الله دعا الصلاة جامعة حتى إذا اجتمعوا صعد المنبر ولم تسمع لرسول الله تحميداً وتعظيماً في خطبة مثل يومئذٍ فقال:

« **أيّها الناس ما أنا سَدَدْتُها ولا أنا فَتَحْتُها بل الله فتحها وسدَّها، ثمّ قرأ:** ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ **فقال رجلٌ: دَعْ لي كوَّةً في المسجد، فأبى وترك باب عليٍّ مفتوحاً، فكان يدخل ويخرج منه وهو جنب** »[2].

ولولا طهارة جنابتهم عليهم السلام لَمَا جاز أنْ يكونوا داخل المسجد بل لا يجوز اجتيازه جُنُباً، لكنّ طهارتهم أقتضت الحكمة الإلهيّة أنْ يبيتوا في المسجد الحرام جُنُباً لشدّة طهارتهم، وأنّ جنابتهم لا تُحْدِثُ خبثاً معنوياً كما تحدث في غيرهم عليهم السلام، من هنا ورد بالمستفيض قوله صلى الله عليه وآله: « **ألاَ إنّ مسجدي حرامٌ على كلّ حائضٍ من النساء وكلِّ جنُبٍ من الرِّجال إلاّ على محمّد وأهل بيته عليّ وفاطمة والحسن والحسين** »[3].

إشكالٌ عويصٌ:

إلتبس على بعضٍ أنّ المراد من جنابة رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد يقتضي أنْ تكون نساؤه مستثنيات من خباثة الجنابة تماماً كأهل بيته، فأيّة ميزة له ولأهل بيته عليهم السلام؟!

وفيه: إنّه لا يُراد من جنابته صلى الله عليه وآله إفتعالها مع بعض نسائه داخل المسجد، بمعنى أنّه لا ملازمة بين جنابته وبين أنْ تكونَ مع إحدى نسائه في المسجد، خصوصاً وأنّ

(1) راجع (بهجة قلب المصطفى صلى الله عليه وآله) ج1 ص195؛ نقلاً عن (اللمعة البيضاء) ص24 – 32.

(2) أخرجه العلاّمة الأميني في (الغدير) ج3 ص208 عن كتاب (فضائل الصحابة) لأبي نعيم.

(3) راجع (سنن البيهقي) ج7 ص65، و(السيرة الحلبية) ج3 ص375.

حجرات نسائه كانت خارج المسجد، نعم كان للنبي حُجْرَة يتعبّد فيها ملاصقة لحجرة مولاتنا المطَهَّرة فاطمة (صلوات الله عليها) حيث كان بيتها في المسجد، وهذه الغرفة هي التي دُفِنَ فيها النبيُّ ثمّ ادَّعَتْ عائشة أنها لها فأجازت دفن أبيها وزميله عمر، ومَنَعَتْ من دَفْنِ مهجة قلب النبيّ عنيتُ به الإمام المظلوم الحسن المجتبى عليه السلام!!

قال العلاّمة الأميني رحمه الله: « **إنّ الأخذ بمجامع هذه الأحاديث يُعطي خُبْرَاً بأنّ سدَّ الأبواب الشارعة في المسجد كان لتطهيره عن الأدناس الظاهرية والمعنويَّة فلا يمرُّ به أحدٌ جنباً ولا يجنب فيه أحد، وأمّا ترك بابه صلى الله عليه وآله وباب أمير المؤمنين عليه السلام فلطهارتهما عن كلّ رجس ودنس بنصّ آية التطهير، حتى أنّ الجنابة لا تُحدث فيهما من الخبث المعنوي ما تُحدث في غيرهما...**

...فإنّ إبقاء ذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله لرسوله مما خصّ مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلَّ نوع من الرَّجاسة، ويشهد لذلك حديث مناشدة يوم الشورى وفيه قال أمير المؤمنين عليه السلام: « أفيكم أحدٌ يطهّره كتاب الله غيري حتى سدَّ النبيُّ أبوابَ المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه... » »[1].

وقال الشهيد الثاني رحمه الله: « **روى الصدوق في كتاب مَن لا يحضره الفقيه عن النبي مرسلاً أنه قال: « إنّ فاطمة صلوات الله عليها ليست كأحدٍ منكن، إنها لا ترى دماً في حيضٍ ولا نفاس كالحورية.. » ولا يخفى ما في هذه الروايات من المنافاة لما سبق في حديث قضاء الحائض للصوم دون الصّلاة من أنّ رسول الله كان يأمر فاطمة عليها السلام بذلك، ووجه الجمع حمل أمره صلى الله عليه وآله على إرادة تعليم المؤمنات، وهو نوع من التجوز في الخطاب سائغ، ولعلّ المقتضي له في هذا الموضع رعاية خفاء هذه الكرامة كغيرها مما ينافي ظهوره بلاء التكليف** »[2].

فذيل كلامه رحمه الله صريح بأنّ السيِّدة الشهيدة طاهرة من النجاستين الظاهرية والمعنوية بجميع درجاتهما ومصاديقهما.

(١) راجع (الغدير في الكتاب والسُّنة) ج٣ ص٢١٣.

(٢) راجع (منتقى الجُمان) ج١ ص٢٢٤.

ولا يجوزُ لأحدٍ من أهل العلم في الحوزات العلمية أنْ يشكّ بهذا لوضوحه في الأدلّة لا سيّما آية التطهير حيث نَفَتْ عنها إذهابَ الرِّجس وهو مطلَقٌ يفيدُ الرِّجس الماديَّ والمعنويَّ، فالتقييد بالمعنوي فصلٌ من دون برهانٍ ودليل، بل هو مجَرَّد استحسانٍ وميولٍ للشيطان الرّجيم.

مضافاً للأخبار الكاشفة عن طهارتها المطلَقة لا سيّما ما جاء في غسلها ووصيتها عليها السلام قبل شهادتها، وهو أصدق دليلٍ وأقوى حجّة على أنها كانت طاهرة ميمونة في حياتها وبعد مماتها، ولم يُحْدِث الموتُ فيها رجاسةً ولا دناسةً، مع أنّكَ تعلَم - أخي القارئ اللبيب إنْ كنتَ منصفاً - أنّه مما لا خلاف عند عامّة المسلمين أنّ الميت يتنجسُ بدنُهُ بعد خروجِ روحِهِ، ولأجل ذلك لا بدّ أنْ يُغَسَّلَ حتى يَطْهُرَ بدنُهُ وينظف جسده ويجب أنْ تنزعَ ثيابُهُ عن بدنه ليتسنى تطهير البدن، إلاّ أنّ سيّدة النساءعليها السلام أوصتْ أنْ لا يكشفها أحدٌ، وأنْ تُدْفَنَ بغسلها قبل الوفاة، ونظير ذلك ما فعله أمير المؤمنينعليه السلام برسول اللهصلى الله عليه وآله حينما غَسَّلَه، إغتسل الأميرعليه السلام لتجري السنّة[1]. ولم يكن إغتسال أمير المؤمنينعليه السلام لأجل أنّه غَسَّلَ رسولَ اللهصلى الله عليه وآله، كلا! بل لما ذكرنا، وكذلك فعل قبل موتهصلى الله عليه وآله حيث أوصى الإمامَ علياًعليه السلام أنْ لا يخلع عنه القميص، فغَسَّلَهُ الإمامُ عليه السلام في قميصه[2].

وروى أحمد في (مسنده) عن أمّ سلمى قالت: إشتَكَتْ فاطمة شكواها التي قبضت فيه، فكنتُ أمرِّضُها فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتُها في شكواها تلك، قالت: وخرج عليٌّ لبعض حاجته، فقالت: « **يا أمه إسكبِي لي غُسْلاً** »، فَسَكَبْتُ لها غُسْلاً، فأغتَسَلَتْ كأحسن ما رأيتُها [ن خ: كأحسن ما يكون من الغسل] تغتسل، ثم قالت: « **يا أمه أعطيني ثيابي الجُدُد** »، فأعطيتُها فلَبِسَتْها، ثمّ قالت: « **يا أمه قَدِّمِي لي فراشي وسط البيت** »، ففعلتُ، واضطَجَعَتْ واستَقْبَلَت القِبْلَةَ، وجَعَلَتْ يَدَهَا تحت خدِّها، ثم قالت: « **يا أمه إني مقبوضة**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٢ ص٥٤٠ ح٥٠.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٢ ص٥٢٦ ح٣١ نقلاً عن العياشي، وص٥٤٤ ح٥٩، وص٥٤٦ ح٦٤.

الآن وقد تطَهَّرْتُ، فلا يكشفني أحد »، فقُبِضَتْ مكانَها، قالت: فجاء عليٌّ فأخبرتُهُ[1].

وفي خبرٍ أنّه عليه السلام غَسَّلَها من وراء قميصها تماماً كما غَسَّلَ رسولَ الله في قميصه، ولا يخفى أنّ التغسيل بالقميص دليل الطّهارة، إذ لو كان جسدهما – أي جسد النبيّ وجسد بضعته الطّاهرة الزكيّة – نجساً لَمَا أمكن تطهيرهما بالماء والقميص عليهما لإنفعاله بالنجاسة، وبما أنّ الإمام عليه السلام لم يخلعهما القميص ولا غيره من الثياب، استلزم طهارتهما بلا فصل، كيف لا!! وجسدهما مخلوقٌ من النُّور الأقدس ويفوح منه المسك الأزفر، ويشهد لذلك ما روي عن مولاتنا أمّ سلمة قالت: وضعتُ يدي على صدر رسول الله يوم مات، فمرّ بي جُمَعٌ آكُلُ وأتوضّأ ما تذهب ريحُ المِسْكِ من يدي[2].

العذراء:

" العذراء " لغةً هي البكر العزباء، لأنّ عذرتها – وهي جلدة البكارة – باقية، وجمعها عذارى، وورد في الأمثال: هو أبو عذرتها أي هو مَن افتضّها، وفي الحديث: « **دُفِنَ في الحِجْر مما يلي الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل** عليه السلام ».

والعُذرة هي بكارة الفتاة، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ سُورَةُ الوَاقِعَةِ، والأبكار جمع بكر وهي العذراء من النساء التي لم تُمَس.

وفي قوله تعالى: ﴿ ..لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ ﴾ سُورَةُ الرَّحْمَن، في مدح الحور العِين أي لم يمسَّهُنَّ إنسٌ ولا جانٌّ، والطمث: المسّ.

وعليه؛ فإنْ كان المرادُ: أنّ سيّدة النساء فاطمة عليها السلام كانت بكراً في وقتٍ ما، فليس في ذلك فضيلة وصفة خاصة، فأغلب النساء على ذاك، بل المراد دوام البكارة مع

---

(١) راجع (مسند أحمد) ج٦ ص٤٦١، ورواه ثلة من علماء الخاصة والعامّة أمثال: ابن حجر في (الإصابة) في ترجمتها عليها السلام، و(حلية الأولياء) ج٢ ص٤٣، و(كشف الغمة) ج١ ص٥٠٢، و(المناقب) لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٦٤، و(المستدرك) للنوري ج٢ ص٢٠١ ح رقم١٧٩٨ في نوادر الغُسل.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٢ ص٥٢٨ ح٣٥.

الزوجية والإيلاد، فتكون كرامة لمولاتنا الزهراء وفضيلة خاصة من خصائصها، وهو من معاني البتول كما تقدَّم عن النبيﷺ قال: « **فاطمة بتول لأنّها ترجع بكراً كلّ ليلة، ومريم بتول لأنها ولدت عيسى بكراً** »[1]. لذا قال صاحب تفسير الصافي في ذيل قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾ يعني دائماً.

وفي (الإحتجاج) سُئِلَ الإمام الصّادقعليه السلام: كيف تكون الحوراء في كلّ ما آتاها زوجها عذراء؟ قال: « **إنها خُلِقَتْ من الطيب - وفي حديث من تربة الجنّة النورانية - لا تعتريها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة** »[2].

وعليه؛ فإنّ من صفات حوريات الجَنَّة كمال الأنوثة ودوام البكارة مع المباشرة، وكلّ ذلك ثابت بطريقٍ أولى لسيّدة نساء أهل الجَنَّة.

وبعبارةٍ أخرى: كانت صفات الحُور العِين من عدم الحيض ودوام البكارة ظاهرة في تلك المخَدَّرة العظمى.

التقية:

مؤنَّث تقيّ، وهو مشتَقٌّ من وقى يقي وتقوى وتقاةً وتقيّة ووقاية وهي الإمتناع، والإتقاء وهو الخوف والحذر، وقوله تعالى: ﴿ ..ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ.. ﴿١٠٢﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وقوله تعالى: ﴿ ..أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، أي إنْ كنتَ تخاف اللهَ على كلّ حال فاترُكْنِي.

والتقي هو مَن يخاف الله ويرى حضوره ويجتنب المعاصي والآثام؛ وذكر المفسِّرون وعلماء الأخلاق معانٍ ومراتبَ للتقوى لا تنتهي بمقام إلاّ بما قاله النبيﷺ: « **اللهم أجعَلْنا من أهل التقوى والمغفرة** »، وقد ذُكِرَتْ تمام مراتب التقوى في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

فمَن أتصف بهذه الصفات فهو تقيٌّ إنْ كان رجلاً، وتقيّة إنْ كانت امرأةً، والمعنى واحد فيهما.

---

(١) راجع (إحقاق الحقّ) ج١٠ ص٢٥ نقلاً عن العلاّمة الكشفي الحنفي في المناقب المرتضويّة ص١١٩.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٨ ص١٣٦.

ومولاتنا الزهراء عليها السلام سيّدة المتقين رجالاً ونساءً، فعندما لُقِّبَتْ بالتقيّة لم يكن لمجرَّد الإشتهار بهذا اللقب، خاصةً وأنّ ألقاب المعصومين هي من عند الله تعالى، لقد كانت السيِّدة المعَظَّمَة فاطمة عليها السلام كلمة التقوى التي مَن تمسَّكَ بها نجا ومَن تَخَلَّفَ عنها غرق وهوى، فليس في نساء العالمين امرأة تضاهيها أو تماثلها في الخوف والخشية والطّاعة والإمتثال لله تعالى.

ونحن نزورها بالزيارة المشهورة من طريق المعصوم عليه السلام بقوله عليه السلام: « **السَّلام عليكِ أيتها التقية النقية** »، فهي العروة الوثقى وحقيقة التقوى وجَنْبُ الله عزّ وجلّ، وبما أنها أتقى عبد لله تعالى لذا فهي أكرم مخلوقٍ لديه عزّ وجلّ لقوله: ﴿ ..إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ.. ﴿١٣﴾ ﴾ سُورَةُ الحُجُرَاتِ.

فالسيِّدة الزهراء عليها السلام أكرم مخلوقٍ لكونها أعظم تقيّة لله تعالى، وتكريمه لها لا حَدَّ له ولا وصف، فالمانع مفقود والمقتضي موجود، فتأمَّلْ.

الحرة:

الحُرَّة: لَقَبٌ مأثورٌ من ألقاب السيِّدة الكبرى مولاتنا فاطمة عليها السلام.

ويُقال للمرأة "حُرَّة" خلاف الأمَة، وللرجل "حُرٌّ" وخلافه العبد، قال في المجمع: الحُرَّة خلاف الأمَة. وقيل:

العبد يُقْرَعُ بالعصا   والحُرُّ تكفيه الإشارة

وقيل:

الحرّ حُرٌّ إنْ مَسَّهُ الضُّرُّ   والعبدُ عبدٌ وإنْ ألبستَه الدُرَّ

وجمع الحُرَّة: حرائر، وقوله تعالى: ﴿ ..فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ.. ﴿٩٢﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، ويُراد بتحريرها: عتقها من الأسْر.

والحر من الطين والرمل: ما خلص من الإختلاط بغيره، ولعلّه استُعِيرَ هذا المعنى في الآية الشريفة المتقدِّمة باعتبار أنّ العبدَ ﴿ رَقَبَةٍ ﴾ بدخوله الإيمان يكون قد خَلُصَ من الكفر والشرك فلا ينبغي حبسه وأسْره.

والحرير هو: الثياب الأبريسم المسَتخْرَج من دودة القز، سُمِّيَ حريراً لخلوصه من الأخلاط الأخرى الموجودة في غير الحرير.

وسُمِّيَ المحَرِّرُ مُحَرِّراً لتخليصه الصحاح من الأغلاط، يُقال: حَرَّرْتُ الكتاب تحريراً أي خلَّصْتُهُ من الغلط. وورد في التفسير عن أهل البيتعليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ ..إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا.. ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، أي: مُخْلِصاً لكَ ومفرداً لعبادتكَ، ومنه تحرير الولد وهو أنْ تُفْرِدَهُ لطاعة الله وخدمة المسجد.

والسيِّدة الزهراءعليها السلام سيّدة الحرائر وكريمة الأطياب والأنساب، ومعنى هذا الوصف أنها خَلُصَتْ في العبودية لله تعالى، فصارت خالصةً للحقِّ تعالى، وبه سادت نساء العالمين وتشرَّفَتْ عليهنَّ.

ورد في (بحار الأنوار) في حديث عبادة سيِّدة نساء أهل الجنَّة فاطمةعليها السلام أنّ الحقَّ تعالى قال عنها: «**فاطمة سيِّدَةُ إمائي**» أي أنّ كلَّ النساء إماءٌ، وهذه سيِّدَتُهنَّ، فهي الحرّة من بينهنّ.

وإنما حصلَتْ مولاتُنا الصدّيقة الكبرى فاطمةعليها السلام على هذا المقام بعبوديتها لله وكمال فخرها في كونها أَمَةً لله، فلها الشرف في هذه النسبة التي هي من مفاخر أبيها وبعلها وبنيها، من هنا قال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: «**أنا عبدُ الله وأخو رسوله وأنا الصدِّيق الأكبر والفاروق الأعظم لا يقوله غيري إلاّ كذّاب**»[1]، وقال أيضاًعليه السلام: «**وكفى لي فَخْرَاً أنْ أكون لكَ عبداً**»[2].

وروى سليم بن قيس في كتابه المعروف في ص١٣٤ أنّ أبا بكرٍ وعمر أرادا نفاقاً وخِداعاً أنْ يعتذرا إلى مولاتنا السيِّدة الزهراءعليها السلام، وطَلَبَا من أمير المؤمنينعليه السلام أنْ يستأذنَ لهما منهاعليها السلام، فقالعليه السلام لها: «**أيتها الحرَّةُ فلان وفلان بالباب يريدان أنْ يسلِّمَا عليكِ فما تَرَين؟ قالتعليها السلام: البيت بيتكَ والحُرَّة زوجَتُكَ، فأفْعَلْ ما تشاء، فقالعليه السلام: شُدِّي قِنَاعَكِ، فَشَدَّتْ قِنَاعَهَا وَحَوَّلَتْ وَجْهَهَا إلى الحائط**».

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٣٨ ص٣٤٠ ح١٤.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٣٨ ص٣٤٠.

فَدَخَلاَ وسَلَّمَا وقالا: إرْضِيْ عَنَّا رضي اللهُ عنكِ.

فقالتْ عليها السلام: « **ما دعاكما إلى هذا؟** » فقالا: إعْتَرَفْنَا بالإساءة ورَجَوْنَا أنْ تعفي عنّا وتُخْرِجي سخيمتكِ.

فقالت عليها السلام: « **فإنْ كنتما صادقَيْن فأخبراني عمّا أسألكما عنه، فإنّي لا أسألكما عن أمرٍ إلاّ وأنا عارِفة بأنّكما تعلمانه، فإنْ صَدَقْتُمَا عَلِمْتُ أنّكما صادقان في مجيئكما** ». قالا: سَلِيْ عمّا بدا لكِ.

قالت عليها السلام: « **نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مِنّي، فمَن آذاها فقد آذاني؟** ». قالا: نعم.

فَرَفَعَتْ يدها إلى السّماء فقالت عليها السلام: « **اللهم إنهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليكَ وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأُخْبِرَهُ بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما** ». قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجَزِعَ جَزَعاً شديداً. فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟

والشّاهد والغَرَض من ذِكْرِ هذا الخبر خطاب أمير المؤمنين عليه السلام لمولاتنا فاطمة بلقب الحرَّة، ويرجع السَّبَب في ذلك - والله العالِم - إلى أمور:

الأوّل: إنّ مَن آذياكِ يا بنتَ رسولِ الله أرادا خِداعَ المسلمين بأنهما تابا ويريدان الصفح، لذا فأنتِ بالخيار بالسّماح لهما بالدخول أوّلاً؟ فأنتِ حُرَّة تملكين الخيار بخلاف الأمّة إذ لا خيار أمام أمر سيّدها.

الثاني: كأنّه عليه السلام يريد أنْ يخيِّرَها ولا يُلزِمَهَا بالإذن لهما، فالأمر موكولٌ إليكِ يا بنت رسول الله، فإنْ شِئْتِ وإلاّ فلا، فأجابَتْهُ عليها السلام بكمال الأدب: إني وإنْ كنتُ "حُرَّةً" إلاّ أني مطيعة لكَ لا أتخلّف عن أمرِكَ.

الثالث: مبنيٌّ على أنّ معنى الحرّة هي الكريمة، وعادة الكرام أنْ يُقَدَّمَ مَدْحُهُم وذِكْرُ كَرَمِهِم وجُوْدِهِم قبل الحاجة ليكون سبباً في استدرار عطفهم واستدراج كَرَمِهِم لإنجاح الطلب والوصول إلى المسؤول، فكأنّه عليه السلام قال: يا فاطمة هذان

استأذناني في الدّخول، فلو أذِنْتِ لهما بكَرَمِكِ وعَطْفِكِ، فأجابت بأدَبٍ: أنا لستُ الحاكمة في هذا البيت، وليس لي فيه شيءٌ معكَ، فأنتَ الآمِرُ الناهي.

وإنْ كان معنى " الحرّة ": الخالصة، فكأنّه‌عليه السلام قال: عملك خالص ليس فيه شيءٌ من التعلُّقات الدنيوية والميولات النفسانية، وليس في طينتكِ وسجيتكِ غلظة ولا فظاظة.

الرّابع: ليس للمرأة رأيٌ في دار زوجها، لا سيّما محادثة ضيوفه إلاّ بإذنٍ منه، وحيث إنّ سيّدة النّساء الطّاهرة الزكيّة الشّهيدة أمرها أمر الله تعالى، ونهيها نهيه تعالى، لذا فإنّ الإمام عليّاً‌عليه السلام خيَّرها في محادثتهما؛ لأنّ عدم التخيير يقتضي إلزامها بما لا ترضى وتحب، وهو خلاف كون رضاها رضا الله وسخطها سخطه تعالى.

الحصان:

" الحَصان " بفتح الحاء من ألقابها الشريفة، وللحصان والحصناء عدّة معانٍ منها: المتعفِّفة الظاهرة بالتقوى، الكريمة الحرّة؛ والحِصان - بالكسر - النجيب من الخيل؛ لأنّ ظَهْرَه كالحصن لراكبه، أو لأنه حصين بمائه فلم يُنْزَ إلاّ على كريمته؛ والمُحْصِنَة: المرأة المتزوِّجة، وكأنّها بزواجها تمتنع عن الرِّيبة والفجور، وحَصُنَتْ تَحْصُنُ حِصْناً وحُصْناً وحَصْناً: إذا عَفَّتْ عن الرِّيبة فهي حَصانٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٩١ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ، أي: عَفّتْهُ عن الرِّيبة والحرام، قال الشاعر:

وحاصِنٌ[1] من حاصناتٍ مُلْسِ ... من الأذى ومِن قِرافِ الوَقْسِ

والمحصنات من النساء أي العفائف منهنّ.

وأصل الحَصانة: المنعُ ولذلك قيل: مدينةٌ حصينةٌ ودِرْعٌ حصينٌ، وإحصانُ الفَرْج: إعفافه، وإحصان الأمَة: إسلامها، والحِصن: الهلال، والحَصينة من الدروع: الأمينة المُتدانية الحِلَق التي لا يحيك فيها السّلاح.

---

(١) حاصِنٌ: أي عفيفة.

وعليه؛ فإذا أحصَنَتْ مريمُ فجعلها اللهُ تعالى وابنها آيةً للعالمين، فإنّ لمولاتنا فاطمة هذه الخصيصة بطريقٍ أولَى، حيث إنّ الله تعالى حَرَّمَ ذريَّتَها على النّار؛ قال الإمام الصادقعليه السلام: « **المُعْتَقُون من النّار هم ولد بطنها: الحسن والحسين وزينب وأمّ كلثوم** »[1].

وَهْمٌ ودَفْع:

أشار الحديث المتقدِّم إلى أربعة أولاد للصدِّيقة الشّهيدة الزّهراءعليها السلام، في حين أنّ لها خمسة أولاد على المشهور، بل هو المجمع عليه بين أصحابنا الإمامية وهم: الإمامان الحسنانعليهما السلام والصديّقتان زينب وأم كلثوم ومحسنعليهم السلام، ومحسنعليه السلام هو السّقط الذي أجهضته وهو ابن ستّة أشهر خلف الباب بفعل عصرة عمر بن الخطّاب لها ورفسه لها على بطنها، فسيدنا محسنعليه السلام لم يشر إليه سيدنا المعظَّم الإمام الصادقعليه السلام، فكيف توفِّقون بين هذا وبين الحديث المتقدِّم؟

والجواب:

ذكر الحديث للأربعة لا ينافي وجود محسنعليه السلام الثابت بروايات أخرى، وكل ما في الأمر أنّ هؤلاء الأربعة الكرام كانوا مكلَّفين، بخلاف سيدنا محسنعليه السلام الكريم عند الله تعالى حيث استشهد طفلاً؛ فلا داعي لذكره ما دام الإعتاق فرع التكليف، وحيث لا تكليف على محسنعليه السلام فلا إعتاق من النار، فإعتاق الصّغير كالسّالبة بانتفاء الموضوع، ولأنّ الإعتاق له حاصل قطعاً للآيات والأخبار الدالة على أنّ أطفال المؤمنين ملحقين بآبائهم المؤمنين، فذكره في الخبر يعتبر حينئذٍ تحصيلاً للحاصل، ولا يبعد وجود اسمه في الخبر لكنّه أسقط منه تحريفاً وتبرئةً لساحة عمر بن الخطاب..

روى المجلسيرحمه الله عن حسّان بن ثابت في مَدْحِ الصدِّيقة الكبرى – وقد اقتبسها من كلام الملك العلاّم –:

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٢٣٢ ح٤ باب٩.

وإن مـــريم أحصـــنَتْ فَرْجَهـــا فجاءت بعيسى كبدر الدّجى
فقــد أحصــنت فــاطمُ بعــدها فجاءت بسبطَي نبيّ الهـدى

وقد تمخض عن تحصين سيّدة نساء العالمين ثلاثة أمور:

١- عصمتها وأولادها.

٢- قد وهبها اللهعَزَّوَجَلَّ الإمامَين الهمّامَين الحسن والحسينعليهما السلام، وجعل لكلّ واحدٍ منهما نسلاً كثيراً وذريّةً مباركة، بحيث يكون عيسى بن مريم تابعاً ولازماً لأحد أولادها في آخر الزّمان، وكفى بذلك شرفاً وفخراً.

٣- إنّ النّار حُرِّمَتْ على ذريتها الطّاهرة أي أولادها الخمسة الذين استقروا في رحمها المطَهَّرَة صلوات الله عليهم أجمعين.

والإحصان في القرآن على ثلاثة معان:

الأوّل: العصمة كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا.. ﴿٩١﴾ ﴾.

الثاني: الأزواج كقوله تعالى: ﴿ ۞وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ.. ﴿٢٤﴾ ﴾.

الثالث: الحرية كقوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ.. ﴿٢٥﴾ ﴾.

وهذه المراتب كلّها موجودة بمستوى الكمال في مولاتنا فاطمةعليها السلام حيث إنّ نفسها القدسيّة اتصفتْ من بين نساء العالمين جميعاً بالمَلَكَات، وأختصّت بأعلى درجات الفضائل والكمالات، وكذلك أتصف بنوها المطَهَّرون وبناتها الطاهرات بتمام الكمال.

الحانية:

وهو لقبٌ مبارَك من ألقاب الشمس الساطعة الصدِّيقة الطاهرة؛ و" الحانية " من حنا يحنو بمعنى العطف والشفقة، يُقال: حَنَّتِ المرأةُ على ولدها أي عَطَفَتْ وأشفَقَتْ فلم تتزوّج بعد موت أبيهم.

وقد جاء عن أبي بصير عن أحدهماعليهما السلام قال: « **خَطَبَ النبيّ أمَّ هاني بنت أبي طالب، فقالت: يا رسول الله إني مصابة في حجري أيتام ولا يصلح لك إلاّ**

امراة فارغة، فقال رسول الله: ما ركب الإبل مثل نساء قريش أحناه على ولد، ولا أرعى على زوج في ذات يديه »[1].

وفي حديثٍ آخر: « **خير نساء ركِبْنَ الرّجال** - أي الإبل - **نساء قريش أحناه** - أحناهنّ - **على ولد وخيرهنّ لزوج** »[2].

وعلى أيّ حالٍ: فإنّ تعطُّف النساء وتحنُّنِهِنَّ على أزواجهنَّ وأولادهنّ باعتزال الرّجال بعد موت الزوج ترحُّماً عليه وأحتراماً له وصوناً لولده ممدوحٌ ومستَحْسَن.

وسيدتنا ومولاتنا الزهراءعليها السلام أعطف وأرأف الناس على زوجها وأولادها، ويشهد لها بهذه الرّأفة ما فَعَلَتْهُ لمّا هجموا على دارها ليأخذوا أميرَ المؤمنينعليه السلام فوقَفَتْ بوجه أولئك الطُّغاة اللِّئام، مُفَدِّيَةً بنفسها لأجل بعلها وأولادها، وبديهيٌّ أنّ الرّأفة والعطف متفرِّعان من المحبّة والمودّة، وهي متفرِّعة عن معرفة المحبوب والمَتَحَنَّن عليه، فكلما كان المحبوب عظيماً كان الحبُّ عظيماً، وكان التحنُّن والعطف كذلك.

وبناءً على ذلك فإنّ أعرف الخلق بحقّ سلطان الولاية وعَظَمَة قدْره وجلالة شأنه إنما هو سيّدة نساء العالمين وليّة ربِّ العالمين، ولهذا تجلَّت آثار المحبّة بأجلى صورها وأعلى درجاتها وغاية كمالها فيهما، وكأنّ طينتهما وفطرتهما عُجِنَتْ من طين المحبّة بماء الرّأفة، وكيف يمكن أنْ يُتَصوّرَ وجود زوجَيْن متحابَّيْن أكثر منهما مع إتحاد معنوياتهما وروحانيتهما ونورانيتهما؟! ومن محامد النساء ومحاسنهنّ مودّتهنّ للزوج ومحبّتهنّ للبعل، وتلك المخدَّرة الحرّة والحَصان البتول والولود الودود كانت مَنَزَّهَةً من جميع النقائص النسائيّة، ومتّصفة بكمال الخصائص الممدوحة والصفات المرموقة، ومن مكارم أخلاقها أنّهاعليها السلام قالت للإمام عليّعليه السلام: « **لو كنت وأولادي جياعاً وحصلت على كفاف، لقدمتك على نفسي وأولادي وآثرتُكَ على مَن**

(١) راجع (فروع الكافي) ج٥ ص٣٢٧ ح٣، ويظهر أنّ سبب رفضها أيضاً خوفها من عداوة حفصة وعائشة لآل أبي طالب؛ ولعلّه عقد عليها بالمنقطع لما روي من أنّهصلى الله عليه وآله كان دائماً مايرقد في دارها، وحاشاه أن يفعل ذلك من دون عقدٍ، دفعاً للمفاسد المترشحة عن عدم العقد ولو من الناحية العرفية.

(٢) راجع (فروع الكافي) ج٥ ص٣٢٦ ح١.

سواك »[1].

الزهراء:

هذا اللقب الشريف من الألقاب المشهورة لمولاتنا فاطمةعليها السلام، حتى عُدَّ من أسمائهاعليها السلام، وقد ذاع وشاع على ألسنة الشيعة الإمامية، وثمّة تبادر بينه وبين شخصها الكريم عند إطلاقه، والتبادر علامة الحقيقة.

وأصله من الزَّهْر والزّهور وهما بمعنى النُّور السّاطع وصفاء اللون والتلألؤ؛ والزَّهْرة: نور كلّ نبات، وزهرُ البيت: نوره، والأزهر من الرِّجال: الأبيض المشرق، وزهر الرجل: أي أبيضَّ وجهُهُ، وأزهر النبتُ أي: نَوَّرَ وظَهَرَ زَهْرُهُ، والأزهر: المشرق من الألوان، واللبنُ ساعة يُحْلَب يُسَمَّى أزهَراً؛ وزهرة الدنيا: حُسنها وبهجتها وغضارتها، وتصغير الزهر: زُهير، وروى العامّة عن النبيصلى الله عليه وآله أنّه قال: « **أَكْثِرُوا الصّلاة عَلَيَّ في الليلة الغرّاء واليوم الأزهر** »: أي ليلة الجمعة ويومها؛ والزّهراء: كلّ لونٍ أبيض كالدُّرَّة؛ والزُّهور: تلألؤ السراج الزاهر، وزهر السراج: تلألأ نورُه، والأزهران: الشمس والقمر، وزَهَرَتِ النّارُ: أضاءتْ، والزُّهرة بضمّ الزّين: كوكبٌ أبيضُ. ودُرَّة زهراء: بيضاء صافية[2].

وبالجملة: فهذا اللقب النبيل والوصف الجميل غالباً ما يلازم اسم العصمة الكبرى صلوات الله عليها حتى في الدّعوات والزيارات، وهذا يعني أنّ أئمتناعليهم السلام كانوا يحبّون أنْ تُدْعَى أمُّهُم المخَدَّرَة باسم فاطمة الزّهراء من بين كلّ ألقابها وأوصافها الكثيرة الأخرى، وذلك لأنّ هذا الاسم الشريف قارن الكثير من الوقائع والأحداث، وله علل وأسباب كثيرة نذكر ومضةً منها:

العلّة الأولى:

ما رواه في (علل الشرائع) عن جابر عن المولى الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: قلتُ له: لِمَ سُمِّيَت فاطمةُ الزهراءُ زهراءً؟ فقال: « **لأنّ اللهعزّ وجلّ خلقها من نور**

(١) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص٢٠٠.

(٢) راجع (لسان العرب) ج٤ ص٣٣١.

عَظَمَتِه، فلمّا أشرَقَتْ أضاءَتْ السّماوات والأرض بنورها وغشيَتْ أبصار الملائكة، وخَرَّت الملائكة لله ساجدِين وقالوا: إلهنا وسيّدنا ما لهذا النُّور؟! فأوحى الله إليهم: هذا نُورٌ من نُوري، أسكَنْتُهُ في سمائي، خلقتُهُ من عَظَمَتي، أُخْرِجُهُ من صلب نبيٍّ من أنبيائي، أفضِّلُهُ على جميع الأنبياء، وأُخْرِجُ من ذلك النُّور أئمّةً يقومون بأمري، يهدُون إلى حقّي، وأجعلُهُم خلفائي في أرضي بعد إنقضاء وحيي »[1].

إشارة هامّة:

الضمير في قوله عزّ وجلّ: « **أفضِّلُهُ على جميع الأنبياء** » راجعٌ إلى نور سيِّدة نساء أهل الجنَّة الزّهراء عليها السلام وليس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وذلك بقرينة الضمير قوله: « **أُخْرِجُهُ** » و« **أُخرِجُ من ذلك النُّور** » العائد لغةً إلى الأقرب بمعنى أنّ النُّورَ الفاطميَّ خرج من صلب رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله، ونفس هذا النور - الذي هو مولاتنا الصدّيقة الكبرى الزهراء فاطمة عليها السلام - سيخرج منه أئمّةٌ هداةٌ مهديُّون.

وعود الضمير عليها فيه فائدة عظيمة نستنبطها من النص على أفضليّة النور الفاطمي على الأنبياء جميعاً، كيف لا!!.. وهي نفس رسول الله وروحه التي بين جنْبيه؟!

العلّة الثانية:

عن جعفر بن محمّد بن عمارة عن أبيه قال: سألتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام عن فاطمة لِمَ سُمِّيَت فاطمة عليها السلام؟ فقال: « **لأنّها كانت إذا قامَتْ في محرابها زَهَرَ نورُها لأهل السّماء كما تزهر نور الكواكب لأهل الأرض** »[2].

❖ **ملاحظة**: فكما أنَّ نور الكواكب سبب لإنارة أهل الأرض، كذلك نور مولاتنا الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام سبب لتنوير أهل السّماء أي للكواكب وللملائكة وللأنبياء والمرسَلين والأولياء؛ لكونهم متواجدين في السّماء.

(١) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٣١٣ ح١.

(٢) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٢١٥ ح٣ باب١٤٣.

فالسيِّدة المطَهَّرَة فاطمةعليها السلام العلّة التامّة لإفاضة الخيرات والأنوار على الأنبياء، وهذا معنى ما جاء في الأخبار الكثيرة من أنّ ولايتها عُرِضَتْ على عامّة خَلْقِ الله تعالى فقبِلَها الأنبياء والملائكة والأخيار من الجنّ والإنس.

العلّة الثالثة:

عن أبي هاشم العسكري قال: سألتُ صاحب العسكرعليه السلام: لِمَ سُمِّيَتْ فاطمة بـ"الزّهراء"؟ فقالعليه السلام: « **كان وجهها يزهر لأمير المؤمنينعليه السلام من أوّل النّهار كالشمس الضاحية**[1]**، وعند الزّوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدُّرِّي** »[2].

العلَّة الرّابعة:

عن الحسن بن يزيد قال: قلتُ للإمام أبي عبد اللهعليه السلام: لِمَ سُمِّيَتْ فاطمة بالزّهراء؟ قال: « **لأنّ لها في الجَنَّة قُبَّة من ياقوتٍ حمراء، إرتفاعها في الهواء مسيرة سنة، معَلَّقة بقدرة الجبّار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مئة ألف باب، على كلّ باب ألفٌ من الملائكة، يراها أهل الجَنَّة كما يرى أحدُكُم الكوكبَ الدريَّ الزّاهرَ في أفق السّماء، فيقولون: هذه الزّهراء لفاطمةعليها السلام** »[3].

❖ **ملاحظة هامة**: أشار الخبر الشريف إلى خيمة لسيّدة النساءعليها السلام في الجَنَّة ولقد تميَّزَتْ عن خيم الحور العين بالأمور التالية:

الأمر الأول: إنّ خِيَم أو خيام الحور العِيْن مبسوطة على أرض الجَنَّة، بمعنى أنّ لها دعامة من تحتها، وهذه الدّعامة (وهي أرض الجَنَّة) سبب ماديّ لاستقرار خيامهنّ في الجَنَّة، بخلاف خيمة مولاتنا السيِّدة الزهراءعليها السلام فإنّ دعامتها بقدرة الجبّار؛ أي أنّ سبب استقرارها ليس مادياً، بل هو قدرة الجبّار، ولا يخفى ما في كلمة

---

(١) الضاحية: الناحية البارزة من كلّ شيء.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٦ باب٢، توابع الحديث الرّابع عشر.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٦، توابع الحديث الرّابع عشر.

"الجبّار" من مغزى دقيقٍ وهامٍّ.

الأمر الثاني: شدّة أرتفاعها في سماء الجَنَّة مسيرة سنة، وكلّ يوم يساوي خمسين ألف سنة، قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾ سُورَةُ المَعَارِجِ. فشدّة أرتفاع خيمتها عليها السلام تمييزاً لها عن خيام الحور العين يقتضي الإعتقاد بعلوّ مقامها وسيادتها على عامّة المخلوقات، ودليل أيضاً على شدّة طهارتها وعفّتِها وحبِّها لله تعالى الذي مَيَّزَها عن بقيّة الخَلْق بكينونتها في قُبَّة معَلَّقَة بقدرة الجبّار.

الأمر الثالث: إنّ خيمتها مُمَيَّزَة بكثرة أبوابها وسعتها بخلاف خيام الحور العين، فليست بهذه السِّعَة وبهذه الكثرة للأبواب.

الأمر الرابع: إنّ خيمتها تدهشُ أهلَ الجَنَّة، فيتطلَّعُون إليها، وتزهر وتضيء عليهم كما يضيءُ الكوكبُ الدُّريُّ الزّاهرُ في أفُقِ السَّماء؛ وزَهْرُ خيمتها بسبب زَهْرِ رُوْحِها، كما أنّ علوّ خيمتها بسبب علوّ رُوْحِها عن الدُّنيا وزخارفها.

العلّة الخامسة:

(إرشاد القلوب) مرفوعاً إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند النبيّ صلى الله عليه وآله في المسجد إذ دخل العباس بن عبد المطلب فسلَّم فردَّ النبيّ صلى الله عليه وآله ورحب به فقال يا رسول الله بما فَضَّل الله علّينا أهل البيت عليّ بن أبي طالب والمعادن واحدة فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: « **إذن أخبرك يا عمّ إنّ الله خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جَنّة ولا نار ولا لوح ولا قلم.**

فلمّا أراد الله عزّ وجلّ بدو خلقنا تكلَّمَ بكلمةٍ فكانت نوراً، ثم تكلَّمَ كلمةً ثانيةً فكانت روحاً، فمزج فيما بينهما، وأعتدلا، فخلقني وعلياً منهما، ثم فَتَقَ من نوري نورَ العرش، فأنا أجلّ من العرش، ثم فَتَقَ من نور عليّ نور السماوات، فعليٌّ أجلّ من السماوات، ثم فَتَقَ من نور الحسن نور الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فهما أجلُّ من الشمس والقمر، وكانت الملائكة تسبِّحُ اللهَ تعالى وتقول في تسبيحها: سبّوحٌ قدُّوس من أنوارٍ ما أكرمَهَا على الله تعالى،

فلما أراد الله تعالى أنْ يبلو الملائكةَ أرسل عليهم سحاباً من ظُلْمَةٍ، وكانت الملائكةُ لا تنظر أوّلها من آخرها، ولا آخرها من أوّلها، فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقتَنَا ما رأينا مثل ما نحن فيه، فنسألُكَ بحقّ هذه الأنوار إلاّ ما كَشَفْتَ عنّا، فقال الله‌ﷻ: وعزّتي وجلالي لأفعلنّ، فَخَلَقَ نورَ فاطمة الزّهراء‌عليها السلام يومئذٍ كالقنديل، وَعَلَّقَهُ في قرط العرش، فَزَهَرَتِ السماواتُ السَّبْعُ والأرضون السَّبْعُ، من أجْلِ ذلك سُمِّيَتْ فاطمةُ الزهراءَ، وكانت الملائكةُ تسبِّحُ اللهَ وتقدِّسُهُ، فقال الله: وعزّتي وجلالي لأجعلنَّ ثوابَ تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبِّي هذه المرأة وأبيها وبَعْلِهَا وبَنِيْهَا »، قال سلمان: فخرج العباسُ، فَلَقِيَهُ عليٌّ بن أبي طالب‌عليه السلام، فَضَمَّهُ إلى صَدْرِهِ وقَبَّلَ ما بين عينيه، وقال: بأبي عترةُ المصطفى من أهل بيتٍ ما أكرمَكُم على الله تعالى[1].

العلّة السّادسة:

الصدوق في (علل الشرائع) عن أبيه، عن سعد، عن جعفر بن سهل الصيقل، عن محمّد بن إسماعيل الدارمي، عمَّن حَدَّثَه، عن محمّد بن جعفر الهرمزاني، عن أبان بن تغلب قال: قلتُ للإمام أبي عبد الله‌عليه السلام: يا ابن رسول الله لِمَ سُمِّيَتِ الزَّهراءُ زهراءً؟ فقال: « **لأنها تزهر لأمير المؤمنين‌عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فراشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيضّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك، فيأتون النبيّ‌صلى الله عليه وآله، فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة‌عليها السلام، فيأتون منْزِلها، فيرَوْنَهَا قاعدةً في محرابها تصلِّي، والنورُ يسطع من محرابها من وجهها، فيعلمون أنّ الذي رأَوْهُ كان من نورِ فاطمة، فإذا انتصف النهارُ وَتَرَتَّبَتْ للصّلاة زَهَرَ نورُ وجهها‌عليها السلام بالصُّفرة، فتدخل الصُّفرة في حجرات الناس، فتصفرّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبيّ‌صلى الله عليه وآله، فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٧ ح١٦.

منْزِل فاطمة عليها السلام، فيرونها قائمةً في محرابها، وقد زَهَرَ نورُ وجهها صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبَنِيْهَا بالصُّفرة، فيعلمون أنّ الذي رأَوا كان من نورِ وَجْهِهَا، فإذا كان آخر النهار وَغَرَبَتِ الشمسُ، إحْمَرَّ وجهُ فاطمة، فأشرقَ وَجْهُهَا بالحُمْرَةِ فَرَحاً وشكراً لله عزّ وجلّ، فكان تدخل حُمْرَةُ وجهها حجراتِ القوم، وتَحْمَرُّ حيطانُهم، فيعجبون من ذلك، ويأتون النبيّ صلى الله عليه وآله، ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منْزِلِ فاطمة، فيَرَوْنَهَا جالسةً تُسَبِّحُ اللهَ وتُمَجِّدُهُ، ونورُ وجهها يزهرُ بالحُمْرَةِ فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور وجه فاطمة عليها السلام، فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى وُلِدَ الحسين عليه السلام، فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منّا أهل البيت إمامٌ بعد إمام »[1].

❖ **ملاحظة هامة**: لماذا ظهرَتْ هذه الأنوار من الطاهرة الزكية؟

وبعبارة أخرى: ما هو سبب أختلاف الألوان الباهرة السّاطعة من مولاتنا فاطمة الصدِّيقة الطاهرة، فمرّةً البياض، ومرّةً الصُّفرة، وثالثةً الحُمْرَة وألوان أخرى؟

نقول: لا شكّ أنّ الإختلاف بالألوان سببه الإختلاف في التجليات والظهورات، ولكلِّ تَجَلٍّ وظهورٍ أسرارٌ وحِكَمٌ مكنونة في أخبار أهل البيت عليهم السلام والأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ وسبب هذا التجلي أمران:

الأمر الأول: إنّ التنوُّر بالألوان الثلاثة في الأوقات الثلاثة إشارة إلى إختلاف حالات تلك المطَهَّرَة الطّاهرة حين العبادة وبعد الفراغ من أداء الفريضة في محرابها:

أمّا الصبح فكان يشرق وجهها بالنور الأبيض لأنّ البياض وصفٌ للفجر وهو – أي الصبح – أبتداء إشراق الشمس من الأفق، فبياض محيّا السيِّدة الطاهرة الزكية صلوات الله عليها يحكي الرحمات الإلهيّة الخاصّة التي أُفيضت عليها طيلة الليل من مصدر الرّحمة الحقّة، والبياض علامة الرّحمة، وهذه الصفة تشير إلى رجائها وأملها بقبول العبادات والطّاعات السابقة واللاحقة.

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١١ ح٢.

وأمّا وقت الظهر فكان يزهر وجهها بالصُّفْرة لأنّ الظهر هو زمانُ نزول البركات العامّة وهبوط ملائكة الرّحمة، والحدّ الوسط بين الصّباح والمساء وفيه الصلاة الوسطى، فكانت آثار الخشية تسطع في جبين سيّدة نساء العالمين وتظهر لعيون المشاهدين، والأثر الطبيعي للخشية هو الإضطراب واصفرار الوجه، خصوصاً في محضر الربّ القاهر القادر الحاضر الناظر...

وأمّا وقت الغروب فكان يزهر وجهها بالحُمْرَة؛ لأنّ وقت الغروب هو آخر زمان أداء التكليف والوظائف اليوميّة، ووقت إقبال الليل والمناجاة مع قاضي الحاجات، للنشاط والإنبساط والسُّرور الذي يعتريها من قبول الطاعات والتوفيق للعبادات يعني أنهاعليها السلام كانت ترى وتلمس بالحسّ والعيان محبّة الله تبارك وتعالى لها، فكانت تتوهّج في أعماقها المحبّة الباطنة فتتحرّك إلى الله، وآية المحبّة والشّوق إحمرار الوجه وإشراق المحيّا، فشرط المحبّة الحرارة والإشتعال والتوهُّج.

وهذه الحالات الثلاث جميعها من لوازم العبوديّة وآثارها، ولهذا كانتعليها السلام تتجلّى في محرابها بهذه الأنوار وتسطعُ بهذه الأنوار المختلفة.

الأمر الثاني: ورد في الحديث أنّ العقيق الأحمر خاصّ برسول الله، والأبيض خاص بأمير المؤمنين، والأصفر خاصّ بسيّدة النساء فاطمة، فقد جاء عن بشير الدهّان قال: قلت للإمام أبي جعفرعليه السلام: جُعِلْتُ فداكَ أيّ الفصوص أركبه على خاتمي؟ قال: « **يا بشير أين أنت عن العقيق الأحمر والعقيق الأصفر والعقيق الأبيض، فإنها ثلاثة جبالٍ في الجَنَّة، فأمّا الأحمر فمُطِلٌّ على دار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الأصفر فمُطِلٌّ على دار فاطمة صلوات الله عليها، وأمّا الأبيض فمُطِلٌّ على دار أمير المؤمنينعليه السلام، والدُّور كلُّها واحدة يخرج منها ثلاثة أنهار من تحت كلّ جبلٍ نهرٌ أشدُّ برداً من الثلج وأحلى من العسل وأشدّ بياضاً من الدُّرِّ، لا يشرب منها إلاّ محمّد وآله وشيعتهم، ومصبُّها كلُّها واحدٌ، ومجراها من الكوثر، وإنّ هذه الثلاثة جبال تسبِّحُ اللهَ وتقدِّسُه وتمجِّده وتستغفر**

لمحبِّي آلِ محمَّدعليهم السلام »[1]، الخبر.

بناءً على ذلك، فهذه الأنوار الثلاثة بالألوان الثلاثة تحكي أنوار النبوّة والولاية والعصمة.

أمّا نور النبيّ صلى الله عليه وآله فهو عين الرّحمة، وعلامته الحمرة؛ لأنها تعكس عن المحبّة، من هنا تبدو على الحبيب حمرةُ الخَدَّين إذا لتقى بمَن أحَبَّ، أو لعلّ الحمرة تشير إلى مظهر الغضب.

وأمّا النور الأبيض فأثر نور الولاية؛ وأمّا النور الأصفر فحقيقة العصمة، وهي الواسطة بين الرّحمة والغضب أو برزخ بين النبوّة والولاية.

وتلك المخدَّرة هي الصّلاة الوسطى الواقفة بين مبادئ مَشْرِق النبوّة ومنتهى مغرب الولاية، وهي الشمس المضيئة من جهة النبوّة والأبوّة والقمر المنير من جهة الولاية والإمامة، والكوكب الدري الذي يوقد من شجرة مباركة زيتونة يكاد زيتُ عِلْمِها يضيء الأملاك والأفلاك من الثريا إلى الثرى ﴿ ..وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ.. ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ.

وهذه الجلوة الرفيعة والرتبة المنيعة تدلّ على أنّ سيّدة العالَم فاطمة الزّهراء عليها السلام مرآة مجلوّة في عالم الإمكان لخاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله وجناب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فكانت المدد الغيبي من مفيض الخير والبر ومَنْزل البركات والرّحمات يمدّها من يمين الرِّسالة ويسار الولاية بإفاضات غير متناهية في كلّ صباحٍ ومساء، فتنْزِل على الذات الأقدس والجسد المجَرَّد للعصمة الكبرى، ومنها تترشّح على الآخرين؛ ليظهر للعالمين علوُّ قدرها وسموّ مقامها ورفعةُ شأنها وفخامة مكانتها ومكانها؛ فالسيِّدة المعظمة الزهراء البتول روحي فداها واسطة الفيوضات والهدايات والرحمات على مرتَبَتَيْ النبوّة والإمامة، من هنا قال مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام: « **نحن حجج الله على الخلق وجَدَّتُنا فاطمة حجّة علينا** ».

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٨ ص١٨٧ ح١٥٦.

لا تعارض بين الأخبار المعلّلة لاسم الزّهراء:

لا تعارض بين العلل المذكورة في تسمية مولاتنا فاطمة بالزهراء عليها السلام، بل كلّها صحيحة، ويمكن الجمع بينها بأنْ يُقال: إنّ مَن كانت في بدو إيجاد نورها المبارَك تزهر لأهل السّماوات والأرضين وما بينهما وخلق من نورها المشرق بالسّرور القبّة الزهرائيّة بتلك الأوصاف، لا يبعد أنْ تسطع أنوارها الوجوديّة في عالم الملك صبحاً وظهراً وغروباً على أهل المدينة عموماً، وتزهر لأمير المؤمنين عليه السلام على وجه الخصوص شمساً وقمراً وكوكباً دُرِّياً.

ومن البديهي أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يراها بعين الولاية والمحبّة، وينظر إليها بعين الباطن والظاهر، فهو يرى ما لا يراه غيرُه، فتتجلّى له على وجه الخصوص بشكلٍ يختلف عمّا تتجلّى به إلى أهل المدينة عامّةً.

وبعبارةٍ أوضح: إنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يرى الشمس والقمر والكوكبَ الدّريَّ بحقائقها، أمّا الآخرون فيشاهدون شعاع الشمس وضوءَ القمر، وهكذا قد يُحجب البعضُ حتى عن رؤية أنوارها، ويحرم من مشاهدة شعاعها لعدم توفر الإستعداد والقابليّة فيهم لتلقّي الأنوار الفاطميّة ﴿ ..وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا.. ﴿١٧٩﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، ﴿ ..إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سُورَةُ المُطَفِّفِينَ.

المنصورة:

المنصورة في السّماء لقبٌ لمولاتنا الزهراء عليها السلام كما جاء في الأحاديث الشريفة، ومنها ما أورده الصدوق في (معاني الأخبار): حدثنا محمَّد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن يعقوب بن يزيد، قال: حدثنا الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن سدير الصيرفي، عن الإمام الصادق جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلِقَ نورُ فاطمة عليها السلام قبل أنْ تُخْلَقَ الأرضُ والسماءُ. فقال بعض الناس: يا نبيّ الله فليست هي إنسية؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراءٌ إنسيّة. قال: يا نبيّ الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال صلى الله عليه وآله: خَلَقَهَا اللهُ عزّ وجلّ من نُورِهِ قبل أنْ يخلق آدمَ إذ كانت**

الأرواح فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم عرضت على آدم. قيل: يا نبيّ الله وأين كانت فاطمة؟ قال صلى الله عليه وآله: كانت في حُقَّةٍ تحت ساق العرش. قالوا: يا نبيّ الله فما كان طعامها؟ قال صلى الله عليه وآله: التسبيح، والتهليل، والتحميد. فلما خلق الله عزّ وجلّ آدم وأخرجني من صلبه أحبَّ الله عزّ وجلّ أنْ يخرجها من صلبي، جعلها تفاحة في الجنة، وأتاني بها جبرئيل عليه السلام فقال لي: السلام عليكَ ورحمة الله وبركاته يا محمَّد، قلتُ: وعليكَ السَّلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل. فقال: يا محمَّد إن ربك يقرئك السَّلام. قلتُ: منه السَّلام وإليه يعود السَّلام. قال: يا محمَّد إنّ هذه تفاحة أهداها الله عزّ وجلّ إليك من الجَنَّة فأخذتُها وضَمَمْتُها إلى صَدْرِي. قال: يا محمَّد يقول الله جلّ جلاله: كُلْهَا؛ فَفَلَقْتُهَا فرأيتُ نوراً ساطعاً فَفَزِعْتُ منه فقال: يا محمَّد مَا لَكَ لا تأكل؟ كُلْهَا ولا تَخَفْ، فإنّ ذلك النُّور المنصورة في السَّماء وهي في الأرض فاطمة، قلتُ: حبيبي جبرئيل، ولِمَ سُمِّيَتْ في السماء "المنصورةُ" وفي الأرض "فاطمة"؟ قال: سُمِّيَتْ في الأرض "فاطمة" لأنها فَطَمَتْ شيعَتَها من النّار وفطم أعداءها عن حبِّها، وهي في السَّماء "المنصورة" وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ..وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ.. ۝٥ ﴾ يعني نَصْر فاطمة لمحبيها »[1].

لقد أشار الحديث الشريف إلى وجهٍ من وجوه تسميتها بالمنصورة في السّماء، وهذا الوجه هو أنّها عليها السلام تنصر محبِّيها أي المنصورة بفوز شيعتها ومحبيها، وحيث لم يُشِر الخبر إلى متعلَّق النصرة هل هي الدُّنيا أم الآخرة، فتُحْمَل النُّصْرَة على الدُّنيا والآخرة، ففي الدنيا تنصر أولياءَها على أعدائها، وهو ملحوظٌ ومعلومٌ دون أدنى ريب، وفي الآخرة تستنقذهم من النّار، ونصرتها لهم كأنهم نصرٌ لها، لذا هي منصورة بفوز أوليائها؛ وثمّة معنىً آخر للمنصورة هو أنّ كلّ الكائنات العلويّة ناصرة لها، وقبلهم الله سبحانه حيث علّق مشيئته على رضاها وسخطها، وهل ثمّة أفضل

(١) راجع (معاني الأخبار) ص٣٩٦ ح٥٣.

من هذا النصر الإلهي لها؟! كلاّ ثمّ كلاّ..

والمنصورة مؤنث منصور، والنصر هو الإعانة، يُقال: نصره على عدوّه أي أعانه، والإنتصار يعني الإنتقام والأخذ بالثأر، والمنصورة: المُعَانة، وناصرها ومعينها هو الله تعالى، ولقب المنصور من ألقاب الإمام الحجّة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف؛ لذا يكون شعاره عجّل الله فرجه الشريف: «**يا منصور أَمِتْ**»؛ أي أيها المؤيَّد من قِبَلِ الله عزّ وجلّ أمِتْ أعداءَكَ، أو أعْطِ الأوامر لقتل أعدائِكَ؛ وسمَّى القرآنُ المجيدُ الإمامَ الحجّةَ عجّل الله فرجه الشريف أو الإمام الحسين عليه السلام بأنه منصورٌ بقوله تعالى: ﴿ ..وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ؛ فقد ورد عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتُهُ عن قول الله: ﴿ ..وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣ ﴾ قال: «**نَزَلَتْ في الحسين عليه السلام لو قَتَلَ أهلَ الأرض به ما كان سَرَفاً**»[1].

فإذا حَمَلْنا "لا" على الناهية، يكون المعنى: إيّاكَ أنْ تقتل غير قاتل الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام، وحاشا للإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف أنْ يَقْتُلَ غيرَ المستحقّ، اللهمّ إلاّ أنْ يكون الخطاب له والمقصود أتباعه وأنصاره.

وإذا حملنا "لا" على النافية، يكون المعنى: مهما قَتَلْتَ من ذراري قَتَلَةِ الإمام الحسين عليه السلام فلا يكون إسرافاً؛ وهذا هو المعنى الصحيح الذي أيَّدَتْهُ بعض الأخبار كالخبر المتقدِّم، وخبر محمّد بن سنان عن رجلٍ قال: سألتُ الإمام أبا عبد الله عن قوله تعالى: ﴿ ..وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ۝٣٣ ﴾ قال: «**ذلك قائم آل محمّد يخرج فيقتل بدم الحسين، فلو قتل أهلَ الأرض لم يكن مسرِفاً، وقوله: ﴿ فَلَا يُسْرِف ﴾ أي لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً، ثمّ قال الإمام عليه السلام: يَقْتُلُ - واللهِ - ذراري قَتَلَةِ**

(١) راجع (نور الثقلين) ج٣ ص١٦٢ ح١٩٩.

الحسين بفعال آبائها »[1].

وفي موثَّقة أبي الصّلت عبد السّلام بن صالح الهروي يبيِّنُ الإمامُ الصّادقُ عليه السلام بأنَّ أستحقاق قتل ذراري قَتَلَةِ الإمام الحسين عليه السلام لأنّهم رضوا بفعل آبائهم فأستحقوا القتل.. ففي (تفسير البرهان) بإسناده عن ابن بابويه، قال: حَدَّثَنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حَدَّثَنا عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد السَّلام بن صالح الهَرَوي، قال: قلتُ للإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرِّضا عليهما السلام: يابن رسول الله، ما تقول في حديثٍ رُوِيَ عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: « **إذا قام القائم عليه السلام قتل ذراري قَتَلَة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟** » فقال عليه السلام: « **هو كذلك** ».

قلتُ: وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ..وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ.. ﴿١٥﴾ ﴾ ما معناه؟ فقال: « **صَدَقَ الله في جميع أقواله، لكن ذراري قَتَلَة الحسين عليه السلام يرضون بأفعال آبائهم ويفتَخِرُون بها، ومَن رَضِيَ شيئاً، كان كَمَن أتاه، ولو أنّ رجلاً قُتِلَ في المَشْرِقِ فَرَضِيَ بِقَتْلِه رجلٌ في المغرب، لَكَانَ الرَّاضِي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتِل، وإنما يَقتُلهم القائم عليه السلام إذا خرج، لِرضاهُم بِفِعْلِ آبائِهِم** ».

قال: فقلتُ له: بأيِّ شيءٍ يبدأ القائم عليه السلام منكم إذا قام؟ قال: « **يبدأ ببني شيبة ويقطَعُ أيديَهم، لأنهم سُرَّاق بيت الله عزّ وجلّ** »[2].

وبالجملة: فإنّ المنصور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف سينتقم للمظلومة المقهورة جدّته فاطمة عليها السلام، فهي منصورة من خلال نصرة ولدها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لها، حيث سينتقم من أعدائها، ومن خلال نصرتها لمحبِّيها في الدُّنيا والآخرة، لأنّ نصر محبِّيها نصرٌ لها، فيكون معنى المنصورة من لوازم الاسم الشريف " فاطمة " وهو النجاة من النَّار، وإنما سُمِّيَتْ فاطمة لأنها فَطَمَتْ شيعَتَها من النَّار الأبديّة، وأيّ نَصْرٍ أعظم من الغَلَبَة على عدوِّها؟ كما أنّ رواية (معاني الأخبار) أشارَتْ إلى أنها نَصْرُ الله في

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٣ ص٥٢٨ ح٦٣٥٣.

(٢) راجع (تفسير البرهان) ج٣ ص٥٢٨ ح٦٣٥٤.

الآية ﴿ ..وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ سُورَةُ الرُّومِ ؛ يعني نصر الشّهيدة الصدِّيقة الكبرى فاطمة صلوات الله عليها لمحبِّيها.

والإستشهاد بالآية من باب التأويل، والظاهر أنّهاعليها "نصر الله" وسُمِّيَت منصورة لذلك، فهي تنصر مَن تشاء وتُعِيْنُهُ وتذلّ مَن تشاء وتقهره.

والظاهر أنهاعليها هي المقصودة مع حفيدها بقيّة الله الإمام المنتظرعجل الله فرجه في سورة النصر بقولهعزوجل: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝ ﴾، فبضمّ الآية الرّابعة من سورة الرّوم: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ مع سورة النصر يتحقق المعنى كاملاً بكون السيِّدة الطّاهرة هي نصر الله تعالى الذي يتمّ يوم ظهور الإمام المهديعجل الله فرجه ثائراً ومنتقِماً لجدّته الطّاهرة فاطمةعليها، وقد أشارت رواية سدير الصيرفي خلال البحث في لقبها الشّريف "المنصورة" حيث سيفرح المؤمنون بإنتقام الإمام المهديعجل الله فرجه من أعدائها ومبغضيها لعنهم الله تعالى أبد الآبدين، جَعَلَنا الله تعالى وآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجدّاتنا وأولادنا وجميع المؤمنين والمؤمنات من أنصارها وأعوانها والممهِّدِين لها ولحفيدها الإمام الحجّة المنتظرعجل الله فرجه، روحي وأرواح العالمين لتراب نعلَيْهما الفِداء.

الصديقة الكبرى:

وهو من الألقاب العظمى لمولاتنا الطاهرةعليها، فقد أكَّدَت الأخبار الشريفة على أنها صدِّيقة طاهرة، منها:

[**الخبر الأوّل**]: ما رواه السيِّد ابن طاووس بإسناده إلى ابن جرير الطبري بسندٍ معنعن إلى الإمام موسى بن جعفرعليهما عن أبيهعليه قال في حديثٍ طويل يوصي فيه النبيُّ الإمامَ عليّاً بابنته السيِّدة فاطمةعليها، فيقول له: « **إني قد أوصيتُ فاطمة إبنتي بأشياء وأمرتُها أنْ تلقيها إليكَ، فأنفذها، فهي الصّادقة الصدوقة، ثمّ ضمّها إليه، وقَبَّلَ رأسَها وقال: فداكِ أبوكِ يا فاطمة، فَعَلا صوتها بالبكاء، ثمّ**

ضَمَّها إليه وقال: أَمَا والله لينتقمنّ اللهُ ربّي[1]، وليغضبَنَّ لغَضَبِك، فالويل ثمّ الويل ثمّ الويل للظالمين، ثمّ بكى رسول اللهصلى الله عليه وآله، قال عليّعليه السلام: فوالله لقد حسبتُ بضعةً منّي ذَهَبَتْ لبكائه حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بَلَّت دموعُهُ لحيتَهُ وملاءةً كانت عليه، وهو يلزم فاطمة ولا يفارقها ورأسه على صدري، وأنا مُسْنِدُهُ، والحسن والحسين يقبِّلان قَدَمَيْه ويبكيان بأعلا أصواتهما، قال الإمام عليّعليه السلام: فلو قلتَ: إنّ جبرئيل في البيت لصَدقت، لأني كنتُ أسمع بكاء ونغمة لا أعرفها، وكنتُ أعلَمُ أنها أصوات الملائكة لا أشكُّ فيها، لأنّ جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبيصلى الله عليه وآله، ولقد رأيتُ بكاءً منها أحسبُ أنّ السّماوات والأرضين قد بكت لها، ثمّ قال لها: يا بُنَيَّة، الله خليفتي عليكم، وهو خير خليفة، والذي بَعَثَني بالحقّ لقد بكى لبكائكَ عرش الله وما حوله من الملائكة والسّماوات والأرضين والأرضون وما فيهما، يا فاطمة والذي بَعَثَني بالحقّ لقد حُرِّمَت الجَنَّة على الخلائق حتى أدخلها، وإنّكِ لأوّل خلق الله، يدخلها بعدي كاسية حلية ناعمة [لعلّها: حلية ناعمة]، يا فاطمة هنيئاً لكِ، والذي بعثني بالحقّ إنّكِ لسيّدة مَن يدخلها من النّساء، والذي بَعَثَني بالحقّ إنّ جهنّمَ لتزفر زفرة لا يبقى منها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسَل إلاّ صَعِقَ، فينادي إليها أنْ: يا جهنّم! يقول لكِ الجبّار: أُسْكُني بعِزِّي، واستَقِرِّي حتى تجوز فاطمة بنت محمّدعليهما السلام إلى الجنان، لا يغشاها قتر وذِلّة، والذي بَعَثَني بالحقّ ليدخُلنّ حسن وحسين: حسن عن يمينك، وحسين عن يسارِك، ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يَدَي الله في المقام الشريف ولواء الحمد مع عليّ بن أبي طالبعليهما السلام يكسى إذا كسيت، ويحبى إذا حبيت، والذي بَعَثَني بالحقّ لأقومَنَّ بخصومة أعدائك، وليندمنّ قومٌ أخذوا حقَّكِ، وقطعوا مودَّتَكِ، وكَذَبُوا عَلَيَّ، وليختَلِجَنَّ دوني فأقول: أمّتي أمّتي فيُقال: إنهم بَدَّلُوا

(١) يظهر وجود حذف هنا هو "لك" أي لينتقمنّ الله ربّي لكِ.

بعدكَ، وصاروا إلى السّعير »[1].

[**الخبر الثاني**]: عن المفضل بن عمر عن المولى الإمام الصّادقعليه السلام قال: قلتُ لأبي عبد اللهعليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَن غَسَّلَ فاطمة؟ قال: « **ذاك أمير المؤمنين**عليه السلام»، قال: فكأني استعظَمْتُ ذلك من قوله، فقالعليه السلام: **كأنّكَ ضقتَ مما أخبرتُكَ به؟** قلتُ: قد كان جُعِلْتُ فِداكَ، قالعليه السلام: **لا تضيقَنَّ فإنها صدِّيقة لا يغسلّها إلاّ صدِّيق، أمَا علِمْتَ أنّ مريم لم يغَسِّلْها إلاّ عيسىعليه السلام »**[2].

[**الخبر الثالث**]: موثَّقة العمركي عن عليّ بن جعفر عن أخيه عن مولانا الإمام أبي الحسن الهاديعليه السلام قال: « **إنّ فاطمةعليها السلام صدِّيقة شهيدة وإنّ بنات الأنبياء لا يطمثْنَ »**[3].

[**الخبر الرّابع**]: موثقة أبي بصير عن المولى الإمام أبي عبد اللهعليه السلام قال: « **إنّ الله تباركَ وتعالى أَمْهَرَ فاطمةَ ربع الدُّنيا، فرُبْعُها لها، وأمهَرَها الجَنَّةَ والنّار، تُدْخلُ أعداءَها النّار، وتُدْخلُ أولياءَها الجَنَّة، وهي الصدِّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارَت القرون الأولى »**[4].

معنى الصِدِّيقة أو الصِدِّيق لغةً واصطلاحاً:

الصِدِّيقة مؤنَّث الصِدِّيق، والجمع صِدِّيقون، والصِدِّيق له ثلاثة معانٍ:

الأوّل: الكثير الصِّدق[5]، وهو على وزن فعيل، وصدِّيقة على وزن فعيلة للمبالغة في الصِّدق والتصديق. وهذا المعنى مالَ إليه المجلسي مع عدم إقتصاره واختصاصه عليه، بل تعدّاه إلى المعاني الأخرى.

قالرحمه الله: « **الصِدِّيقة فعيلة للمبالَغة في الصِّدق والتصديق أي كانت كثيرة التصديق**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٢ ص٤٩٠ ح٣٦.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٢٠٦ ح٣٢.

(٣) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٤٥٨ ح٢، و(مرآة العقول) ج٥ ص٣١٥.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص١٠٥ ح١٩.

(٥) راجع (المنجد) ص٦٢٥.

لِمَا جاء به أبوها صلى الله عليه وآله، وكانت صادقة في جميع أقوالها، مصدِّقةً أقوالَها بأفعالها.. »[1].

هذا المعنى - أي المبالَغة في التصديق أو كونها كثيرة التصديق - لازمه أنها غير صادقة في بعض ما جاء به أبوها، وهو خلف كونها طاهرة مطَهَّرة بنصّ الكتاب والأحاديث القطعيّة، اللهمّ إلاّ أنْ يُراد بكونها كثيرة التصديق هو كثرة تأكيدها على ما جاء به أبوها أي أنها كانت تؤكّد كلامَه أو أنها تؤكِّد صِدْقَ إيمانها بأفعالها خارجاً أي أنها كانت تربط القولَ بالفعل، والأفضل بنظرنا - كما في المعنى الثّاني - " أنها دائمة التّصديق " بدلاً من " كثيرة التصديق ".

الثاني: الكامل في الصِّدْق، أو البارُّ الدائم التصديق[2]؛ هذا المعنى ألصَق بمولاتنا فاطمة عليها السلام من المعنى الأوّل، ومُوَافِقٌ لآية التطهير التي لم تحصر طهارتها بزمنٍ دون زمن أو بحيثيّة تبليغيّة دون غيرها، بل هي طاهرة بالطهارة المطلَقة حتى الطهارة المادية كالحيض والنفاس والجنابة والخباثة والقذارة والنتن... إلخ.

الثالث: الصدِّيق هو مَن يصَدِّق قولَهُ بالعمل[3].

هذا المعنى حقّ إلاّ أنه ناقص لأنه يقتصر على جنبة العمل دون الإعتقاد، أي يكون صاحبه صادقاً في جنبة العمل دون أن يكون له مساس بالنوايا التي لا يترتب عليها عمل.

خير الأقوال هو الوسط ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا.. ١٤٣ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ.

وأمّا المعنى الإصطلاحي لكلمة " صِدِّيق " فإنّ تتبّع مواردها في القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة يفيد عصمة متعلّقها، فقد جاءت الآيات الدالة على مفردات الكلمة مقارنةً لاتصاف الصديق بأوصافٍ هي في الواقع أوصاف الأنبياء والمرسَلين نظير

---

(١) راجع (مرآة العقول) ج٥ ص٣١٥.

(٢) راجع (المنجد) ص٦٢٥.

(٣) راجع (المنجد) ص٦٢٥.

قوله تعالى:

١- ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ.

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ.

٣- ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ.

٤- ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

٥- ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سُورَةُ الحِجْرِ.

٦- ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ.

٧- ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ سُورَةُ الإِسْرَاءِ.

٨- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ.

٩- ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

وأمّا الأخبار فمتضافرة على كون الصِّدِّيق معصوماً لا يغسّله إلاّ صِدِّيقٌ مثله كما سوف يأتي، وبديهيٌّ أنّ مقام الصِّدق والإستقامة في القول والفعل يأتي تلو مقام النبوّة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، وقال أيضاً: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ.. ﴿١٩﴾ ﴾ سُورَةُ الحَدِيدِ، وقال عزّوجلّ أيضاً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام: «**هذا خير الأوّلين وخير الآخِرين من أهل السّماوات وأهل الأرضين، وهذا سيّد الصِّدِّيقين وسيّد**

الوصيين »[1].

وقد مدح القرآن الكريم يحيى بن زكريّا ونعَتَهُ بكونه مصدِّقاً فقال: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، رُوِيَ أنّه لمّا دَخلَتْ مريم على أمّ يحيى - وهي أختها - لم تقم لها، فأذن الله تعالى ليحيى وهو في بطن أمّه فناداها: يا أمة [لعلها: يا أماه] تدخل إليكِ سيّدة نساء العالمين مشتملة على سيّد رجال العالَمين فلا تقومين لها!! فانزعَجَتْ وقامَتْ إليها وسَجَدَ يحيى وهو في بطن أمّه لعيسى بن مريم، فذلك كان أوّل تصديقه له[2].

وإنما مُدِحَتْ مريمُ ووُصِفَتْ بـ" الصِّدِّيقة " لصِدْقِها في دعواها أنّ عيسى منها ولم يمسّها بشرٌ، فشهد اللهُ لها بالصِّدق، فصارت صِدِّيقة لأنّ الله صَدَّقَها.

وسُمِّيَتْ مولاتُنا فاطمة بالصدِّيقة الكبرى لأنها صَدَّقَتْ بوحدانيّة الحقّ تعالى وبكلّ ما جاء به أبوها، بل هي صِدِّيقة قولاً وقلباً وفعلاً، لم ترتكب خلاف ما أراده الله عز وجل منها، فكانت تفعل ما يريده الله تعالى، ولم تتخلّف قط في أداء أي تكليف أو أمتثال أيّ أمر، وكان لها في ذلك صدق نيّة وعزم وثبات ومداومة ومراقبة تامّة.

فالتصديق يلازمه التبعيّة في الأقوال والأفعال كما صنع النبيُّ يحيى عليه السلام حين صدق بنبوّة عيسى عليه السلام وتابعه متابعةً كاملةً من المهد إلى اللحد. وقال النبي صلى الله عليه وآله: « **فمَن تبعني فإنّه منِّي** »، وقد صدَّقَتْ مولاتُنا الصدّيقة الكبرى الزهراء فاطمة عليها السلام بما أمر الله وبما جاء به النبيُّ وأتبعَتْهُ، ولا شكّ أنّ التابع يعدُّ من المتبوع، فهو من النبي والنبي منها لأتحاد التابع والمتبوع المذكور في قوله: « **فمَن تبعني فإنّه منِّي** » إضافة إلى جهة النَّسَب والقرابة، والأبوّة والنبوّة، وأمّا حديث « **إنّها منِّي وأنا منها** »[3]، وفي حديث آخر: « **فاطمة بضعة منّي وأنا منها** »؛ فَشَرَفٌ آخر وفضيلة خاصّة.

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٦ ص٣٠٩ ح٧٥ باب٦، وفي نفس الجزء ص٢١٦ ح٨١.

(٢) راجع (تفسير الصافي) ج١ ص٤٣٤.

(٣) وورد أيضاً أنّه صلى الله عليه وآله قال: « **فاطمة بضعة منِّي وأنا منها، وإنها منِّي وأنا منها** »، راجعْ (بحار ⟸

شبهة عويصة وحلّ:

قال المخالِفُون: ليست السيِّدة فاطمةعليها السلام هي الصِّدِّيقة فقط، بل أبو بكر صِدِّيق حيث صَدَّقَ النبيّصلى الله عليه وآله لمّا أخبره أنّه عُرِجَ به إلى السّماء.

والجواب حلاًّ ونقضاً:

إنّ تصديق أبي بكر بالمعراج - على فرض صحّة ذلك - لا يدلّ على ثبوت الصدق والدوام عليه، وعلى فرض أنَّه صَدَّقَ بما جاء به النبي في قصّة المعراج، فتصديق قولٍ من أقوال النبي لا يدلّ على تصديق جميع أفعاله؛ لأنّ التصديق بالفرد لا يلازم التصديق بالكلّ وإلاّ لصدق لقب الصدِّيق على كلّ مسلمٍ صدَّق الرّسولَ بشيءٍ مما جاء به من عند الله تعالى، في حين أنّ ذلك لم يحصل لكلّ المسلمين وإنّما هو خاصٌّ بأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. وكيف يُعتَبَر أبو بكر صِدِّيقاً وقد كَذَّبَ سيِّدةَ نساء العالمين فاطمة البتولعليها السلام لّما طالبَتْهُ بفدك، في حين أنّ ابنته عائشة شهدت في بعض المواضع بصدق السيِّدة الزهراءعليها السلام، وكذا صَدَّقَها الله تعالى لّما أنزل الله بحقها آية التطهير، وكذا صَدَّقَها أمير المؤمنينعليه السلام وثلة من الصحابة من محِبِّي أهل البيتعليهم السلام، وبذا تكون عائشة قد شهدت على أبيها بالكذب.

مضافاً إلى أنّ لقب الصِّدِّيق لم يُطْلَق على أبي بكر في زمن النبيّ وإنما أصبغوه عليه بعد ذلك، تماماً كما أصبغوا على عثمان "ذا النورين"، وعلى عمر "الفاروق"، وعلى خالد "سيف الله المسلول".

سيدة نساء العالمين أفضل من الأنبياء والمرسلين:

نستدل على ذلك من خلال لقبها الشريف " الصدِّيقة الكبرى " لِمَا وَرَدَ من أنها الصِّدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

والمراد من القرون الأولى هو أزمنة الأنبياء المرسلين المتقدِّمين على رسول الله، فكل نبيٍّ قبل رسول الله محمّد داخلٌ في القرون الأولى؛ لأنّ النبيَّ محمّداًصلى الله عليه وآله لا

الأنوار) ج٤٣ ص١٢٢ و٢٠٢ و٢٠٤.

يصدق عليه أنه من القرون الأولى لأنه متأخِّرٌ زمناً عنهم من جهة، ومن جهة أخرى هو خاتم النبيين والمرسَلين، والخاتمة تختلف عن المقدِّمة، فخاتم النبيين في القرون الأخرى إلى يوم القيامة، فهو الخاتم للقرون غير الأولى - أي للقرون المتأخرة عن القرون الأولى -.

والحديث الشريف يشير إلى أنّ معرفة الصدِّيقة الكبرى كانت واجبة في كلّ زمان أي مَن يعيشون في جيلٍ واحدٍ وفي فترة زمانية واحدة ويبعث فيهم نبيٌّ، فمعرفة الصدِّيقة سببٌ لبقاء القرون الأولى أي سبب لبقاء الأرض والسّماوات، فكان جميعُ الأنبياء والمرسلين يأمرون أممهم بمعرفة الصدِّيقة الكبرى، وكانوا يربطون قبول التكاليف الإلهيّة بمعرفتها وحُبِّها.

وبعبارة أخرى: إنّ السّعادة والشقاء لأهل كلّ زمان - لا سيّما زماننا نحن - تدور مدار التولي والتبرِّي لجناب الصدِّيقة الكبرى، وأنّ دين الأنبياء جميعاً منوط بحبِّها، فكيف - والحال هذه - لا تدور هذه الشريعة على معرفتها وحُبِّها؟! وكيف لا تدور بوجودها المقَدَّس رحى الإسلام والدِّين المبين؟!

الزكية:

الزكية من الزكاة، والزكاة اسم مصدر منه الفعل: زَكَّى بمعنى نما وزاد، وزكّاه الله: أنماه وطَهَّرَهُ وأصلحه، والزكاة بمعنى الطهارة، وصفوة الشيء أو الصدقة.

إذن: الزكاة والتزكية في اللغة بمعنى التطهير والنمو والزيادة، وإنما سُمِّيَت الزّكاةُ زكاةً لأنها تطهِّرُ الأموالَ.

فقوله تعالى حاكياً عن جبرائيل في قصّة الصدِّيقة مريم عليها السلام: ﴿ ..لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، تصدر منه أعمال البِرِّ وأفعال الخير دون تقصير في إتيانها وأدائها. وقوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ سُورَةُ الشَّمۡسِ، أي: طَهَّرَها من الأخلاق الذميمة الناشئة من الغضب والحسد والبخل وحبّ الجاه وحبّ الدُّنيا والكِبر والعُجْب، فمَن عالَجَ هذه الأمراض بالأعمال الصالحة صارت نفسه مطَهَّرَة مزَكَّاة.

وقوله تعالى حاكياً عن موسى والخضرعليهما السلام بقول موسى للخضر: ﴿ ..أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً.. ﴿٧٤﴾ ﴾ سُورَةُ الكَهْفِ، أي: طاهرةً لم ترتكب جِنايةً تُوجِب القتل. وقرأ بعض " زاكيةً " بدلاً من ﴿ زَكِيَّةً ﴾ والفَرْق بينهما أنّ الزاكية هي مَن لم ترتكب ذَنْباً من رأس، والزكيّة هي مَن ارتَكَبَتْ ذَنْباً غُفِرَ لها.

والزكاة في اللغة النماء يُقال: زكى الزرع أي نما وحصل منه نموٌّ كثير وبركة.

ومن معاني الزكيّة: الطاهرة، وقد مَرَّ معنى الطاهرة وهو النّزَاهة عن الأدناس والنجاسات الظاهرية والباطنية.

الفَرْق بين الطّاهرة والزّكيّة:

ولعلّ الفَرْقَ بينهما: إنّ نتيجة التزكية هي الطّهارة، بمعنى أنّ التزكية مقَدِّمة للطّهارة، أمّا الطّاهرة فهي نفس الطّهارة، بمعنى أنّ الطاهرة هي نتيجة وليست مقدِّمة، فتكون الطاهرة أوفى وأقوى.

فيكون معنى تسمية الزهراء بالطّاهرة الزّكيّة، أنها فازت وأفلَحَتْ بالزّكاة والطّهارة الفطريّة الذاتيّة، وكانت بعيدةً عن الأخلاق الدنيّة الرّدِيّة، وفازت بكلّ مُوجِبات النجاة يوم القيامة، من هنا ورد أنّ السيِّدة خديجةعليها السلام وَضَعَت الصِّدِّيقة الكبرى طاهرة مطَهَّرَة زكيّة من غير مقدِّمات إكتسابيّة، بل تزكيتها فطريّة، لعِلْم الله تعالى بحالها، ولكنْ لا يعني هذا أنها لم تَسْعَ نحو التّزكية الخارجيّة.

بيان ذلك: إنّ التزكية الواردة في الآية ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ تنقسم إلى قسمَيْن:

الأوّل: التزكية من جانب الحقّ المتعال.

الثاني: التّزكية من جانب الخلق.

أمّا الأوّل: فهو هِبَة وقَذْفٌ وفطرة ﴿ ..فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا.. ﴿٣٠﴾ ﴾ سُورَةُ الرُّومِ، فطهارتها هنا ذاتية فطرية.

وأمّا الثاني: فهو سعي واجتهاد وكَسْب، أي أنّ المَلَكَة الإلهيّة والقوّة العقليّة

تغلب المَلَكَات المضادّة والقِوى الأخرى المنازِعة، فتقهر القوى بالأعمال الصّالحة والأفعال القويّة القاهرة.

فالتزكية بمعنى إظهار الأفعال الصالحة، والإقبال على الطّاعات المفروضة لا تنافي الطّهارة الأصليّة بل هي ثمرة لذلك، أي أنّ كلّ مَن جاء بالطهارة الذاتية لا بدّ أنْ يكون موصوفاً بالتزكية، ولا بدّ أنْ تظهر منه هذه الآثار.

زبدة المخض: إنّ الزكاة لغةً هي النماء وله معنيان:

المعنى الأوّل: سُمِّيَت السيِّدة فاطمة عليها السلام بالزّكيّة لنماء جسدها العنصري على خلاف العادة المألوفة في بقيّة الأجساد، فقد روي في حديث المفضّل قال عليه السلام: « **فكانت فاطمة تنمى في اليوم كما ينمى الصبي في الشهر، وتنمى في الشهر كما ينمى الصبي في السَّنَة** »[1].

وهذا جوابٌ شافٍ لِمَن ينكر حَمْل السيِّدة فاطمة عليها السلام في سنّ الحادية عشر، فكأنه لم يقرأ هذا الحديث أو أنه قاس السيِّدة فاطمة على غيرها من النساء مع إنّه ثبت طبيّاً وعلميّاً إمكانيّة الحمل لبنت أكملت تسع سنين كاملةً، وقد حصل ذلك لفتاةٍ في مصر مؤخراً، حيث أنجبتْ فتاةً أيضاً..

الغرض من رواية هذه الأخبار أنْ يُعْلَم أنّ هيكل العصمة الفاطمية عليها صلوات الله على خلاف الهياكل الأخرى.

المعنى الثاني: وللنماء معنى آخر بالنسبة للسيدة المطَهَّرَة مفاده: إنها كثيرة الخير والخصال الحميدة، وكِلا المعنَيَيْن جائزٌ ومطلوبٌ.

الراضية والمرضية:

من خصائص الطّاهرة الزكية أنها راضية مَرضِيَّة، فما معناهما؟

الرّاضية مؤنَّث الرّاضي، وهو الذي لا يسخط بما قُدِّرَ عليه ويرضى لنفسه بالقليل.

والمَرْضِيَّة أو المَرْضِيّ هو الذي لا يسخط الله عزّ وجلّ عليه، بل هو مَرْضِيٌّ ومقبول

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٣ ح١.

لديه سبحانه وتعالى.

وبتعبيرٍ آخر: إنّ الرّاضية هي النفس القانعة والمسلّمة لكلّ المقدَّرات الكائنة والأحكام الجارية التي تصلها من الله عزّ وجلّ، أمّا المرضيّة فهي التي رضي الله عنها، فصارتْ مرضية للحقّ تعالى، ففي الأولى: الرِّضا من العبد، وفي الثانية: الرِّضا من الله، والمناط رضا الحقّ عن العبد؛ لأنّ العبد إذا رضي الله عنه فإنّه يرضى على كلِّ ما يجري عليه من المقَدَّرات.

وقد دلّ القرآن الكريم على هاتين الصفتين كقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ٢٨ ﴾ سُورَةُ الفَجْرِ.

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٠ ﴾ سُورَةُ الغَاشِيَةِ.

ففي التفسير عن أهل البيت عليهم السلام عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **النفس المطمئنّة إلى محمّد وأهل بيته، والرّاضية بالولاية والمرضيّة بالثواب، وأدخُلي في عبادي أي محمّد وأهل بيته** »(١).

كما أنَّ هاتين الصفتين نظير رضا الله عن العبد ورضا العبد عن الله تعالى بقوله عزّ وجلّ في عدّة آيات: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١١٩ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

فرضا الله عن العبد على قسمين: فتارةً يرضى عن نية العبد دون عمله، وتارة يرضى عن العمل دون النية كأنْ يكون الإتيان بالعمل خارجاً له خصوصيّة توجب له مزيّة الرضا، لكنّه رضاً ناقص.

والحاصل: إنّ الرِّضا الكامل هو أنْ يرضى الله عن النية والعمل، فرضا الله عن نفس العبد لا يحصل ما لم يتمّ غرضُهُ عزّ وجلّ من خلقهم وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ ﴾ سُورَةُ الذَّارِيَاتِ، فالعبوديّة هو الغرض الإلهي من

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٨ ص٦٥٨ ح١١٦١٦.

خلق الإنسان، فالله عزّ وجلّ إنما يرضى عن نفس عبده إذا كان مثالاً للعبوديّة، أي أنْ يكون مسلِّماً لأمر الله تعالى تسليماً باطنيّاً فلا يرى نفسَه ولا شيئاً غيره إلاّ مملوكاً لله خاضعاً لربوبيّته لا يؤوب إلاّ إليه ولا يرجع إلاّ إليه كما قال تعالى في سليمان وأيّوب ﴿ ..نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ ﴾ سُورَةُ صٓ، وهذا هو الرضا عنه، وهذا من مقامات العبوديّة، ولازمه طهارة النفس عن الكفر بمراتبه وعن الإتصاف بالفسق ﴿ ..فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٩٦ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ، ﴿ ..وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ.. ۝٧ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، ومن آثار هذا المقام أنّ العبوديّة إذا تمكنت من نفس العبد ورأى ما يقع عليه بصره وتبلغه بصيرته مملوكاً لله خاضعاً لأمره فإنّه يرضى عن الله جلَّ شأنُهُ فإنّه يجد أنّ كلّ ما آتاه الله فإنما آتاه من فضله من غير أنْ يتحتَّمَ عليه فهو جودٌ ونعمةٌ، وأن ما منعه فإنما منعه عن حكمة.

والخلاصة: إنّ هذا اللقب غاية في تمجيد السيِّدة فاطمة الطاهرة عليها السلام، وقد ظهرت صفة الرِّضا بنحو الكمال في حبيبة ذي الجلال، بل أتَّحَدَ رضاها برضا الله ورسوله وأرتَفَعَت المغايَرة، وإلاّ لَمَا قال النبيُّ: « **رِضَا فاطمة رضاي، وسخط فاطمة سخطي** » و « **إنّ الله يرضى لرضاها ويسخط لسخطها** ».

كما أنّ الله تعالى أنزل في رضا مولاتنا فاطمة قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ سُورَةُ الضُّحَىٰ.

فقد روي في سبب نزولها أنّه دخل رسولُ الله على مولاتنا فاطمة (صلوات الله عليها) وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله لمّا أبصرها، فقال: « **يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله علَيَّ**: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ ﴾ »[1].

المباركة:

المبارَكة: على وزن مفاعَلَة، وتعني القداسة، والكثرة في كلّ خير، قال تعالى:

(١) راجع (تفسير البرهان) ج٥ ص٦٨٣ ح١١٧٠٣.

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ.. ﴿٩٢﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، أي ما يأتي من قبله الخير الكثير. و"المبارَكة" اسم فاعل، ومنه البركة وهي: النّماء والزيادة، وبارك اللهُ الشيءَ وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة؛ وتبارك اللهُ: أي تقَدَّسَ وتنَزَّهَ، ومعنى التقدُّس: التطَهُّر؛ والمُتبارك هو المرتفع.

والحاصل: إنّ مولاتنا السيِّدة الزّهراء عليها السلام ذات بركة في العلوم الربانية والفضائل النفسانية والكمالات الشريفة والكرامات والمعاجز المنيفة.

وهذا اللقب الشريف يوضِّح ويبيِّن الخيرات الكثيرة والبركات الوفيرة الواصلة من السيِّدة المعَظَّمَة والرّحمة الكبرى لجميع خلق الله تعالى وهو لَقَبٌ وَرَدَ على لسان روح الله عيسى المسيح عليه السلام في حقّ الطاهرة فاطمة عليها السلام، ففي (أمالي الصَّدُوق وإكمال الدِّين) عن عبد الله بن سليمان قال: قرأتُ الإنجيل في وصف النبي محمّد صلى الله عليه وآله: « **يا عيسى جدَّ في أمري ولا تهزل وأسمَعْ وأَطعْ يا ابن الطّاهرة الطّهر البكر البتول من غير فحل، أنا خلقتك آية للعالمين فإيّاي فاعبد، وعليَّ فتوكل، فسّر لأهل سوريا بالسريانية، بلّغ من بين يديك أنّي أنا الله الدائم الذي لا أزول، صدّقوا النّبيَّ الأميَّ صاحب الجمل والمدرعة والتّاج وهي العمامة.. ذو النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيتٌ في الجَنَّة، لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها في آخر الزمان كما كَفَلَ زكريا أمَّك، لها فرخان مستشهدان..** »[1].

ولا يخفى على المحقِّقين المتتبِّعين أنّ السيِّدة أمّ المؤمنين خديجة أمّ الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام كان أيضاً من ألقابها " الطاهرة المبارَكة " وكون السيِّدة خديجة " مباركة " من جهتين:

من جهة نقاوة ذاتها وطهارة سرِّها وكثرة الخيرات الصادرة منها، ومن جهة ثانية من حيث إنّ كثرة نسلها وكثرة بركاتها إنما ظهرت أكثر، وأزدادت عند حملها بالسيِّدة الزهراء عليها السلام، مضافاً إلى أنّ كثرة نسلها إنما تحقق بواسطة الصدِّيقة الطّاهرة.

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج١٤ ص٢٨٥ باب٢١ ح٦، وج١٦ ص١٤٥ باب ٨.

وقد ورد في أخبارهم عليهم السلام في معنى "الكوثر" أنه الذرية الطيبة والنسل الكثير، وأنها كرامةٌ لخاتم النبيِّين صلى الله عليه وآله.

وقد دلت أيضاً الآيات على أنَّ سيِّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام هي الليلة المباركة في ليلة القدر كقوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ سُورَةُ الدُّخَانِ، فـ﴿ حمٓ ۝١ ﴾ هو النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، والكتاب المبين هو أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وأمّا الليلة المباركة فهي سيّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السلام، وأمّا قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ قال عليه السلام: « **يخرج منها خيرٌ كثير** »[1].

النورية:

النوريّة مؤنَّث نوري، وهما منسوبان إلى النّور، والنّور كيفيّة ظاهرة بنفسها، مُظهرة لغيرها، وقد يعبّر بالوجود والكمال والهداية والدّلالة، وعلى أيّة حال فنورانيّة السيِّدة المعظَّمة الزهراء عليها السلام كانت بأنحاءٍ متعدِّدة، فهي لأهل السّماوات بنحوٍ، ولأهل الأرض بنحوٍ يختلف باختلاف الأوقات، ولأمير المؤمنين بنحو آخر.

أمّا نورانيتها لأهل السّماوات، فالروايات تنصّ على أنها كانت تزهر في محراب عبادتها كالكوكب الدرّي وكالنجم السّاطع، وقد ورد في تفسير أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ ..كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ.. ۝٣٥ ﴾ سُورَةُ النُّورِ، أنها مأوَّلة في فاطمة سيّدة النساء، ولهذا سُمِّيَت عند الملائكة بالنُّورية.

وأمّا نورانيّتها لأهل الأرض، فالرّوايات تنصّ أيضاً على أنها كانت تزهر لأهل المدينة بنورٍ أبيضٍ وأصفرٍ وأحمرٍ، بل كانت الأنوار السّاطعة من خواصّ تلك المحجوبة الكبرى، حتى أنّ جماعة من اليهود اهتدوا وأسلموا لّما رأوا نورَها عليها السلام، روي في (المناقب والإحتجاج) أنّ الإمام عليّاً عليه السلام أستقرض من يهودي شعيراً فاسترهنه شيئاً فدفع إليه ملاءة[2] فاطمة رهناً، وكانت من الصُّوف، فأدخلها

(١) راجع (تفسير نور الثقلين) ج٤ ص٦٢٣.

(٢) الملاءة: العباءة وهي ثوب يشبه الكفن كالملحفة.

اليهودي إلى داره ووضعها في بيتٍ، فلمّا كانت الليلة دَخَلَتْ زوجتُهُ البيت الذي فيه الملاءة بشغلٍ فرأتْ نوراً ساطعاً في البيت أضاء به كلّه، فانصَرَفَتْ إلى زوجها فأخبَرَتْهُ بأنها رأتْ في ذلك البيت ضوءاً عظيماً فتعَجَّبَ اليهودي زوجها وقد نسي أنّ في بيته ملاءة فاطمة، فنهض مسرعاً ودخل البيت فإذا ضياء الملاءة ينشر شعاعها كأنه يشتعل من بدر منير يلمع من قريب، فَتَعَجَّبَ من ذلك، فأمعن النظر في موضع الملاءة فعَلِمَ أنّ ذلك النُّور من ملاءة فاطمة، فخرج اليهودي يعدو إلى أقربائه وزوجته تعدو إلى أقربائها فأجتمع ثمانون من اليهود فرأوا ذلك فأسلموا كلّهم(1).

وأمّا نورانيتها لأمير المؤمنينعليه السلام فهو ممّا لا يمكن إنكاره، فقد ورد أنّ وجهها كان يزهر للأمير من أوّل النهار كالشمس الضاحية، وعند الزّوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدُّريّ، ويمكن أنْ يُقال في هذا المقام إنّ أهل السّماوات لم يكن عندهم الإستعداد لمشاهدة نور تلك المخَدَّرَة بنحو الكمال، فلم يروها من أوّل العمر إلى آخره إلاّ كوكباً دريّاً لا شمساً ولا قمراً، أمّا أمير المؤمنينعليه السلام فكان يراها بنحو أكمل وأتمّ بالبصيرة الكاملة حسب الولاية الحقّة والإتحاد الواقعي، فكان يراها شمساً وقمراً وكوكباً دريّاً.

وقد روى الفريقان في حديث التزويج أنّ جبرائيل هبط إلى خاتم المرسلين وقال: « **زَوِّجْ النورَ من النّور، قال: ممّن؟ قال: بنتكَ فاطمة من ابن عمِّكَ عليّ بن أبي طالب**عليهما السلام ».

والنور على قسمين: ظاهرٌ وباطنٌ، أمّا الظاهر فمثل نور الشمس وغيرها، وأمّا الباطن فنور التوحيد ونور المعرفة ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ.. ﴿٢٢﴾ ﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ، ونور الباطن أقوى وأبقى، ولذا قيل إنّ أهل البيتعليهم السلام نور السّماوات والأرض، لأنّ نور غيرهم إلى الزوال والإضمحلال، ونورهمعليهم السلام باقٍ لا يزول، وقلوبهم تضيء وتتقد دائماً وأبداً، وهو السبب في بقائهم، ولأنّهم باقون،

(1) راجع (بحار الأنوار) ج٤٣ ص٣٠ ح٣٦.

فالنور يلازمهم في الوجود ملازمة الظل لذيْهِ.

وروى عليٌّ بن إبراهيم في المؤمن: « **فالمؤمن مدخله نور، ومخرجه نور، وكلامه نور، وهو يوم القيامة نور على نور** »[1].

وأصل منشأ هذه الأنوار هو الشجرة الطيبة التي ﴿ ..أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ، وتلك هي الحضرة الفاطمية والبضعة الأحمديّة، خلقتها نور، وطلعتها نور، وولادتهاعليها السلام نور، بل منشأها ومبدأهاعليها السلام من الأنوار الإلهية، منتزعة من نور الحقيقة الأحمدية، والنور ذو مصاديق متعددة، منه: نور الحفظ ونور الخوف، ونور الرّجاء، ونور الحب، ونور اليقين، ونور الفكر، ونور الذِّكْر، ونور العِلْم، ونور الحياء، ونور الإيمان، ونور الإحسان، ونور العطف، ونور الهيبة، ونور الحياة، ونور الإستقامة، ونور الإستكانة، ونور الطمأنينة، ونور الجلال، ونور الجمال، ونور الوحدانية، ونور الفردانية، ونور الأبديّة، ونور السرمدية، ونور البقاء...

فالسيِّدة المطهَّرة الزهراءعليها السلام خلاصة النور الأحمدي الذي قال الله تعالى في حقّه: ﴿ ..وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ.. ﴿٥٢﴾ ﴾ الشُّورَىٰ، وهو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره، بل هو نفس الظهور، وأجلُّ الموجودات وأظهرها ﴿ ..قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ، والصدِّيقة الطاهرة خلاصة ذلك الموجود المسعود وخاصته وبضعته وثمرة صاحب المقام المحمود، وهي أشبه الناس برسول الله خلقاً وخُلُقاً وكلاماً وحديثاً وهدىً وَهدياً وسمتاً وقولاً وفعلاً وعِلْماً وعمَلاً ويقيناً ومعرفةً، فورثت أباها، وما أتاه الله آتاها، فإذاً هي النورية السّماوية بل هي نور الأنوار في العوالم الشهودية والغيبية.

السيِّدة الزهراء صلوات الله عليها هي النور في سورة النور؛ حيث ضربه الله مثلاً للعالمين؛ فقد أورد العلاّمة الكليني في (أصول الكافي) بإسناده عن صالح بن سهل

(١) راجع (تفسير القمّي) ج٢ ص٧٩.

الهمداني قال: (قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ سُورَةُ النُّورِ؛ **كمشكاة: فاطمة** عليها السلام ﴿ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ﴾ **الحسن** ﴿ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ﴾ **الحسين** ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾ **فاطمة كوكب درِّيٌّ بين نساء أهل الدنيا** ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ ﴾ **إبراهيم** عليه السلام ﴿ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ ﴾ **لا يهوديّة ولا نصرانيّة** ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ **يكاد العلم ينفجر بها** ﴿ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ ﴾ **إمامٌ منها بعد إمام** ﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ **يهدي الله للأئمّة مَن يشاء** ﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ ﴾، قلت: ﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ ﴾، قال عليه السلام: **الأوّل وصاحبه** ﴿ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ ﴾ **الثالث** ﴿ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ ﴾ **الثاني** ﴿ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ **معاوية لعنه الله وفتن بني أميّة** ﴿ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ ﴾ **المؤمن في ظلمة فتنهم** ﴿ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا ﴾ **إماماً من ولد فاطمة** ﴿ فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ **إمام يوم القيامة**)[1].

وفي (تفسير فرات) عنه عليه السلام قال: « ﴿ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ ﴾ **فاطمة من نساء العالمين** ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ ﴾ **قال: لا يهوديّة ولا نصرانيّة** ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ **يكاد العلم ينبع منها سلام الله عليها** ».

وبهذا التفسير يتضح أنّ العلم الشرعي للأئمّة المعصومين من عِلْم سيِّدة نساء العالمين فاطمة الزّهراء عليها السلام كالزَّيت يُعْصَر من الزيتونة، حيث يُفاض العلم من أعلى مراقي النبوّة على فاطمة الطاهرة مباشرةً بدون نزول مَلَك مقرَّب، والأئمّة الطّاهرون يتكلّمون عنها، فكما كان وجودها المقدَّس سبباً لوجود كلّ واحد من

(١) راجع (أصول الكافي) ج١ ص١٩٥ ح٥.

الأئمّة فكذلك كان عِلمهم الظاهري يفاض عليهم بواسطتها تماماً كما كان يُفاض العلم الظاهري على رسول الله بواسطة المَلَك، وليس ثمّة ملازَمة بين نزول العلم بواسطة المَلَك وبين الجهل به.

فالسيِّدة الشّهيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام مشكاة علوم آل محمّد، فكما يستفيد الناسُ من ضوء النجوم ﴿ ..وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ النَّحۡلِ، فكذلك بعلوم الصدِّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام يهتدون، فتأمَّلْ.

مريم الكبرى:

هذا لقبٌ شريفٌ من ألقاب السيِّدة الطاهرة، وقد سمّاها به أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هذه واللهِ مريم الكبرى؛ وإليكَ عزيزي القارئ هذه الرواية المقدَّسة المبارَكة كما رواها العلاّمة المجلسي في (بحار الأنوار):

عن عيسى الضرير، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: « **قلت لأبي: فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: فقال: ثم دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال لِمَن في بيته: أُخْرُجُوا عَنِّي، وقال لأمّ سَلَمَة: كوني على الباب فلا يقربه أحد، فَفَعَلَتْ، ثم قال: يا عليّ أُدْنُ مِنِّي فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً، وأخذ بيد عليٍّ بيده الأخرى فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام غلبته عَبْرَتُه، فلم يقدر على الكلام، فَبَكَتْ فاطمة بكاءً شديداً وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت فاطمة: يا رسول الله قد قَطَّعْتَ قلبي، وأحرقتَ كبدي لبكائكَ يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، ويا أمين ربّه ورسوله ويا حبيبه ونبيه، مَن لولدي بعدك؟ ولذلٍّ ينزل بي بعدك؟ مَن لعليٍّ أخيك، وناصر الدين؟ مَن لوحي الله وأمره؟ ثم بَكَتْ وأكبَّتْ على وجهه فقبَّلَتْهُ، وأَكَبَّ عليه عليٌّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم فرفع رأسه صلى الله عليه وآله وسلم إليهم ويدها في يده فوضعها في يد عليّ وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمَّد عندكَ فأحْفَظْ الله وأحفظني فيها، وإنك لفاعله يا عليّ هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من**

الأولين والآخرين، هذهِ والله مريم الكبرى أَمَا والله ما بَلَغَتْ نفسي هذا الموضع حتى سألتُ الله لها ولكم، فأعطاني ما سألتُه، يا عليّ أنفذ لما أمرتك به فاطمة فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام، وأعْلَمْ يا عليّ إني راضٍ عمّن رَضِيَتْ عنه أبنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا عليّ ويلٌ لِمَن ظَلَمَهَا وويلٌ لِمَن أبتزَّها حقها، وويلٌ لِمَن هتك حرمتها، وويلٌ لِمَن أحرق بابها، وويلٌ لِمَن آذى خليلها، وويلٌ لِمَن شاقّها وبارزها، اللهم إني منهم بريء، وهم مني برآء، ثم سمّاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَضَمَّ فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللهم إني لهم ولِمَن شايعهم سلم، وزعيم بأنهم يدخلون الجنة، وعَدوٌّ وحرب لِمَن عاداهم وظَلَمَهُم وتَقَدَّمَهُم أو تأخَّرَ عنهم وعن شيعتهم، زعيمٌ بأنهم يدخلون النار، ثم والله يا فاطمة لا أرضى حتى ترضي، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضي، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضي ».

قال عيسى: فسألتُ مولانا الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقلتُ: إنّ الناس قد أكثروا في أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أبا بكر أنْ يصلّي بالناس، ثم عمر، فأطرق عني طويلاً ثم قال عليه السلام: « **ليس كما ذكروا، ولكنكَ يا عيسى كثير البحث عن الأمور، ولا ترضى عنها إلاّ بكشفها** »، فقلتُ: بأبي أنتَ وأمي إنما أسال عمّا أنتفع به في ديني وأتفقّه مخافةَ أنْ أضل، وأنا لا أدري، ولكنْ متى أجد مثلك يكشفها لي، فقال عليه السلام: « **إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا ثَقُلَ في مرضه دعا علياً فوضع رأسه في حِجْرِهِ، وأُغْمِيَ عليه وحَضَرَتِ الصلاةُ فأُؤذن بها، فَخَرَجَتْ عائشة فقالت: يا عمر أُخْرُجْ فَصَلِّ بالناس فقال: أبوك أَوْلَى بها، فقالتْ: صَدَقْتَ، ولكنّه رَجُلٌ لَيِّنٌ، وأكره أنْ يواثبه القوم فَصَلِّ أنتَ، فقال لها عمر: بل يصلي هو وأنا أكفيه إنْ وَثَبَ واثبٌ أو تحرك متحرك، مع أن محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم مغميً عليه لا أراه يفيق منها، والرجل مشغول به لا يقدر أنْ يفارقه، يريد علياً عليه السلام فبادره بالصلاة قبل أنْ يفيق، فإنه إنْ أفاق خِفْتُ أنْ يأمر علياً بالصلاة، فقد سمعتُ مناجاته منذ الليلة، وفي آخر كلامه: الصلاة الصلاة قال: فخرج أبو بكر ليصلي بالناس فأنكر**

القوم ذلك، ثم ظنوا أنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يُكَبِّر حتى أفاق صلى الله عليه وآله وقال: أُدْعُوا لِيَ العباسَ، فدُعِيَ فَحَمَلَهُ هو وعليٌّ، فأخرجاه حتى صلّى بالناس، وإنّه لقاعِدٌ، ثم حُمِلَ فَوُضِعَ على مِنْبَرِهِ، فلم يجلس بعد ذلك على المنبر، وأجتمع له جميعُ أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى بَرَزَتِ العواتقُ من خدورِهِنَّ، فبين باكٍ وصائحٍ وصارخٍ ومسترجعٍ والنبي صلى الله عليه وآله يخطب ساعة، ويَسكتُ ساعة، وكان ممّا ذَكَرَ في خطبته أنْ قال صلى الله عليه وآله:

يا معشر المهاجرين والأنصار ومَن حضرني في يومي هذا وفي ساعتي هذه من الجنِّ والإنس فليُبَلِّغْ شاهدُكم الغائبَ، ألا قد خَلَّفْتُ فيكم كتابَ الله، فيه النُّور والهدى والبيان، ما فرط الله فيه من شئ، حجة الله لي عليكم، وخَلَّفْتُ فيكم العِلْمَ الأكبر عَلَمُ الدِّين ونورُ الهدى وصيي عليّ بن أبي طالب، ألا هو حبل الله فأعتصموا به جميعاً ولا تَفَرَّقُوا عنه، وأذكُرُوا نعمةَ الله عليكم إذْ كنتم أعداءَ فألَّفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.

أيها الناس هذا عليُّ بن أبي طالب كنز الله اليوم وما بعد اليوم، مَن أحبَّهُ وتولاَّهُ اليومَ وما بعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه الله، وأدَّى ما وجب عليه، ومَن عاداه اليوم وما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمىً وأصَمّ، لا حُجَّةَ له عند الله.

أيها الناس لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفّاً، ويأتي أهل بيتي شعثاً غُبُراً مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم وبيعات الضلالة والشورى للجهالة، ألا وإنّ هذا الأمر له أصحابٌ وآياتٌ قد سَمَّاهُمُ اللهُ في كتابه، وَعَرَّفْتُكُم وَبَلَّغْتُكُم ما أُرْسِلْتُ به إليكم ولكنّي أراكم قوماً تجهلون، لا تَرْجِعُنَّ بعدي كُفَّاراً مرتَدِّين متأوِّلين للكتاب على غير مَعْرِفَةٍ، وتبتدعون السُّنَّةَ بالهوى، لأنّ كلّ سُنّة وَحَدَثٍ وكلام خالفَ القرآنَ فهو رَدٌّ وباطل، القرآن إمامُ هدى، وله قائد يهدي إليه ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ولي الأمر بعدي وليُّه، ووراث عِلْمِي وحِكْمَتِي وسِرِّي وعَلانِيَتِي، وما وَرِثَهُ النبيون من قَبْلِي، وأنا وارثٌ

ومُوَرِّثٌ فلا تكذبَنَّكم أنفسكم.

أيها الناس الله الله في أهل بيتي، فإنهم أركانُ الدين، ومصابيحُ الظُّلَم، ومَعْدِنُ العلِمْ، عليٌّ أخي ووارثي، ووزيري وأميني، والقائمُ بأمري والمُوفِي بعَهْدِي على سُنَّتِي، أوّل الناس بي إيماناً، وآخرهم عهداً عند الموت، وأوسطهم لي لقاءً يوم القيامة، فليُبَلِّغْ شاهدُكُم غائبَكُم، ألاَ ومَن أمَّ قوماً إمامةً عمياء وفي الأمة مَن هو أعْلَمُ منه فقد كَفَرَ.

أيها الناس ومَن كانت له قِبَلِي تَبِعَةٌ فها أنا، ومَن كانت له عدة فليأْتِ فيها عليَّ بن أبي طالب، فإنه ضامِنٌ لذلك كلِّه حتى لا يبقى لأحدٍ عَلَيَّ تباعة » إنتهى[1].

وهكذا، فقد ميَّزَ رسولُ الله الصدِّيقةَ الطاهرةعليها السلام عن بقيّة النساء العابدات المطيعات الزّاهدات مع أنّهنّ كثيرات في الأمم السابقة، وقد ذكر القرآن الكريم جملةً منهنّ ومَدَحَهُنَّ وأثنى عليهِنَّ إلاّ أنّ النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله لم يجعل سيِّدة النّساء الزهراءعليها السلام قرينةً لواحدة منهنّ إلاّ ما كان من مريمعليها السلام لأنها منتَخَبَة منتَجَبَة مصطفاة من نساء العالمين، ثمّ إنها موصوفة بالعصمة والعِفَّة والقداسة وسيّدة نساء عالَمِها، لكنّ السيِّدة الزهراءعليها السلام أكمل وأطهر وأقدس، وهذه الأكمليّة والأطهريّة والأقدسيّة جاءت من الله تعالى للسيّدة الزهراءعليها السلام لِمَا تمتلكه من مَلَكَات وقابليّات ليست عند أحدٍ من نساء العالَمين؛ ويُستدلُّ على ذلك من القرآن بقوله تعالى: ﴿ ..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ، وقد عَبَّرَ عنها الله تعالى على لسان الإمام الصّادقعليه السلام بالمشكاة في آية النور؛ وقد ذكرنا الرواية كاملة آنفاً فراجعْ.

مضافاً إلى أنّ النبيَّ محمّداًصلى الله عليه وآله في الرواية السابقة أشار إلى أنّ السيِّدة الزهراءعليها السلام هي مريم الكبرى، فالنبي لم يقلْ إنها مريم، بل أضاف كلمة "الكبرى" فقال: إنها مريم

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٢ ص٤٨٤ ح٣١.

وزيادة، فهي أكبر وأشرف وأفضل وأجلى وأقوى من مريم، وسيّدة نساء العالَمين من الأوّلين والآخرين، وهذه الأفضليّة والأشرفيّة لجامعيتها، ولأنّها أكمل في المَلَكَات المحمودة والمَلَكَات المسعودة.

معنى الاسم "مريم":

مريم باللغة القديمة تعني العابدة، وقيل: إنّ معناه الخادمة، أو المرأة التي تعادل الفتيان، وهو اسم وضعته حنّة أمُّها بعد أنْ وضعتها، قال تعالى حكايةً عن أمّها: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

ومريم بنت عمران بن ماثان وهو غير عمران بن أشهم المنسوب إلى إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل بأن أباها هو عمران بن أشهم؛ فوالد مريم – عمران بن ماثان – غير عمران والد موسى، والفاصل بين العمرانين أكثر من ثمانمائة سنة. وسبب نذر حنّة هو أنّها كانت عقيماً، فآيست من الولد، غير أنها كانت تدعو الله دائماً أنْ يرزقها ولداً ذكراً، ورأتْ يوماً طائراً على غصن يزق فرخه، فرَقَّتْ وتضَرَّعَتْ إلى الله وتوسَّلَتْ إلى الربّ القادر وعَرَضَتْ حاجتها على ربّ القضاء، فوَهَبَها مريم بدلاً من الذَّكَرِ الذي طَلَبَتهُ ليخدم في بيت المقدس.

والسّؤال المفروض: لماذا أعرض القرآن الكريم عن التصريح بأسماء النساء العابدات في القرآن، وأكتفى بالوصف والإشارة، بينما صرَّحَ باسم السيِّدة مريم في عشرين موضعاً بصيغة الخطاب وبغيرها من قبيل:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ.

﴿ ..يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ آلِ عِمْرَانَ.

﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

والجواب من وجهين:

الوجه الأول: إنّ الملوك والسّلاطين لا يدعون الحرائر والعقائل من ذوات البيوتات بأسمائهنّ في الملأ العام والمحافل، وإنما يدعونهنّ بالألقاب والكنى إعظاماً وإكراماً، فينبغي أنْ يبقى اسم الحرّة المحترمة محجوباً مستوراً كشخصها، خلافاً للإماء والجواري حيث لا ينزعج السّادة من ذكر أسمائهنّ على رؤوس الأشهاد، ولمّا كان النصارى يعتقدون بعيسى وأمّه مريم أنهما ابن الله وزوجته، وينسبونهما للحقّ - تعالى الله ذلك علوّاً كبيراً - فقد وصف الله سبحانه عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بصفة العبوديّة، وأجرى ذلك على لسانه حيث قال عز وجل: ﴿ ..إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ، وكذلك وصف مريم عليها السلام بالعبوديّة وخاطبها بهذه السِّمة: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ.. ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، ليعلم النّصارى أنّ تلك المستورة العظمى كباقي النساء، أمة من إماء الله، وابنها عبدٌ من عبيده، ونسبتهما إلى الله ذي المنن نسبة العبودية، لا نسبة البنوّة ولا الزوجية، وهذا لا يعني أنّ الله نقّص من قدر مريم في القرآن، بل ذكرها وصرّح باسمها وأمرها بالطاعة والعبادة تعظيماً لها.

والغرض من تكرار اسمها والتأكيد عليها بالإمتثال والإطاعة لإثبات العبودية والإئتمار، ليعلم النصارى أنّ مريم أمتازت في العبادة، ولم تتميز في العبودية، وإنما هي من عبيد الله، ولا نسبة بينها وبين السّاحة المقدَّسة لحضرة ملك الملوك وربّ الأرباب، خلافاً لما توهّمه النصارى حينما جعلوها إقنوماً من الأقانيم الثلاثة[1].

الوجه الثاني: إنّ السبب في تكرار اسم مريم في القرآن أنّ الله أكرم مريم بكرامات باهرة وآيات زاهرة، ونزّهها من النقائص والكدورات النسوية، وهذّبها وقَبِلَها وجعلها في عداد الأنبياء العظماء، وخاطبها خطابات صريحة مباشرة، ليعلم أنّ القدرة الربانية الكاملة يمكن أنْ تجعل المرأة في عداد الأنبياء بعد رفع الموانع

(١) الأقنوم: الأصل.

وطهارة الذيل وكثرة التقوى وشدّة الإيمان، فتكون مثل إبراهيم وعيسى وموسى وداود عليهم السلام يتوجّه إليها الخطاب: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ؛ ونقصد بالمرأة هنا التي جعلها الله في عداد الأنبياء هو المرأة المعصومة وليس كلّ امرأة، فليس بإمكان أية امرأة أن تصل إلى درجة الأنبياء، وكذلك ليس بإمكان كلّ رجلٍ أن يصل إلى درجة الأنبياء، نعم الرجال المعصومون يصلون إلى درجة الأنبياء بل يتخطون درجاتهم، وكذلك النساء المعصومات يصلن إلى درجة الأنبياء ويتخطون درجاتهم نظير ما وصلت إليه سيدتنا الصدّيقة الكبرى الزهراء البتول عليها السلام حيث تفوقت على الأنبياء والمرسلين بصفاتها الربانية وخصائصها النفسية ﴿ ..ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ.

الخلاصة: إنَّ الوجه الثاني قريب من مشرب بعض علماء العامّة الذين ذهبوا إلى القول بنبوّة مريم، وأنها من الأنبياء العظام، واستدلّوا لذلك بالخطابات القرآنية؛ وهذا الرأي لم يوافق عليه أكثر علماء الإمامية؛ بدعوى أنّ النساء مهما بلغْنَ من الكمال في الإيمان لا يُكَلَّفْنَ بتكاليف الرِّجال، ولا يمكن أنْ يأتين بشريعة، فللرجال تكاليفهم وأحكامهم ومهامهم، وللنساء تكاليفهنّ وأحكامهنّ ومهامهنّ.

ولكنّ الصحيح أنْ يقال: إنّ النساء - أمثال مريم عليها السلام - لا يصحّ تكليفهنّ بالتكاليف العامّة؛ كدعوة الناس إلى الاعتقاد بهنّ كأنبياء مرسَلين أصحاب شريعة، أمّا أنْ يكُنَّ مكَلَّفات بتكاليف خاصّة بهنّ فلا مانع منه ويصح حينئذٍ لغةً تسميتهنَّ بأنبياء غير مرسَلين، كبقيّة الأنبياء من الرِّجال غير المرسلين؛ ذلك لأنّ النبوّة أعمّ من كونها تشريعيّة، فهنَّ أنبياء من الناحية اللغوية المحضة ولكنهنّ لسن بأنبياء إصطلاحاً وعرفاً، فتأمل أخي القارئ فإنه دقيق.

وبالجملة: إنّ مريم أفضل من جميع النساء، والسيِّدة الصدِّيقة الكبرى الزهراء صلوات ربّي عليها أفضل من مريم ومن جميع نساء العالمين، وكثرة التصريح باسم مريم عليها السلام في القرآن لا يدلّ على أنها أفضل من السيِّدة المعظَّمة الزهراء التي لم يصرّح باسمها في القرآن، واحتجاب اسمها المبارَك وأختفاؤه دليلٌ على عَظَمَةِ ذاتِها وشَرَفِ

حالاتها، وهي المستورة الكبرى؛ كما أنّ ثبوت هذه الفضيلة للسيِّدة الزهراءعليها السلام لا تنفي علو مرتبة السيِّدة مريمعليها السلام.

ولا يخفى أنّ القرآن ذَكَرَ السيِّدة الزهراءعليها السلام في آياتٍ عديدةٍ، ووصفها بأوصافٍ كماليّةٍ وأثنى عليها، وقد استوفى المفسِّرون من الفريقَين البحثَ في هذه الآيات، وذَكَروا أدلّتَهم وشواهدهم على ذلك، كما في آية التطهير وآية المباهَلة، وآيات سورة الدّهر وغيرها من الآيات الكثيرة جدّاً؛ ولا يخفى أيضاً أنّ قول النبيصلى الله عليه وآله وسلم: « **فاطمة مريم الكبرى** » مدحٌ واضحٌ لمريم حيث جعل الفضلَ محصوراً بها، وكأنّه قالصلى الله عليه وآله وسلم: إنْ كان شرف أمة عيسى في مريم، فإنّ لهذه الأمة المرحومة مريم أيضاً إلاّ أنها أشرف وأفضل؛ وأفضليتها من الجهة الذاتية واضحٌ لا غبارَ عليه، وأمّا أفضليتها من الجهة الخارجية فيكفيها شرف البنوة والإنتساب إلى خاتم الأنبياء والمرسَلينصلى الله عليه وآله وسلم، والزواج بخاتم الأوصياء وملازمته، وأمومة الأئمّة المعصومينعليهم السلام، وكثرة ذريتها الطيبة إلى يوم الدِّين وأقصد بالذرية الطيبة كلَّ سيّدٍ غير مشكِّكٍ بفضائلها وظلاماتها وخصائصها ومعاجزها وكراماتها، وغير مائلٍ إلى أعدائها وأعداء شيعتها يكون سيّداً وابناً لها وإلاّ فهو - كما جاء في الأخبار المتواترة - إمّا ابن حيضة، وإمّا ابن زنا، وإما منافق، وبالتالي فلا يكونُ كاملَ السيادةِ، قال نبيّ الله نوحعليه السلام: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحُ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سُورَةُ هُودٍ، والله أعلم. وعليه؛ فإنّ السيِّدة الشّهيدة والشّاهدة الزهراءعليها السلام أفضل من مريمعليها السلام، بل سيدتنا هي الصدِّيقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى.

المحدثة:

المحدَّثة على صيغة اسم المفعول أي التي حُدِّثَتْ من قِبَلِ الله تعالى وملائكته؛ لأنّ المحدَّث لا بدّ له من محدِّث، فكان اللهُ مُحدِّثها - كما قلنا - وجبرائيل وغيره من الملائكة، فكان لسيّدة النساء لقاءات لا تُحصى مع الملائكة، كيف لا؟! وقد أشارت

الزيارة الشريفة (الجامعة الكبيرة) المرويّة بسَنَدٍ صحيحٍ إلى مولانا الإمام الهادي عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام وسيّدة النساء الزهراء فاطمة عليها السلام: « **مُخْتَلَفُ الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرّحمة..** ».

ومعنى كونهم عليهم السلام: « **مختلف الملائكة** »؛ أي أنهم موضع صعود ونزول الملائكة إليهم صلوات الله عليهم.

وفي حديث مصحف جبرائيل عليه السلام، أو ما يُسمَّى بمصحف السيِّدة الزهراء عليها السلام، أنّ السيِّدة الطاهرة عليها السلام كانت تلتقي جبرائيل طيلة فترة وجودها الشريف بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله بما يقارب الخمسة والسبعين يوماً على الرّواية المشهورة والصّحيحة سنداً، فكان يحضر ليؤنسها، فكانت عليها السلام تراه بالحاسّة الباصرة الظاهرية، وتسمع منه الأحاديث والأخبار في ما كان وما هو كائن، ومما يؤكد لقاءها به قبل رحيل والدها صلى الله عليه وآله ما جاء في مرثيتها المشهورة:

قـد كـان بعـدك أنبـاء وهنبثـة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنـا فقـدناك فقـد الأرض وابلـها	وأختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
قـد كـان جبريـل بالآيـات يؤنسنا	فغبـت عنـا فكـل الخير محتجـب
فكنـت بـدراً ونـوراً يستضـاء بـه	عليك ينزل من ذي العزة الكتب
تجهمتنـا رجـال وأسـتخف بنـا	بعـد الـنبي وكـل الخير مغتصـب
سـيعلم المتـولي ظلـم حامتنـا	يـوم القيامـة أنـى سـوف ينقلـب
فقـد لقينـا الـذي لم يلقـه أحـد	مـن البريـة لا عجـم ولا عـرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت	لنـا العيـون بتهمـال لـه سـكب
وكـان جبرائيـل بالآيـات يؤنسـنا	فغبـت عنـا فكـلُّ الخير محتجـبُ

البيت الأخير من مرثيتها الشريفة دلالة واضحة على مؤانسة الملاك جبرائيل عليه السلام لها صلوات الله عليها.

وقد عَرَّفَ المحدِّث الفيض الكاشاني في كتابه (الوافي): « **"المحدَّث" بأنّه الذي**

يحدِّثه الملك في باطن قلبه، ويلهمه معرفة الأشياء، ويفهم، وربّما يسمع صوت الملك وإنْ لم يرَ شخصه»[1].

وقال في (مجمع البحرين) في معنى "المحدثين": « **أي تحدّثهم الملائكة وفيهم جبرائيل من غير معاينة** ».

وقد أقتصر هذان التعريفان على كون التحديث من قِبَلِ الملائكة فقط دون أنْ يشملَ تحديثَ اللهِ للمحدَّث، كما أنهما قيَّدَا التحديث بسماع صوت المَلَك دون رؤيته.

وفيهما من الإشكال ما لا يخفى على المتدبِّر، حيث إنّ التقييد المذكور تبرعي دون أنْ يعتمد على دليلٍ، بل هو خلاف الآيات والأخبار الدالة على صحّة رؤية الملاك، فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۝٩٦ ﴾ سُورَةُ طه؛ فظاهر قوله: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ يفيد الرّؤية البصريّة فيحمل لفظ ﴿ بَصُرْتُ ﴾ على معناه الحقيقي حتى تأتي قرينة تصرفه إلى المجاز، وحيث لا قرينة في البَيْن يبقى اللفظ على معناه الحقيقي، وقد جاء في تفسيرها أنّ السّامري أخذ من تراب حافر رمكة (ناقة) جبرائيل وطرحها في العجل المصوغ من الذهب فتحرَّك، فأضلّ قومَه بعبادة العجل.

فإذا جاز للسّامري أنْ يرى جبرائيل عليه السلام، ويأخذ التراب من تحت قدَمَيه، فلِمَ لا يجوز للأولياء أنْ يشاهدوا جبرائيل بعيونهم المادية والبرزخيّة؛ كما شاهد السامري؟! فهل السامري أفضل من الأوصياء المطهرين وسيدة نساء العالمين عليهم السلام حتى تُدَّعَى له هذه الفضيلة دون أئمتنا عليهم السلام؟! كلا ثم كلا..! وذلك لقيام الأدلة والبراهين من الكتاب الكريم والسنَّة على صحة جواز رؤية الملائكة كما تقدم في الآية الكاشفة عن رؤية السامري للملك جبرائيل.

---

(١) راجع (الوافي) ج١ ص٦٢٤، ذيل الحديث رقم١٢٠٨ باب٦١.

ومن القرآن أيضاً: ما ورد عن الصدِّيقة مريم عليها السلام؛ من أنها كانت ترى الملائكة وتحدِّثهم، قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ. وكذا سارة عليها السلام زوجة النبي إبراهيم عليه السلام كانت محدَّثة، وقد عاينت الملائكة حسبما جاء في خبر سليم بن قيس[(١)].

ومن الأخبار ما أورده الشيخ الكليني (أعلى الله مقامه الشريف) في الكافي ما يشفي الغليل، فقد أورد باباً خاصّاً في أنّ الأئمّة تدخل الملائكةُ بيوتهم وتطأ بسطهم ويظهرون لهم[(٢)]:

① عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، عن مسمع كردين البصري قال: كنتُ لا أزيد على أكلة بالليل والنهار، فربّما استأذنتُ على الإمام أبي عبد الله عليه السلام وأجد المائدة قد رُفِعَت، لعلّي لا أراها بين يديه، فإذا دخلتُ دعا بها فأصيب معه من الطعام ولا أتأذى بذلك، وإذا عقّبت بالطعام عند غيره لم أقدر على أنْ أقرَّ ولم أنم من النفخة، فشكوتُ ذلك إليه وأخبرته بأني إذا أكلتُ عنده لم أتأذَ به، فقال عليه السلام: « **يا أبا سيار إنك تأكل طعام قومٍ صالحين، تصافحهم الملائكة على فرشهم** »، قال: قلت ويظهرون لكم؟ قال: فمسح يده على بعض صبيانه، فقال عليه السلام: « **هم ألطف بصبياننا منا بهم** ».

② محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، بن خالد، عن محمد بن القاسم، عن الحسين بن أبي العلاء، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: « **يا حسين** - وضرب بيده إلى مساور في البيت - **مساور طالما أتكت عليها الملائكة وربما التقطنا من زغبها** ».

(١) راجع (السّقيفة والخلافة) لسليم بن قيس العامري ج٢ ص٨٢٤، تحقيق الأنصاري.

(٢) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٣٩٣، الأحاديث ١، ٢، ٣، ٤.

③ محمد، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم قال: حدثني مالك بن عطية الأحمسي، عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على الإمام علي بن الحسين عليهما السلام فاحتبست في الدار ساعة، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده من وراء الستر فناوله مَن كان في البيت، فقلت: جُعِلْتُ فداك هذا الذي أراك تلتقطه أي شيء هو؟ فقال عليه السلام: « **فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحاً لأولادنا** »، فقلت: جُعِلْتُ فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال عليه السلام: « **يا أبا حمزة إنهم ليزاحمونا على تكأتنا** ».

④ محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن أسلم، عن علي بن أبي حمزة، عن الإمام أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: « **ما من ملك يُهبِطُهُ اللهُ في أمرٍ ما يهبطه إلا بدأ بالامام، فعرض ذلك عليه، وإنَّ مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر** ».

إذن ذانك التعريفان أخصّ من المدَّعى، بمعنى أننا نريد من التعريف أنْ يكون شاملاً ومانعاً، في حين أنّ التعريفين المتقدِّمين ليسا كذلك، بل أشارا إلى مصداقٍ واحدٍ من مصاديق مفهوم المحدَّث، إذ إنّ بعض المحدَّثين يسمعون الملك ولا يرونه، وبعضهم يسمع ويرى، فالتعريف بأحد المصاديق غير جامعٍ، فلا يصلح أنْ يكون معرِّفاً؛ لأنّ المعرِّف يجب أنْ يكون أوضح من المعرَّف ومستوعِباً لكلّ مصاديقه المندرجة تحته، كما هو معلوم عند علماء المنطق؛ فتأمَّلْ.

فالصحيح في تعريف "المحدَّث" أنّه: الطّاهر الذي تتجلّى في قلبه الأوامر الإلهية أو الأمور الكائنة الملقاة من قِبَلِ الله بواسطة المَلَك أو بدونه، وقد ينتهي بصاحبه الإستعداد إلى أنْ يسمع الصوت ويرى المَلَك.

إشكالٌ وحلٌّ:

قلتَ إنّ المحدَّث هو الذي يرى المَلَك ويسمع، وقد استشهدتَ ببعض الأخبار الدالة على ذلك، لكنْ ثمّة أخبار أخرى معارِضة للتي ذكَرْتَ تدلّ على أنّ المحَدَّث

هو مَنْ يسمع الصوت ولا يرى، كالذي جاء في (الكافي) في كتاب الحجّة - باب أنّ الأئمّة محدَّثون مفهَّمون[1]، فكيف توفِّق بين هاتين الطائفتين من الأخبار؟

والجواب:

❶ إنّ لسان أخبار الطائفة الثانية الدالة على أنّ المحدَّث يسمع الصّوت ولا يرى هو تحديد ماهية الوحي التشريعي الدال على أنّ النبيَّ هو مَن يسمع ويرى جبرائيل نازلاً عليه بالوحي التشريعي، ورؤية المَلَك نازلاً بالوحي التشريعي مختصّةٌ بالأنبياء ولا تعمُّ الأوصياءَ، لكن لا يستلزم هذا عدمَ رؤيةِ الأوصياء للمَلَك في غير الوحي التشريعي، بل هو ثابت - حسبما أسلفنا - لمريم ولأئمتنا الطاهرين وسيّدة النساء عليهم السلام، بل نؤكّد أنّ أئمتنا الطاهرين مع الصدِّيقة فاطمة عليهم السلام يرون جبرائيل نازلاً بالوحي على رسول الله لكنه لا ينزل عليهم بذلك، والدّليل عليه ما حكاه القرآن الكريم عن السّامري، وأكّدته الأخبار المفسِّرة أنَّه كان يرى جبرائيل يخاطب النبي موسى على نبيّنا وآله وعليه السَّلام؛ فتأمَّلْ[2].

❷ إنّ هذه الطائفة الدالة على أنّ المحدَّث يسمع الصوت ولا يرى الملك كلّها أخبار ضعاف الأسانيد، مضافاً لمعارضتها للآيات والأخبار الدالة على إمكان رؤية الملك،

---

(١) وهذا هو نصّ الرواية: عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن رجل، عن محمّد بن مسلم قال: ذكر المحدِّث عند الإمام أبي عبد الله عليه السلام فقال: « **إنه يسمع الصوت ولا يرى الشخص** »، فقلت له: جعلت فداك كيف يعلم أنه كلام المَلَك؟ قال: « **إنه يعطي السكينة والوقار حتى يعلم أنه كلام مَلَك** ». (راجع أصول الكافي: ج١/٢٧١ ح٤)... الخبر ضعيف لجهالة من روى عنه يونس بن ظبيان الذي ضعفه مشهور الرجاليين.

(٢) هذا جواب روتيني قد أسّسناه في بحوثنا الأخرى، ولكننا اليوم نعدل عنه إلى ما هو أفضل منه وهو الآتي: إنّ الأئمّة يرون الوحي بكلّ تفاصيله لقوله صلى الله عليه وآله: « **يا عليّ إنّكَ ترى ما أرى وتسمع ما أسمع إلاّ أنّكَ لستَ بنبيّ** »؛ أي لستَ صاحب شريعة، وليس عيباً أو نقصاً به عليه السلام أنْ لا يكون صاحب شريعة بل له ما هو أفضل من ذلك وهو حماية الشريعة وصيانتها من التحريف وهذا من لوازم إمامتهم المقدَّسة. فالإمام عليّ عليه السلام كان يسمع الوحي تماماً كرسول الله صلى الله عليه وآله، لكنّ الفارق بينهما أنّ الرّسول صلى الله عليه وآله صاحب هذا الوحي التشريعي، فهو خاصٌّ به يبلّغه للناس، والإمام عليه السلام يبلغه معه دون أن يسبق النبيَّ بإخباره للنّاس.

ولا يجوز تقديم الأخبار الضعيفة على الأخبار الصحيحة الموافقة للكتاب الكريم.

ولو غضضنا الطرف عن الأسانيد الضعيفة إلا أنَّ دلالتها تخالفُ الكتاب الكريم الدال على صحة جواز الرؤية للسامري وللصدّيقة الصغرى مريمعليها السلام، وما كان مخالفاً للكتاب يُضربُ به عرض الجدار - كما أمرنا به أهل بيت العصمةعليهم السلام - أو يحمل على غير ظاهره.

وبالجملة؛ فالمحدَّث تارةً يكون نبيّاً وأخرى يكون وصيّاً، وثالثةً يكون وليّاً، وليس ثمّة ملازَمة بين التحديث وبين النبوّة التشريعية، وإنْ كان بعضُ المحدَّثين أنبياءً، فليس كلُّ مَحدَّثٍ نبيّاً، كما ليس كلُّ محدّثٍ وصيّاً أو إماماً، بل المحدَّث أعمّ من كونه نبيّاً ووصيّاً، من هنا تسائل سليم بن قيس لمّا قال له أمير المؤمنينعليه السلام: « **إني وأوصيائي من ولدي كلُّنا محدَّثون** »، قال سليم لمحمّد بن أبي بكر: وهل تُحَدِّث الملائكة إلاّ الأنبياء؟ قال: أمَا تقرأ القرآن: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ولا مُحَدَّث[1]؟ قلت له: أمير المؤمنينعليه السلام مَحدَّثٌ هو؟ قال: نعم، وكانت فاطمةعليها السلام مَحدَّثة ولم تكن نبيّة، ومريم كانت مَحدَّثة ولم تكن نبيّة، وأمّ موسى ما كانت نبيّة وكانت محَدَّثة، وكانت سارة امرأة إبراهيم قد عاينَت الملائكة فبشّرُوها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيّة.

قال سليم: فلمّا قُتِلَ محمّد بن أبي بكر بمصر ونعي عزّيتُ به أمير المؤمنينعليه السلام وخلوتُ به، فحدَّثتُهُ بما حَدَّثني به محمّد بن أبي بكر وخبّرته بما خبّرني به عبد الرحمن بن غنم، قال: « **صدَقَ محمّدرضي الله عنه، أَمَا إنه شهيدٌ حيٌّ يُرْزَق، يا سليم، إنّ أوصيائي أحد عشر رجلاً من ولدي أئمّة هداة مهديّون كلّهم محَدَّثون** »[2].

---

(١) ورد في روايات متضافرة أنّه في قراءة أهل البيتعليهم السلام قوله تعالى: ﴿ ولا محدث ﴾ وروى ابن شهر آشوب عن ابن عبّاس كذلك، وقد بحث صاحب الغدير: ج٥ ص٤٢ بحثاً ضافياً حول آية المحدّث. فراجعه وراجِعْ (كتاب سليم بن قيس): ج٢ ص٨٢٤ في الهامش.

(٢) راجع (كتاب سليم بن قيس) ج٢ ص٨٢٤ - ٨٢٥.

جاء في خبر عن مولانا الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال لحكم بن عيينة حديثاً، فسأله جماعة ما هذا الحديث فلم يخبرهم، فدخلوا على الإمام الباقر عليه السلام فقالوا له: إنّ الحكم بن عيينة أخبرنا أنه سمع منك ما لم يسمعه منك أحد قط فأبى أنْ يخبرنا به؟ فقال: « **نعم وجدنا علم عليّ عليه السلام في آية من كتاب الله** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ولا مُحَدَّث » فقلنا ليست هكذا هي، فقال في كتاب عليّ عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ.. ﴿٥٢﴾ ﴾ فقلت: أيّ شيء المحدَّث؟ فقال: « **ينكت في أذنه فيسمع طنيناً كطنين الطست أو يقرع على قلبه فيسمع وقعاً كوقع السلسلة على الطست** »، فقلت: إنّه نبي؟ قال: « **لا مثل الخضر ومثل ذي القرنين** »[1].

وفي خبر الحكم بن عيينة قال: دخلتُ على الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام يوماً، فقال لي: « **يا حكم هل تدري ما الآية التي كان عليّ بن أبي طالب يعرف بها صاحب قتله ويعلم بها الأمور العظام التي كان يحدّث بها النّاس؟** » قال الحكم: فقلتُ في نفسي قد وقفت على علمٍ من علمِ الإمام عليّ بن الحسين أعلم بذلك تلك الأمور العظام، قال: تلك له: والله لا أعلم به، أخبِرْني يابن رسول الله، قال: « **والله قول الله:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ ولا مُحَدَّث » فقلتُ: وكان عليّ بن أبي طالب محدَّثاً؟ قال: « **نعم، وكلّ إمامٍ منّ أهل البيت فهو مُحَدَّث** »[2].

التأمّل في هذه الأخبار يوضح لنا الفَرْقَ بين الرّسول والنبي والمحدَّث، فرتبة المحدَّث تلي المرتبتين المتقدّمتين - الرِّسالة والنبوّة التشريعيّة - أو أنّها من رتب النبوّة والرّسالة.

روى شيخ المحدِّثين الصَّدُوق في (علل الشرائع): أنّ سلمان كان محدّثاً، فسُئِلَ

(١) راجع (بصائر الدرجات) ص٣٤٤ ح١٣ باب٦.

(٢) راجع (بصائر الدرجات) ص٣٢٩ ح٣.

الإمام الصّادق عليه السلام عن ذلك وقيل له: مَن كان يحدِّثه؟ فقال: « **رسول الله وأمير المؤمنين، وإنما صار محدَّثاً دون غيره ممن كان يحدّثانه؛ لأنهما كانا يحدّثانه بما لا يحتمله غيره من مخزون عِلْمِ الله ومكنونه** »[1].

ويلاحَظ في ذيل الحديث الفرق الفاصل بين سلمان وغيره، حيث كان سلمان يحدّث عن إمامه، والإمام عليه السلام يحدِّث عن الله سبحانه لأنّه حجّة الله، « **ولا يحدِّث عن الله إلاّ الحجّة** »[2]. ونظير تحديث سلمان ما ورد من أنّ الفقيه الحقيقي هو المحَدَّث من قِبَلِهم عليهم السلام، فقد ورد عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: « **إعْرِفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنّا لا نعدّ الفقيهَ منهم فقيهاً حتى يكون محدَّثاً**، فقيل له: أوَيَكُونُ المؤمنُ محدَّثاً؟ قال عليه السلام: **يكون مفهَّمَاً، والمُفَهَّمُ المُحَدَّثُ** »[3].

وورد عن الإمام المهديّ بقيّة الله عجل الله تعالى فرجه الشريف أنه قال: « **لا عذر لأحدٍ من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا، قد عرفوا بأنّا نفاوضهم سرَّنا ونحملهم إيّاه إليهم** »[4].

وروى الشيخ الطوسي في (أماليه) عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **كان عليٌّ عليه السلام محَدَّثاً، وكان سلمان محَدَّثاً**، قال: قلتُ: فما آية المحَدَّث؟ قال: **يأتيه مَلَكٌ فينكت في قلبه كيت وكيت** »[5].

وشتّان ما بين تحديث أمير المؤمنين عليه السلام، وبين تحديث سلمان؟!

فتحديث المَلَك فيضٌ خاصٌّ وعِلْمٌ مخصوصٌ للمحَدَّث دون سواه، وهذه الإفاضة - أي النكت بالسَّمع والقذف في القلب - تكون للإستعداد والقابليّة الكاملة

(١) راجع (العلل) ج١ ص٢١٧ باب١٤٦ ح٢.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٢ ص٣٤٩ باب١٠ ح٧٠.

(٣) راجع (وسائل الشيعة) ج١٨ ص١٠٨ ح٣٨.

(٤) راجع (وسائل الشيعة) ج١٨ص١٠٨ح٤٠، و(المختار من كلمات الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف) ج٢ص٤٧٠.

(٥) راجع (الأمالي) ح٩١٤، المجلس الرّابع عشر، و(بصائر الدّرجات) ص٣٢٢ ح٧ باب٦ ح٤.

الموجودة في المحَدَّث خاصّةً، وهذا الإستعداد والقابليّة موهبة رحمانيّة ومكرمة ربّانية، ولذا قيل في سلمان: « **سلمان منّا أهل البيت** »؛ فإذا كان سلمان كذلك، فلماذا لا تكون سيّدة النساء فاطمة الزّهراء عليها السلام من المحدَّثين بطريق أولى؟

وعلى أيّة حال فإنّ لقب " المحدَّثة " من شرائف أوصاف السيِّدة الكريمة وهو يحكى كمال المخدرة الكبرى في العلم، وكونها مَحَدَّثة ليس خاصاً بتحديث الملائكة لها، بل يشمل كلَّ مصاديق التحديث.

فالصدِّيقة الكبرى الزّهراء عليها السلام هي وعاء المشيئة الإلهية، كما أنها ترى الملائكةَ وتأمرهم لوجوب إطاعتهم لها، ولولاها لَمَا خَلَقَ اللهُ الملائكةَ والجنَّ والإنسَ والجمادَ والنباتِ والحيوانَ.. ولولاها ما تكاملت نبوة كلّ نبيٍّ.

روي في (بصائر الدرجات) في ج٧ أنّ الأئمّة عليهم السلام يخاطبهم الملائكة المقرَّبون ويسمعون الصوتَ ويعاينون خلقاً أعظم من جبرائيل وميكائيل[1].

وعن عليّ بن حمزة عن أبي بصير قال: سمعتُ الإمام أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إنّ منّا لَمَن يُنْكَت في أذنه، وإنّ منّا لَمَن يرى في منامه، وإنّ منّا لَمن يسمع الصوت مثل صوت السلسلة يقع على الطست، وإنّ منّا لَمَن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل** »[2].

بل إنّ علوم الأئمّة عليهم السلام أعظم من كلّ ذلك، فإنهم على إتصال دائمٍ بعلم الله تعالى، لذا هم في حالة إزدياد ليلَ نهار؛ من خلال أتصالهم بالله تعالى بلا نفاد ولا إنقطاع كذرّات الشمس وأشعتها تمدُّ الكائنات بالحياة والإشراف، فإنّ أئمتنا عليهم السلام متّصلون بالله، إتصال المعلول بالعلّة، يستمدُّون دائماً من الله تعالى، ومن ثَمَّ يخبرون الناس بما جاءهم من عنده عزّ وجلّ.

إذن كانت السيِّدة الزهراء عليها السلام مَحَدَّثة وكانت الملائكة دائماً بحضرتها يأنسون بها

---

(١) راجع (بصائر الدرجات) ص٢٥١ باب٧ في أنهم يخاطبون ويسمعون الصوت ويأتيهم صور أعظم من جبرائيل وميكائيل، والباب الثامن ص٢٥٣.

(٢) راجع (بصائر الدرجات) ص٢٥٢ ح٤.

وتأنس بهم كما هو مفاد خبر مصحف السيِّدة الزهراء عليها السلام، بل في خبر بصائر الدرجات تصريح واضحٌ أنّ جبرائيل كان يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها...

وفي (علل الشرائع) عن مولانا الإمام الصّادق عليه السلام قال: « **إنما سُمِّيَت فاطمة عليها السلام محَدَّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السّماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إنّ الله أصطفاكِ وطهَّرَكِ وأصطفاكِ على نساء العالَمين، يا فاطمة أقنُتي لربّك وأسجدي وأركعي مع الرّاكعين، فتحدّثهم ويحدِّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضَّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالَمها، وإنّ الله عزّ وجلّ جَعَلَكِ سيّدة نساء عالَمَكِ وعالَمِها وسيّدة نساء الأوّلين والآخرين** »[1].

وزبدة المخض: إنّ المحَدَّث لغةً واصطلاحاً يُراد منه أمور: إمّا تحديث الملائكة، وإمّا الإلقاء في الرَّوع، أو التفهيم، أو جريان الصواب على اللسان. ولا شكَّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وزوجته الطاهرة فاطمة البتول عليها السلام وأولادهما الأئمّة الطاهرين والتّالين لهم، هم من المحدَّثين، والمخالفون يرون منهم عمر بن الخطّاب، وقد رووا نصوصاً في عمر نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو منها بَراءٌ، منها ما أخرجه البخاري في صحيحه في باب مناقب عمر بن الخطّاب عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يُكَلَّمون من غير أنْ يكونوا أنبياء فإنْ يكن من أمّتي منهم أحدٌ فعمر".

فجعلوا عمر من المحدَّثين، وقد استدلّ القسطلاني بالرّواية المتقدِّمة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم - حسبما يزعمون - "فإنْ يكن": (**حيث إنْ للترديد بل للتأكيد**..) ثم قال تعقيباً على الكلام الملفق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (**قاله صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل التوقع وكأنه لم يكن أطلع على أن ذلك كائن وقد وقع، وقصة يا سارية الجبل مشهورة مع غيرها**..)...!.

---

(١) راجع (علل الشرائع) ج١ ص٢١٧ باب١٤٦ ح٢.

ولكنّ قوله بلا دليلٍ ؛ وذلك لأنّ أداه "إنْ" الواردة في الحديث المكذوب للترديد، فجعلها للترديد وللتأكيد معاً يُعتبر تناقضاً في أقوال النبي وهذا يستلزم نسبة الجهل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بما سيؤول إليه حال عمر في المستقبل مع القطع بعلم النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله بكينونة عمر ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

مضافاً إلى أنّ تخصيص التحديث بعمر خلاف ما رووه في علمائهم من أنّ الملائكة كلَّمَتهم منهم عمران بن الحصين المتوفى سنة ٥٢هـ، قال في (الاستيعاب) إنّ عمران كان يرى الحَفَظَةَ وكانت تكلّمه حتّى أكتوى[1].

وهل تحديث عمر يقتضي أنْ يشكِّك في رسول الله في صلح الحديبية وأعتراضه على رسول الله وهو على فراش الموت، ونعته إياه بالهجر والهذيان والإعتداء على بضعة الحبيب وسلب الخلافة.. و.. و.. و.. من مخازيه وظلمه.

والحاصل: إنّ الحديث المزعوم لا حقيقةَ له، لوضوح ظلم عمر فكيف يكون مُحَدَّثاً..؟! فنحن الإماميّة ذهبنا جميعاً إلى إستحالة وجود المحدَّث في غير أهل البيت عليهم السلام وخواصهم من الشيعة سدَّدَهم المولى عزّ وجلّ.

وسيِّدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام مُحَدَّثة - بالفتح - ومحدِّثة - بالكسر - حيث كانت تحدِّث أمَّها وهي في بطنها، ويمكن أنْ نستدلّ على أفضليّة السيِّدة الزهراء على مريم من خلال كونها محدِّثة - بالكسر - وهي في بطن أمِّها، وهذه خصيصة وكرامة لم تكن للسيِّدة مريم عليها السلام، إذن تميَّزَتْ مولاتنا فاطمة عليها السلام بمزيد فضيلة على مريم.

وكونها محدَّثة - بالفتح - يستلزم تحديث الله تعالى لها، وكذا ملائكته[2] ورسوله وأمير المؤمنين عليّ، وعليه فإنها كانت كثيرة التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومع هذا جعلها العامّة أقلّ من عائشة روايةً للأحاديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد روى ابن الأثير نقلاً عن سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) أنّ السيِّدة الزهراء عليها السلام قد

---

(١) راجع (الغدير) ج٥ ص٤٦؛ نقلاً عن (الاستيعاب) ج٢ ص٤٥٥.

(٢) راجع (أصول الكافي) ج١ ص٢٣٩ أخبار نزول جبرائيل على سيّدة النساء فاطمة الزّهراء عليها السلام، وكذا نزول ميكائيل وإسرافيل عليها أيضاً. راجع (دلائل الإمامة) ص٢٩-٣٠ خبر المصحف.

روت عن النبيﷺ ثمانية عشر حديثاً، وقيل ثمانين حديثاً، بينما يروون أنّ عائشة حفظت عدّة آلاف من الأحاديث عن النبيﷺ.

سيدة النساء:

السيِّدة مؤنث سيّد، والسيِّدة أحد الألقاب الكبرى لمولاتنا فاطمة الزهراءعليها السلام، وهو لَقَبٌ جامعٌ للمكارم والفضائل الحميدة والمعاني الجليلة العديدة.

وأصل السيِّد مأخوذ من ساد يسود فهو سَيْوِد، فقُلِبَت الواو ياءً لأجل الياء الساكنة قبلها ثم أُدغمَت.

وفي الحديث: « **لا تقولوا للمنافق سيّداً، فهو إنْ كان سيدكم وهو منافق، فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك** »[1].

ويُطلَق "السيِّد" على معانٍ: الربّ، المالك، الشريف، الفاضل، الكريم، الحليم، المحتمل أذى قومه، الرئيس، المقدَّم، الزوج، الذي يفوق في الخير والعفّة..

ويُستعمل "السيِّد" غالباً بالإضافة والقيد، من قبيل: سيِّد القوم، وسيِّد السّادات، وسيّد النبيين، وسيّد الأوصياء، وسيّدة النساء، وسيّد شباب أهل الجَنَّة، وهكذا دواليك..

وشاع إستعماله عند العرف في الشرفاء من أولاد الإمامين الحسنينعليهما السلام. وقد أطْلِقَ الاسم على النبي يحيىعليه السلام في القرآن صريحاً في قوله تعالى: ﴿ ..أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ. ومعنى كون يحيىعليه السلام سيّداً أي أنّه مُطاعٌ ومقدَّم على النّاس.

ففي الأزمنة السّابقة كان يُطلَق السيِّد على المقدَّم على غيره، والمطاع في قومه؛ لأنّ ذلك معنى السيادة، أمّا اليوم فإنّه يُطلَق على كلّ هاشميٍّ وعلويٍّ وفاطميٍّ حتى لو كان وضيعاً، وهو إستعمال بالوضع الثانوي.

فالمراد بسيادة الأنبياء هو الرِّئاسة والسَّلطَنَة وهي الحكومة الدنيويّة، ويمكن أنْ

---

(١) راجع (لسان العرب) ج٣ ص٢٢٨.

يكون مصطلح السِّيادة شاملاً للآخرة، فيكون الأنبياء في الجَنّة سادة أو قيّمين على الناس إلاّ على النبي وعترته عليهم السلام، بل جاء في الخبر المشهور: « **إنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجَنَّة** ».

وبالجملة: فإنّ كلَّ رسولٍ سيِّد، وليس كلُّ سيِّد رسولاً ونبيّاً، فلفظ السيِّد يتضمّن المَلَكَات الخيِّرة والفاضلة، من هنا فإنّ معنى السيِّد ووجوب إطاعته يستلزم أمرين:

الأوّل: إنّ السيِّد مَن كان مطاعاً في قومه، ولا تجب إطاعته إلاّ إذا كان ذا مَلَكَات فاضلة.

الثاني: أنْ يعتقد القوم وجوب طاعته.

وبعبارة أخرى موجَزَة: السيِّد هو مَن جعل الله وجوب طاعته وإتّباع أمره وحكمه على الخلق أجمعين، وأوجب عليهم الإعتقاد بوجوب طاعته، وهذا هو معنى الولاية والإمامة.

فالسيِّد الحقيقي والكامل هو الإمام عليه السلام؛ لكونه الجامع للعلم والعمل وإطاعة الله والورع والتُّقى، وباين الخلق وصفاً وحالاً، وأرتبط بالخالق شخصاً وحقيقةً، وجَمَعَ المَلَكَات الأخرى التي تُعَدُّ من لوازم وجوده.

ولا ريب أنّ أيّةَ واحدةٍ من هذه المَلَكَات لا يمكن نفيها أو سلبها عن مولاتنا فاطمة عليها السلام، أو إثبات صفة فيها على نحو النقصان وعدم الكمال.

فالأمر الأوّل متحقِّق في مولاتنا فاطمة عليها السلام بلا نقاش، كما لا ينبغي الإشكال في وجوب إطاعة أمرها عموماً دون منصب الإمامة، فلو أمرت السيِّدة فاطمة عليها السلام أمراً أو حَكَمَتْ حُكْماً، فعلى جميع الأفراد والآحاد أنْ يطيعوها ويعتقدوا فرضَ طاعتها.

وليست سيادتها ومطاعيتها مترشِّحة من نسبتها إلى الرّسول وحرمة بيته، وإنما هي ثابتة لها شخصياً دون ملاحظة الإنتساب إلى الرّسول، فلها سيادتها الخاصة التي توجب على الجميع إطاعتها، وقولها قولُ الله تعالى، وعدم إطاعتها عليها السلام معصية لله تعالى.

فالصدِّيقة الكبرى الزهراءعليها السلام فاقت الخَلْقَ بصفاتها الكماليّة، لذا لُقِّبَتْ بسيّدة نساء العالمين، فلفظ "السيِّدة" مطلَق لا قيد فيه، والظاهر أنّ سيادتها حينئذٍ لا تختصّ بالنساء بل تعمّ الرِّجالَ، وهيعليها السلام أفضل منهم؛ وذلك للعموم المدلول عليه بلام الجنس الدّاخلة على لفظ "سيّدة" وللعمومات الأخرى الدّالة على سيادتها وأفضليتها على عامّة الخلق، ولما ورد في الحديث المستفيض: « **لولا عليٌّ لَمَا كان لها كفوٌ من آدم فما دونه** »، وكما يومئ إليه قول الإمام العسكريعليه السلام عن رسول اللهصلى الله عليه وآله في حديث طويل: « **وما ساوى الله قط امرأةً برجلٍ إلاّ ما كان من تسوية الله فاطمة بعليّعليهما السلام وإلحاقها به، وهي امرأة بأفضل رجال العالمين** »[1].

وبتعبيرٍ آخر: إننا إذا أطلقنا لفظ " السيِّدة " وقلنا: السيِّدة فاطمة دون قيد، فيعمّ فضلُها الرِّجالَ والنِّساءَ، بينما لو قلنا: سيّدة النساء، فاللفظ مُقَيَّدٌ بالنِّساء، أو مضافٌ إلى النساء، فيختصّ اللفظ حينئذٍ بسيادتها على النساء فقط.

والمحصلة: لا شكّ أنّ مولاتنا السيِّدة الزهراءعليها السلام أفضل من السيِّدة مريمعليها السلام؛ ويشهد لذلك الأخبار الكثيرة؛ سنذكر منها شذراتٍ قليلةٍ هي الآتي[2]:

(١) ابن الوليد عن الصفّار، عن ابن معروف، عن أبي إسحاق، عن الحسن بن زياد العطّار قال: قلتُ للإمام أبي عبد اللهعليه السلام: (قول رسول اللهصلى الله عليه وآله: « **فاطمة سيّدة نساء أهل الجَنَّة** »، أسيّدة نساء عالمها؟ قال: « **تلك مريم، وفاطمةعليها السلام سيّدة نساء أهل الجَنَّة من الأوّلين والآخرين** ». فقلتُ: فقول رسول اللهصلى الله عليه وآله: « **الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجَنَّة** »؟ قالعليه السلام: « **هما والله؛ سيِّدا شباب أهل الجَنَّة من الأوّلين والآخرين** »).

(٢) التميمي، عن الإمام الرِّضا، عن آبائهعليهم السلام قال: « **قال النبيصلى الله عليه وآله: الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيها، وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض** ».

(٣) ابن موسى، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن جعفر بن أحمد التميمي، عن

---

(١) راجع (الكوثر في أحوال السيّدة فاطمةعليها السلام) ج١ ص٢٥٨ ح٢٧١؛ نقلاً عن (بحار الأنوار).

(٢) راجع (الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبي الأطهرعليها السلام) ج٣ ص١٥-١٧، الفصل السّابع.

أبيه، عن عبد الملك بن عمير، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عبّاس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « **إبنتي فاطمة سيّدة نساء العالمين** »، الخبر.

④ الهمداني، عن عليّ بن إبراهيم عن جعفر بن سلمة الأهوازي، عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن إبراهيم بن موسى، عن أبي قتادة، عن عبد الرّحمن بن علاء الحضرمي، عن سعيد بن المسيّب، عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم، وعنده عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: « **اللهمّ إنّكَ تعلَم أنّ هؤلاء أهل بيتي، وأكرم النّاس عَلَيَّ، فأحبَّ مَن أحبَّهُم، وأبغِضْ مَن أبغضهم، ووالِ مَن والاهم، وعادِ مَن عاداهم، وأَعِنْ مَن أعانهم، وأجعلهم مطَهَّرين من كلّ رِجسٍ معصومين من كلِّ ذَنْبٍ، وأيِّدْهُم بروح القُدُس منكَ.**

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: **يا عليّ! أنتَ إمام أمّتي، وخليفتي عليها بعدي، وأنتَ قائد المؤمنين إلى الجَنَّة، وكأنّي أنظر إلى أبنتي فاطمة أقبَلَتْ يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف مَلَك، وعن يسارها سبعون ألف مَلَك، وبين يديها سبعون ألف مَلَك، وخلفها سبعون ألف مَلَك، تقود مؤمنات أمّتي إلى الجَنَّة.**

فأيّما امرأة صَلَّتْ في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحَجَّتْ بيتَ الله الحرام، وزكَّتْ مالَها، وأطاعَتْ زوجَها، ووالَتْ علياً بعدي دَخَلَتْ الجَنَّة بشفاعة أبنتي فاطمة، وأنها لسيّدة نساء العالمين.

فقيل: يا رسول الله! أهي سيّدة نساء عالَمها؟

فقال صلى الله عليه وآله: **ذاك لمريم بنت عمران، فأمّا أبنتي فاطمة؛ فهي سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وأنها لتقوم في محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف مَلَك من الملائكة المقرَّبين، وينادونها بما نادَتْ به الملائكةُ مريمَ، فيقولون: يا فاطمة** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

ثمّ التفَتَ عليٌّ عليه السلام فقال: **يا عليّ! إنّ فاطمة بضعة منّي، وهي نور عيني وثمرة فؤادي، يسوؤني ما ساءها، ويسرّني ما سَرَّها، وأنّها أوّل مَن يلحقني**

مِن أهل بيتي، فأحسِنْ إليها بعدي.

وأمّا الحسن والحسين؛ فهما أبناي وريحانتاي، وهما سيِّدا شباب أهل الجَنَّة، فليكرما [في نسخة: فليكونا عليك] عليك كسمعك وبصرك.

ثمّ رفعﷺ يده إلى السّماء، فقال: **اللهمّ إني أُشهِدُكَ أنّي مُحِبٌّ لِمَن أحبَّهُم، ومبغضٌ لِمَن أبغضهم، وسِلْمٌ لِمَن سالمهم، وحربٌ لِمَن حاربهم، وعدوٌّ لِمَن عاداهم، ووليٌّ لِمَن والاهم** ».

⑤ الهمداني، عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: أخبِرْني عن قول رسول اللهﷺ في فاطمة عليها السلام: « **إنّها سيّدة نساء العالمين** » أهي سيّدة نساء عالَمها؟ فقال عليه السلام: « **ذاك مريم، كانت سيّدة نساء عالمها، وفاطمة عليها السلام سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين** ».

ما رويناه من الأخبار الدالة على أفضلية الصدّيقة الكبرى عليها السلام على الصدّيقة الصغرى مريم عليها السلام إنّما هو غيض من فيض وقليل من كثيرٍ ذكرناه شاهداً على المقام، وهي مؤكدة للآيات الدالة على شدّة طهارة السيِّدة الزهراء صلوات الله عليها وكمال عصمتها، من هذه الآيات نذكر الآتي:

الآية الأولى: آية المباهلة: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

ولا ريب أنّ مولاتَنا السيِّدة المعَظَّمَة فاطمة عليها السلام هي نفس النبيّﷺ وروحه وثمرة فؤاده ومهجة كبده؛ بصريح الأخبار المتواترة الدالة على ذلك، وحيث إنّ النبي رحمةٌ للعالمين - كلّ العوالم التكوينيّة - بمَن فيهم عالم النبي عيسى والسيِّدة مريم فيكون النبيُّ محمّدﷺ رحمةً لهما، فهو أفضل منهما، وحيث إنّ أبنتَه سيّدة النساء نفسهُ وروحهُ، فثبت لها ما ثَبُتَ للنبي محمّدﷺ.

الآية الثانية: آية التطهير، قوله تعالى: ﴿ ..إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ سُورَةُ الأَحْزَابِ.

فالآية نزلت في حقّ أهل البيتعليهم السلام، وقد أكّدَت الأخبار بين الفرقين أنّ السيِّدة الزهراء منهمعليها السلام، ومفاد الآية واضح من ناحيتين:

الناحية الأولى: الإصطفاء الرّوحي والنفسي، ويدلّ عليه مطلع الآية ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ.. ﴿٣٣﴾﴾ والمراد بالإذهاب الإبعاد لا الإرتفاع؛ لأنّ الإبعاد يفيد عدم تلبّسهم بالرِّجس أصلاً، بل أبعده الله تعالى عنهم مذ خلق أرواحهم في عالم الأنوار لعلمهعزّ وجلّ فيهم وبما سيؤول إليه أمرهم من كمال الطّاعة وشدّة القُرب منهعزّ وجلّ، فكانت عصمتهمعليهم السلام - بالمعنى المتقدِّم - ذاتية لا إكتسابية، بمعنى أنّهعزّ وجلّ أعطاهم من الكمالات الوجودية في عالَم الأنوار مكافأة لهم سلفاً لما سيؤول إليه أمرهمعليهم السلام من حُسْنِ الإنقياد لله تعالى، وليست إكتسابية تعتمد على الكسب والعمل دون سبق العلم الأزلي فيهم، فالعصمة الإكتسابية تكون المعصية فيها سابقة على العصمة، مضافاً إلى أنّها تقتصر على الأفعال دون النيات، فربّما يفكر صاحب العصمة الإكتسابية بالإثم، لكنّه لا يتلبس به خارجاً، فهو معصوم ظاهراً دون أنْ يكون معصوماً باطناً.

فاللهعزّ وجلّ رفع الرِّجس عن أهل البيتعليهم السلام وأبعدهم عنه بمقتضى حبّهم وقربهم للمولىعزّ وجلّ، فعصمتهم الذاتية لا تستلزم الإلجاء على الطاعة كما يتصور السذج من أهل العِلْم، بل إنهم مختارون في تصرفاتهم وحُسن إنقيادهم، فالعصمة الذاتية لا تسلبهم الإختيار فهم قادرون على المعصية لكن يستحيل عليهم أنْ يعصوه لعلمهم بعاقبة وقبح المعاصي عند الله تعالى، وهذا تماماً كمَن يعلم بعاقبة النار لكنه لا يلقي نفسَه في النار لعلمه بعاقبة ذلك، فعدم إلقاء نفسه في النار لا يستلزم الإلجاء أو سلب الإختيار، فهو قادر على ذلك لكنّه لا يفعل لقبح ذلك، تماماً كذات اللهعزّ وجلّ فهو قادرٌ على الظلم لكنه لا يفعله لأنّه قبيحٌ، ولا يصدر إلاّ من المحتاج والضعيف، واللهعزّ وجلّ غنيٌّ وقويٌّ، فسيِّدة النّساء الزهراءعليها السلام مصطفاة من بين خلقه تماماً كالأنبياء والمرسَلين لا تفكِّر بمعصية أو إثم وخطأ.

الناحية الثانية: الطهارة المطلقة وهي فوق الإصطفاء الرُّوحي، بل تدلّ

الطهارة على مزيدٍ من الكمال وشدّة القرب، وكأنّ ذيل الآية ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ يشير إلى مزيد طهارة لسيدة النّساء فاطمةعليها السلام على الأنبياء والمرسَلين والأولياء والصدِّيقين، من حيث شدّة قربها من الله تعالى وكثرة تعلّقها بالله تعالى دون سواه، فإذا ما كان الأنبياء مطَهَّرون وكذا مريم، فإنّ للسيدة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها طهارة أوسع من طهارتهم، وكمالاً أعظم من كمالهم، وقرباً أشدَّ من قربهم، ودرجةً أعلى من درجتهم، وحبّاً لله أكثر من حبِّهم، واصطفاءً عنده أكمل من اصطفائهم، إنها الصدِّيقة الكبرى التي على معرفتها دارت القرون الأولى، إنها أمُّ أبيها، إنها سيّدة العالَم فاطمة التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها.

إنها قطعاً أفضل من كلّ الأنبياء والمرسَلين، فضلاً عن السيِّدة مريم ومولاتنا الصدِّيقة خديجة الغرّاءعليها السلام.

أيهما أفضل السيِّدة مريم أم السيِّدة خديجةعليهما السلام؟

فيه خلاف على رأيين:

الرأي الأوّل: أفضلية مريم أبنة عمرانعليها السلام على أُم المؤمنين السيِّدة خديجةعليها السلام.

إنّ السيِّدة مريمعليها السلام أفضل، وأستدلّ أصحاب هذا الرّأي بالأمور التالية:

الأمر الأول: بالآية المباركة: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ.

فثمّة أصطفاءان وتطهيرٌ واحدٌ، فالإصطفاء الأوّل مختلف عن الإصطفاء الثاني، فالأوّل عبارة عن أختيار الله تعالى لها واللطف بها، أو يكون الإصطفاء الأوّل بمعنى أنتخابها من ذريّة الأنبياء المصطفين المرسَلين، أو بمعنى "ميَّزَكِ على كل محرّر وخصَّكِ بالكرامات السَّنِيَّة".

وقوله: ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾[1] فيه أقوالٌ:

(١) ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ فعل مُشتَقٌّ من الطهارة، وهي اسم مصدر بمعنى: النقاوة، أو الإزالة أو النّزَاهة والإستقامة، وهي ضربان: طهارة مادية وأخرى معنوية. راجع: (المنجد) و(مفردات الراغب).

الأوّل: طهّرك أي نَزَّهَكِ بالإيمان عن الكفر والنفاق.

الثاني: طهّركِ أي نزَّهَك سبحانه عن أنْ يكون في ولادتك من آبائكِ وأمّهاتكِ سفاحاً.

الثالث: طهّركِ أي نَزَّهَكِ من الأدناس والأقذار التي تعرض للنساء من الحيض والنفاس حتى صرتِ صالحةً لخدمة المسجد.

الرّابع: طهّركِ أي غسلك عن الأخلاق الذميمة والطبائع الرّديّة.

هذه أهمّ أنواع التطهير المريمي، ولكنْ ثمّةَ نوعٌ **خامس** أهمّ من تلكم الأنواع؛ ألا وهو الحمل على العموم أي طَهَّرَكِ من الأقذار الحسية والمعنوية والقلبية والقالبيّة، وبه أخذ الآلوسي صاحب (روح المعاني)[1]، وهذا المعنى حقٌّ، وبه نعتقد، وعنه ننافح وندافع وهو ما أسسناه في رسالة خاصة حول الطهارة المطلقة لأهل البيت عليهم السلام وقد نُشِرَ سابقاً في كتابنا (أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد).

وبالجملة: إنّ الإصطفاء الأوّل عبارة عن الإختيار الإلهي لها من بين النساء في زمانها خصوصاً، ومن بين الرِّجال عامَّةً.

فالإصطفاء الأوّل أخصّ من الإصطفاء الثاني الذي هو أعمّ بقرينة قوله: ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، ولو لم يكن الإصطفاء الأوّل أخصّ من الثاني لَكَان ذِكْرُ الثاني لغواً، فحيث كُرِّر الإصطفاء، وكان الثاني مقيَّداً بقرينة ﴿ عَلَىٰ نِسَآءِ ﴾ دلَّ على أنها مفَضَّلَة على النساء مطلَقاً إلاّ ما استثناه الدّليل كما سوف يأتي.

وعليه؛ فإنّ الإصطفاء الأوّل نفسيّ وعلمي وعملي، والتطهير شامل لكلّ أنواع النجاسات المعنوية والخارجية.

وأمّا الإصطفاء الثاني: فهو أختيارها من بين نساء العالمين قاطبةً بأنْ أخْرَجَ منها ولداً - وهو النبيّ عيسى عليه السلام - من دون زوجٍ، وهذا ما جاءت به الأخبار عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام وبه قال عامّة المفسِّرين من الخاصّة والعامّة.

---

(١) راجع (روح المعاني) ج٣ ص٢٤٧- ٢٤٨.

ويشهد له قوله تعالى في حقّ مريم وعيسى عليهما السلام: ﴿ ...وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ سُورَةُ الأَنبيَاءِ ؛ فهما آية من حيثيّة أنّها أنجبته من دون زوجٍ، ومن حيثيّة أنّه عليه السلام وُلِدَ من دون أبٍ، فهو تماماً كآدم حيث اصطفاه الله تعالى على العالمين باعتبار ولادته من دون أبٍ وأمٍّ ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ؛ أي أنّ آدم عليه السلام اصطفاه اللهُ على العالمين من هذه الحيثية، وليس من حيثية كونه أفضل من إبراهيم الذي لم يُذْكَر في آية الإصطفاء، وإنما ذُكِرَ آلُ إبراهيم، بل دَلَّتْ الأخبار على أنّ إبراهيم أفضل من آدم ؛ لكون الأوّل من أولي العزم دون مولانا آدم عليه السلام، ولو أبيتَ غير ذلك فإنّ آية الإصطفاء تدلّ على تساوي النبي آدم عليه السلام مع غيره من المذكورين كنوح وآل إبراهيم وآل عمران إلاّ أنّ الأخبار أستثنَتْ أهلَ البيت عليهم السلام، ودَلَّتْ على أنهم عليهم السلام أفضل منه وممّن ذُكِرَ معه في الآية.

هذا الإستدلال لم يُعجب جماعة من العامّة ؛ حيث أدّعوا أنّ المراد من نساء العالمين[1]: جميع النساء في سائر الأعصار، وأستدلّوا به على أفضليّة مريم على مولاتَينا فاطمة وخديجة عليهما السلام.

قال الرّازي: « **هذه الآية** ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ.. ﴾ **دَلَّتْ على أنّ مريم** عليها السلام **أفضل من الكلّ أي آسية وخديجة والسيِّدة فاطمة..** »، ثمّ أضاف بقوله: « **وقول مَن قال المراد أنها مصطفاة على عالمي زمانها، فهذا ترك الظاهر** »[2].

مراده: " مَن ترك الظاهر " الظاهر القرآني.

يرد عليه:

❶ لقد أعتمد الرازي بدعواه على الظواهر القرآنية دون الرّجوع إلى الأخبار النبويّة، وهذا عكس ما أمر الله تعالى من الأخذ بما أمر به النبي صلى الله عليه وآله، والإنتهاء عمّا

(١) راجع (روح المعاني) ج٣ ص٢٤٨.

(٢) راجع (تفسير الرّازي) ج٨ ص٤٦.

نهى ﴿ ..وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ.. ﴿٧﴾ ﴾ سُورَةُ الحَشْرِ، ﴿ ..أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ.. ﴿٥٩﴾ ﴾ سُورَةُ النِّسَاءِ، وما قولُهُ المتقدِّم إلاّ ترديداً لما قاله عمر بن الخطّاب: " حسبنا كتاب الله ".

❷ لو أعتمدنا على الظاهر القرآني وحده لأدّى ذلك إلى الوقوع في المجملات والمتشابهات التي لا يُرفَع الإجمال فيها إلاّ بالرّجوع إلى الأخبار المفصَّلة والمبيِّنة نظير كثيرٍ من العمومات والإطلاقات المخصصة والمقيَّدة بالأخبار، ولولا ذلك لوقع المكلَّف في العسر والحرج، وأدّى إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ ..وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ.. ﴿٢٧٥﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ؛ فإنّ البيعَ اسم جنسٍ مفرد يفيد الإطلاق لدخول اللام الجنسية عليه، ومقتضى الإطلاق أنْ تكون كُلُّ البيوع حلالاً، بدءاً بالخنْزير وإنتهاءاً بالخمر، ولكنْ لَمّا ورد تقييد هذا الإطلاق بما ورد في الأخبار من حرمة بيع الخنْزير والخمر وما شابه ذلك، عرفنا أنّ الشارع المقدَّس أباح كلَّ البيوع إلاّ ما استثناه الخبر والدّليل.

وما المانع – إذاً – إذا كان ثمّة استثناء في عموم العالمين في آية اصطفاء مريم، فعلى فرض وجود عموم في قوله: ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلاّ إنّه يُراد منه أمران لا ثالث لهما:

الأوّل: أنْ يكون اصطفاؤها على نساء العالمين من حيث طهارتها وقداستها من بين نساء العالمين.

الثاني: أنْ يكون اصطفاؤها على نساء العالمين من حيث إنجابها ولداً بلا فحل.

والأمر الثاني هو القدر المتيَقَّن من الإصطفاء الثاني؛ لورود الأخبار فيه، فيبقى الأوّل الذي هو مورد الخلاف، فيقال فيه حينئذٍ أنّ أقصى ما يدلّ عليه اصطفاؤها على نساء العالمين بالطّهارة والقداسة، إلاّ أنّه مستثنى منه مولاتنا سيّدة النساء صلوات الله عليها وأمّها السيِّدة خديجة والسيِّدة الصدِّيقة زينب عليهنَّ السلام فإنّهنّ أفضل من السيدة مريم عليها السلام، فيكون معنى سيادة مريم على العالمين أي على عوالم زمانها حسبما جاء في الأخبار، أو سيادتها على العوالم المتقدِّمة على عالَمِها دون

عوالم أهل البيت(عليهم السلام)، فإنّ السيِّدة الزهراء(عليها السلام) هي حجّة الله على خلقه عامّةً سوآء أكانوا رجالاً أم نساءً أم ملائكةً وغير ذلك.

❸ الأخذ بعموم قوله: ﴿ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ دون تقييده بزمانها يُوقِعُنا في ورطة تفسير الآيات الأخرى التي تناولت بني إسرائيل نظير قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ، وقوله: ﴿ ..ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ، وقوله: ﴿ ..وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ ﴾ سُورَةُ المَائِدَةِ...

فهل يدلّ هذا على أنّ بني إسرائيل أفضل العالمين أم أنهم كانوا أفضلَ أهل زمانهم؟ الصحيح هو الثاني، وتفضيلهم على غيرهم كان من أجل أمرين:

الأوّل: كثرة الأنبياء منهم.

الثاني: إلقاء الحجّة عليهم بقرينة قوله تعالى في الآية العشرين من سورة المائدة: ﴿ ..وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠ ﴾ حيث أنزل عليهم المَنَّ والسلوى ومائدة من السّماء فيها سمك وخبز..، وهذا لم يحصل مع أيّ أمةٍ من أمم الأنبياء السابقين على يعقوب مؤسِّس الأمّة الإسرائيليّة، فهل يُتصوَّر أنْ يكون يعقوب بن إسحاق أفضل من جَدِّه إبراهيم الذي لم يكن يهودياً ولا إسرائلياً ولا نصرانياً بل أمة مسلمةً قانتاً لله، أجتباه وجعله من المرسَلين.

كما أنّ جماعة من الأنبياء نظير زكريا ويحيى وإسماعيل ذا الوعد واليسع ويونس كانوا مفضَّلين على العالمين بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ ﴾ سُورَةُ الأَنعَامِ، فالمراد بتفضيلهم على العالمين أي على عوالم زمانهم، وإلاّ كيف يكونون مفضَّلين على الأنبياء أولي العزم أمثال نوح وإبراهيم والنبي الأكرم محمّد وآله سادة العباد وساسة البلاد، فإنّ قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، يشير إلى أفضليّة النبي

آدم ونوح على بعض مَنْ ذكرتهم الآية ٨٥ من سورة الأنعام. وبهذا يتضح أنّ قوله تعالى: ﴿ ..يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ. لا يدلّ على أفضليتها على مولاتنا الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وأبنتيها الطاهرتين وأمِّ المؤمنين السيِّدة الصغرى خديجة عليهنّ السلام لورود التخصيص بحقهنّ، فالدليل الأوّل المدّعى على أفضليتها على السيِّدة الطاهرة الزكيَّة الزهراء عليها السلام غير تامٍّ.

الأمر الثاني: ما أخرجه ابن عساكر في أحد الطرق عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **سيّدة نساء أهل الجَنَّة مريم بنت عمران ثمّ فاطمة ثمّ خديجة ثمّ آسية أمرأة فرعون** ».

وما أخرجه ابن جرير عن السيِّدة فاطمة عليها السلام قالت: « **قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أنتِ سيّدة نساء أهل الجَنَّة إلاّ مريم البتول** »[1].

يرد عليه :

❶ إنّ الترتيب في الحديث المذكور: " مريم ثمّ فاطمة ثمّ خديجة... " لا يفيد الأفضليّة لمعارضته بأحاديث أخرى دَلَّتْ على أفضليّة السيِّدة الزهراء عليها السلام، منها ما رواه ابن عساكر أيضاً عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « **أربع نسوة سادات عالمهن: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله، وأفضلهنّ عالماً فاطمة** »[2]. ومنها ما رواه الحارث بن أسامة في مسنده بسندٍ صحيح: « **مريم خير نساء عالمها** ».

فعند التعارض يؤخَذ بهذه الأحاديث دون ما رواه ابن عساكر عن ابن عبّاس لكونه خبراً واحداً لا يصحّ تقديمه على الأخبار المتكاثرة.

❷ إنّ الطاهرة الزكيَّة فاطمة البتول عليها السلام أفضل من مريم البتول عليها السلام ومن كلّ الأنبياء لكونها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله بل نفسه كما هو مفاد آية المباهلة وآية التطهير، ومَنْ

(١) راجع (روح المعاني) ج٣ ص٢٤٨.

(٢) راجع (روح المعاني) ج٣ ص٢٤٨.

كانت نفس النبيّ وروحه ومهجة كبده كما جاء في النصوص الشريفة كيف تقابل بمريم وسواها...!؟.

وصدق الآلوسي صاحب روح المعاني - وهو من أكابر علماء المخالفين - حيث قال في تفسيره للآية إثنين وأربعين من آل عمران: « **إنّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدّمات والمتأخّرات من حيث إنها بضعة رسول الله بل ومن حيثيات أُخَر أيضاً، ولا يعكر على ذلك الأخبار السابقة لجواز أنْ يراد بها أفضليّة غيرها عليها من بعض الجهات وبحيثية من الحيثيات، وبه يجمع بين الآثار، وهذا سائغ على القول بنبوّة مريم أيضاً إذ البضعيَّة من روح الوجود وسيّد كلّ موجود لا أراها تُقابَل بشيء وأين الثريا من يد المتناول** ».

ثمّ قال: « **من هنا يُعلَم أفضليتها على عائشة الذاهب إلى خلافها الكثير محتجين بقولهﷺ " خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء " وقولهﷺ: " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطّعام " وبأنّ عائشة يوم القيامة في الجَنَّة مع زوجها رسول الله، وفاطمة يومئذٍ فيها مع زوجها عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهَه، وفرق عظيم بين مقام النبي ومقام عليّ كَرَّمَ اللهُ وجهَه.**

وأنت تعلم ما في هذا الاستدلال وأنّه ليس بنصٍّ على أفضليّة الحميراء على الزّهراء، وأمّا الحديث الأوّل وهو: "خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء" على تقدير ثبوته فإنّه قصارى ما يُثبت أنها عالمة إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدِّين، وهذا لا يدلّ على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعتهﷺ، ولعلمهﷺ أنها لا تبقى بعده زمناً معتدَّاً به يمكن أخذ الدين منها فيه... ولو عُلِمَ لربما قال: خذوا كلَّ دينكم عن الزّهراء، وعدم هذا القول في حقّ من دلّ العقل والنقل على علمه لا يدلّ على مفضوليّته وإلاّ كانت عائشة أفضل من أبيها لأنّه لم يرو عنه في الدين إلاّ قليل لقلّة لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله، على أنّ قولهﷺ: « إني تركتُ فيكم الثقلين كتابَ الله تعالى وعترتي لا يفترقان حتى يردا عَلَيَّ الحوض » يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة - كما لا يخفى - كيف لا!! وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيّدة تلك العترة؟!

وأمّا ثانياً فلأنّ الحديث الثاني: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام"

معارض بما يدلّ على أفضليّة غيرها عليها، فقد أخرج ابن جرير عن عمّار بن سعد أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: « فضلت خديجة على نساء أمّتي كما فضلت مريم على نساء العالمين » بل هذا الحديث أظهر في الأفضليّة وأكمل في المدح عند من أنجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف لأنّ ذلك الخبر وإنْ كان ظاهراً في الأفضليّة لكنّه قيل ولو على بُعد: إن – أل – في النساء فيه للعهد، والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الإخبار...

وأمّا ثالثاً: فلأنّ الدليل الثالث "بأنّ عائشة يوم القيامة مع زوجها النبي في الجَنَّة" يستدعي أنْ يكون سائر زوجات النبي أفضل من سائر الأنبياء والمرسَلين لأنّ مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود، فلو كانت الشركة في المنْزل مستدعية للأفضليّة لزم ذلك قطعاً ولا قائل به... وبعد هذا كلّه فالذي يدور في خلدي أنّ أفضل النساء فاطمة ثمّ أمّها ثمّ عائشة، بل لو قال قائل إنّ سائر بنات النبي أفضل من عائشة لا أرى به بأساً... وأمّا السبكي فلمّا سئل عن هذه المسألة – أفضليّة مريم والسيِّدة فاطمة – قال: الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة بنت محمّد أفضل ثمّ أمّها[1] لما روي في الحديث قالت عائشة: لقد رزقك الله خيراً من خديجة، قال صلى الله عليه وآله: « لا والله ما رزقني الله تعالى خيراً منها، آمَنَتْ بي حين كذبني النّاس وأعطتني مالها حين حرمني الناس ».

وأمّا حديث الثريد فلعلّ كثرة الأخبار الناطقة بخلافه تهوِّن تأويله، وتأويل واحد لكثير أهون من تأويل كثيرٍ لواحد »[2]. إنتهى كلامه.

وبالجملة ؛ إنَّ سيِّدة النساء فاطمة عليها السلام هي أفضل النساء على الإطلاق، بل هي أفضل من كلّ الأنبياء والمرسَلين قاطبةً ؛ لكونها بضعة النبي صلى الله عليه وآله نفسه بنصٍّ آية المباهلة، وبأعتبارها كاملة الطهارة بنصّ آية التطهير، حيث سَبَقَتْ مريمَ وعيسى وكلَّ الأنبياء عليهم السلام بشدّة طهارتها عليها السلام أنها عليها السلام الكفؤ الوحيد لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام لقول الإمام الصّادق عليه السلام: « **لو لم يكن أميرُ المؤمنين زوجاً لفاطمة** عليها السلام

(١) راجع (روح المعاني) ج٣ ص٢٥٠.

(٢) راجع (روح المعاني) ج٣ ص٢٥٠.

لم يكن لها كفؤ: آدم فمن دونه »... فالكلام عن تقديم مريم عليها نعتبره سفهاً ومكابرة على فضل مولاتنا الطاهرة الزكية..!!.

وبما تقدم يتضح عدم صلاحية الأمرين الدالين على أفضلية مريمعليها السلام على السيدة خديجة أمّ المؤمنينعليها السلام، إذ إن الدليلين المتقدمين لم يصلا إلى درجة الإطمئنان حتى يمكن تقديم مريمعليها السلام على خديجةعليها السلام، بل غاية ما دلا عليه هو أنها سيدة نساء عالمها وأنها مصطفاة من بين نساء العالمين بإنجاب ولد من دون زوجٍ، ولا دلالة فيهما على تفضيلها على السيِّدة خديجةعليها السلام، فإذا أنتفت الدليلية على التفضيل فلا يبقى إلا أن تكون خديجةعليها السلام مساوية لمريمعليها السلام بالفضيلة أو تكون أفضل من مريمعليها السلام، وحيث إن أخبار المساواة متعارضة مع أخبار تفضيل خديجةعليها السلام على مريم فلا بد من ترجيح الأهم على المهم، والظاهر تقديم خديجةعليها السلام على مريمعليها السلام من عدة حيثيات نفسية وخارجية نبيِّن بعضاً منها في الرأي الثاني القادم.

الرأي الثاني: أفضلية مولاتنا السيِّدة خديجةعليها السلام على السيِّدة مريمعليها السلام.

بحثنا سابقاً في الرأي الأول القائل بأفضلية مريمعليها السلام على سيدة النسوان خديجة عليها السلام، وأشرنا بأنه لم يكن كافياً في إثبات أفضلية مريمعليها السلام على مولاتنا المعظمة خديجة صلوات الله عليها مع كونهما معصومتين بالعصمة الذاتية، فالنقاش إنَّما يدور حول الجهات الأخرى الدخيلة في تكوين الشخصية الفضلى على الأخرى، وبالتالي لا بدَّ من البحث عن الأدلة التي تثبت أفضلية السيدة خديجةعليها السلام على السيدة مريمعليها السلام، وما يمكن الإستدلال به على ذلك هو الوجوه التالية:

(**الوجه الأول**): إنَّ السيِّدة خديجة أمّ المؤمنينعليها السلام لا تقلّ فضيلةً عن السيِّدة مريمعليها السلام بل تفوقها فضائل ومكرمات وكرامات، وكثرة الكرامات دلالة عظمى على كثرة القرب من الله تعالى ورسوله وحججه الطاهرينعليهم السلام، والقرب الإلهي من أعظم الوسائل للتفضيل في الدرجات وعلو المقامات وإلا لأنتفت المراتب العالية والدرجات الرفيعة عن عامة الأنبياء والأولياء والأوصياءعليهم السلام حيث اصطفاهم الله تعالى بما لهم من القرب منه والإبتعاد عما يسخطه فاستحقوا علو المقام بعلو الدرجات

المستلزمة لكثرة الفضائل والمكرمات.

(**الوجه الثاني**): قول النبي صلى الله عليه وآله في حقّها: « **فُضِّلَت خديجة على نساء أمّتي كما فُضِّلَتْ مريم على نساء العالمين** ».

وجه التفضيل في هذا الحديث هو مفهوم كلمة (أمتي) المستوعبة لعامة الأمم السابقة على رسالة الإسلام المحمدي العلوي الفاطمي، فلا تُقتصر أمته على من كانوا في عهده إلى يوم القيامة بل تشمل الأمم المتقدمة على المسلمين في عصره، فتدخل في مفهوم أمته عامة الأمم الكبرى كالأمة الإبراهيمية والموسوية والعيسوية، فإنهم من أُمته، ويشهد لما قلنا ما جاء في خبر (معاني الأخبار) للصدوق بأسناده إلى محمد بن هارون الزنجاني، عن علي بن عبد العزيز، عن أبي عبد القاسم بن سلام رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله: أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، فترى أن نكتب بعضها؟ فقال صلى الله عليه وآله: « **أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا أتباعي** ».

بيان: قوله صلى الله عليه وآله: متهوكون أي متحيرون، يقول: أمتحيرون أنتم في الإسلام لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؟ ومعناه إنه كره أخذ العلم من أهل الكتاب، وأما قوله: لقد جئتكم بها بيضاء نقية.. فإنه أراد الملة الحنيفية، فلذلك جاء التأنيث كقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۞ ﴾ إنما هي الملة الحنيفية.

جميع الأنبياء والمرسلين تابعون لرسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم النبي عيسى وأُمه عليهما السلام فهما من أمة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله لأن شريعته المقدسة نسخت كلَّ الشرائع فلا شريعة مقبولة إلا شريعته الطاهرة، وبالتالي فلا أمَّة غير أمته لا سيَّما أن الأمم السابقة هي جزء من أمة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله فلا إثنينية بين أُمم المرسلين السابقين وبين أمة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله لأنهم من وادٍ واحد ومن سنخٍ واحد هو التوحيد الإلهي.

وبناءً عليه؛ فإنَّ خديجة صلوات الله عليها أفضل نساء أُمته ومن ضمنهم مريم عليها السلام التي هي من أزواج النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في الجنَّة، ولو قدّر لمريم عليها السلام الرجوع إلى

الدنيا لكان الواجب عليها أخذ الأحكام والأوامر من رسول الله صلى الله عليه وآله تماماً كما يأخذ إبنها الأحكام من الإمام المعظم الحجة بن الحسن أرواحنا فداه وهو حفيد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، فنبي الله عيسى عليه السلام هو أحد أفراد هذه الأمة التابعة لرسول الله وآله الطاهرين عليهم السلام.

إن السيِّدة خديجة عليها السلام هي أفضل نساء أمّة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله بمن فيها السيِّدة مريم عليها السلام من حيثية أعتبارها أحد أفراد نساء أُمة محمد صلى الله عليه وآله من جهة، ومن حيثية أنها زوجة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله يوم القيامة، فتكون مولاتنا خديجة عليها السلام أفضل امرأة على وجه الإطلاق إلا إبنتها سيدتنا الصدّيقة الكبرى الزهراء فاطمة عليها السلام فإنها أفضل من أمها خديجة عليها السلام.

(**الوجه الثالث**) : أنَّ مولاتنا أمّ المؤمنين خديجة عليها السلام أساس وجود مولاتنا السيدة الزهراء وأولادها الأئمة الحجج الطاهرين عليهم السلام، فهي وعاء الإمامة على حدِّ تعبير الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للسيِّدة الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام لّما رآها منزعجة من كلام عائشة التي أفتخرت على السيدة خديجة عليها السلام فقال لها النبي محمد صلى الله عليه وآله : « **إنَّ بطنَ أُمَّكِ كان للإمامة وعاءً** ».

يا لها من عبارة ما أعظمها تدل على عمق المعنى من حيثية عظمة الإمامة والولاية التي كانت خديجة عليها السلام هي الأساس في وجودها، ولولا أستحقاقها لحمل تلك الذرية الطاهرة لما كان قد شرَّفها اللهُ تعالى لتكونَ وعاءً للإمامة الإلهية، ما يعني أنها الطاهرة المطهرة لأن الطاهر المطهر بحاجة إلى وعاء طاهر مطهر وإلا لأنتفت طهارة الذرية المحمولة في الوعاء الطاهر، ويشهد لهذا ما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام :

« **أشهد أنك طهر طاهر مطهر، من طهر طاهر مطهر، فطهرت بك البلاد وطهرت أرض أنت فيها وطهر حرمك، أشهد أنك أمرت بالقسط والعدل ودعوت إليهما، وأنك صادق صديق صدقت فيما دعوت إليه، وأنك ثار الله في الأرض** ».

وكذا ما ورد في زيارة وارث : « **أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات**

ثيابها.. ».

فلفظ « **الأرحام المطهرة** » واضح الدلالة عند أهل البصيرة من حيثية كون الإمام الحسين عليه السلام من تلك الرحم المطهرة من الأرجاس والأدناس، ما يعني عصمتها وطهارتها المطلقة التي فاقت طهارة مريم عليها السلام وإلا لو تكن معصومة ومطهرة لما كان جائزٌ عقلاً وشرعاً أنْ تكون تلك الذرية الطاهرة في وعاءٍ نجسٍ بالنجاسات النفسية فضلاً عن النجاسة المادية، والمراد بالرحم المطهرة هو التطهير المعنوي وليس المادي إذ قد تجدون رحماً لكافرة هو من أنظف ما تكون إلا أن روح صاحبة تلك الرحم نجسة وقذرة، فالرحم المطهرة هي المطهرة طهارة معنوية ومادية معاً، فالإقتصار على الطهارة المادية خلاف الإطلاق في التطهير.

لا يراد من فقرة « **الأرحام المطهرة** » الطهارة من الزنا والقذارة المادية فحسب، بل يشمل الطهارة المعنوية عند صاحبة الرحم المطهرة، ومرادنا من الطهارة المعنوية هو التوحيد الخالص والإخلاص الكامل عند صاحبة الرحم ما يعني عصمتها وشرافتها، وهو ما يدل عليه لفظ « **المطهرة** » الكاشف عن المبالغة في الطهارة المعنوية والمادية.

وحينما جعل الله تعالى بطنَ السيِّدة خديجة عليها السلام وعاءً للإمامة الإلهية فإنه بذلك يكون قد أصطفاها على نساء العالمين كما أصطفى مريم عليها السلام على بقية النساء حينما جعل بطنها وعاءً لنبوة عيسى عليه السلام، وكلا السيِّدتين - مريم وخديجة عليهما السلام - وإنْ كانتا مصطفوتين من عند الله تعالى في كون بطنيهما وعاءً للنبوة والإمامة والولاية الإلهية إلا أنَّ الإصطفاء الإمامي أفضل من الإصطفاء النبوي، وأفضلية الإصطفاء الإمامي يلزمه وعاء مصطفى خير اصطفاء، ولو لم تكن مولاتنا خديجة عليها السلام على منزلة جليلة من الإصطفاء النفسي لما شرَّفها الله تعالى بالإصطفاء الولوليّ، فالثاني فرع الإصطفاء الأول، وبهذا تكون السيِّدة خديجة عليها السلام أفضل من السيّدة مريم عليها السلام.

(**الوجه الرابع**): إنَّ السيِّدة خديجة أمّ المؤمنين عليها السلام كانت معروفة بسيّدة النسوان كما نعتها بذلك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في شعره، فهي أفضل أهل زمانها

سوى أبنتها السيِّدة فاطمةعليها السلام، ويشهد لمعروفية أتصافها بهذا اللقب ما رواه صاحب (البحار) المحدِّث المجلسيرحمه الله بأسناده إلى علي بن عيسى قال: حدثني جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي نقلاً عن أسماء بنت عميس قالت: حضرتُ وفاة خديجةعليها السلام فبكت، فقلتُ: (أتبكين وأنت سيِّدة نساء العالمين وأنت زوجة النبيّصلى الله عليه وآله مبشرة على لسانه بالجنّة..).

فلو كانت مريمعليها السلام أفضل من مولاتنا خديجةعليها السلام لما صح إطلاق لقب: "**سيدة نساء العالمين**" الشامل لعامة العوالم المتقدمة عليها كعالم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسىعليهم السلام، فهي أفضل نساء تلك العوالم حتى عالمها إلا ما ورد فيه التخصيص كمولاتنا فاطمة بنت أسد وسيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام حيث دلت الأخبار المخصصة بخروج هاتين المرأتين عن حكم العام الوارد في لفظ "**العالمين**" كما أشرنا بحقّ الصدّيقة الكبرى مولاتنا فاطمةعليها السلام وكما سوف نشير - بإذن الله تعالى - ما ورد بحق مولاتنا فاطمة بنت أسدعليها السلام، ولولا الأخبار المخصصة لأفضلية السيدة فاطمة بنت أسد أمِّ أمير المؤمنينعليه السلام لكنا قد بقينا على حكم تفضيل السيدة خديجةعليها السلام على السيدة بنت أسدعليها السلام ولكن الدليل أخذ بأعناقنا فلا يجوز لنا تخطيه لا سيّما أن مولاتنا بنت أسدعليها السلام قد استضافها الله تعالى في بيته الكعبة المشرّفة، وهو تشريف لم يحصل لأي امرأة على وجه الأرض منذ آدم إلى مجيء النبيّ الأعظمصلى الله عليه وآله حتى قيام الساعة، وما ذاك إلا لأن هذه المرأة الطاهرةعليها السلام فاقت الشرف المطلق بعد سيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام بحملها بأمير المؤمنينعليه السلام، وما فضيلة الحاملة إلا لأنها من سنخ المحمول إبنها سيّد الموحدين مولانا إمام المتقين عليّعليه السلام...!.

نعم يمكن أن يكون الخبر المستفيض الدال على أفضلية مولاتنا فاطمة بنت أسدعليها السلام دالاً على أفضليتها على من تقدَّمها من النساء في شريعة الأنبياء السابقين على رسالة النبي الأعظم محمدصلى الله عليه وآله وهو غير بعيد بحسب الظاهر طبقاً للقرينة الصارفة في خبر ولادة أمير المؤمنينعليه السلام في الكعبة، وهذه القرينة هي ذكر النسوة اللاتي فُضلت عليهنَّ السيِّدة بنت أسدعليها السلام، وهو القدر المتيقن فلا نحيد عنه إلا بقرينة معتبرة وهي

مفقودة في البَين، والزائد عن القدر المتيقن مشكوك، فننفيه بالأصل، وبالتالي فتكون خديجة عليها السلام مساوية لفاطمة بنت أسد عليها السلام وهو الأقوى لدينا، والله العالم.

(**الوجه الخامس**): جاء في الأخبار الشريفة إنَّ الملاك جبرائيل عليه السلام أبلغ سيدتنا خديجة (صلوات الله عليها) التحية والسلام من الله تعالى، ولم يصل إلينا خبرٌ يدل على تخصيص الله تعالى لمريم عليها بالتحية والسلام، ولم يرد التخصيص بالسلام إلا لمولاتنا العصمة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها والصدّيقة الصغرى فاطمة بنت أسد والسيدة خديجة عليهن السلام، ما يدل على الأفضلية والتقديم، لأن التخصيص دلالة واضحة على التقريب والتبجيل والتعظيم.

(**الوجه السادس**): روى المحدِّثُ المجلسيُّ رحمه الله خبراً يشير إلى أن النبيَّ الأعظم صلى الله عليه وآله قال لمولاتنا السيدة خديجة عليها السلام: « **إنَّ الله عزّ وجلّ ليباهي بكِ كرام ملائكته كلّ يومٍ مراراً..** »، وواضح لدى الفطن المنصف بأنَّ مباهاة الله عزّ وجلّ بخديجة عليها السلام كلّ يوم دليل عظيم على حبّه لها وقربه منها، وهذه فضيلة لم تحصل لمريم عليها السلام وإنْ كان لها الفضلُ الكبير من حيثياتٍ أخرى.

دفعُ توهُّمٍ:

تَوَهَّمَ أحدُ الأعلام أنّ السيِّدة مريم عليها السلام أفضل من السيِّدة خديجة عليها السلام بموهبة العصمة عند السيِّدة مريم عليها السلام دون السيِّدة خديجة عليها السلام، لذا كانت مريم أفضل بهذا اللحاظ، أمّا في غيرها من الصفات المتعلِّقة بالنساء، فقد بلغت السيِّدة خديجة فيها كمال الكمال، فلا تكون دون مرتبة مريم عليها السلام في تلكم الصفات والأوصاف[1].

وفي أوّله من الخدشة ما لا يخفى، إذ لم يأتنا صاحبُ الدعوى بدليلٍ يثبت بأنّ السيِّدة خديجة ليست معصومةً؟! وهل العصمة سوى السيرة الناصعة والحياة الفاضلة الخالية من أيّ ذَنْبٍ؟! ولم يصدر من السيِّدة خديجة صلوات الله عليها أيُّ ذَنْبٍ طوال حياتها الشريفة حتى يُدَّعى أنها ليست معصومة؟!

---

(١) راجع (الخصائص الفاطمية) ج١ ص١٧٥.

الأصلُ في أمّهات الأوصياء والصدّيقين يقتضي الإعتقاد بأنهنَّ صدِّيقات، لا سيَّما أنَّ من ألقابها أنها صدّيقة، والصِّدِّيق أو الصدِّيقة هو مَن صَدَّقَ اللهَ تعالى بعلمه وعمله ممّا يقتضي عصمته ونزاهته وقداسته، فالسيِّدة خديجةعليها السلام معصومة لأنها صدّيقة.

وبما تقدَّم يثبت لدينا بأنَّ أمَّ المؤمنين خديجةعليها السلام أفضل من السيدة مريمعليها السلام، ولكنها - بالقطع واليقين - ليست أفضل من إبنتها الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراءعليها السلام نصاً وإجماعاً، كما أن السيدة خديجةعليها السلام ليست أفضل من السيدة فاطمة بنت أسد وزينب الكبرىعليهما السلام..! والله العالم بحقائق الأمور.

﴿ السّلام عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللهِ وابْنَ ثارِهِ وَالْوِتْرَ المَوْتُورَ ﴾

الثار: أصله الثأر، مهموز العين كالرأس والكأس، قد يخفّف الهمز بقلبه ألفاً فتقول بدلاً من الثأر: ثار، وبدلاً من الرأس: راس، والمصدر: ثُؤْرَة، والجمع: الأثارَ.

والثأرُ: الذّحْلُ أي: الطلب بالدم، وقيل: الثأر هو قاتل حميمك، وأدرك فلان ثؤرتَهُ: إذا أدرك مَن يطلب ثأره، وثأرتُ القتيلَ فأنا ثائر أي قتلتُ قاتلَهُ، والثائرُ: الذي لا يبقى على شيء حتى يُدرِك ثأرَهُ. وأثأر الرّجلُ: أدرك ثأره. وثأر به: طلب دمه. ومن معاني الثائر: الطالب والمطلوب. قال الطريحي: الثائر: الذي لا يبقى على شيء حتى يُدرك ثاره، وفي مخاطبة الإمامعليه السلام حين الزيارة: « **أشهد أنكَ ثارُ الله وابن ثاره** ».

والمثؤور به: المقتولُ، وثاراتِ فلان: أهل ثاراته، يا ثاراتِ فلان أي يا أيها الطالبون بدمه، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. وقال الجوهري: يُقال: يا ثارات فلان أي يا قتلته، فعلى الأول يكون قد نادى طالبي الثأر ليعينوه على استيفائه وأخذه، والثاني يكون قد نادى القتلة تعريفاً لهم وتقريعاً وتفظيعاً للأمر

عليهم حتى يجمع لهم عند الأخذ الثأر بين القتل وبين تعريف الجُرم[1].

ومثل الثار: ثَرَة وهي بمعنى طلاب الدم، وفي الحديث: « **إذا خرج القائم عليه السلام يطلب بدم الإمام الحسين وهو يقول: نحن أهل الدم طلاب الثَرَة** » أي الثار، ومثله حديث وصف الأئمة عليهم السلام: « **بكم يدرك الله ثرةَ كلّ مؤمن** »[2].

وبالجملة؛ فهذه الفقرة الشريفة تحتمل وجوهاً متعددة:

(**الوجه الأوّل**): إنّ المراد بـ: "**يا ثار الله وابن ثاره**" هو أنكَ – يا إمامي يا حسين – طالبُ دمِ الشهداء لله تعالى ولأجله عزّ وجلّ في زمان رجعتكَ إلى الدنيا، ويشهد له ما ورد في دعاء الندبة بقول الإمام المعظم المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف المروي بواسطة السفير الثاني محمّد بن عثمان بن سعيد: « **أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالبُ بدم المقتول بكربلاء** ».

والذحول؛ جمع ذَحْل وهو الثأر، فالإمام الحجّة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف سوف يثأر لجدّه الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكذا الإمام الحسين عليه السلام سوف يثأر للمظلومين من الأنبياء والأولياء والموالين الأتقياء.

(**الوجه الثاني**): المراد بـ: " **ثار الله** " أي قتيل الله وابن قتيله، أي أنّه روحي فداه كان قتيلاً لأجل الله تعالى؛ لا لشيء آخر، لكونه منَزَّهاً عن العلائق الجسمانية والخيالات النفسانية، فيجوز استنابة لفظ " **ثار** " إلى معنى الدم أو القتل، باعتبار أنَّ القتل ملازمٌ لسفك الدم.

(**الوجه الثالث**): ثار الله يعني " **ثائر الله** "؛ أي القاتل في سبيل الله تعالى، أو المجاهد حبّاً لله عزّ وجلّ، لذا قيل: ثأرتُ القتيلَ وبالقتيل ثأراً وثؤرةً فأنا ثائر أي قتلتُ قاتلَهُ.

(**الوجه الرابع**): إنّ المراد أنّ الله عزّ وجلّ وليُّ دَمِكَ، يطلبُ بدَمِكَ من أعدائكَ.

---

(١) راجع (لسان العرب) ج٤ ص٩٨، و(مجمع البحرين) ج٣ ص٢٣٤.

(٢) راجع (مجمع البحرين) ج٣ ص٢٣٤، وورد في ج٣ ص٥٠٩: " طبكم يُدرك الله تِرة كلّ مؤمن يطلب بها "؛ وقد قُرِأتْ بـ: "التاء" لا بالثاء.

(**الوجه الخامس**): إنّ المراد أنّكَ صاحب الدم الذي عَظَّمَهُ الله وشرَّفَهُ على سائر الدّماء، فالمضاف محذوف والإضافة تشريفية كما في قولكَ " روح الله "، والتقدير: " عيسى روح الله "، وبيت الله أي الكعبة بيت الله، فحُذِفَ هنا المضاف، وبقي المضاف إليه.

(**الوجه السّادس**): إنّ المراد بالثار: صاحبه أي إنّكَ سيّدي يا حسين: صاحب الثار.

(**الوجه السّابع**): إنّ المراد يا مَنْ ثاره ثار الله؛ أي: بمنْزِلته، كما في يدُ الله وعينُ الله..

(**الوجه الثامن**): المراد بـ: " **ثار الله** " أي قتيلُ الله، قتلته محبّة الله تعالى كما قال الشاعر:

بـاحَ مجنـونُ عـامرٍ بهـواه	وكتمتُ الهوى فمُتُّ بوجدي
وإذا كـان في القيامـة نُـودي	مَنْ قتيلُ الهوى؟ تقدمتُ وحدي

وكما هو الحال في شعر يُنسَب إلى الإمام الحسينعليه السلام أنه يقول:

إلهي تركتُ الناس طُرّاً في هواكا	وأيتمتُ العيال لكي أراكا
فلو قطّعتني في الحبّ إرباً فإرباً	لَمَا مالَ الفؤادُ إلى سواكا[1]

الوِترَ المَوتُور:

الوِتْرُ لغةً: الفرد أو ما لم يتشفّع من العدد، والوِتر والوَتْر - بكسر الواو وفتحها - بمعنى واحد، وهو ما يقابل الشفع، والوَتْر: هو الظلم في الذَّحْل أي القتل. والفَرْق بين الوِتْر والوَتْر أنّ الأوّل يُستعمَل في العدد، والثاني يُستعمَل في الذَّحْل أي القتل.

والموتور هو: الذي قُتِلَ له قتيلٌ فلم يُدرك بدمه، وفي حديث محمّد بن مسلمة: أنا الموتور الثائر أي صاحب الوَتْر الطالبُ بالثأر.

(١) راجع (أسرار الشهادة) ص٤٢٣.

الموتور: المفعول، ووتَرْتُه حقه: إذا نقصته، من هنا جاء قوله تعالى: ﴿ ..وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ سُورَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، أي لا يُنقص من أعمالكم شيئاً أو من ثواب أعمالكم. وفي الحديث: « **أنا الموتور** »[1] أي صاحب الوتر الطالب بالثار.

ونصبُ الوتر « **والوتر الموتور** » عطفاً على المنادى المضاف وهو: « **يا ثار الله** » وحكمه النصب لأنه مضاف إلى جملة "يا ثارَ الله" فتصبح الجملة هكذا: "السّلام عليك أيها الوترَ الموتور".

والإمام الحسين عليه السلام وترٌ موتورٌ، أمّا أنّه وتر ففيه احتمالان:

الإحتمال الأول: إنّه عليه السلام وتر لتفرده في الكمال في عصره، بحيث حاذى المعالي في جلاله وكماله حتى مع وجود ابنه الإمام زين العابدين عليه السلام، فهو أكمل منه من حيث تفرّده بالقيام المسلح ضدّ الظالمين والجاحدين مع جميع حيثيات القيام المقدَّس الذي نهض به، فهو عليه السلام أكمل من ابنه ومن بقيّة الأئمّة من هذه الناحية.

الإحتمال الثاني: وتر بأعتبار قبوله للأمانة أي الشهادة الكلية التي عرضها الله تعالى في الذر على عباده فأبوا حملَها وأشفقوا منها، فحملها عليه السلام فكان ظلوماً أي مظلوماً، جهولاً أي مجهول القدر لعلوّ شأنه وأرتفاع همّته كما قال بالشعر المنسوب إليه:

سبقتُ العالمين إلى المعالي	بحُسن خليقةٍ وعلوّ هِمَّةٍ
فلاحَ بحكمتي نورُ الهدى في	ليالٍ في الضلالة مدلهمة
يريدُ الجاحدون ليطفئوه	ويأبى اللهُ إلاّ أن يتمَّه[2]

وأستشهد صاحب هذا الإدّعاء - وهو حبيب الله الكاشاني - في كتابه (شرح زيارة عاشوراء) بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ الأَحْزَابِ.

(١) راجع (مجمع البحرين) ج٣ ص٥٠٩.

(٢) راجع (المناقب) لابن شهر آشوب ج٤ ص٧٤، و(بحار الأنوار) ج٤٤ ص١٩٤.

وجوابه:

إنّها دعوى بلا دليلٍ، فلم يرد في اللغة - بحسب تتبعي لموارد كلمتي ظلوم وجهول - أنّ معناهما ما ذكره العلامة حبيب الله الكاشاني، بل ورد في اللغة: أنّ كلمة (ظلوماً) مأخوذة من الظلم والظلام، والظلم معناه أنتقاص الحقّ، وظلوم لغةً مبالغة في الظلم على صيغة فعول كأكول أي كثير الأكل، وكذا كلمة (جهولاً) مأخوذة من الجهل، فهي على صيغة فعول أيضاً أي مبالغة في كثرة الجهل أو تأكيد للظّلم والجهل.

قال صاحب المنجد: « **الجهول هو الجاهل الغِر أي مَن لا خبرة له، فيكون معنى جهولاً أي كثير الجهل أو جهل فوقه جهل أو تأكيد للجهل** ».

مضافاً إلى أنّ تفسير الكاشاني، مخالفٌ لِمَا ورد في أخبارنا من أنّ المراد من الظلوم والجهول هو مَن أغتصب الحق من أهله وأعتدى على سيّدة النساء مولاتنا فاطمة عليها السلام، عنيتُ به الجاهلين الظالمين أبي بكر وعمر.

فما أفاده الكاشاني ما هو إلاّ دعوى تبرعية ينقصها الدّليل.

وبالجملة: الموتور (والوتر الموتور) يحتمل أنْ يكون تأكيداً للوتر من قبيل قولهم بردٍ باردٍ، وليلٍ أليلٍ، وشِعر شاعرٍ، وفي التنْزيل قوله تعالى: ﴿..حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ سُورَةُ الفُرْقَانِ، أي حراماً محرَّماً.

ويحتمل أيضاً أنْ يكون من قبيل قوله عليه السلام: أنا الموتور؛ أي صاحب الوتر: الطالب بالثأر.

فالوتر والوتيرة والترة والموتور كلّها ألفاظ تشير إلى طلب الثأر.

ويحتمل أنْ يكون من قبيل قوله: "مَن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله" أي نقص، يُقال: وترته إذا نقصته فكأنّك جعلته وتراً بعد أنْ كان كثيراً، ومنه قوله تعالى: ﴿ ..وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ أي ولن ينقصكم، فهو عليه السلام موتور أي منقوص، مكسورةٌ صولته بقتل أعوانه وأنصاره من إخوانه وأولاده وغيرهم ممن قُتِلَ بكربلاء الحزينة فصار فرداً لم ينصره أحدٌ، فظلَّ فرداً، ونكّسوه عن الجواد.

ويحتمل أنْ يكون من قبيل قولهم: فلانٌ موتور أي قُتِلَ له قتيل فلم يدرك بدمه، وهو عليه السلام وإنْ قتل يوم كربلاء كثيراً من أعدائه أضعاف مَنْ قُتِل من أوليائه إلاّ أنّه لو قتلهم جميعاً لم يعدل سهماً خرق حلقوم طفله الرضيع صلوات الله عليهما.

ويحتمل أنْ يكونَ الموتور: المقتول ذبحاً من القفا، أو أنّه الفرد الموتور بتلك القتلة، حيث أُثخِنَ بالجراح بضرب السيوف وطعن الرماح ورشق النبال ورضخ الحجارة، ثم بدخول السهام إلى جسده الشريف وقلبه العظيم، ثم رفسه واحتقاره، ثمّ الجلوس على صدره وسبّه ولعنه، ثمّ طعنه بالرمح في لبَّة صدره، ثم ذبْحه من الأمام فلم يؤثر السيفُ فيه، فطُرِحَ على بطنه - بنفسي وأبي وأمي وأهلي - وحُزَّ رأسُه الشريف من القفا.

هذا هو الوتر الموتور لم يسبقه سابق بهذه القتلة، ولن يلحقه لاحق، لعن اللهُ ظالميكَ سيدي يا أبا عبد الله وجعلنا ممن ينتصرون لكَ في الحياة الدنيا ويوم الكرة والرجعة؛ فالسّلام عليكَ يوم وُلِدْتَ ويوم قُتِلْتَ في سبيله، ويوم تُكَرُّ ويوم تُبعَث حيّاً.

﴿ السّلام عَلَيْكَ وَعَلَى الأرواحِ الّتى حَلّتْ بِفِنائكَ ﴾

أشارت الفقرة الشريفة إلى مسألتين:

الأولى: مفهوم الفِناء.

الثانية: الأرواح التي حَلَّتْ بذاك الفِناء المقدَّس.

أمّا المسألة الأولى: فالمراد بالفِناء - بالكسر - الساحة أمام البيت، والجمع: أفنية. ومعنى حلّت بفنائك أي نزلت بساحة دارك، ودُفِنَت بجوارك.

فثمة معانٍ ثلاثة للفِناء:

المعنى الأول: إنّ الفِناء هو المكان الذي استشهدتَ عليه يا أبا عبد الله.

المعنى الثاني: إنّ الفِناء هو العهود والمواثيق من أصحابك على محبتك ومودتك والإستقامة على طريق بيعتك.

فكأنّ الفقرة تشير إلى السّلام على الذين قُتلوا معكَ فنَزلوا بفناء محبتك والوفاء بعهود مودتك، وإليه يشير قول الإمام الحسينعليه السلام: « **لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي** »، وقد يُراد الأعمّ من أصحابه الذين قتلوا معه في كربلاء، فيشمل كلَّ من أحبّه واستشهد في سبيله، فإنّه يحلّ في فناء محبته.

ولنِعْمَ ما قيل:

هـم سـادةٌ قـد عظمـت أجورُهـا	بـدت لهـم عنـد اللقـاء حورُهـا
في جنّـــةٍ عاليـــةٍ قصـــورها	قطوفهـــا دانيـــة لمـــن يـــرى
فعـاينوا الحـور علـيهم تشـرف	وجنـة الخلـد لهـم تُزخـرَف
فعـانقوا بـيض الظبـا وارتشـفوا	مـن القنـا كـأس الفنـاء سُـكَّرا
حتـى أُبيـدوا كُلُّهُـم علـى ظمـا	بـين طعـينٍ وجـريحٍ ظلمـا
فيـا لهـم مـن ناصـرين كُرمـا	باعوا على الله النفوسَ فاشترى

المعنى الثالث: إنّ حلولها بفنائه وساحته هو حشرها في حضرة القدس، فإنّ المرء يُحشر مع مَن أحّب.

هذه ثلاثة معانٍ لـ: "الفناء"، فأيهما الصحيح والمناسب؟

أقول: لا شكّ أنّ المعنى الأوّل والثالث هما القدر المتيقن من معنى الفناء، إذ يشير المعنى الأوّل إلى استشهاد أصحابه معهعليه السلام، والمعنى الثاني يشير إلى حشر أصحابه معه في حظيرة القدس، لأنّ الحشر معه فرع الاستشهاد بين يديه في كربلاء، فيبقى المعنى الثاني، ولا ريب أنّ سبب موت الذين قُتلوا معه من أصحابه في كربلاء هو الفَناءُ في محبته، إذ لولا عشقُه لما قُتِلُوا في كربلاء معه، وهذا حقٌّ لا أحد ينكره، كما لا أحد ينكر أنهم حَلُّوا في فِناء محبته والوفاء بمودته، فهم معه في الحشر والنشر والرَّجع أي حينما يرجع إلى الدنيا.

وهذا لا خلاف فيه ولا شكّ يعتريه، كما لا خلاف أنّ السّلام موجَّهٌ إليهم، لكنّ

الخلاف على الأعمّ من ذلك، ألا وهو: الذين لم يستشهدوا معه لكنهم أحبوه حتى سَكِروا في محبته، وأطاعوه حتى ذابوا في إطاعته، وجُرمهم أنهم لم يستشهدوا معه، فهل هؤلاء يشملهم السلام أم لا؟

الظاهر هو الأوّل، بمعنى أنّ السّلام في الفِقرة الشريفة خاص بأولئك الذين استشهدوا معه في كربلاء أو الذين كانوا من أصحابه وثبتوا على إمامته وقُتِلوا بعيدين عنه كمسلم بن عقيل وهاني بن عروة ولا يشمل غيرَهم ممن أتى بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وإنْ كانوا على درجةٍ عاليةٍ من العِرفان، ولا يستلزم هذا عدم السّلام عليهم، بل السّلام من الله تعالى على هؤلاء، لكن ليس بالدرجة العالية التي عليها أصحابه الذين قُتِلوا معه في كربلاء الحزينة.

فالسّلام الكامل على أولئك الذين دُفِنُوا معه عليه السلام، ونستدلّ على هذا بدليلين:

الدّليل الأوّل: إنّ المتبادر من السّلام على الأرواح التي حلّت بفنائه هو الأرواح التي استشهدت معه عليه السلام في كربلاء، والتبادر علامة الحقيقة، فثمّة قرينة لبيَّة صارفة عمّا عداه من الإحتمالات الأخرى.

الدّليل الثاني: إنّ المعنى الإرتكازي المتقدِّم هو ما أشارت إليه الأخبار عن أئمتنا الطاهرين عليهم السلام حيث علّمونا كيف نزور الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في كربلاء من خلال التوجه بكيفيّةٍ معيَّنَةٍ إلى قبور الشهداء، أو التوجُّه إلى زيارة مولانا عليّ الأكبر عليه السلام، وزيارة مولانا العبّاس بن أمير المؤمنين عليّ عليهما السلام...

فالتخصيص بزيارة هؤلاء بالكيفيّة المخصوصة دليلٌ على التعيين لا التعميم؛ ويشهد لِمَا قلنا ما ورد في زيارة وارث التي يُزار بها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وقد رواها المجلسي في (البحار)[1] بقوله: « **السّلام عليكَ وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك وأناخت برَحْلِكَ** »، وفي زيارة الأربعين أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري زار الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام في كربلاء فقال لهم: " **السّلام على الأرواح**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣١٣ ح٧.

المنيخة بقبر أبي عبد الله، السّلام عليكم يا شيعة الله وشيعة رسوله وشيعة أمير المؤمنين والحسن والحسين..."[1]، والمراد بـ " أناخت برحْلِكَ " أي بَرَكَت إبلَهَا في ساحتكَ ومسكنِكَ، وهذا خاصٌّ بِمَن استشهدوا معهعليه السلام في كربلاء، ولا يعمُّ غيرَهم.

وحلول تلك الأرواح بفِنائه المقدَّس إشارة إلى انحطاط درجتها عن درجته فإنها ما نالت هذا المقام إلاّ بمحبّته والفناء في عشقه ومودّته، وقد مدح اللهُ قوماً قُتِلُوا في مودّة أهل البيت بقولهعزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾...

قال الإمام أبو جعفرعليه السلام مفسرِّاً للآية الشريفة: « **مَن قُتِلَ في مودّتنا** »[2]. وعن جابر الجعفي قال: سألتُ الإمام أبا عبد اللهعليه السلام عن قول اللهعزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾ قال: « **مَن قُتِلَ في مودّتنا سأل قاتله عن قتله** »[3]. وعن عليّ بن القاسم قال: سألتُ الإمام أبا جعفرعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ ...﴾ قال: « **شيعة آل محمّد تُسأل بأيّ ذَنْبٍ قُتِلَت** ».

وعن أبان بن أبي عيّاش عن سليم بن قيس عن ابن عبّاس أنه قال: " هو مَن قُتِلَ في مودّتنا أهل البيت ".

وفي رواية أخرى قالعليه السلام: « **هو مَن قُتِلَ في مودّتنا وولايتنا** ».

والأخبار كثيرة في ثواب حبّهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمانٌ من النّار، وكذا ما ورد من أنّ حبّهمعليهم السلام علامة طيب الولادة، وأنّ بغضهم علامة خبث الولادة، وأنّ العبدَ يُسأل يومَ القيامة عن حبّهمعليهم السلام؛ ونحن سنذكر هنا بعض هذه الأخبار كالآتي:

① أمالي الصدوق: عليّ بن محمد بن الحسين القزويني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن جندل بن والق عن محمد بن عمر المازني عن عباد الكلبي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن عليّ عن أمه فاطمة بنت محمد صلوات الله عليّهم قالت: « **خرج عليّنا رسول الله**صلى الله عليه وآله

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣٣٠.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٥٤.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٣ ص٢٥٤.

عشية عرفة فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بكم وغفر لكم عامة ولعليّ خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي هذا جبرئيل يخبرني أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وإن الشقي كل الشقي حق الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد وفاته »[1].

② أمالي الصدوق: ماجيلويه عن محمد العطار عن الأشعري عن ابن أبي الخطاب عن نضر بن شعيب عن خالد بن ماد عن القندي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: « **جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أكل من قال: لا إله إلا الله مؤمن؟ قال: إن عداوتنا تلحق باليهود والنصارى إنكم لا تدخلون الجنة حتى تحبوني، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا يعني علياً** »[2].

③ أمالي الصدوق: الطالقاني عن الحسن بن عليّ العدوي عن محمد بن تميم عن الحسن بن عبد الرحمن عن الحكم بن عتيبة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته** »، قال: فقال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمن ما تزال تجيئ بالحديث يحيي الله به القلوب[3].

④ أمالي الصدوق: المكتب عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن محمد بن عبيد الله عن عليّ بن الحكم عن هشام عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا عليّ ما ثبت حبك في قلب امرئ مؤمن فزلت به قدم على الصراط إلا ثبتت له قدم حتى**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٢.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٤.

يدخله الله عز وجل بحبك الجنة »[1].

⑤ قرب الإسناد: ابن سعد عن الأزدي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **من أحبنا نفعه الله بذلك ولو كان أسيراً في يد الديلم، ومن أحبنا لغير الله فإن الله يفعل به ما يشاء، إن حبنا أهل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما تحط الريح الشديدة الورق عن الشجر** ».

ثواب الأعمال: ابن الوليد عن الصفار عن ابن سعد الأزدي من قوله: « **إن حبنا...** » إلى آخر الخبر[2].

⑥ عيون أخبار الرضا عليه السلام، الخصال: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عن منصور بن عبد الله الأصبهاني عن عليّ بن عبد الله عن داود بن سليمان عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنا الشفيع لهم يوم القيامة ولو أتوني بذنوب أهل الأرض: معين لأهل بيتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما أضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه، والدافع عنهم بيده** »[3].

⑦ روى ابن شيرويه في الفردوس عن [الإمام] عليّ عليه السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما أضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه** »[4].

⑧ الخصال: محمد بن الفضل بن زيدويه عن إبراهيم بن عمروس الهمداني عن الحسن بن إسماعيل عن سعيد بن الحكم عن أبيه عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكن**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٨.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٩.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١٠.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١١.

أحد أنه في الجنة فإن في حب أهل بيتي عشرين خصلة، عشر منها في الدنيا، وعشر في الآخرة: أما في الدنيا فالزهد والحرص على العمل والورع في الدين والرغبة في العبادة والتوبة قبل الموت والنشاط في قيام الليل واليأس مما في أيدي الناس والحفظ لأمر الله ونهيه عزّ وجلّ، والتاسعة بغض الدنيا والعاشرة السخاء. وأما في الآخرة فلا ينشر له ديوان ولا ينصب له ميزان ويعطى كتابه بيمينه ويكتب له براءة من النار ويبيض وجهه ويكسى من حلل الجنة ويشفع في مائة من أهل بيته وينظر الله عزّ وجلّ إليه بالرحمة ويتوج من تيجان الجنة والعاشرة يدخل الجنة بغير حساب، فطوبى لمحبي أهل بيتي »[١].

⑨ عيون أخبار الرضا عليه السلام: بالأسانيد الثلاثة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إن الله قد غفر لك ولأهلك ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبي محبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين منزوع من الشرك، بطين من العلم** »[٢].

⑩ عيون أخبار الرضا عليه السلام: وبالإسناد عن التميمي عن الإمام الرِّضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: من أحبك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات وهو يبغضك فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً** »[٣].

⑪ عيون أخبار الرضا عليه السلام: بهذا الإسناد قال: « **قال النبي صلى الله عليه وآله وأخذ بيد عليّ عليه السلام: من زعم أنه يحبني ولا يحب هذا فقد كذب** »[٤].

⑫ عيون أخبار الرضا عليه السلام: وبهذا الاسناد قال: « **قال النبي صلى الله عليه وآله: أول ما يسئل**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١٢.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١٣.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١٦.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١٧.

عنه العبد حبنا أهل البيت»[1].

⑬ أمالي الطوسي: المفيد عن عليّ بن خالد المراغي عن عليّ بن العباس عن جعفر بن محمد بن الحسين عن موسى بن زياد عن يحيى بن يعلى عن أبي الخالد الواسطي عن أبي هاشم الخولاني عن زاذان قال: سمعت سلمان رحمة الله عليّه يقول: لا أزال أحب عليّاً عليه السلام فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يضرب فخذه ويقول: « **محبك لي محب ومحبي لله محب، ومبغضك لي مبغض، ومبغضي لله تعالى مبغض** »[2].

⑭ أمالي الطوسي: المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن ابن عيسى عن صفوان بن يحيى عن يعقوب بن شعيب عن صالح بن ميثم التمار رحمه الله قال: وجدت في كتاب ميثم رضي الله عنه يقول: تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال لنا: « **ليس من عبد أمتحن الله قلبه بالإيمان إلا أصبح يجد مودتنا على قلبه، ولا أصبح عبد سخط الله عليّه إلا يجد بغضنا على قلبه، فأصبحنا نفرح بحب المحب لنا ونعرف بغض المبغض لنا، وأصبح محبنا مغتبطاً بحبنا برحمة من الله ينتظرها كل يوم وأصبح مبغضنا يؤسس بنيانه على شفا جرف هار فكأن ذلك الشفا قد إنهار به في نار جهنم، وكأن أبواب الرحمة قد فتحت لأصحاب أهل الرحمة، فهنيئاً لأصحاب الرحمة رحمتهم وتعساً لأهل النار مثواهم. إن عبداً لن يقصر في حبنا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبنا من يحب مبغضنا إن ذلك لا يجتمع في قلب واحد، ما جعل الله لرجل من قلبين يحب بهذا قوماً ويحب بالآخر عدوهم، والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه. نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصي الأوصياء، وأنا حزب الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والفئة الباغية حزب الشيطان، فمن أحب أن يعلم حاله في حبنا فليمتحن قلبه فإن وجد فيه**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح١٨.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٢٣.

حب من ألب علينّا فليعلم أن الله عدوه وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين »[1].

⑮ أمالي الطوسي: جماعه عن أبي المفضل عن الحسين بن محمد بن أبي معشر عن إسماعيل بن موسى عن عاصم بن حميد عن فضيل الرسان عن أبي داود السبيعي عن أبي عبد الله الجدلي قال: قال لي عليّ بن أبي طالب عليه السلام: « **ألا أحدثك يا أبا عبد الله بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة، والسيئة التي من جاء بها أكبه الله على وجهه في النار؟** قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: **الحسنة حبنا والسيئة بغضنا** ». بصائر الدرجات: ابن فضال عن عاصم بن حميد مثله[2].

⑯ علل الشرائع: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب القرشي عن منصور بن عبد الله الأصبهاني عن عليّ بن عبد الله عن عثمان بن خرزاد عن محمد بن عمران عن سعد بن عمرو عن ابن أبي ليلى عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم بن أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « **لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، ويكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته** ».

بشارة المصطفى: أبو محمد الجبار بن عليّ عن محمد بن أحمد الفلفلي عن الحسين بن الحسن عن محمد بن إدريس الحنظلي عن الحسن بن عبد الرحيم عن سعيد بن أبي نصر عن ابن أبي ليلى عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه مثله[3].

⑰ معاني الأخبار: أبي عن أحمد بن إدريس ومحمد العطار عن الأشعري عن محمد بن الحسين عن منصور عن أحمد بن خالد عن أحمد بن المبارك قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: حديث يروى أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إني أحبك،

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٢٤.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٢٧.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٣٠.

فقال له: أعد للفقر جلباباً، فقال: « **ليس هكذا قال، إنما قال له: أعددت لفاقتك جلباباً، يعني يوم القيامة** »(١).

⑱ تفسير العياشي: عن بريد بن معاوية العجلي قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليّه قادم من خراسان ماشياً فأخرج رجليه وقد تغلفتا وقال: أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلا حبكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السلام: « **والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلا الحب؟ إن الله يقول:** ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ.. ﴿٣١﴾ ﴾ **وقال:** ﴿ ..يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ.. ﴿٩﴾ ﴾ **وهل الدين إلا الحب** »(٢).

⑲ بشارة المصطفى: الحسين بن أحمد الصفار عن ابن عقدة عن محمد بن عبد الرحيم عن أحمد بن حفص الهروي عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الأفراقي عن صفوان بن أبي سليم عن عطاء بن يشكر عن ابن عباس قال: خرج علّينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتق وهذا على عاتق، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة فقال له جبرئيل: « **إنك تحبهما؟ قال** صلى الله عليه وآله وسلم: **إني أحبهما وأحب من يحبهما فإن من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني** »(٣).

كما وأورد صاحب البحار العلاّمة المجلسي رحمه الله باباً مطولاً في أنّ حبهم عليهم السلام علامة طيب الولادة، وأنّ بغضهم علامة خبث الولادة، وسنذكر هنا بعض هذه الأخبار المباركة تتميماً للفائدة والبركة:

١- أمالي الصدوق: ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن محمد بن زياد عن إبراهيم بن زياد الكرخي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: « **علامات ولد الزنا ثلاث: سوء المحضر والحنين إلى الزنا وبغضنا أهل البيت** »(٤).

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٣٣.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٥٧.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ الباب٤ في ثواب حبهم ونصرهم وولايتهم وأنها أمان من النار – ح٧٥.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب أنّ حبهم علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبث الولادة – ح٢.

٢- علل الشرائع، معاني الأخبار، أمالي الصدوق: ابن البرقي عن أبيه عن جده عن اليقطيني عن أبي محمد الأنصاري عن غير واحد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: « **من أصبح يجد برد حبنا على قلبه فليحمد الله على بادئ النعم، قيل: وما بادئ النعم؟ قال: طيب المولد** »[(١)].

٣- علل الشرائع، معاني الأخبار، أمالي الصدوق: ابن ناتانه عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي زياد النهدي عن عبيد الله بن صالح عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي من أحبني وأحبك وأحب الأئمة من ولدك فليحمد الله على طيب مولده، فإنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلا من خبثت ولادته** »[(٢)].

٤- الخصال: ابن إدريس عن أبيه عن الأشعري عن أبي نصر البغدادي عن محمد بن جعفر الأحمر عن إسماعيل بن العباس عن داود بن الحسن عن أبي رافع عن علي عليه السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحب عترتي فهو لأحدى ثلاث: إمّا منافق، وإمّا لزنية، وإمّا امرء حملت به أمه في غير طهر** »[(٣)].

٥- علل الشرائع: الحسين بن محمد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم عن محمد بن علي بن معتمر عن أحمد بن علي الرملي عن أحمد بن موسى عن يعقوب بن إسحاق عن عمر بن منصور عن إسماعيل بن أبان عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه عن أبي هارون العبدي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا بمنى مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ بصرنا برجل ساجد وراكع ومتضرع، فقلنا: يا رسول الله ما أحسن صلاته؟ فقال صلى الله عليه وآله: « **هو الذي أخرج أباكم من الجنة؛ فمضى إليه[الإمام] علي عليه السلام غير مكترث فهزه هزة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى، ثم قال عليه السلام: لأقتلنك إن شاء الله** »، فقال: لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب أنّ حبهم علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبث الولادة – ح٤.
(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب أنّ حبهم علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبث الولادة – ح٥.
(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب أنّ حبهم علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبث الولادة – ح٨.

عند ربي، مالك تريد قتلي؟ فوالله ما أبغضك أحد إلا سبقت نطفتي إلى رحم أمه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد، وهو قول الله عَزَّ وَجَلَّ في محكم كتابه: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ ﴾. قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: « **صدق يا عليّ لا يبغضك من قريش إلا سفاحي ولا من الأنصار إلا يهودي ولا من العرب إلا دعي ولا من سائر الناس إلا شقي ولا من النساء إلا سلقلقية وهي التي تحيض من دبرها، ثم أطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: معاشر الأنصار أعرضوا أولادكم على محبة علي** »، قال جابر بن عبد الله: فكنا نعرض حب علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على أولادنا فمن أحب علياً علمنا أنه من أولادنا، ومن أبغض علياً أنتفينا منه[1].

كما أورد العلامة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ في المجلد ٢٧ من (بحار الأنوار) باباً يتعلق بما ينفع في حبّهم من المواطن، وأنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يحضرون عند الموت وغيره، وأنّه يتمّ السؤال عن ولايتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في القبر، وسنذكر هنا شذرات من هذه الروايات المباركة:

① أمالي الطوسي: المفيد عن الجعابي عن ابن عقدة عن أبي عوانة موسى بن يوسف عن علي بن الحكيم الأزدي عن عمرو بن ثابت عن فضيل بن غزوان عن الشعبي عن الحارث عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: « **من أحبني رآني يوم القيامة حيث يحب، ومن أبغضني رآني يوم القيامة حيث يكره** »[2].

② أمالي الطوسي: المفيد عن علي بن خالد المراغي عن محمد بن صالح السبيعي عن صالح بن أحمد البزاز عن عيسى بن عبد الرحمن الخزاز عن الحسن بن الحسين عن يحيى بن علي عن أبان بن تغلب عن أبي داود الأنصاري عن الحارث الهمداني قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: « **ما جاء بك؟** » فقلت: حبي لك يا أمير المؤمنين، فقال: « **يا حارث أتحبني؟** » فقلت: نعم والله يا أمير المؤمنين، قال: « **أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحب، ولو**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب أنّ حبهم علامة طيب الولادة، وبغضهم علامة خبث الولادة – ح٢٠.
(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب ما ينفع حبهم فيه من المواطن، ح١.

رأيتني وأنا مار على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله ﷺ لرأيتني حيث تحب ».

توضيح: قال في النهاية: فليذادنَّ رجال عن حوضي، أي ليطردن، وقال في غريبة الإبل: هذا مثل، وذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخل فيها غريبة من عيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها[1].

③ الخصال، أمالي الصدوق: الحسن بن عبد الله بن سعيد عن عمر بن أحمد القشيري عن المغيرة بن محمد بن المهلب عن عبد الغفار بن محمد بن كثير عن عمرو بن ثابت عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن علي بن الحسين عن أبيه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله: حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة وفي القبر وعند النشور وعند الكتاب وعند الحساب وعند الميزان وعند الصراط** ». أقول: رواه في الفردوس عن ابن شيرويه عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ مثله سواء[2].

④ المحاسن: محمد بن علي وغيره عن الحسن بن محمد بن الفضل الهاشمي عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **إن حبنا أهل البيت لينتفع به في سبع مواطن: عند الله وعند الموت وعند القبر ويوم الحشر وعند الحوض وعند الميزان وعند الصراط** »[3].

⑤ كتاب فضائل الشيعة للصدوق رحمه الله بإسناده عن السكوني عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله ﷺ أثبتكم قدماً على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي** »[4].

هذا وضمّن العلاّمة المجسي رحمه الله بحاره باباً عن أنهم عليهم السلام شفعاء الخلق، وأنّ إياب

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب ما ينفع حبهم فيه من المواطن، ح٢.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب ما ينفع حبهم فيه من المواطن، ح٣.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب ما ينفع حبهم فيه من المواطن، ح٤.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب ما ينفع حبهم فيه من المواطن، ح٥.

الخلق إليهم وحسابهم عليهم، وأنّ العبد يُسأل عن حبّهم وولايتهم عليهم السلام يوم القيامة[1]:

١- مناقب ابن شهر آشوب: الثعلبي في تفسيره عن مجاهد عن ابن عباس، وأبو القاسم القشيري في تفسيره عن الحاكم الحافظ عن أبي برزة، وابن بطة في إبانته باسناده عن أبي سعيد الخدري كلهم عن النبي صلى الله عليه وآله قال: « **لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت** ».

٢- أربعين المكي وولاية الطبري فقال له: فما آية محبكم من بعدكم فوضع يده على رأس علي عليه السلام وهو إلى جانبه فقال: « **إن حبي من بعدي حب هذا** ».

٣- منقبة المطهرين عن أبي نعيم فقال عمر: وما آية حبكم يا رسول الله؟ قال: « **حب هذا**، ووضع يده على كتف علي عليه السلام وقال: **من أحبه فقد أحبنا ومن أبغضه فقد أبغضنا** ».

٤- ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وآله: « **والذي بعثني بالحق لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب عليهما السلام** ».

٥- مجالس المفيد: الصدوق عن أبيه عن محمد العطار عن الأشعري عن الحسن بن علي الكوفي عن العباس بن عامر عن أحمد بن رزق الله عن يحيى بن أبي العلا عن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنه إذا كان يوم القيامة وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار مكث عبد في النار سبعون خريفاً والخريف سبعون سنة، ثم إنه يسأل الله عز وجل ويناديه فيقول: يا رب أسألك بحق محمد وأهل بيته لما رحمتني. فيوحي الله جل جلاله إلى جبرئيل عليه السلام: أهبط إلى عبدي فأخرجه، فيقول جبرئيل: وكيف لي بالهبوط في النار؟ فيقول الله تبارك وتعالى: إني قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً،**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص٣١١، الباب التّاسع.

قال: فيقول: يا رب فما علمي بموضعه؟ فيقول: إنه من جب من سجين، فيهبط جبرئيل إلى النار فيجده معقولاً على وجهه فيخرجه فيقف بين يدي الله عزّ وجلّ. فيقول الله تعالى: يا عبدي كم لبثت في النار تناشدني؟ فيقول: يا رب ما أحصيه فيقول الله عزّ وجلّ له: أما وعزتي وجلالي لولا من سألتني بحقهم عندي لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتم على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرته له، ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك اليوم، ثم يؤمر به إلى الجنة ».

٦- رجال الكشي: محمد بن مسعود قال: سمعت علي بن الحسن بن فضال يقول: عجلان أبو صالح ثقة قال: قال له أبو عبد الله عليه السلام: « **يا عجلان كأني أنظر إليك إلى جنبي والناس يعرضون عليَّ** ».

٧- قال المجلسي رحمه الله: روى البرسي في المشارق عن شريح بإسناده عن نافع عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « **يا عليُّ أنت نذير أمتي وأنت ربّيها وأنت صاحب حوضي وأنت ساقيه، وأنت يا عليُّ ذو قرنيها، ولك كلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى، فأنت يوم القيامة الساقي، والحسن الذائد، والحسين الأمير، وعلي بن الحسين الفارط، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر المحصي للمحب والمنافق، وعلي بن موسى مرتب المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة منازلهم، وعلي بن محمد خطيب أهل الجنة والحسن بن علي جامعهم حيث يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ».

٨- وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « **يا عليُّ أنت صاحب الجنان وقاسم النيران، ألا وإن مالكاً ورضوان يأتياني غداً عن أمر الرحمن، فيقولان لي: يا محمد هذه مفاتيح الجنة والنار هبة من الله إليك، فسلمها إلى عليّ بن أبي طالب فأدفعها إليك، فمفاتيح الجنة والنار يومئذ بيدك تفعل بها ما تشاء** ».

٩- وروي المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إذا كان عليٌّ عليه السلام يُدخل

الجنة محبه والنار عدوه فأين مالك ورضوان إذاً؟ فقال: « **يا مفضل أليس الخلائق كلهم يوم القيامة بأمر محمد؟** » قلت: بلى، قال: « **فعلي**عليه السلام **يوم القيامة قسيم الجنة والنار بأمر محمد، ومالك ورضوان أمرهما إليه، خذها يا مفضل فإنها من مكنون العلم ومخزونه** ».

١٠- وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: « **إذا كان يوم القيامة ولينا أمر شيعتنا فما كان عليهم لله فهو لنا، وما كان لنا فهو لهم، وما كان للناس فهو علينا** ».

١١- وفي رواية ابن جميل: « **ما كان عليهم لله فهو لنا، وما كان للناس استوهبناه وما كان لنا فنحن أحق من عفا عن محبيه** ».

١٢- وفي رواية إن رجلاً من المنافقين قال لأبي الحسن الثاني عليه السلام: إن من شيعتكم قوماً يشربون الخمر على الطريق، فقال: « **الحمد لله الذي جعلهم على الطريق فلا يزيغون عنه** ». وأعترضه آخر فقال: إن من شيعتك من يشرب النبيذ فقال: « **قد كان أصحاب رسول الله**صلى الله عليه وآله **يشربون النبيذ** »، فقال الرجل: ما أعني ماء العسل وإنما أعني الخمر. قال: « **فعرق وجهه**، ثم قال: **الله أكرم من أن يجمع في قلب المؤمن بين رسيس الخمر وحبنا أهل البيت**، ثم صبر هنيئة وقال: **فإن فعلها المنكوب منهم فإنه يجد رباً رؤوفاً ونبياً عطوفاً وإماماً له على الحوض عروفاً وسادة له بالشفاعة وقوفاً، وتجد أنت روحك في برهوت ملوفاً** ».

بيان للمجلسي: رسيس الحب والحمى: ابتداؤهما، ولعل المراد هنا ابتداء شربها فكيف إدمانها، وفي بعض النسخ: بالدال، وهو نتن الإبط، فالمراد هنا مطلق النتن، ويقال: نكبه الدهر، أي بلغ منه أو أصابه بنكبة. قوله: عروفاً، أي يعرف محبه من مبغضه. وقال الفيروزآبادي: لفت الطعام لوفاً: أكلته أو مضغته، وكلأ ملوف: غسله المطر انتهى. أي مأكولاً أكلتك النار، وفي بعض النسخ ملهوفاً.

١٣- وقال الكراجكي في كنز الفوائد في بيان معتقد الإمامية: يجب أن يعتقد أن أنبياء الله تعالى وحججه عليهم السلام هم في القيامة المتولون للحساب بإذن الله تعالى، وأن

حجة أهل كل زمان يتولى أمر رعيته الذين كانوا في وقته. وإن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الإثني عشر من بعده عليهم السلام هم أصحاب الأعراف الذين لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله يحاسب أهل وقته وعصره، وكذلك كل إمام بعده، وأن المهدي صلوات الله عليه هو المواقف لأهل زمانه، والمسائل للذين في وقته.

١٤- المناقب لمحمد بن أحمد بن شاذان بإسناده عن أبي ذر رضي الله عنه عنه قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليهما السلام فقال: « **هذا خير الأولين والآخرين من أهل السماوات والأرضين، هذا سيد الوصيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. إذا كان يوم القيامة جاء على ناقة من نوق الجنة قد أضاءت القيامة من ضوئها وعلى رأسه تاج مرصع بالزبرجد والياقوت فتقول الملائكة: هذا ملك مقرب، ويقول النبيون: هذا نبي مرسل، فينادي مناد من بطنان العرش: هذا الصدِّيق الأكبر هذا وصيُّ حبيب الله، هذا عليُّ بن أبي طالب، فيقف على متن جهنم فيخرج منها من يحب ويدخل فيها من يبغض، ويأتي أبواب الجنة فيدخل أولياءه الجنة بغير حساب** ».

ورواه الحسن بن سليمان في كتاب المحتضر من كتاب السيِّد حسن بن كبش مثله.

١٥- ومنه رفعه إلى جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: « **إذا كان يوم القيامة وجمع الله الأولين والآخرين لفصل الخطاب دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فيكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلة خضراء تضيئ ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي عليه السلام مثلها ويكسى رسول الله صلى الله عليه وآله حلة وردية تضيئ ما بين المشرق والمغرب، ويكسى علي عليه السلام مثلها ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس، فنحن والله ندخل أهل الجنة الجنة وندخل أهل النار النار. ثم يدعى بالنبيين عليهم السلام فيقومون صفين عند عرش الله عز وجل حتى نفرغ من حساب الناس، فإذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث الله تبارك وتعالى علياً عليه السلام فأنزلهم منازلهم في الجنة وزوجهم، فعليٌّ والله الذي يزوج أهل الجنة في**

الجنة وما ذلك إلى أحد غيره كرامة من الله عز ذكره له، وفضلاً فضله به ومنَّ به عليه، وهو والله يدخل أهل النار النار، وهو الذي يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها، ويغلق على أهل النار إذا دخلوا فيها أبوابها، لان أبواب الجنة إليه وأبواب النار إليه ».

١٦- ومنه مرفوعاً إلى سماعة قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: « **إذا كان لك يا سماعة عند الله حاجة فقل: (اللهم إني أسألك بحق محمد وعليّ فإن لهما عندك شأناً من الشأن وقدراً من القدر فبحق ذلك الشأن وبحق ذلك القدر أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا) فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن أمتحن الله قلبه للإيمان إلا وهو محتاج إليهما في ذلك اليوم** ».

وأورد العلاّمة المجلسي رحمه الله أيضاً في بحاره باباً يتضمن اثنين وستين رواية في ذمّ مبغضيهم وأنّه كافر حلال الدم وثواب اللعن على أعدائهم، ونحن هنا سنكتفي – لضيق المجال – بذكر أثني عشر رواية مباركة فقط، وهي الآتي[1]:

(١) أمالي الصدوق: العطار عن سعد عن عبد الصمد بن محمد عن حنان بن سدير عن سديف المكي قال: حدثني محمد بن علي الباقر عليهما السلام وما رأيت محمدياً قط يعدله، قال: حدثنا جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: « **أيها الناس من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يوم القيامة يهودياً**، قال: قلت: يا رسول الله وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ فقال: **وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم** ».

(٢) ثواب الأعمال وأمالي الصّدوق: ماجيلويه عن عمه عن محمد بن علي الكوفي عن المفضل بن صالح عن محمد بن مروان عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً**، قيل: يا رسول الله وإن

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ باب في ذم مبغضيهم وأنه كافر حلال الدم وثواب اللعن على أعدائهم.

شهد الشهادتين؟ قال: **نعم فإنما أحتجز بهاتين الكلمتين عن سفك دمه أو يؤدي الجزية عن يد وهو صاغر، ثم قال: من أبغضنا أهل البيت بعثه الله يهودياً** قيل: وكيف يا رسول الله؟ قال: **إن أدرك الدجال آمن به** ».

③ أمالي الصدوق: ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **لو أن عدو عليّ جاء إلى الفرات وهو يزخ زخيخاً قد أشرف ماؤه على جنبتيه فتناول منه شربة وقال: بسم الله، وإذا شربها قال: الحمد لله، ما كان ذلك إلا ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير** ».

بيان: يزح زخيخاً بالخاء المعجمة، أي يدفع بعضه بعضاً لكثرته أو يبرق، قال الفيروزآبادي: زخه: دفعه في وهدة، وزخ الخمر يزخ زخيخاً: برق، وفي بعض النسخ: بالراء المهملة والجيم، قال الفيروزآبادي: الرج: التحريك والتحرك والإهتزاز، والرجرجة: الإضطراب. انتهى. والغرض بيان أن مثل هذا الماء مع وفوره وكثرته وعدم توهم إسراف وغصب وتضييق على الغير إذا شرب منه مع رعاية الآداب المستحبة كان عليه حراماً لكفره، و إنما أبيح نعم الدنيا للمؤمنين.

④ أمالي الطوسي: المفيد عن أحمد بن الوليد عن أبيه عن سعيد بن عبد الله بن موسى عن محمد بن عبد الرحمن عن المعلى بن هلال عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله: أوصني، قال: « **عليك بمودة علي بن أبي طالب عليهما السلام، والذي بعثني بالحق نبياً لا يقبل الله من عبد حسنة حتى يسأله عن حب علي بن أبي طالب عليهما السلام، وهو تعالى أعلم فإن جاءه بولايته قبل عمله على ما كان منه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء ثم أمر به إلى النار، يا ابن عباس والذي بعثني بالحق نبياً إن النار لأشد غضباً على مبغض علي عليه السلام منها على من زعم أن لله ولداً. يا ابن عباس لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين أجتمعوا على بغضه ولن يفعلوا لعذبهم الله بالنار،** قلت: يا رسول الله وهل يبغضه أحد؟ قال: **يا ابن عباس نعم يبغضه قوم يذكرون أنهم**

من أمتي لم يجعل الله لهم في الاسلام نصيباً.

يا ابن عباس إن من علامة بغضهم له تفضيلهم من هو دونه عليه، والذي بعثني بالحق ما بعث نبياً أكرم عليه مني ولا أوصياء أكرم عليه من وصيي علي»، قال ابن عباس: فلم أزل له كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصاني بمودته وإنه لأكبر عملي عندي الخبر.

⑤ أمالي الطوسي: أبو القاسم بن شبل عن ظفر بن حمدون عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي عن عبد الله بن حماد الأنصاري عن عمرو بن شمر عن يعقوب بن ميثم التمار مولى علي بن الحسين عليهما السلام قال: «**دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني وجدت في كتب أبي أن علياً عليه السلام قال لأبي ميثم: أحبب حبيب آل محمد وإن كان فاسقاً زانياً، وأبغض مبغض آل محمد وإن كان صواماً قواماً، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾ **ثم التفت إليَّ وقال: هم والله أنت وشيعتك يا عليّ وميعادك وميعادهم الحوض غداً غراً محجلين متوجين، فقال أبو جعفر عليه السلام: هكذا هو عياناً في كتاب عليّ عليه السلام**».

⑥ أمالي الطوسي: الغضائري عن الصدوق عن ابن المتوكل عن السعد آبادي عن البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن القاسم بن الوليد عن شيخ من ثمالة قال: دخلت على امرأة من تميم عجوز كبيرة وهي تحدث الناس قلت لها: يرحمك الله حدثيني من بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، قالت: أحدثك وهذا شيخ كما ترى بين يدي نائم؟ قلت لها: ومن هذا؟ فقالت: أبو الحمراء خادم رسول الله صلى الله عليه وآله فجلست إليه. فلما سمع حسي أستوى جالساً فقال: مه؟ فقلت: رحمك الله حدثني بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله يصنعه بعلي عليه السلام وإن الله يسألك عنه، فقال: على الخبير سقطت، خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة وهو آخذ بيد علي عليه السلام فقال: «**يا معشر الخلائق إن الله تبارك وتعالى باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم عامة، ثم التفت إلى علي عليه السلام ثم قال له: وغفر لك يا عليّ خاصة.**

ثم قال له: يا عليّ أدن مني، فدنا منه، فقال: إن السعيد حق السعيد من أحبك وأطاعك، وإن الشقي كل الشقي من عاداك وأبغضك ونصب لك، يا علي كذب من زعم أنه يحبني ويبغضك، يا علي من حاربك فقد حاربني ومن حاربني فقد حارب الله، يا علي من أبغضك فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وأتعس الله جده وأدخله نار جهنم ».

بيان: فقال: مه؟ كأنه (ما) للإستفهام حذفت ألفها وألحقت بها هاء السكت أي ما تريد؟ أو ما تقول؟ قال في النهاية: فيه قلت: فمه؟ فما للإستفهام فأبدل الألف هاء للوقف والسكت، وفي حديث آخر: ثم مه، انتهى. والتعس: الهلاك، وأتعسه: أهلكه. والجد بالفتح: الحظ والبخت.

(٧) أمالي الطوسي: أبو عمرو عن ابن عقدة عن جعفر بن محمد بن هشام عن الحسين بن نصر عن أبيه عن عصاص بن الصلت عن الربيع بن المنذر عن أبيه قال: سمعت محمد بن الحنفية يحدث عن أبيه قال: « **ما خلق الله عزّ وجلّ شيئاً أشر من الكلب والناصب أشر منه** ».

(٨) مجالس المفيد، أمالي الطوسي: المفيد عن الجعابي عن محمد بن عبيد الله بن أبي أيوب عن جعفر بن هارون عن خالد بن يزيد عن أبي الصيرفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: « **برئ الله ممن يبرأ منا، لعن الله من لعننا، أهلك الله من عادانا، اللهم إنك تعلم أنا سبب الهدى لهم، وإنما يعادونا لك فكن أنت المتفرد بعذابهم** ».

(٩) تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤٠ ﴾ « **من لا يؤمن به هم أعداء آل محمد عليهم السلام، والفساد: المعصية لله ولرسوله** ».

(١٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وعلى من قاتلهم وعلى المعين عليهم وعلى من سبهم، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم**

الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ».

(١١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: « **قوله عز وجل: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ يقول: أرشدنا للصراط المستقيم، أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمانع أن نتبع أهواءنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك، ثم قال الصادق عليه السلام: طوبى للذين هم كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدول ينفون عنه تحريف الغالين وأنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين): فقال له رجل: يا ابن رسول الله إني عاجز ببدني عن نصرتكم، ولست أملك إلا البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي؟ فقال له الصادق عليه السلام: حدثني أبي عن أبيه عن جده عن رسول الله صلوات الله عليهم أنه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثم ثنوا فقالوا: اللهم صلِ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قبل الله عز وجل: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصليت على روحه في الأرواح وجعلته عندي من المصطفين الأخيار** ».

(١٢) مناقب ابن شهرآشوب: الحارث الأعور وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن يزيد ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام وعيسى بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام - ودخل بعض الخبر في بعض - أن عليّاً عليه السلام كان يدور في أسواق الكوفة فلعنته امرأة ثلاث مرات فقال: « **يا أبنة سلقلقية كم قتلت من أهلك؟** » قالت: سبعة عشر أو ثمانية عشر، فلما أنصرفت قالت لأمها: ذلك، فقالت: السلقلقية من ولدت بعد حيض ولا يكون لها نسل فقالت: يا أماه أنت هكذا؟ قالت بلى.

وبالجملة؛ فإنّ محبّة الأئمّة عليهم السلام سببٌ للفوز والنجاة، من سبق إلى المحبة وتوغل فيها نال بحسب سبقه وتوغله، اللهمّ أرزقنا.

المسألة الثانية: الأرواح التي حلّت بفنائه

عندما أشارت الفقرة الشريفة على السلام على الأرواح، فهل تعني الأرواح كأرواح دون تعلق بالبدن، أو المراد الأرواح مع البدن، أو البدن بلا أروح؟

هذه أحتمالات وكلّها صحيحة إلاّ الإحتمال الأخير فإنّه ضعيف، إذ من البعيد أنْ يكون السّلام على الأبدان دون قصد الأرواح، لأنّ الأبدان تابعة للأرواح، فقبيح أنْ يصدر السلام على الأبدان دون الأرواح اللهمّ؛ إلاّ أنْ يُقصَدَ بالأبدان أجسادُهم الشريفة الطاهرة المدفونة في الروضة المقدَّسة الطيبة لطهارتها ونزاهتها عن الأدناس البشرية والعلائق العنصرية، فصارت بمنْزلة الأرواح اللطيفة المجرَّدة، لكنّ تخصيص السّلام بالأبدان دون الأرواح غير مستحسن ولا مألوف عند العرف، وإنْ كان لأجسادهم مَزِيَّة لا توجد في سائر الأجساد، وسبب لطافة أجسادهم الشريفة يرجع إلى عوامل متعددة:

العامل الأول: أنهم كانوا من أهل التقوى، والتقي هو الذي لا يتناول محرَّماً أو مكروهاً أو مشتبهاً، فكثرة ملازمتهم على المآكل الطاهرة التي لا يقربها دنس أو نجاسة عاملٌ قويٌّ في لطافة أجسامهم، وأيُّ امرئٍ هَذَّبَ نفسَه ونظَّفَ جسمه من القاذورات والأوساخ الباطنية صفا جسمه فيصير لطيفاً، وهو أمر معروف ومشهور لدى الروحانيين من أتباع حكماء اليونان والهند، فقد روي عن الحكيم اليوناني فيثاغوروس أنّه أرسل تلميذاً له إلى بلاد الهند ليعلمهم الحكمة ويشيع فيها مَذْهب أستاذه فيثاغوروس، وكان أسمه برخمنين، وكان رجلاً جيّد الذهن، نافذ البصيرة، صائب الفكر، راغباً في معرفة العوالم العلوية، فلمّا وصل إلى الهند رغّب الناسَ في تلطيف الأبدان وتهذيب النفس، وكان يقول: أيُّ امرئٍ هذّب نفسه وأسرع الخروج عن هذا العالم الدنس، وطهّر بدنه من أوساخه، ظهر له كلّ شيء، وعاين كلَّ غائب، وقدر على كلّ متعذّر، وكان محبوراً مسروراً، ملتذاً عاشقاً، لا

يملُّ ولا يكلُّ ولا يمسّه نصب ولا لغوب[1].

ومن هذا القبيل ما ورد عن الإسكندر الرومي - غير الإسكندر ذو القرنين - أنّه وصل إلى الهند وأراد محاربة أهلها، فصَعُبَ عليه إفتتاح إحدى المدن وكان أهلها يرون أستعمال اللذات في هذا العالم بقدر القصد الذي لا يخرج إلى فساد البدن، فجهد حتى فتحها، وقتل منهم جماعةً من أهل الحكمة، فكان الإسكندر هو وجنوده يرون قتلى تلك المدينة مطروحة كأنها جثث السمك الطافية النقية التي في الماء الصافي، فلمّا رأوا ذلك ندموا على فعلهم ذلك بهم وأمسكوا عن الباقين[2].

فإذا كان أجساد هؤلاء بهذه المثابة من اللطافة، فما ظنُّك بالفتية الذين ربّاهم مولاهم الإمام الحسينعليه السلام وصفّتهم الشهادة وطهرّتهم من كلّ كثيفٍ، وبلَغَ بهم أعلى مراتب السّعادة، وقد ذكر المرتاضون الروحيون أنّ الجسد بالرياضة والتصفية وتهذيب الأخلاق يتلوّن بلون الرّوح، كما أنّ الرّوح بمتابعة النفس الأمارة تتلوّن بلون الجسد.

فالعامل الأوّل - إذاً - في لطافة أجسادهم هو الأكل الطّاهر..

العامل الثاني: إنّ لطافة أجسامهم بسبب كثرة التقوى، فكثرة التقوى تلطف الرّوح، والبدن تابع للرّوح، فمن الطبيعي أنْ يتلطّف البدن كذلك، واللهعزّ وجلّ يكرم الأبدان كما يُكرم الأرواح، والسّلام من مصاديق الإكرام، فكما أنّ السّلام يقع على الروح، يقع على البدن الطيّب، من هنا كان السّلام على أبدانهم الطاهرة كأنّه سلامٌ على أرواحهم الطاهرة، ومعنى السّلام على الأبدان هو إبقاؤها طيبة دون أنْ يؤثّر فيها العفن أو تتلاعب بها حشرات الأرض.

العامل الثالث: لطافة أجسادهم بسبب ما أصابها من الجوع والعطش بسبب إقامتهم مع الإمام الحسينعليه السلام خلال مسيرهم ووجودهم في كربلاء. فأستحقّتْ أنْ تُكَرَّمَ بالسّلام عليها.

(١) راجع (الملل والنحل) ج٢ ص٢٦٢.

(٢) راجع (الملل والنحل) ج٢ ص٢٦٤.

والحاصل: إنّ السّلام وقع على أرواحهم المقدَّسة أوّلاً، ثمّ على أجسادهم الطاهرة ثانياً لتبعيتها للأرواح، ويشهد لما ذكرنا ما ورد في الزيارات أنّ الإمام الصّادق عليه السلام سلَّمَ على أجسادهم بقوله عليه السلام: « **فمعكم معكم لا مع عدوّكم، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وأجسادكم وشاهدكم وغائبكم وظاهركم وباطنكم** »[1]، وفي زيارة رجب ورد عنهم عليهم السلام قولهم: « **السّلام على الأرواح المنيخة** - أي المحيطة - **بقبر أبي عبد الله الحسين، السّلام عليكم يا طاهرين من الدَّنَس..** »[2]، وكذا الإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه الشريف بقوله عليه السلام: « **السّلام على الرؤوس المفرَّقة عن الأبدان** »[3]، وكذا قوله عليه السلام: « **السّلام على الجيوب المضرَّجات، السّلام على الشِّفاه الذابلات، السّلام على الأجساد العاريات، السّلام على الجسوم الشاحبات، السّلام على الدّماء السّائلات، السّلام على الأعضاء المقطَّعَات، السّلام على الرّؤوس المشالات، السّلام على النسوة البارزات..** »[4]، ثمّ يقول عليه السلام: « **السّلام على الشيب الخضيب، السّلام على الخدّ التريب، السّلام على البدن السليب، السّلام على الثغر المقروع بالقضيب، السّلام على الرأس المرفوع، السّلام على الأجسام العارية في الفلوات تنهشها الذئاب العاديات وتختلف إليها السِّباع الضاريات...** »[5].

وزبدة المخض: إنّ الرّوح وإنْ أُطلِقَ على الأجساد تبعاً وعَرَضاً لكنّ اللغويين حصروه بمادّة الحياة أو الذي يقومُ به الجسد وتكون به الحياة، فإطلاقها - أي الرّوح - على الجسد على نحو التجوُّز والتبعية يُعَدُّ غريباً نوعاً ما.

والسؤال الأخير: عرفنا أنّ المراد من الأرواح هو ما ذكرنا آنفاً، ولكنْ هل يشمل

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣٣٢.

(٢) راجع (مفاتيح الجنان) ص٦٠٧.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣١٩.

(٤) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣١٩.

(٥) راجع (بحار الأنوار) ج٩٨ ص٣١٩.

لفظ الأرواح الملائكة والجنّ بحيث يشمل اللفظُ أرواحَ الملائكة والجنّ المؤمن؟

الظاهر شموله لإنطباق اللفظ على الأنبياء والأولياء والأوصياء والملائكة والجنّ المؤمن الحافين بقبر أبي عبد الله سيّد الشّهداء عليه السلام، فيكون السّلام عامّاً؛ فكلّ مَن أناخ بساحة الوليّ المعظَّم الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وإنْ كان الأوْلى بالسّلام هو مَن استشهد معه عليه السلام، ولو نوى الزائر بسلامه كلَّ مَن كان لائذاً من الأرواح بقبر الإمام أبي عبد الله عليه السلام كان مرغوباً فيه، لكنّ الأفضل تخصيص أصحابه الذين استشهدوا معه بالسّلام لكونهم القدر المتيقن من متعلق السّلام.

﴿ عَلَيْكُمْ مِنّي جَميعاً سَلامُ اللهِ أَبَداً ما بَقِيتُ ﴾
﴿ وَبَقِيَ الليْلُ وَالنّهارُ ﴾

« **عليكم منّي** »: جارّ ومجرور وهما خَبَرٌ مقَدَّمٌ، والمبتدأ هو قوله: « **سلام الله أبداً** »، وتقديم الخبر لإفادة الحصر، أي أحصر السّلام الكامل بِكُم جميعاً، ولا أستثني أحداً دون أحدٍ، أو جماعة منكم دون جماعةٍ، بل السّلام مِنّي إليكم جميعاً دون تمييزٍ؛ لأنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام صاروا بمثابة نفسه لا يفترقون عنه، فقد استشهدوا معه، ودُفِنوا معه، وهم في الملكوت معه، ثمّ يرجعون معه في رجعته للدنيا بعد رحيل سيدنا الوليّ المعظَّم القائم المفدّى أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، ثم يرجعون معه عند رجعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، ثمّ يموتون معه، ثمّ يُبعَثون يوم القيامة معه، ثمّ يدخلون الجَنَّة معه، ثمّ لا يفارقونه أبداً، فكيف لا يكون - إذاً - السّلام عليه مقروناً بالسّلام عليهم دون استثناء؟!

والسّؤال الذي لا بدّ من طرحه: لماذا أُضيف السّلام إلى الله عزّ وجلّ ولم يُضَف إليهم؟ بمعنى لماذا لا يكون سلام المؤمن عليهم دون إضافة إلى الله تعالى؟!

فيه إحتمالان عندي:

الإحتمال الأول: لشدّة محبّة الزائر للمولى الإمام أبي عبد الله عليه السلام أرتأى أئمتنا المطهرون عليهم السلام أنْ يكونَ سلامُ الزائر للإمام المعظم الحسين عليه السلام وأصحابه غير مشوبٍ بغير مرضاة الله تعالى ؛ لأنّ الزائر مهما كان مخلصاً في سلامه وحبّه، ينبغي أنْ يكون سلامه على المولى المعظم أبي عبد الله عليه السلام كاملاً غيرَ منقوصٍ ؛ لأنّ الزائر - بالقياس إلى الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام عليهم السلام - مهما عظم شأنه هو فقير الذات أمام تلك الجباه العالية بالعبودية والطاعة لإمام الزمان عليه السلام، لذا يجب أنْ يكون السّلام كاملاً بحسب كمال الإمام عليه السلام، ولا يكون كاملاً إلاّ بأنْ يكون السّلام بسلام الله تعالى.

الإحتمال الثاني: إنّ إضافة السّلام إلى الله تعالى إشارة إلى أنّ اللائق بهم هو سلامه تعالى لا سلام الزائر الناقص الذي لا يكون همه إلا الأجرَ والثواب في أغلب الأحيان، وهو نوع تجارة معهم، لا ينبغي للمؤمن من الزائر أنْ يتصف بها دائماً، وحتى لو زارهم للحبِّ، فسلّم عليهم حبّاً لهم، فإنّ سلامه إليهم يعتبر ناقصاً إتجاه ما قدّموه من فداءٍ وتضحياتٍ يعجزُ عن وصفها اللسان، لذا كان من اللائق بهم أنْ يكون السّلام من الله تعالى عليهم، كما قيل:

سلامٌ من الرّحمن نحو جنابكم ... فإنّ سلامي لا يليق ببابكم

والخلاصة: إنّ المراد بسلام الله طلب الطمأنينة وإفاضة الخير من الله تعالى على الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام.

سؤال آخر: لماذا ربطت الفقرةُ الشريفة سلامَ الله ما بقي الزائرُ وبقي الليل والنهار؟

والجواب: إنّ طلب الزائر من الله تعالى أنْ يديم سلامَهُ على الإمام وأصحابه ويجعله مستمراً سوآء في حياته وبعد وفاته، لأنَّ دوام السّلام على الإمام الحسين عليه السلام يوجب الزلفى عند الله تعالى والتقرب إليه وإلى أوليائه، هذا **أوّلاً**.

وثانياً: كأنّ طلبَ الدوام بالسّلام هو نوع مكافأة وشكر للإمام الحسين عليه السلام وأصحابه على ما بذلوه من تضحياتٍ جِسامٍ قلَّ نظيرُها في عوالم الإيجاد، لذا فإنّ

شكر العباد هو شكرٌ لله تعالى، كما جاء في الخبر عن مولانا الإمام الصادقعليه السلام أنَّه أمر سدير الصيرفي بقضاء حوائج الإخوان، وشكر من أنعم عليه والإنعام على من شكره، وورد في الحديث من طرق المخالفين عن النبيصلى الله عليه وآله: « **لم يشكر الناس لم يشكر الله** »، وعن إبراهيم بن أبي محمود قال: سمعت الرضاعليه السلام يقول: « **من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر اللهعزّ وجلّ** ».

والسّلام عليهم وإنْ كان مرتبطاً ببقاء الليل والنهار، لكنه دائم بدوام الله تعالى، إذ دوامهعزّ وجلّ لا ينقطع ولا يبيد، وكذا سلامه عليهم لا ينقطع ولا يبيد، فكما أنّ أهل الجَنَّة باقون ببقاء الله تعالى، فكذا سلامُه جلَّ وعلا باقٍ ولا يزول أبداً، ولعلّ كلمة " أبداً " إشارة إلى ما ذكرنا؛ أي بما أنّ الله تعالى لا يبيدُ ولا يفنى أبداً، فسلامُهُ جلّ وعلا على الإمام الحسينعليه السلام وأصحابه الميامين صلوات الله عليهم أجمعين لا يبيدُ أبداً كذلك.

ولا يبعد أنّ التخصيص بسلام الله تعالى على الإمام الحسينعليه السلام دون سلام الزائر بسبب أنّ سلام الزائر منقطع لا محالة بعد موته - أي موت الزائر - لكنّ الله جلّ وعلا لا يموت، لذا فسلامُهُعزّ وجلّ لا ينقطع.

﴿ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرّزِيّةُ وجَلّتْ وعَظُمَتْ ﴾ ﴿ المُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الإسلام ﴾ ﴿ وَجَلّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السّمَوَاتِ ﴾ ﴿ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السّمَوَاتِ ﴾

الرزية والمصيبة بمعنى واحدٍ وهو وقوع المكروه والحزن على صاحب المصاب، لكنّ المصيبة أعمّ من الرزيّة، إذ الرّزيّةُ هي المصيبة بفقدان الأحباب والأعزّة، أمّا

المصيبة فأعمّ فإنها الأمر المكروه الذي يحلُّ بالإنسان سوآء أكان بفقدان الأحباب أم بأمر آخر.

وجَلَّتْ؛ مؤنث جلَّ أي عَظُمَ قدْرُ مصابكَ فهو جليلٌ، وجلّ عن كذا: أي تنَزَّهَ وترَفَّعَ؛ وعَظُمَتْ: مؤنث عَظُمَ أي كَبُرَ وصَعُبَ وشُقَّ، ومنه العظيم أي ذو الجلال والهيبة.

إنّ مصيبته عليه السلام أعظم المصائب، ويدلّ على ذلك ما أورده[1] العلاّمة المجلسي رحمه الله، والصدوق في الأمالي، وهو الآتي:

① علل الشرائع: محمد بن علي بن بشار القزويني، عن المظفر بن أحمد، عن الأسدي عن سهل، عن سليمان بن عبد الله، عن عبد الله بن الفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله كيف صار يوم عاشورا يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام؟ واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام؟ واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟. فقال: « **إن يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي، بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهما السلام عزاء وسلوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة. فلما قتل الحسين صلى الله عليه لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة** »؛ قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فلم لم

(١) راجع (البحار) ج٤٤ ص٢٦٩ باب٣٢ والأمالي للصدوق حديث الإمام الرضا(ع) عن عاشوراء.

يكن للناس في عليّ بن الحسين عليهما السلام عزاء وسلوة، مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟ فقال: « **بلى إنَّ عليَّ بن الحسين كان سيد العابدين، وإماماً وحجةً على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثة عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله صلى الله عليه وآله وقول رسول الله صلى الله عليه وآله له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة** ». قال عبد الله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف سمت العامة يوم عاشورا يوم بركة؟ فبكى عليه السلام ثم قال: « **لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرك والإستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم** ». قال: ثم قال عليه السلام: « **يا ابن عم وإن ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله مما وضعه قوم أنتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا: زعموا أن الحسين عليه السلام لم يقتل وأنه شُبِّه للناس أمره كعيسى بن مريم فلا لائمة إذاً على بني أمية ولا عتب على زعمهم، يا ابن عم من زعم أن الحسين لم يقتل فقد كذَّب رسولَ الله وعليَّاً وكذَّب مَنْ بعده مِنَ الأئمة عليهم السلام في إخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه** ». قال عبد الله بن الفضل: فقلت له: يا ابن رسول الله فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟ فقال عليه السلام: « **ما هؤلاء من شيعتي، وأنا بريئ منهم** »، قال: فقلت: فقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ قال عليه السلام: « **إن أولئك مسخوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، وإن**

القردة اليوم مثل أولئك وكذلك الخنزير وسائر المسوخ، ما وجد منها اليوم من شئ فهو مثله لا يحل أن يؤكل لحمه. ثم قال عليه السلام: **لعن الله الغلاة والمفوضة فإنهم صغروا عصيان الله، وكفروا به وأشركوا وضلوا وأضلوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق** ».

(٢) الخصال: الحسن بن محمد بن يحيى العلوي، عن جده، عن داود، عن عيسى بن عبد الرحمن بن صالح، عن أبي مالك الجهني، عن عمر بن بشر الهمداني قال: قلت لأبي إسحاق: متى ذلَّ الناس؟ قال: حين قتل الحسين بن علي عليهما السلام وأدّعي زياد، وقتل حجر بن عدي.

(٣) الأمالي للصدوق: بإسناده عن حدثنا أحمد بن هارون الفامي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر بن جامع الحميري، قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام: « **أن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلمَّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكى لما يصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إليَّ سمٌّ يُدَّسُ إليَّ فأُقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمَّة جدنا محمَّد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وأنتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وأنتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلُّ شيءٍ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار** ».

(٤) الأمالي للصدوق رحمه الله قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رحمه الله قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر عن عمه عبد الله بن عامر عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام: « **إنَّ المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرِّمون فيه القتال، فأستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وأنتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول**

الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا؛ إنَّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام ».

ثم قال عليه السلام: « **كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرَّم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه)** ».

تنبيه مهم: تصريح مولانا الإمام المعظَّم إمامنا المظلوم أبي الحسن الرضا صلى الله عليه بأن يوم سيِّد الشهداء « **أقرح جفوننا..** » إشارة واضحة إلى أن يومه ليس كمثله يوم على الإطلاق، فمصيبته لا تشبهها مصيبة على وجه الأرض إلى يوم الإنقضاء..!!.

فالفقرة الشريفة في زيارة عاشوراء تشير إلى تجدد النداء إلى الحزن وتوفير البكاء على سيّد الشهداء والمظلومين المولى أبي عبد الله عليه السلام، فإنّ الحزن عليه ولَّدَ في النفس كَرْباً وغمّاً لا ينطفئ في قلب المؤمن أبداً، فصفات المؤمن أنّه بكّاء[1] على سيّده الإمام أبي عبد الله المظلوم عليه السلام، وكيف لا يبكي عليه وهو علّةُ وجودِه، إذ لولا الإمام الحسين عليه السلام لما أستحقّ أحدٌ الحياة والوجود « **لولاك لَمَا خلقتُ الأفلاك** » « **ولولاهما** - محمد وعليّ عليهما السلام - **ما خلقتُ الأفلاك** » « **لولاك يا محمد ما خلقت الأفلاك، ولو لا عليّ ما خلقتك، ولو لا فاطمة ما خلقتكما** » « **لولا محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ما خلقتُ شمساً مضيئة ولا قمراً منيراً ولا أرضاً مدحيّة ولا سماءً مبنيّة...** » وفي خبر نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « **إنَّا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا** » وما ينطبق على أهل الكساء ينطبق على البقية من آل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

---

(١) قال مولانا الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام: « **أنا قتيل العَبَرة لا يذكرني مؤمن إلاّ أستعبر** ». راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٨٤.

ولولا الإمام الحسين عليه السلام لأندرَسَت معالمُ الدِّين وشريعةً سيِّد المرسلين، فهو عليه السلام سبب بقائها وأستمرارها، من هنا قال النبي صلى الله عليه وآله: «**أنا من الحسين والحسين مني**».

وبالجملة؛ فإنّ كلّ شيء بكى على الإمام الحسين عليه السلام، المؤمن والجنّ والملائكة والحيوان والجماد والشجر.

والمؤمن قسمان معصوم وغير معصوم.

المؤمن المعصوم: أمثال الأنبياء والمرسَلين والأوصياء والأولياء عليهم السلام.

المؤمن غير المعصوم: أمثال غير الأنبياء والأوصياء والأولياء.

والجنّ قسمان: مؤمن وغير مؤمن، وغير المؤمن: يشمل الكفّار والشياطين، فإنّ هؤلاء فرحوا بقتل الإمام الحسين عليه السلام.

وأمّا المؤمنون من الجنّ فإنّ لهم من الحزن عليه عليه السلام ما هو عند الإنس المؤمن.

والملائكة قسمان: كرّوبيون وغير كروبيين، وكلّهم مكروبين محزونين على الإمام سيّد الشهداء الحسين بن عليّ عليهما السلام.

إذن هنا أبواب:

الباب الأول

بكاء المؤمن على الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.

أورد ابن قولويه القمي في كتابه الجليل (كامل الزيارات) في الباب٣٦ أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو قتيل العَبَرة، لا يذكره مؤمن إلاّ بكى، وهو كالآتي:

(١) قال ابن قولويه: حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين ومحمد بن الحسن رحمهم الله جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن أبي يحيى الحذاء، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**نظر أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسين فقال: يا عبرة كل مؤمن فقال: أنا يا أبتاه؟ قال: نعم يا بني**».

(٢) حدثني جماعة مشايخي، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن عبد الله، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة،

عن أبي عمارة المنشد قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله عليه السلام متبسماً في ذلك اليوم إلى الليل وكان عليه السلام يقول: « **الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن** ».

③ حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن إسماعيل بن مهران، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **قال الحسين بن علي عليهما السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا أستعبر** ».

④ حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة** ».

⑤ حدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **قال الحسين بن علي عليهما السلام: أنا قتيل العبرة** ».

⑥ حدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي، عن أبان الأحمر، عن محمد بن الحسين الخزاز، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنا عنده فذكرنا الحسين عليه السلام وعلى قاتله لعنة الله فبكى أبو عبد الله عليه السلام وبكينا قال: ثم رفع رأسه فقال: « **قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى..** » وذكر الحديث.

⑦ حدثني علي بن الحسين السعد آبادي قال: حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن مسكان، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **قال الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة قتلت مكروباً وحقيق عليَّ أن لا يأتيني مكروبٌ قط إلا ردّه الله وأقلبه إلى أهله مسروراً** ».

⑧ حدثني حكيم بن داود، عن سلمة بن الخطاب، عن محمد بن عمرو، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

الباب الثاني

وفيه أمور:

(**الأمر الأول**): بكاء الأنبياء والمرسلين على الإمام الحسين المظلوم عليه السلام[1]:

① وروي مرسلاً أن آدم لما هبط إلى الأرض لم يرَ حوا فصار يطوف الأرض في طلبها فمر بكربلا فأغتم، وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين، حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض. فأوحى الله إليه يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقة لدمه، فقال آدم: يا رب أيكون الحسين نبياً قال: لا، ولكنه سبط النبي محمد، فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض، فقال آدم: فأي شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنه يا آدم فلعنه أربع مرات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوا هناك.

② وروي أن نوحاً لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا فلما مرت بكربلا أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجودي وأستقرت عليه.

③ وروي أن إبراهيم عليه السلام مر في أرض كربلا وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الإستغفار وقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٢٣ باب٣٠ ح٣٧ - ٤٠.

خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك أستحققت الثناء بهذا اللعن. فرفع إبراهيمعليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمن فرسه بلسان فصيح فقال إبراهيم لفرسه: أي شيء عرفت حتى تؤمن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك علي فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى.

④ وروي أن إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشط الفرات، فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً فسأل ربه عن سبب ذلك فنزل جبرئيل وقال: يا إسماعيل سل غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك؟ فقال لها: لم لا تشربين من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح؟ قد بلغنا أن ولدك الحسينعليه السلام سبط محمد يقتل هنا عطشاناً فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله فقالت يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل: اللهم العن قاتل الحسينعليه السلام.

⑤ وروي أن موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلا أنخرق نعله، وأنقطع شراكه، ودخل الخسك في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فأوحى إليه أن هنا يقتل الحسينعليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه فقال: رب ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمد المصطفى، وابن علي المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

⑥ وروي أن سليمان كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء، فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلا فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خاف السقوط فسكنت الريح، ونزل البساط في أرض كربلا. فقال سليمان للريح: لم سكنتي؟

فقالت: إن هنا يقتل الحسين عليه السلام فقال ومن يكون الحسين؟ فقالت: هو سبط محمد المختار، وابن علي الكرار، فقال: ومن قاتله؟ قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه وأمن على دعائه الإنس والجن، فهبت الريح وسار البساط.

⑦ وروي أن عيسى كان سائحاً في البراري، ومعه الحواريون، فمروا بكربلا فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق فتقدم عيسى إلى الأسد، فقال له: لم جلست في هذا الطريق؟ وقال: لا تدعنا نمر فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟ قال: هو سبط محمد النبي الأمي وابن علي الولي قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذباب والسباع أجمع خصوصاً أيام عاشورا فرفع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمن الحواريون على دعائه فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم.

⑧ وروى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ.. ﴿٣٧﴾ ﴾ أنه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السلام فلقنه جبرئيل قل: يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق علي، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلما ذكر الحسين سالت دموعه وأنخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلا بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى.

(**الأمر الثاني**): بكاء سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله[1]:

① حدثني الحسن بن عبد الله بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن شجرة، عن سلام الجعفي، عن عبد الله بن محمد الصنعاني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: « **كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل الحسين عليه السلام جذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: أمسكه، ثم يقع عليه فيقبله ويبكي يقول: يا أبه لم تبكي، فيقول: يا بني أُقبل موضع السيوف منك وأبكي. قال: يا أبه وأقتل، قال: أي والله وأبوك وأخوك وأنت، قال: يا أبه فمصارعنا شتى، قال: نعم يا بني، قال: فمن يزورنا من أمتك، قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي** »[2].

② أمالي الطوسي: بإسناد أخي دعبل، عن الرضا، عن آبائه، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: « **حدثتني أسماء بنت عميس الخثعمية قالت: قبلت جدتك فاطمة بنت رسول الله بالحسن والحسين، قالت: فلما ولدت الحسن جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هاتي أبني، قالت فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها وقال: ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء، ودعا بخرقة بيضاء فلفه بها، ثم أذن في أذنه اليمني، وأقام في أذنه اليسرى، وقال لعلي عليه السلام: بما سميت أبني هذا؟ قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله قال: وأنا ما كنت لأسبق ربي عز وجل قال: فهبط جبرئيل قال: إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد علي منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدك فسم أبنك باسم ابن هارون، قال: النبي عليه السلام وما اسم ابن هارون؟ قال جبرئيل: شُبر، قال: وما شُبر؟ قال: الحسن قالت أسماء: فسماه الحسن. قالت أسماء: فلما ولدت فاطمة الحسين عليه السلام نفستها به فجاءني النبي فقال: هلم أبني يا أسماء، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، ففعل به كما فعل**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٥٣.

(٢) راجع (كامل الزيارات) الباب الثاني والعشرين، ص١٤٦ ح١٧٢.

بالحسن قالت: وبكى رسول الله ثم قال: إنه سيكون لك حديث! اللهم العن قاتله، لا تعلمي فاطمة بذلك. قالت أسماء: فلما كان في يوم سابعه جاءني النبي فقال: هلمي أبني فأتيته به: ففعل به كما فعل بالحسن وعق عنه كما عق عن الحسن كبشاً أملح وأعطى القابلة الورك ورجلاً وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر ورقاً، وخلق رأسه بالخلوق وقال: إن الدم من فعل الجاهلية قالت: ثم وضعه في حجره ثم قال: يا أبا عبد الله عزيز علي ثم بكى. فقلت: بأبي أنت وأمي فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأول فما هو؟ قال: أبكي على أبني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لعنهم الله لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم. ثم قال: اللهم إني أسألك فيهما ما سألك إبراهيم في ذريته اللهم أحبهما وأحب من يحبهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض »[1].

③ أمالي الصدوق: أبي، عن حبيب بن الحسين التغلبي، عن عباد بن يعقوب، عن عمرو بن ثابت، عن أبي الجارود، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **كان النبي صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل علي أحد فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره وإذا النبي يبكي وإذا في يده شيء يقلبه. فقال النبي: يا أم سلمة إن هذا جبرئيل يخبرني أن هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك، فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه؟ قال: قد فعلت فأوحى الله عز وجل إلي أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشفعون فيشفعون، وأن المهدي من ولده فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته هم والله الفائزون يوم القيامة »**[2].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ٢٥٠ ح١.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٢٥ ح٥.

④ أمالي الطوسي: عنه عن أبي المفضل، عن العباس بن خليل، عن محمد بن هاشم، عن سويد بن عبد العزيز، عن داود بن عيسى الكوفي، عن عمارة بن عرية، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أجلس حسيناً على فخذه وجعل يقبله، فقال جبرئيل: « **أتحب أبنك هذا؟** » قال: « **نعم** »، قال: « **فإن أمتك ستقتله بعدك** »، فدمعت عينا رسول الله فقال له: « **إن شئت أريتك من تربته التي يقتل عليها؟** » قال: « **نعم** »، فأراه جبرئيل تراباً من تراب الأرض التي يقتل عليها وقال: « **تدعى الطف** »[1].

⑤ كامل الزيارة: محمد بن جعفر الرزاز، عن ابن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان عن سعيد بن يسار أو غيره قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: يقول: « **لما أن هبط جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين، أخذ بيد علي فخلا به ملياً من النهار فغلبتهما عبرة فلم يتفرقاً حتى هبط عليهما جبرئيل أو قال: رسول الله رب العالمين، فقال لهما: ربكما يقرئكما السلام ويقول: قد عزمت عليكما لما صبرتما قال: فصبرا** ».

كامل الزيارة: ابن الوليد، عن الصفار، عن ابن عيسى، عن محمد بن سنان، عن سعيد مثله.

كامل الزيارة: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن سنان، عن سعيد مثله[2].

⑥ وروى ابن نما في مثير الأحزان، عن ابن عباس قال: لما أشتد برسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه، ضم الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه، ويقول: « **ما لي وليزيد لا بارك الله فيه اللهم العن يزيد** » ثم غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: « **أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عز وجل** »[3].

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٣٠ح ١٣ و(كامل الزيارات) ح ١٣٣ باب ١٦.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٣٠ ح١٥ و(كامل الزيارات) باب ١٦.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٦٦ ح٢٤.

(**الأمر الثالث**): بكاء سيّد الأولياء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

① أمالي الصدوق: السناني، عن ابن زكريا، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن علي بن عاصم، عن الحصين بن عبد الرحمن، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفين فلما نزل بنينوى وهو بشط الفرات قال بأعلا صوته: « **يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟** » قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: « **لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي** ». قال: فبكى طويلاً حتى أخضلت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معاً وهو يقول: « **أوه أوه مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان؟ وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم** ». ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله أن يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول إلا أنه نعس عند أنقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم أنتبه فقال: « **يا ابن عباس** » فقلت: ها أنا ذا، فقال: « **ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي؟** » فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين. قال: « **رأيت كأني برجال قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط وكأني بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه يستغيث فيه فلا يغاث، وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبرا آل الرسول، فإنكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثم يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقر الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين.**

ثم أنتبهت هكذا، والذي نفس علي بيده، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلى الله عليه وآله أني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة وإنها

لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس ». ثم قال لي: « **يا ابن عباس أطلب في حولها بعر الظباء فوالله ما كذبت ولا كذبت وهي مصفرة لونها لون الزعفران** »، قال ابن عباس فطلبتها فوجدتها مجتمعة فناديته يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي، فقال علي عليه السلام: « **صدق الله ورسوله** ». ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمها، وقال: « **هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمها عيسى بن مريم، وذلك أنه مر بها ومعه الحواريون فرأى ههنا الظباء مجتمعة وهي تبكي فجلس عيسى، وجلس الحواريون معه، فبكى وبكى الحواريون، وهم لا يدرون لم جلس ولم بكى. فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أي أرض هذه؟ قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد صلى الله عليه وآله وفرخ الحرة الطاهرة البتول، شبيهة أمي، ويلحد فيها طينة أطيب من المسك لأنها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظباء تكلمني وتقول: إنها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنها آمنة في هذه الأرض. ثم ضرب بيده إلى هذه الصيران فشمها وقال: هذه بعر الظباء على هذه الطيب لمكان حشيشها اللهم فأبقها أبداً حتى يشمها أبوه فيكون له عزاء وسلوة قال: فبقت إلى يوم الناس هذا وقد أصفرت لطول زمنها وهذه أرض كرب وبلاء** ».

ثم قال بأعلا صوته: « **يا رب عيسى بن مريم! لا تبارك في قتلته، والمعين عليه والخاذل له** ». ثم بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً ثم أفاق فأخذ البعر فصره في ردائه وأمرني أن أصرها كذلك ثم قال: « **يا ابن عباس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً، ويسيل منها دم عبيط، فأعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها، ودفن** ».

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أشد من حفظي لبعض ما أفترض الله عز وجل علي وأنا لا أحلها من طرف كمي فبينما أنا نائم في البيت إذا أنتبهت فإذا هي

تسيل دماً عبيطاً، وكان كمي قد أمتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ وقلت قد قتل والله الحسين، والله ما كذبني علي قط في حديث حدثني ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك لأن رسول الله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره. ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين ثم طلعت الشمس ورأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأن حيطان المدينة عليها دم عبيط، فجلست وأنا باكٍ فقلت: قد قتل والله الحسين، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

اصـــــبروا آل الرســـــول   قتـــــل الفـــــرخ النحـــــول

نـــــزل الـــــروح الأمـــــين   ببكـــــاء وعويـــــل

ثم بكى بأعلا صوته وبكيت فأثبت عندي تلك الساعة وكان شهر المحرم يوم عاشورا لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو، فكنا نرى أنه الخضر عليه السلام[1].

② وروي في بعض الكتب المعتبرة عن لوط بن يحيى، عن عبد الله بن قيس قال: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس فشكى المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فأنحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام « **أمضي إليه يا أبتاه؟** » فقال: « **أمض يا ولدي** »، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره. فبكى علي عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام فقال: « **ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلا، حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول: الظليمة الظليمة لأمة قتلت**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٥٢ ح٢.

ابن بنت نبيها »[1].

(**الأمر الرابع**): بكاء سيدة النساء الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراءعليها السلام على الإمام الحسينعليه السلام:

① تفسير فرات بن إبراهيم: جعفر بن محمد الفزاري معنعنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: « **كان الحسن مع أمه تحمله فأخذه النبيصلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله سالبك وأهلك الله المتوازين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك. قالت فاطمة الزهراء: يا أبتِ أي شيء تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء، ويتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم. قالت: يا أبه وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له كربلا وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة يخرج عليهم شرار أمتي لو أن أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيه، وهم المخلدون في النار. قالت: يا أبه فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله ويبكيه السماوات والأرضون، والملائكة، والوحش، والنباتات، والبحار، والجبال ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا علي بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض، وبهم ينزل الغيث. فقالت فاطمة الزهراءعليها السلام: يا أبه إنا لله، وبكت فقال لها: يا بنتاه! إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون**

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٦٦ ح٢٣.

وعداً عليه حقاً، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل، خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت. يا فاطمة بنت محمد أما تحبين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون أبنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار: يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء. أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليكِ وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق، وأمرت النار أن تطيعه؟ أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لأبنك، وتأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكن من أتاه زائراً في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله وأعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا. قالت: يا أبه سلمت، ورضيت وتوكلت على الله، فمسح على قلبها ومسح عينيها، وقال: إني وبعلك وأنتِ وأبنيكِ في مكان تقر عيناك، ويفرح قلبك ».

بيان: قال المحدّث المجلسي رحمه الله في البحار: قوله " يتهادون إلى القتل " إمَّا من الهدية كأنه يهدي بعضهم بعضاً إلى القتل، أو من قولهم: تهادت المرأة: تمايلت في مشيتها، أو من قولهم هداه أي تقدمه أي يتسابقون، وعلى التقديرات كناية عن فرحهم وسرورهم بذلك، والذود الطرد والدفع[1].

(٢) حدثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٦٤ ح٢٢.

بن خالد، عن عبد الله بن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له: « **مرحباً** »، وضمه وقبله، وقال: « **حقر الله من حقركم وأنتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء** ». ثم بكى وقال: « **يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم واليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد أستعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة. وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين، يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه، ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها** ». قلت: جعلت فداك إن هذا الأمر عظيم، قال: « **غيره أعظم منه ما لم تسمعه** »، ثم قال لي: « **يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام** »[1]، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلي يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما أنتفعت بطعام وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً

(١) راجع (كامل الزيارات) ص١٦٩ باب٢٦ ح٢٢٠.

حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

الباب الثالث

بكاء جميع ما خَلَقَ اللهُ تعالى على الإمام الحسين المظلوم عليه السلام.

أورد ابن قولويه القمّي في كتابه الشريف (كامل الزيارات) باباً كاملاً حول بكاء جميع ما خلق الله على الإمام الحسين بن علي عليهما السلام[1]، ونحن هنا نورده بكامله للبركة والفائدة:

① حدثني محمد بن جعفر القرشي الرزاز، قال: حدثني خالي محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي إسماعيل السراج، عن يحيى بن معمر العطار، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: « **بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي عليهما السلام حتى ذرفت دموعها** ».

② وحدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف ومحمد بن يحيى العطار جميعاً، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل باسناده مثله.

③ حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي داود، عن سعد بن عمر الجلاب، عن الحارث الأعور، قال: قال علي عليه السلام: « **بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأني أنظر إلى الوحوش مادة أعناقها على قبره من أنواع الوحش، يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح، فإذا كان ذلك فإياكم والجفاء** ».

④ وحدثني محمد بن جعفر القرشي الرزاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن عبد الجبار النهاوندي، عن أبي سعيد، عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة ويونس بن ظبيان وأبي سلمة السراج والمفضل بن عمر، كلهم قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إن أبا عبد الله**

---

(١) راجع (كامل الزيارات) الباب السادس والعشرون، ص١٦٥، ح١ - ٩.

الحسين بن علي عليهما السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب عليهن، والجنة والنار، وما خلق ربنا، وما يُرى وما لا يُرى ».

⑤ وحدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن عبد الجبار النهاوندي، عن أبي سعيد، عن الحسين بن ثوير، عن يونس وأبي سلمة السراج والمفضل بن عمر قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **لما مضى الحسين بن علي عليهما السلام بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء: البصرة ودمشق وآل عثمان** ».

⑥ حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن الحسن بن راشد، عن الحسين ابن ثوير، قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وأبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام، فكان المتكلم يونس، وكان أكبرنا سناً - وذكر حديثاً طويلاً، يقول: - ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: « **إن أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، وما ينقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يرى وما لا يرى بكى على أبي عبد الله إلا ثلاثة أشياء لم تبك عليه** »، قلت: جعلت فداك ما هذه الثلاثة الأشياء، قال: « **لم تبكِ عليه البصرة ولا دمشق ولا آل عثمان بن عفان** » وذكر الحديث.

⑦ وحدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن أبي يعقوب، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وأنتثرت وإن البحار تفجرت وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، وما أختضبت منا امرأة ولا**

أدهنت ولا أكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه. وإن الملائكة الذين عند قبره ليبكون، فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه عليه السلام فزفرت جهنم زفرة كادت الأرض تنشق لزفرتها، ولقد خرجت نفس عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت جهنم شهقة لولا أن الله حبسها بخزانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلا أبتلعته، ولكنها مأمورة مصفودة، ولقد عتت على الخزان غير مرة حتى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت، وإنها لتبكيه وتندبه وإنها لتتلظى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأُكفئت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلا عند أقتراب الساعة. وما من عين أحب إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصل رسول الله وأدي حقنا، وما من عبد يحشر إلا وعيناه باكية إلا الباكين على جدي الحسين عليه السلام، فإنه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيِّنٌ على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون وهم حداث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء الحساب، يقال لهم: أدخلوا الجنة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه.

وإن الحور لترسل إليهم إنَّا قد أشتقناكم مع الولدان المخلدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وإن أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار، ومن قائل ما لنا من شافعين ولا صديق حميم، وإنهم ليرون منزلهم وما يقدرون أن يدنوا إليهم، ولا يصلون إليهم. وإن الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدامهم على ما أعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم، فيزدادون إليهم شوقاً إذا هم خبروهم بما هم فيه من الكرامة

وقربهم من الحسين عليه السلام، فيقولون: الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة، ونجانا مما كنا نخاف، ويؤتون بالمراكب والرّحال على النجائب، فيستوون عليها وهم في الثناء على الله والحمد لله والصلاة على محمد وآله حتى ينتهوا إلى منازلهم ».

⑧ حدثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له: « **مرحباً** »، وضمه وقبله، وقال: « **حقر الله من حقركم وأنتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء** ». ثم بكى وقال: « **يا أبا بصير إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد أستعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة، وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين، يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه، ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها** ». قلت: جعلت فداك أن هذا الأمر عظيم، قال: « **غيره أعظم منه ما لم تسمعه** »، ثم قال لي: « **يا أبا بصير أما**

تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام »، فبكيت حين قالها فما قدرت على المنطق، وما قدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلي يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما أنتفعت بطعام وما جاءني النوم، وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة.

الباب الرابع

بكاء الملائكة على الإمام الحسين المظلوم عليه السلام[1].

① قال ابن قولويه: حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **ما لكم لا تأتونه** - يعني قبر الإمام الحسين عليه السلام - **فإنّ أربعة آلآف ملك يبكون عند قبره إلى يوم القيامة** ».

② عن محمّد بن جعفر الرزاز، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمر بن أبان الكلبي، عن أبان بن تغلب، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **إنّ أربعة آلآف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين** عليه السلام**، لم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الإستيذان فهبطوا وقد قتل الحسين** عليه السلام**، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له: المنصور** ».

③ عن ابن قولويه القمي عن والده رحمه الله وجماعة من مشايخه، عن سعد بن عبد الله، عن علي بن إسماعيل، عن حماد بن عيسى، عن ربعي، عن الفضيل بن يسار، قال: قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: « **ما لكم لا تأتونه** - يعني قبر الإمام الحسين عليه السلام - **فإنّ أربعة آلآف ملك يبكون عنده إلى يوم القيامة** ».

④ عن محمّد بن جعفر الرزاز، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل،

(١) راجع (كامل الزيارات) الباب السابع والعشرون، ص١٧١، ح١ - ٢٠.

عن أبي إسماعيل السرّاج، عن يحيى بن معمّر العطار، عن أبي بصير، عن مولانا أبي جعفرعليه السلام، قال: « **أربعة آلآف مَلَك شعث غبُر يبكونه إلى يوم القيامة** ».

⑤ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله وعن عليّ بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **وكّل الله تعالى بالإمام الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك، يصلون عليه كل يوم شُعُثاً غُبُراً منذ يوم قُتِل عليه السلام إلى ما شاء الله** - يعني بذلك قيام القائم عليه السلام - ».

⑥ عن سعد، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن فضال، عن ثعلبة، عن مبارك العطار، عن محمّد بن قيس، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: « **عند قبر الإمام الحسين عليه السلام أربعة آلآف ملك شُعُث غُبُر، يبكونه إلى يوم القيامة** ».

⑦ عن ابن قولويه القمي عن أبيه رحمه الله ومحمّد بن الحسن وعليّ بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **وَكَّلَ الله به أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر، يبكونه إلى يوم القيامة** ».

⑧ عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن الحسن الصفار، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن صفوان بن يحيى، عن حريز، عن الفضيل، عن أحدهما عليهما السلام، قال: « **إنّ على قبر الحسين عليه السلام أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر، يبكونه إلى يوم القيامة** »، قال محمّد بن مسلم: يحرسونه.

⑨ عن ابن قولويه القمي عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن العباس بن معروف، عن حمّاد بن عيسى، عن ربعي، قال: قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام بالمدينة: أين قبور الشهداء، فقال: « **أليس أفضل الشهداء عندكم، والذي نفسي بيده إنّ حوله أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر يبكونه إلى يوم القيامة** ».

(١٠) عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن الحسن الصفار، عن العباس بن معروف بإسناده مثله.

(١١) عن محمّد بن جعفر الرزاز، قال: حدثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي إسماعيل السراج، عن يحيى بن معمّر العطار، عن أبي بصير، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: « **أربعة آلآف مَلَك شُعُث غُبُر يبكون الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، فلا يأتيه أحد إلاّ أستقبلوه، ولا يمرض أحد إلاّ عادوه، ولا يموت أحد إلاّ شهدوه** ».

(١٢) عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن أبان، عن أبي حمزة الثمالي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ الله وَكَّلَ بقبر الإمام الحسين عليه السلام أربعة آلآف ملك شُعُث غُبُر يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلآف مَلَك وصعد أربعة آلآف مَلَك، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر** » وذكر الحديث.

(١٣) عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله ومحمّد بن عبد الله، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بن مهزيار، عن أبي القاسم، عن القاسم بن محمّد، عن إسحاق بن إبراهيم، عن هارون، قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام وأنا عنده فقال: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟، فقال: « **إنّ الحسين عليه السلام لمّا أُصيب، بَكَتْهُ حتى البلاد، فوكل الله به أربعة آلآف مَلَك شُعُثاً غُبُراً يبكونه إلى يوم القيامة** » وذكر الحديث.

(١٤) عن ابن قولويه القمي عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن صباح الحذّاء، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: « **زوروا الحسين عليه السلام ولو كلّ سنة، فإنّ كلّ مَن أتاه عارفاً بحقه غير جاحدٍ لم يكن له عوض غير الجنة، ورزق رزقاً واسعاً، وأتاه الله بفرج عاجل، إنّ الله وكلّ بقبر الحسين بن عليّ عليهما السلام أربعة آلآف مَلَك**

كلّهم يبكونه ويشيّعون مَن زاره إلى أهله، فإنْ مرض عادوه، وإنْ مات شهدوا جنازته بالإستغفار له والترحّم عليه ».

⑮ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أبيه، عن سيف بن عميرة، عن بكر بن محمّد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **وكّل الله بقبر الإمام الحسين عليه السلام سبعين ألف مَلَك شُعُثاً غُبُراً يبكونه إلى يوم القيامة يصلّون عنده، الصّلاة الواحدة من صلاتهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، يكون ثواب صلاتهم وأجر ذلك لِمَن زار قبره عليه السلام** ».

⑯ عن محمّد بن جعفر الرزّاز، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن صفوان بن يحيى، عن حنان بن سدير، عن مالك الجهني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ الله وكّل بالإمام الحسين عليه السلام مَلَكاً في أربعة آلآف مَلَك، يبكونه ويستغفرون لزوّاره ويدعون الله لهم** ».

⑰ عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحِمْيَري، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم، عن محمّد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد البصري عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، قال: حدثنا الهيثم بن واقد، عن عبد الملك بن مقرن، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إذا زرتم أبا عبد الله عليه السلام فالزموا الصّمت إلاّ من خير، وإنّ ملائكة الليل والنهار من الحفظة تحضر الملائكة الذين بالحائر فتصافحهم فلا يجيبونها من شدة البكاء فينتظرونهم حتى تزول الشمس، وحتى ينور الفجر، ثمّ يكلمونهم ويسألونهم عن أشياء من أمر السماء، فأما ما بين هذين الوقتين فإنهم لا ينطقون ولا يفترون عن البكاء والدعاء، ولا يشغلونهم في هذين الوقتين عن أصحابهم، فإنما شغلهم بكم إذا نطقتم** ». قلت: جُعِلْتُ فداك وما الذي يسألونهم عنه وأيهم يسأل صاحبه الحفظة أو أهل الحائر؟، قال عليه السلام: « **أهل الحائر يسألون الحَفَظَة، لأنّ أهل الحائر من الملائكة لا يبرحون والحفظة تنزل وتصعد** ».

قلتُ: فما تُرى يسألونهم عنه؟!، قال عليه السلام: « **إنهم يمرّون إذا عرجوا بإسماعيل صاحب الهواء، فربّما وافقوا النبي صلى الله عليه وآله وعنده فاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام، مَن مضى منهم، فيسألونهم عن أشياء وعمّن حضر منكم الحائر ويقولون: بشّروهم بدعائكم، فتقول الحَفَظَة: كيف نبشّرهم وهم لا يسمعون كلامنا، فيقولون عليهم السلام لهم: بارِكوا عليهم وأدعوا لهم عنا، فهي البشارة منا، فإذا أنصرفوا فحفّوهم بأجنحتكم، حتى يحسّوا مكانكم، وإنّا نستودعهم الذي لا تضيع ودائعه.**

ولو يعلموا ما في زيارته من الخير ويعلم ذلك الناس لأقتتلوا على زيارته بالسيوف، ولباعوا أموالهم في إتيانه، وإنّ فاطمة عليها السلام إذا نظرت إليهم ومعها ألف نبيّ وألف صدّيق وألف شهيد ومن الكرّوبيين ألف ألف يسعدونها على البكاء، وإنها لتشهق شهقة، فلا يبقى في السماوات مَلَك إلاّ بكى رحمة لصوتها، وما تسكن حتى يأتيها النبي صلى الله عليه وآله فيقول: يا بنيّة قد أبكيتِ أهل السّماوات وشغلتهم عن التسبيح والتقديس فكفّي حتى يقدِّسوا، فإنّ الله بالغ أمره، وإنها لتنظر إلى مَن حضر منكم، فتسأل الله لهم من كلّ خير، ولا تزهدوا في إتيانه، فإنّ الخير في إتيانه أكثر من أنْ يُحْصَى ».

⑱ عن محمّد بن عبد الله بن جعفر الحِمْيَري، عن أبيه، عن عليّ بن محمّد بن سالم، عن محمّد بن خالد، عن عبد الله بن حمّاد البصري، عن عبد الله بن عبد الرّحمن الأصمّ، قال: حدّثنا أبو عبيدة البزاز، عن حريز، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ له: جُعِلْتُ فداك ما أقلّ بقاؤكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم، فقال عليه السلام: « **إنّ لكلّ واحدٍ منّا صحيفة فيها ما يُحْتَاجُ إليه أنْ يُعْمَل به في مدّته، فإذا أنقضى ما فيها ممّا أُمِرَ به عرف أنّ أجَلَه قد حضر، وأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند الله، وأنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أُعْطِيْها وفسّر له ما يأتي وما يبقى، وبقي منها أشياء لم تنقضِ، فخرج إلى القتال. فكانت تلك الأمور**

التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته، فأَذِنَ لهم، فمكثت تستعدّ للقتال وتأهّبَتْ لذلك حتى قُتِلَعليه السلام**، فنزلت الملائكة وقد أنقطعت مدّته وقُتِلَ**عليه السلام**، فقالت الملائكة: يا ربّ أذِنْتَ لنا بالإنحدار وأذِنْتَ لنا في نصرته فأنحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبّته حتى ترونه وقد خرج فأنصروه، وأبكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خُصِصْتُم بنصرته والبكاء عليه**عليه السلام**، فبكت الملائكة حزناً وجَزَعاً على ما فاتهم من نصرة الحسين**عليه السلام**، فإذا خرج**عليه السلام** يكونون أنصاره** ».

(١٩) وحدثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، قال: حدثنا أبو عبيدة البزاز، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك ما أقل بقاؤكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة هذا الخلق إليكم، فقال: « **إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته، فإذا أنقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر، وأتاه النبي**صلى الله عليه وآله** ينعى إليه نفسه وأخبره بما له عند الله، وأن الحسين**عليه السلام** قرأ صحيفته التي أعطيها وفسر له ما يأتي وما يبقى، وبقي منها أشياء لم تنقضِ، فخرج إلى القتال. فكانت تلك الأمور التي بقيت أن الملائكة سألت الله في نصرته، فأذن لهم، فمكثت تستعد للقتال وتأهبت لذلك حتى قتل، فنزلت الملائكة وقد أنقطعت مدته وقتل**عليه السلام**، فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا بالإنحدار وأذنت لنا في نصرته فأنحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم أن الزموا قبته حتى ترونه وقد خرج فأنصروه، وأبكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنكم خصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً وجزعاً على ما فاتهم من نصرة الحسين**عليه السلام**، فإذا خرج**عليه السلام** يكونون أنصاره** ».

الباب الخامس

بكاء السّماء والأرض على الإمام الحسين عليه السلام[1].

هذا وقد أورد ابن قولويه القمّي في كتابه (كامل الزيارات) باباً آخر حول بكاء السّماء والأرض على قتل الإمام الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريّا عليهما السلام، ونحن هنا نورده كاملاً لإثبات المَطْلَب، وهو كالآتي :

① عن ابن قولويه القمّي، عن أبيه رضي الله عنه، وجماعة من مشايخنا، عليّ بن الحسين ومحمّد بن الحسن، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن أحمد بن الحسن الهيثمي، عن عليّ الأزرق، عن الحسَن بن الحَكَم النخعي، عن رجل، قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول في الرّحبة، وهو يتلو هذه الآية: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝٢٩ ﴾، وخرج عليه الحسين عليه السلام من بعض أبواب المسجد، فقال: « **أمَا إنّ هذا سيُقْتَل وتبكي عليه السّماء والأرض** ».

② عن محمّد بن جعفر الرزّاز عن محمّد بن الحسين، عن الحَكَم بن مسكين، عن داود بن عيسى الأنصاري، عن محمّد بن عبد الرّحمن بن أبي ليلى، عن إبراهيم النخعي، قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام فجلس في المسجد وأجتمع أصحابه حوله، وجاء الحسين عليه السلام حتى قام بين يديه، فوضع يده على رأسه فقال: « **يا بنيّ إنّ الله عبر أقواماً بالقرآن، فقال:** ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝٢٩ ﴾، **وأيم الله ليقتلنّك بعدي ثمّ تبكيك السّماء والأرض** ».

③ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب بإسناده مثله.

④ عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن الحسين، عن وهيب بن حفص النحّاس، عن أبي بصير، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إنّ الحسين عليه السلام بكى لقتله السّماء والأرض وأحمرّتا، ولم تبكيا على أحدٍ قطّ إلاّ على يحيى بن زكريّا**

(١) راجع (كامل الزيارات) الباب الثامن والعشرون، ص١٧٩.

والحسين بن عليّ عليهما السلام ».

⑤ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسين بإسناده مثله.

⑥ عن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه وغيره، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحسَن بن عليّ بن فضّال، عن حمّاد بن عثمان، وعن عبد الله بن هلال، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **إنّ السّماء بكت على الحسين بن عليّ عليهما السلام ويحيى بن زكريّا عليهما السلام، ولم تبكِ على أحدٍ غيرهما** »، قلت: وما بكاؤهما؟، قال: « **مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة وتغرب بحمرة** »، قلت: فذاك بكاؤهما؟، قال عليه السلام: « **نعم** ».

⑦ عن ابن قولويه القمّي، عن أبيه رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن عبد الله بن أحمد، عن عمر بن سهل، عن عليّ بن مسهر القرشي، قال: حدثتني جدّتي أنها أدركَتْ الحسين بن عليّ عليهما السلام حين قُتِل، قالت: فمكثنا سنةً وتسعة أشهر والسّماء مثل العلَقة، مثل الدّم، ما ترى الشّمس.

⑧ عن عليّ بن الحسين بن موسى، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد بن عليّ الحلبي، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾، قال عليه السلام: « **لم تبكِ السّماء على أحدٍ منذ قُتِل يحيى بن زكريّا عليهما السلام حتى قُتِل الإمام الحسين عليه السلام، فبكت عليه** ».

⑨ عن محمّد بن جعفر الرّزاز القرشي، قال: حدثني محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن صفوان بن يحيى، عن داود بن فرقد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إحمرَّتْ السّماء حين قُتِلَ الحسين عليه السلام سنة ويحيى بن زكريّا، وحمرتها بكاؤها** ».

⑩ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسَن بن عليّ بن فضّال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن

عبد الخالق بن عبد ربُّه، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: « ﴿ ..لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾ **الحسين بن علي عليهما السلام، لم يكن له من قبل سمياً، ويحيى بن زكريا عليهما السلام لم يكن له من قبل سمياً، ولم تبكِ السّماء إلاّ عليهما أربعين صباحاً** »، قال: قلتُ: ما بكاؤها؟، قال عليه السلام: « **كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء** ».

(١١) عن عليّ بن الحسين بن موسى، عن عليّ بن إبراهيم وسعد بن عبد الله جميعاً، عن إبراهيم بن هاشم، عن عليّ بن فضّال، عن أبي جميلة، عن جابر عن مولانا الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: « **ما بكت السّماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلاّ على الحسين بن عليّ عليهما السلام، فإنها بكت عليه أربعين يوماً** ».

(١٢) عن محمّد بن جعفر الرزّاز الكوفي، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن كليب بن معاوية الأسدي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «**لم تبكِ السّماء إلاّ على الحسين بن عليّ ويحيى بن زكريا عليهما السلام** ».

(١٣) وعنه، عن محمّد بن الحسين، عن نصر بن مزاحم، عن عمرو بن سعيد، عن محمّد بن سلَمة، عمّن حدَّثَه قال: لَمَّا قُتِلَ الحسين بن عليّ عليهما السلام أمطرت السّماء تراباً أحمراً.

(١٤) عن حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطّاب، عن محمّد بن أبي عمير، عن الحسين بن عيسى، عن أسلم بن القاسم، قال: أخبرنا عمرو بن ثبيت، عن أبيه، عن مولانا الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام، قال: « **إنّ السّماء لم تبكِ منذ وُضِعَتْ إلاّ على يحيى بن زكريا عليهما السلام والحسين بن عليّ عليهما السلام** »، قلت: أيّ شيء كان بكاؤها؟، قال: « **كانت إذا أستقبلت بثوب وقع على الثوب شبه أثر البراغيث من الدّم** ».

(١٥) عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رضي الله عنه وعليّ بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن موسى بن الفضل، عن حنان، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في زيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فإنه بلغنا عن بعضهم أنها تعدل

حجة وعمرة، قال: « **لا تعجب ما أصاب من يقول هذا كلّه، ولكن زره ولا تجفه، فإنه سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة وشبيه يحيى بن زكريّا، وعليهما بكت السّماء والأرض** ».

⑯ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه ومحمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن عبد الصّمد بن محمّد، عن حنان بن سدير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام مثله سواء.

⑰ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه رضي الله عنه وجماعة مشايخه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن حنان بن سدير، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام مثله.

⑱ وبهذا الإسناد عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن غير واحد، عن جعفر بن بشير، عن حمّاد، عن عامر بن معقل، عن الحسن بن زياد، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **كان قاتل يحيى بن زكريّا عليهما السلام ولد زنا، وقاتل الحسين عليه السلام ولد زنا، ولم تبكِ السّماء على أحد إلاّ عليهما** »، قال: قلت: وكيف تبكي؟، قال عليه السلام: « **تطلع الشّمس في حمرة وتغيب في حمرة** ».

⑲ عن محمّد بن جعفر القرشي، عن محمّد بن الحسين، عن جعفر بن بشير بإسناده مثله.

⑳ عن ابن قولويه القمّي عن أبيه وعليّ بن الحسين رحمهما الله جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الله بن هلال، عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: « **إنّ السّماء بكت على الإمام الحسين عليه السلام ويحيى بن زكريّا عليهما السلام ولم تبكِ على أحدٍ غيرهما** »، قلتُ: وما بكاؤهما؟، قال عليه السلام: « **مكثوا أربعين يوماً تطلع الشّمس بحمرة وتغرب بحمرة** »، قلتُ: فذاك بكاؤها؟، قال عليه السلام: « **نعم** ».

㉑ وعنهما، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن البرقي محمّد بن

خالد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب الحارثي، قال: بينما نحن جلوس عند أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة إذ طلع الحسين عليه السلام عليه، فضحك عليّ عليه السلام ضحكاً حتى بدت نواجذه، ثمّ قال: « **إنّ الله ذكر قوماً وقال:** ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾، **والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السّماء والأرض** ».

(٢٢) عن ابن قولويه عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن البرقي، عن عبد العظيم، عن الحسن، عن أبي سلمة، قال: قال جعفر بن محمّد عليهما السلام: « **ما بكت السماء والأرض إلاّ على يحيى بن زكريّا والحسين عليهما السلام** ».

(٢٣) عن ابن قولويه عن أبيه رحمهما الله، عن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى جميعاً، عن العمركي بن عليّ البوفكي، قال: حدّثنا يحيى - وكان في خدمة أبي جعفر الثاني عليه السلام - عن عليّ، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكّة، فقلت: يابن رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً منكسراً، فقال: « **لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسألتي** »، قلت: فما الّذي تسمع؟، قال: « **إبتهال الملائكة إلى الله عزّ وجلّ على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليه السلام، ونَوْح الجنّ وبكاء الملائكة الّذين حوله وشدّة جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو بشراب أو نوم** » وذكر الحديث.

(٢٤) عن ابن قولويه عن أبيه رحمهما الله، عن سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد البرقي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني العلوي، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب، قال: بينما نحن جلوس عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرّحبة إذ طلع الحسين عليه السلام، قال: فضحك عليّ عليه السلام حتّى بدت نواجده، ثمّ قال: « **إنّ الله ذكر قوماً، فقال:** ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾، **والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السّماء والأرض** ».

(٢٥) عن نصر بن مزاحم، عن عمر [عمرو] بن سعد، قال: حدّثني أبو معشر،

عن الزّهري، قال: لمّا قُتِلَ الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً.

(٢٦) عن عمر [عمرو] بن سعد: وحدّثني أبو معشر، عن الزّهري، قال: لمّا قُتِلَ الحسين عليه السلام لم يبقَ في بيت المقدس حصاة إلاّ وُجِدَ تحتها دم عبيط[١].

(٢٧) عن ابن قولويه عن أبيه، عن محمّد بن الحسن بن مهزيار، عن أبيه، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن داود بن فرقد، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: « **كان الّذي قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام ولد زنا، والّذي قتل يحيى بن زكريّا ولد زنا، وقال: أحمرّت السّماء حين قُتِلَ الحسين بن علي سنة، ثمّ قال: بكت السماء والأرض على الحسين بن عليّ وعلى يحيى بن زكريّا وحمرتها بكاؤها** ».

الباب السادس

نوح الجنّ على الإمام الحسين عليه السلام[٢]:

(١) حدثني محمد بن جعفر القرشي الرزاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت: ما سمعت نوح الجن منذ قبض الله نبيه إلا الليلة، ولا أراني إلا وقد أصبت بأبني الحسين، قالت: وجاءت الجنية منهم وهي تقول:

أيا عيناي فانهملا بجهد — فمن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا — إلى متجبر من نسل عبد

(٢) حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن إبراهيم بن عقبة، عن أحمد بن عمرو بن مسلم، عن الميثمي، قال: خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليهما السلام فمروا بقرية يقال لها: شاهي، إذ أقبل عليهم

---

(١) دم عبيط: خالصٌ طريٌّ.

(٢) راجع (كامل الزيارات) الباب التاسع والعشرون، ص١٨٩.

رجلان شيخ وشاب، فسلما عليهم، قال: فقال الشيخ: أنا رجل من الجن وهذا ابن أخي أردنا نصر هذا الرجل المظلوم، قال: فقال لهم الشيخ الجني: قد رأيت رأياً، فقال الفتية الأنسيون: وما هذا الرأي الذي رأيت، قال: رأيت أنْ أطير فآتيكم بخبر القوم فتذهبون على بصيرة، فقالوا له: نعم ما رأيت. قال: فغاب يومه وليلته، فلما كان من الغد إذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص، وهو يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به ... بالطف منعفر الخدين منحورا

وحوله فتية تدمي نحورهم ... مثل المصابيح يملون الدجا نورا

وقد حثثت قلوصي كي أصادفهم ... من قبل ما أن يلاقوا الخرّد الحورا

كان الحسين سراجاً يستضاء به ... الله يعلم إني لم أقل زورا مجاورا

لرسول الله في غرف ... وللبتول وللطيار مسرورا

فأجابه بعض الفتية من الأنسيين يقول:

أذهب فلا زال قبر أنت ساكنه ... إلى القيامة يسقي الغيث ممطورا

وقد سلكت سبيلاً كنت سالكه ... وقد شربت بكأس كان مغزورا

وفتية فرغوا لله أنفسهم ... وفارقوا المال والأحباب والدورا

③ حدثني حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، قال: حدثني عمر بن سعد، عن عمرو بن ثابت، عن أبي زياد القندي، قال: كان الجصاصون يسمعون نوح الجن حين قتل الحسين عليه السلام في السحر بالجبانة وهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

④ حدثني حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، قال: قال عمر بن سعد، قال: حدثني الوليد بن غسان، عمن حدثه، قال: كانت الجن تنوح على الحسين بن علي عليهما السلام تقول:

لمـن الأبيـات بـالطف علـى كـره بنينـة

تلـك أبيـات الحسـين يتجـاوبن الرنينـة

⑤ حدثني حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة، قال: حدثني أيوب بن سليمان بن أيوب الفزاري، عن علي بن الحزور، قال: سمعت ليلي وهي تقول: سمعت نوح الجن على الحسين بن علي عليهما السلام وهي تقول:

يـا عـين جـودي بالـدموع فإنما ... يبكـي الحـزين بحرقـة وتفجـع

يـا عـين ألهـاك الرقـاد بطيبـه ... مـن ذكـر آل محمـد وتوجـع

باتـت ثلاثـاً بالصـعيد جسـومهم ... بين الوحوش وكلهم في مصرع

⑥ حدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن نصر بن مزاحم، عن عبد الرحمن بن حماد، عن أبي ليلي الواسطي، عن عبد الله بن حسان الكناني، قال: بكت الجن على الحسين بن علي عليهما السلام فقالت:

مـاذا تقولـون إذ قـال الـنبي لكـم ... مـاذا فعلـتم وأنـتم آخـر الأمـم

بأهـل بـيتي وإخـواني ومكـرمتي ... من بين أسري وقتلي ضرجوا بدم

⑦ حدثني حكيم بن داود بن حكيم، قال: حدثني سلمة، قال: حدثني علي بن الحسين، عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: «**بينما الحسين عليه السلام يسير في جوف الليل وهو متوجه إلى العراق، وإذا برجل يرتجز ويقول:**

وحدثني أبي رحمه الله، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد، عن الرضا عليه السلام مثل ألفاظ سلمة، قال: وهو يقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجر ... وشمري قبل طلوع الفجر

بخيـر ركبـان وخيـر سـفر ... حتـى تحلـي بكريم القـدر

بماجد الجد رحيب الصدر ... أثابـه اللـه لخيـر أمـر

ثمة أبقاه بقاء الدهر

فقال الحسين بن علي عليهما السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى

إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه

وفارق مثبوراً وخالف مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم

كفى بك موتاً أن تذل وترغما »

⑧ حدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله بن أبي خلف، عن محمد بن يحيى المعاذي، قال: حدثني الحسين بن موسى الأصم، عن عمرو، عن جابر، عن محمد بن علي عليهما السلام، قال: « **لما هم الحسين عليه السلام بالشخوص عن المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب فأجتمعن للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام، فقال: أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله، فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم فننشدك الله جعلنا الله فداك من الموت يا حبيب الأبرار من أهل القبور. وأقبلت بعض عماته تبكي وتقول: أشهد يا حسين لقد سمعت الجن ناحت بنوحك وهم يقولون:**

فإن قتيل الطف من آل هاشم

أذل رقاباً من قريش فذلت

حبيب رسول الله لم يك فاحشاً

أبانت مصيبتك الأنوف وجلت

وقلن أيضاً:

أبكي حسيناً سيداً، ولقتله شاب الشعر

ولقتله زلزلتم، ولقتله أنكسف القمر

وأحمرت آفاق السماء، من العشية والسحر

وتغبرت شمس البلاد، بهم وأظلمت الكور

ذاك ابن فاطمة، المصاب به الخلائق والبشر

أورثتنا ذلاً به، جدع الأنوف مع الغرر »

(٩) حدثني أبي وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن يحيى المعاذي، عن عباد بن يعقوب، عن عمرو بن ثابت، عن عمر بن عكرمة قال: أصبحنا ليلة قتل الحسين‰ بالمدينة، فإذا مولى لنا يقول: سمعنا البارحة منادياً ينادي ويقول:

أيها القاتلون جهلاً حسينا أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم من نبي ومرسل وقتيل

قد لعنتم على لسان ابن داود وذي الروح حامل الإنجيل

(١٠) حدثني حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن سنان، عن عبد الله بن القاسم بن الحارث، عن داود الرقي، قال: حدثتني جدتي أن الجن لما قتل الحسين‰ بكت عليه بهذه الأبيات:

يا عين جودي بالعبر، وأبكي فقد حق الخبر

أبكي ابن فاطمة الذي، ورد الفرات فما صدر

الجن تبكي شجوها، لما أتى منه الخبر

قتل الحسين ورهطه، تعساً لذلك من خبر

فلأبكينك حرقة، عند العشاء وبالسحر

ولأبكينك ما جرى، عرق وما حمل الشجر

الباب السابع

هنا أمور:

(**الأمر الأول**): دعاء الحمام ولعنها على قاتل الإمام الحسين‰:

أورد ابن قولويه القمي رحمه الله في الباب الثلاثين من كتابه (كامل الزيارات) مجموعة من الأخبار المباركة، وهي كالآتي:

① حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن الحسين بن يزيد النوفلي، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **أتخذوا الحمام الراعبية في بيوتكم فإنها تلعن قتلة الحسين عليه السلام** ».

② حدثني أبي وأخي وعلي بن الحسين ومحمد بن الحسن جميعاً، عن أحمد بن إدريس بن أحمد، عن أبي عبد الله الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن صندل، عن داود بن فرقد، قال: كنت جالساً في بيت أبي عبد الله عليه السلام، فنظرت إلى الحمام الراعبي يقرقر طويلاً. فنظر إلي أبو عبد الله عليه السلام فقال: « **يا داود أتدري ما يقول هذا الطير** »، قلت: لا والله جعلت فداك، قال: « **تدعو على قتلة الحسين بن علي عليهما السلام فأتخذوه في منازلكم** ».

③ وحدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن أبي عبد الله الجاموراني بإسناده مثله.

كما وأورد العلاّمة المجلسي في بحاره بعض الأخبار في هذا الصدد، منها روايتين ضمّنهما للباب الثالث، وهما كالآتي:

① عن كامل الزيارات عن أبيه، وعليّ بن الحسين، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: « **إتخذوا الحمام الراعبية في بيوتكم، فإنها تلعن قتلة الحسين عليه السلام** ».

وعن الكافي: عن عليّ بن إبراهيم مثله[1].

② الكامل عن أبيه وأخيه، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن الحسن جميعاً، عن أحمد بن إدريس عن الجاموراني عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن صندل،

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٦٢ ص١٤ باب٣ ح٧. وهذا الحديث مكرَّر بهدف التوثيق.

عن داود، عن فرقد قال: كنتُ جالساً في بيت الإمام أبي عبد الله عليه السلام فنظرتُ إلى الحمام الراعبي يقرقر طويلاً، فنظر إليّ الإمام أبو عبد الله عليه السلام طويلاً فقال: « **يا داود أتدري ما يقول هذا الطير؟** » قلتُ: لا والله جُعِلْتُ فداك، قال: « **يدعو على قَتَلَةِ الحسين عليه السلام فأتخذوه في منازلكم** ».

وعن الكافي: عن العدّة عن أحمد بن محمّد عن الجاموراني مثله[1].

(**الأمر الثاني**): نوح البوم ومصيبتها على الإمام الحسين عليه السلام[2]:

① حدثني محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد وجماعة مشايخي، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن صفوان بن يحيى، عن الحسين بن أبي غندر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول في البومة، قال: « **هل أحد منكم رآها بالنهار** »، قيل له: لا تكاد تظهر بالنهار ولا تظهر إلا ليلاً، قال: « **أما إنها لم تزل تأوي العمران أبداً فلما أن قتل الحسين عليه السلام آلت على نفسها أن لا تأوي العمران أبداً ولا تأوي إلا الخراب، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجنها الليل، فإذا جنها الليل فلا تزال ترن على الحسين عليه السلام حتى تصبح** ».

② حدثني حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة بن الخطاب، عن الحسين بن علي بن صاعد البربري - قيّماً لقبر الإمام الرضا عليه السلام -، قال: حدثني أبي، قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: « **ترى هذه البوم ما يقول الناس** »، قال: قلت جعلت فداك جئنا نسألك، قال: فقال: « **هذه البومة كانت على عهد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله تأوي المنازل والقصور والدور، وكانت إذا أكل الناس الطعام تطير وتقع أمامهم فيرمى إليها بالطعام وتسقى وترجع إلى مكانها، فلما قتل الحسين عليه السلام خرجت من العمران إلى الخراب والجبال والبراري، وقالت: بئس الأمة أنتم، قتلتم ابن بنت نبيكم ولا آمنكم على نفسي** ».

③ وحدثني محمد بن جعفر الرزاز، عن خاله محمد بن الحسين بن أبي الخطاب،

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ص٦٢ ص١٥ باب٣ ح٨.

(٢) راجع (كامل الزيارات) الباب ٣١.

عن الحسن بن علي بن فضال، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: « **إن البومة لتصوم النهار، فإذا أفطرت تدلهت**[1] **على الحسين بن علي عليهما السلام حتى تصبح** ».

④ حدثني علي بن الحسين بن موسى، عن سعد بن عبد الله، عن موسى بن عمر، عن الحسن بن علي الميثمي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: « **يا يعقوب رأيت بومة بالنهار تنفس قط** »، فقال: لا، قال: « **وتدري لِمَ ذلك؟** »، قال: لا، قال: « **لأنها تظل يومها صائمة على ما رزقها الله، فإذا جنها الليل أفطرت على ما رزقت، ثم لم تزل ترنم على الحسين بن علي عليهما السلام حتى تصبح** ».

(**الأمر الثالث**): حنان الفرس على الإمام الحسين عليه السلام، وبكاؤه عليه:

قال عبد الله بن العبّاس: (حدّثني مَن شهد الواقعة أنّ فرس الإمام الحسين عليه السلام جعل يحمحم ويتخطّى القتلى في المعركة قتيلاً بعد قتيل حتى وقف على جثّة الإمام الحسين عليه السلام فجعل يمرّغ ناصيته بالدّم ويلطم الأرض بيده ويصهل صهيلاً حتى ملأ البيداء فتعجّب القوم من فعاله فلمّا نظر إلى فرس الإمام الحسين عليه السلام عمرُ بن سعد قال: ويلكم آتوني به وكان من جياد خيل رسول الله صلى الله عليه وآله فركبوا في طلبه فلمّا أحسّ الجوادُ بالطّلب جعل يلطم بيده ورجليه ويمانع عن نفسه حتى قتل خلقاً كثيراً ونكس فرساناً من خيولهم ولم يقدروا عليه فصاح عمر بن سعد دعوه حتى ننظر ما يصنع. فلمّا أمن الجوادُ من الطّلب أتى إلى جثّة الإمام الحسين عليه السلام وجعل يمرّغ ناصيته بدمه ويبكي بكاء الثكلى وثار يطلب الخيمة فلمّا سمعت زينب بنت عليّ عليهما السلام صهيله أقبلت على سكينة وقالت لها: قد جاء أبوكِ بالماء فخرجت سكينة فرحة بذكر أبيها فرأت الجواد عارياً والسرج خالياً من راكبه فهتكت خمارها ونادت واابتاه واحسيناه واقتيلاه واغربتاه وابُعْدَ سفراه واطول كربتاه هذا الحسين بالعرى مسلوب العمامة والردى قد أخذ منه الخاتم والحذا بأبي مَن رأسه بأرض وجثته بأخرى بأبي مَن رأسه إلى الشام يُهدى بأبي مَن أصبحت حرمه مهتوكة بين الأعدا بأبي مَن عسكره يوم

---

(١) الدله – محرَّكة – والدلوه: ذهاب الفؤاد من همٍّ ونحوه، ودلهه العشق تدليهاً فتدله.

الإثنين مضى...)[1].

(**الأمر الرابع**): معنى حمحمة الفرس على الإمام الحسين عليه السلام:

فقد أورد العلاّمة المجلسي رحمه الله ما يفسّر حمحة فرس سيّد الشهداء؛ منها ما أورده بإسناده إلى لوط بن يحيى، عن عبد الله بن قيس قال: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلمي الماء وحرزه عن الناس فشكى المسلمون العطش فأرسل فوارس على كشفه فأنحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الإمام الحسين عليه السلام: « **أمضي إليه يا أبتاه؟** » فقال: « **أمض يا ولدي** »، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته وحط فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره. فبكى الإمام علي عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام فقال: « **ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلا، حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول: الظليمة الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها** »[2].

(**الأمر الخامس**): الدراج يلعن أعداءَ أهل البيت عليهم السلام:

نقلّ العلاّمة المجلسي في بحاره عن الخرائج: روي عن الإمام الحسن عليه السلام أنّ الإمام عليّاً عليه السلام كان يوماً بأرض قفر فرأى درّاجاً فقال: « **يا درّاج منذ كم أنتَ في هذه البرّية؟ ومن أين مطعمكَ ومشربكَ؟ فقال: يا أمير المؤمنين أنا في هذه البريّة منذ مائة سنة إذا جعتُ أصلّي عليكم فأشبع وإذا عطشتُ أدعو على ظالميكم فأروي** »[3].

(**الأمر السادس**): طير الورشان[4] يحبّ أهلَ البيت عليهم السلام:

جاء في بحار الأنوار بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنّه

---

(١) راجع (مقتل أبي مخنف) ص١٤٨- ١٤٩.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٤٤ ص٢٦٦.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٦٢ ص٤٣.

(٤) الورشان: نوع من الحمام البري على ذَنَبه بياض.

قال: « **مَن أتخذ طيراً في بيته فليتخذ ورشاناً فإنّه أكثر شيء ذكراً لله عزّ وجلّ وأكثر تسبيحاً وهو طيرٌ يحبُّنا أهلَ البيت** »[1].

(**الأمر السابع**): إختلاف ذَكَر الورشان مع أنثاه وقصّتهما مع الإمام الباقر عليه السلام:

عن محمّد بن مسلم قال: كنتُ عند الإمام أبي جعفر عليه السلام إذ وقع عليه ورشانان ثمّ هَدَلا فردّ عليهما فطارا، فقلتُ: جُعِلْتُ فداكَ ما هذا؟ فقال عليه السلام: « **هذا طائرٌ ظنّ في زوجته سوءاً فحَلَفَتْ له فقال لها: لا أرضى إلاّ بمولاي محمّد بن عليّ فجاءت فحَلَفَتْ له بالولاية أنها لم تخنه فصدَّقَها، وما من أحدٍ يحلف بالولاية إلاّ صدَّقَ إلاّ الإنسان فإنّه حلاّفٌ مهين** »[2].

(**الأمر الثامن**): دوران طير الخطّاف[3] في السّماء أسفاً على أهل البيت عليهم السلام:

① الخصال: عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن إبراهيم بن إسحاق عن الحسن بن زياد عن داود بن كثير الرقي قال: بينما نحن قعود عند الإمام أبي عبد الله عليه السلام إذ مرّ بنا رجل بيده خطاف مذبوح، فوثب إليه الإمام أبو عبد الله عليه السلام حتى أخذه من يده ثم دحا به الأرض ثم قال عليه السلام: « **أعالمكم أمركم بهذا أم فقيهكم؟ لقد أخبرني أبي عن جدي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن قتل ستة: النحلة والنملة[4] والضفدع والصرد[5] والهدهد والخطاف، فأما النحلة فإنها تأكل طيباً وتضع طيباً وهي التي أوحى الله عزّ وجلّ إليها ليست من الجن ولا من الأنس، وأما النملة فإنهم قحطوا على عهد سليمان بن داود عليهما السلام فخرجوا يستسقون فإذا هم بنملة قائمة على رجليها مادّةً يدها إلى السماء وهي تقول:**

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٦٢ ص٢١ ح٣٠.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٦٢ ص٢٤ ح٤٠.

(٣) الخطاف: طائر يشبه السنونو، طويل الجناحين، قصير الرجلين.

(٤) روى الشيخ عباس القمي في (سفينة البحار) باب النحل والنمل عن الفتح بن خرشف الزاهد أنه كان يفتُّ الخبز للنمل في كلّ يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله.

(٥) الصُّرد: طائر ضخم الرأس أبيض البطن أخضر الظهر.

" اللهم إنَّا خلق من خلقك لا غنى بنا عن فضلك فأرزقنا من عندك ولا تؤاخذنا بذنوب سفهاء ولد آدم " فقال لهم سليمان(عليه السلام): أرجعوا إلى منازلكم فإن الله تبارك وتعالى قد سقاكم بدعاء غيركم، وأما الضفدع فإنه لما أضرمت النار على إبراهيم(عليه السلام) شكت هوام الأرض إلى الله(عزّ وجلّ) وأستأذنته أن تصب عليها الماء، فلم يأذن الله(عزّ وجلّ) لشيء منها إلا للضفدع فأحترق منه الثلثان وبقي منه الثلث، وأما الهدهد فإنه كان دليل سليمان(عليه السلام) إلى ملك بلقيس، وأما الصرد فإنه كان دليل آدم(عليه السلام) من بلاد سرانديب إلى بلاد جدة شهرا، وأما الخطاف فإن دورانه في السماء أسفاً لما فعل بأهل بيت محمد(صلى الله عليه وآله) وتسبيحه قراءة: " الحمد لله رب العالمين " ألا ترونه وهو يقول: " ولا الضالين " »[1].

② الخرائج: عن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله(عليه السلام) قال: سأله رجل من الخطاف، فقال: « **لا تؤذوه فإنه لا يؤذي شيئاً، وهو طير يحبنا أهلَ البيت** »[2].

(**الأمر التاسع**): على جناح كلّ هدهد مكتوب: آل محمّد خير البَرِيّة:

العيون: عن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب، عن منصور بن عبد الله، عن المنذر بن محمّد، عن الحسين بن محمّد، عن سليمان بن جعفر، عن الإمام الرِّضا(عليه السلام) عن آبائه(عليهم السلام) عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قال: « **في جناح كل هدهد خلقه الله(عزّ وجلّ) مكتوب بالسريانية: آل محمّد خير البرية** »[3].

(**الأمر العاشر**): الصرد أوّل طائر صام عاشوراء حزناً:

قال القرطبي: « **ويقال له: الصرد الصوام، روينا في معجم عبد الغني بن قانع عن أبي غليظة أمية بن خلف الجمحي قال: رآني رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعلى يده صرد فقال: هذا أول طير صام عاشورا.**

وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى، والحديث مثل اسمه غليظ، قال الحاكم: وهو من

---

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٦١ ص٢٦٥ - ٢٦٦ ح٢٠.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٦١ ص٢٨٥ ح٥٠.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٢٧ ص ٢٦١ ح١.

الأحاديث التي وضعها قتلة الإمام الحسين عليه السلام رواه أبو عبد الله بن معاوية بن موسى بن أبي غليظ نشيط بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي عن أبيه عن أبي غليظ قال: رآني **رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى يده صردة قال: هذا أول طير صام عاشورا »**[1].

❖ **ملاحظة**: الخبر وإنْ ورد من مصادر المخالفين وفحواه يفيد استحباب الصيام يوم عاشوراء لكنّه محمول على الصّوم حزناً على سيّد الشّهداء عليه السلام، والعامّة إنّما يصومونه فرحاً وشماتةً، والأخبار الناهية عن صومه محمولة على ما ذكرنا.

(**الأمر الحادي عشر**): القُبَّرَة[2] تلعن مبغضي آل محمّد عليهم السلام:

① الكافي: عن العدة، عن سهل بن زياد، عن أبي عبد الله الجاموراني، عن سليمان الجعفري قال: سمعت الإمام أبا الحسن الرِّضا عليه السلام يقول: « **لا تقتلوا القبرة ولا تأكلوا لحمها فإنها كثيرة التسبيح، وتقول في آخر تسبيحها: لعن الله مبغضي آل محمّد عليهم السلام** »[3].

② مشارق الأنوار: بإسناده عن محمّد بن مسلم قال: خرجت مع الإمام أبي جعفر عليه السلام فإذا نحن بقاعٍ مجدبٍ يتوقد حرّاً وهناك عصافير فتطايرن حول بغلته، فزجرها فقال: « **لا ولا كرامة** »، قال: ثم سار إلى مقصده، فلما رجعنا من الغد وعدنا إلى القاع فإذا العصافير قد طارت ودارت حول بغلته ورفرفت، فسمعتُهُ يقول: « **أشربي وأروي** »، قال: فنظرت وإذا في القاع ضحضاح من الماء، فقلت: يا سيدي بالأمس منعتها واليوم سقيتها، فقال عليه السلام: « **إعلَمْ أنّ اليوم خالطها القنابر فسقيتها، ولولا القنابر لما سقيتها** ». فقلتُ: يا سيدي وما الفرق بين القنابر والعصافير؟ فقال عليه السلام: « **ويحك أما العصافير فإنهم موالي عمر لأنهم منه، وأما القنابر فإنهم من موالينا أهل البيت وإنهم يقولون في صفيرهم: بوركتم أهل البيت وبورِكَتْ شيعتكم ولعن الله أعداءكم** » ثم قال: « **عادانا من كل شيء**

---

(١) راجع (ملاذ الأخبار) للمجلسي ج١٤ ص ١٥٤ ح ٧٤.

(٢) القُبَّرَة: عصفورة من فصيلة القبريات، دائمة التغريد، تفتش عن غذائها في الحقول وعلى الطرقات.

(٣) راجع (بحار الأنوار) ج٦١ ص٣٠٠ ح١.

حتى من الطيور الفاختة ومن الأيام الأربعاء »[1].

(**الأمر الثاني عشر**) : تسبيح القُبَّرَة هو لعنٌ لمبغضي آل محمّدعليهم السلام :

مجالس الشيخ : عن محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان ، عن أبيه ، عن محمّد بن الحسن ، عن محمّد بن أبي القاسم ، عن أحمد البرقي ، عن عليّ بن محمّد القاساني ، عن أبي أيوب المدني ، عن سليمان الجعفري ، عن مولانا الإمام أبي الحسن الرِّضا عليه السلام ، عن أبيه عليه السلام ، عن جده عليه السلام قال : « **لا تأكلوا القنبرة ولا تسبُّوها ولا تعطوها الصبيان يلعبون بها فإنها كثيرة التسبيح لله، وتسبيحها: لَعَنَ اللهُ مبغضي آل محمّد** »[2].

والحمد لله ربّ العالمين ، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وعجّل فرج وليِّك القائم بالحق وأجعلنا من أنصاره وخدامه وخيرة أعوانه ولا تحرمنا من اللقاء به والذود عنه والإنتصار له ولآبائه الميامين المطهرين برحمتك يا أرحم الراحمين.

تم الجزء الأول من شرح (**نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء**) بعون الله تعالى ولطف أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، ويتلوه الجزء الثاني منه بإذن الله تعالى وبمنّه وحسن توفيقه ، وسلام على المرسلين لا سيَّما قادة العباد وساسة العباد وسفن النجاة رسول الله محمد وآله الأولياء العظماء الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين... اللهم كن لوليِّك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه الطاهرين في هذه الساعة وفي كلّ ساعة وليّاً وحافظاً وناصراً وقائداً ودليلاً وعيناً حتى تسكنَهُ أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً برحمتك يا أرحم الراحمين...!.

يا قائمَ آلِ محمَّدٍ أغثنا

(١) راجع (بحار الأنوار) ج٦١ ص٣٠٣ ح٦.

(٢) راجع (بحار الأنوار) ج٦١ ص٣٠٣ ح٧.

المحتويات

فهرس الجزء الأول من نفحات الأبرار في شرح زيارة عاشوراء

العنوان .... الصفحة

الفصل الرابع
البحث في سند زيارة عاشوراء المقدَّسة

الفصل الخامس

شرح فقرات زيارة عاشوراء الشريفة

﴿ السلام عليك يا أبا عبد الله ﴾

العنوان	الصفحة

العنوان .... الصفحة

العنوان .... **الصفحة**

العنوان	الصفحة

العنوان .... الصفحة

العنوان .... **الصفحة**

العنوان .... الصفحة

تمّ بعونه تعالى فهرس محتويات الجزء الأول

يا قائم آل محمَّد أغثنا